
المصارع
منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي
مجلة الابتسامة
موسوعة كاملة
عن عالم الجن والشياطين
صراع مع الشهوات
صراع مع فتنة النساء
صراع مع اليأس
صراع مع الشبهات
www.ibtesama.com
محمود المصري
أبو عمار
صراع مع اللسان
صراع مع الخمر والمخدرات
صراع مع الغضب
صراع مع هجر الصلاة
مكتبة الصفا
www.ibtesama.com



موسوعة كاملة
عن عالم الجن والشياطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٥٥٣٩

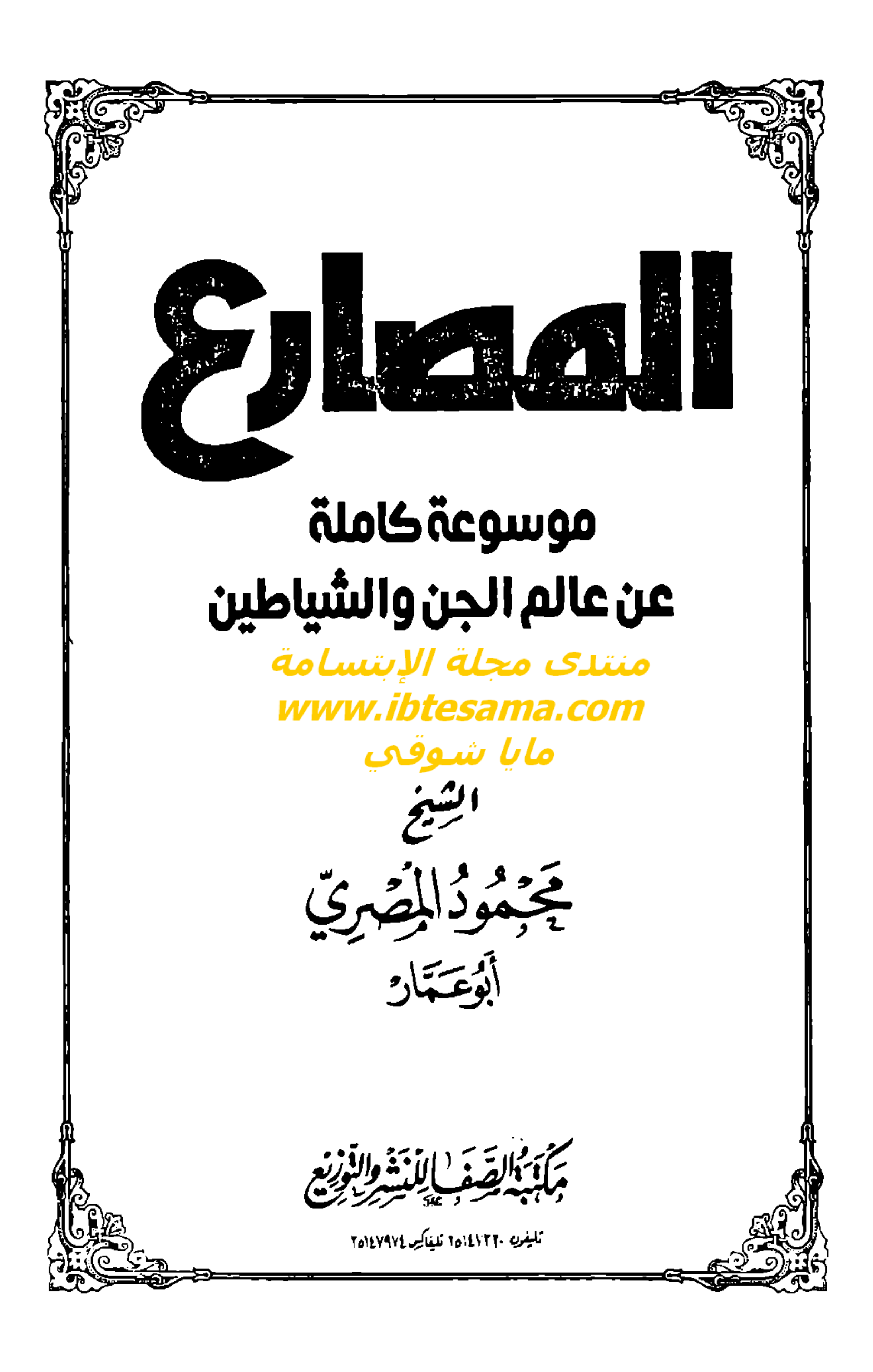
مكتبة الصفا

للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٢ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١١ تليفاكس ٢٥١٤٢٩٧٤



المصارع

موسوعة كاملة
عن عالم الجن والشياطين

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥٤١١٢٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحـمد لله رب العـالمين، والصلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمـازال فضل الله العظيم الـكريم يتوالَى علينا بالتـوفيق لإخـراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبـعات جديدة للمصـحف الشريف، حرصنا فيـها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كمـا وفقنا لإخراج كتب تفـسير كتـاب الله العزيز سواء كان كـاملاً أو مفـرقًا على هيئـة سورة تلو السـورة، أو مجمـوعة سور، أو مـوضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخـراج كتب الحـديث النبوى الشـريف والتى عليهـا قوام هذا الدين وهى بيان وتفـسير لكتاب الله الـعزيز، والتى قام بها الجـهابذة الأولون من سلفنا الصـالح علماء الحـديث، الذين وفقـهم الله - عز وجل - لتـوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسُنة، قولاً وفعلاً، نصًّا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطإ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحـيح مسلم وغيرِها من الكتب المتضـمنة لحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب «المصارع»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين. إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٢)] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٣)] .

أما بعد: فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان... وإن الإنسان يعيش منذ اللحظة الأولى لوجوده فى هذه الدنيا صراعًا حقيقيًا لا ينتهى أبدًا حتى آخر لحظة فى حياته.

* فهو يصارع الشيطان الذى يناصبه العداء منذ اللحظة الأولى لوجوده كما قال ﷺ: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابنَ مريم وأُمَّه»[(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٤٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٣٦٦) كتاب الفضائل، واللفظ له.

* وهو يصارع الدنيـا التى فُتن بها كثـير من الناس، وكانوا ضحـية من ضحايا زخارفها ومتاعها الزائل.

* وهو تارة ثالثة يصارع النفس التى بـين جنبيه... والتى تزين له حُب الشهوات والوقوع فيها.

* وهو مرة رابعة يصارع الهوى.

* وهكذا يظل الإنسـان فى صراعٍ دائم منذ اللحظة الأولى وحـتى آخر لحظة فى حياته.

ومع أنه يصارع أعداءه الأربعة إلا أن اللـه (عزَّ وجلَّ) لم يأمره إلا بعداء الشيطان فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[1] .

أما بالنسبة للنفس فلمَ يأمرنا الله بعداوتها بل أمرنا بتزكيتها.

فقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[2]

وأما بالنسـبة للهوى فـقد أمرنا اللـه (عزَّ وجلَّ) بأن يكون هوانًا موافـقًا للشرع وليس لأهواء النفس فـقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

وأما بالنسبة للدنيا فقد أمرنا الله أن نعرف قدرها وضآلتها بالنسبة للآخرة وأن نجعلها مزرعة للآخرة فنغرس فيها الخير كله لنجنى ثماره فى الآخرة.

* فلما كان العـداء الأكبر للشيطان الرجـيم كان لا بُدَّ من أن نعرف كل شىء عن هذا العدو اللدود... وذلك من باب قول القائل:

عـرفت الشرَ لا للشـرِّ ولكن لتـوقِّيـه

ومن لا يعرف الخير من الشـر يقع فيه

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٦).

(٢) سورة الشمس: الآية: (٩).

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٠).

* ومن أجل ذلك فقد بدأت هذا الكتاب بقصة الصراع بيننا وبين إبليس من لدن آدم (عليه السلام) وإلى أن تقوم الساعة ثم أفردت بابًا كاملاً بعنوان: «اعرف عدوك» ذكرت فيه كل شيء تقريبًا عن إبليس وأعوانه وعن مكائده ومداخله لإضلال بنى آدم ثم ذكرت بعد ذلك باقة من الجولات التى سنخوض فيها الصراع ضد إبليس وأعوانه وسنرى من الذى سينتصر عليهم - بإذن الله.

فمن انتصر عليهم فى تلك الجولات فهو الذى يستحق لقب (المصارع) الذى حقق العبودية لله (جلَّ وعلا) وانتصر على إبليس وأعوانه.

* فتعالوا بنا لنطوف فى بساتين هذا الكتاب لنتعلم كيف نخوض الصراع ضد إبليس وننتصر عليه - بإذن الله.

* أسأل الله أن ينجينى وإياكم من فتنة الشيطان وأعوانه، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار



قصة الصراع مع الشيطان

قصة الصراع مع الشيطان

لقد بدأ الصراع مع الشيطان منذ اللحظة الأولى التى التقى فيها الشيطان مع أبينا آدم (عليه السلام).

وتعالوا بنا لنعرف كيف بدأت قصة الصراع مع الشيطان منذ خلق الله أبينا آدم (عليه السلام).

خلق آدم (عليه السلام)

شاء الله (عز وجل) أن يخلق آدم، وذريته، ليسكنوا الأرض، ويعمروها، فأنبأ ملائكته أنه سيُنشئ خلقًا آخر، يسعون فى الأرض، ويمشون فى مناكبها[1]، وينتشر نسلهم فى أرجائها، فيأكلون من نبتها، ويستخرجون الخيرات من باطنها، ويخلف بعضهم بعضًا فيها.

* فلما أخبرهم الله (عز وجل) أنه سيخلق خلقًا غيرهم خافوا أن يكون ذلك لتقصير وقع منهم، أو لمخالفة كانت من أحدهم فأسرعوا إلى تبرئة أنفسهم، وقالوا: كيف تخلق غيرنا، ونحن دائبون على التسبيح بحمدك، وتقديس اسمك؟! على أن هؤلاء الذين تستخلفهم فى الأرض لا بد أن يختلفوا على ما فيها من منافع، ويتجاذبوا ما بها من خيرات، فيفسدوا فيها، ويسفكوا الدماء.

لقد قال الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2].

---

(١) مناكبها: جوانبها ونواحيها.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٠).

لأنهم رأوا ما فعله الجن - قبل أن يُخلق آدم - من الإفساد وسفك الدماء.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كانت الجن قبل آدم بألفى عام، فسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم جندًا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور.

* ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون[2].

خلق آدم (عليه السلام) من تراب

وكان بداية خلق آدم (عليه السلام) من التراب... ولقد أخبرنا الله (جل وعلا) بهذه الحقيقة فى كتابه فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

وقال ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك»[4].

* أما عن تفاصيل خلق آدم (عليه السلام) من تراب فلقد أمر الله جبريل أن ينزل إلى الأرض ليأتيه من ترابها فلما نزل قالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ منى شيئًا فتركها وعاد إلى ربه فقال: يا رب إنها عاذت بك فأعذتها.. فأرسل الله ميكائيل ليأتيه من تراب الأرض فلما نزل قالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ منى شيئًا فتركها وعاد إلى ربه فقال:

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٠).

(٢) قصص الأنبياء / الحافظ ابن كثير (ص: ٢٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٥٩).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٩٥٥)، وأبو داود (٤٦٩٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٦٣٠).

يا رب إنها عــاذت بك فأعذتهــا.. فأرسل الله ملك الموت ليأتيــه من ترابها فقالت له الأرض: أعوذ بالله منك أن تأخذ منى شيئًا فقال لها ملك الموت: وأنا أعوذ بــالله أن أرجع دون أن أُنفذ أمــر الله (جل وعلا).. فأخــذ ملك الموت من تراب الأرض كلهــا ولم يأخذ مــن مكان واحد بل أخــذ من تربة حمراء وبيضــاء وسوداء فلذلك خرج الناس مختلفــين فى ألوانهم وطبائعهم وأخلاقهــم ومشاعرهم وذلك لاخــتلاف طبيعــة الأرض التى خُلق منها كل إنسان.

فقال الله لملك الموت: أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟

فقال ملك الموت: لقد رأيت أن تنفيذ أمرك أوجب من قولها.

فقال الله له: أنت تصلح لقبض أرواح بنى آدم.

ثم عُجنَت هذه القــبضة من التراب بالماء فــصارت طينًا، ثم جف ويبس حتى صار كالفــخار، وكان آدم عليه السلام فى هذه المراحل جــسدًا، مجرد جسد بلا روح ولا حياة فبعد أن خلقه الله من الطين، صورَّه وسوَّاه وجعله تمثالاً كجــسمه على صورة إنسان، وتركه فى الجنة مــدة من الزمن لا يعلمها إلا الله،... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[١].

إبليس يطيف بآدم (عليه السلام)

* **قال ﷺ: «لما خلق الله آدم تركـه ما شاء الـله أن يدعه، فجـعل إبليس يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك»[٢].**

---

(١) سورة الإنسان: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦١١).

ومعنى: لا يتـمالك، لا يملك نفســه ويحجـبهـا عن الشهوات وقـيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفســه عند الغضب، - والمراد: كل بنى آدم-.

ذلك لنعلم أن عداوة إبليس لنا قديمة ولن تنتهى حتى قيام الساعة فمنذ أول لحظة يولد فيها الإنسان وإذا بالشيطان يعلن عداوته له كما أخبر بذلك الصادق ﷺ حيث قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه»(١).

- بل ويظل فى حربه السافرة لبنى آدم حتى الموت.. ويوم القيامة يخطب خطبته الشهيرة فى النار ليملأ قلوب العصاة والكافرين حسرة فيزدادوا عذابًا فوق العذاب كما أخبر بذلك العزيز الوهاب: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

إبليس يرفض السجود لآدم (عليه السلام)

لما خلق الله آدم (عليه السلام) ونفخ فيه الروح عطس وتحرك جسده ودبَّت فيه الحياة وأصبح إنسانًا يتنفس ويرى ويسمع.

ففتح آدم (عليه السلام) عينيه فرأى الملائكة كلهم ساجدين له - سجود تحية وليس سجود عبادة -... ماعدا واحدًا يقف بعيدًا ويرفض السجود لآدم (عليه السلام).. وهو إبليس اللعين.

* لقد حكى الله عز وجل قصة رفض إبليس السجود لآدم فى أكثر من سورة، قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٦).

(٢) سورة إبراهيم الآية: (٢٢).

الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١][٢].

وقال في سورة (ص): ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٣]... قال تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤].

* وهكذا امتنع إبليس عن السجود، فطرده الله سبحانه، وأبعده، وأهبطه إلى الأرض طريدًا ملعونًا شيطانًا رجيمًا.

قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[٥].

لأقعدن لهم صراطك المستقيم

ولما طُرد إبليس من رحمة الله (جل وعلا) ولعنه الله إلى يوم الدين قام إبليس وأعلن عداءه لبني آدم وطلب من الله (عز وجل) الإنظار - التأجيل -: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[٦].

* ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة الأعراف: الآيات: (١٢- ١٦).

(٢) «الصاغرين»: الأذلاء المُهانين، «أنظرني»: أخّرني وأمهلني في الحياة.

«أغويتني»: أضللتني، «لأقعدن لهم»: لأترصدنهم ولأجلسنّ لهم.

(٣) سورة ص: الآيتان: (٧٥، ٧٦).

(٤) سورة ص: الآيتان: (٧٧، ٧٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨١).

(٦) سورة الأعراف: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٧) سورة الأعراف: الآيتان: (١٦، ١٧).

يخبر تعالى أنه لما أنظَر إبليس، أخذ فى المعاندة والتمرد فقال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أى: أقسم بإغوائك لى لأقعدن لهم صراطك المستقيم، والصراط المستقيم هو كل طرق الخير التى تؤدى إلى رضاه تعالى، من إسلام وهجرة وجهاد وجميع الطاعات التى يرضى عنها سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أى: يأتيهم من كل وَجه وَجِهَةٍ، ليزل أقدامهم عن طرق الطاعات، ويعدد لهمَ الغوايات أشكالاً وألوانًا، حتى يوقعهم فى المعاصى.

* قال ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الرب: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى»[(١)].

* وكشف الشيطان عن حقده على آدم (عليه السلام) وذريته فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(٢)].

فهو يقسم بعزة الله على إغواء كل بنى آدم ماعدا عباد الله المخلصين فقال تعالى: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٣)].

* إنها معركة قديمة ولن تنتهى أبدًا بين الشيطان وبين بنى آدم ولذلك يجب علينا أن نعتصم بالله وأن نعبده حق العبادة حتى يعصمنا جميعًا من كيد الشيطان.

* * *

(١) حسن: رواه أحمد (١٠٨٥١)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٢) سورة ص : الآيتان: (٨٢ ، ٨٣).

(٣) سورة ص : الآيتان: (٨٤ ، ٨٥).

وقفة لطيفة

ظن كثير من الناس أن إبليس كان من الملائكة لأنه كان يعيش معهم.. وهذا خطأ كبير لأنه يخالف النص القرآنى.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[1].

قال الحسن البصرى: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط.

* ومن المعلوم أن إبليس خُلق من النار وأن الملائكة خُلقت من النور كما قال ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وصف لكم»[2].

اسكن أنت وزوجك الجنة

وهنا جاء الأمر من الله (جل وعلا).

﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[3].

فسعد آدم (عليه السلام) بأن زوجته سترافقه فى الجنة.

ومما زاد من سعادته أن الله (عز وجل) أباح لهما أن يأكلا من ثمار الجنة وأن ينعما بكل نعيم فى الجنة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾[4].

لكن الله (عز وجل) نهى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة حددها

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٣٥).

(٤) سورة طه: الآيتان: (١١٨، ١١٩).

لهما (سبحانه وتعالى) وحذرهما من الأكل منها أشد التحذير فقال تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

* سكن آدم وزوجه الجنة وصار يتمتع بكل ما فيها من النعيم الذى لا يخطر على قلب بشر... وكانت زوجته حواء تشاركه كل هذا النعيم.

فوسوس إليه الشيطان

وفى ظل هذا النعيم العظيم الذى كان يتمتع به آدم وزوجه حواء جاء التحذير من الله (عز وجل) لآدم.. فحذره من كيد هذا العدو اللدود الذى جهر بعدائه لآدم.. ألا وهو إبليس.

وعلى الرغم من أن الله (عز وجل) قد حذر آدم وحواء من عداوة إبليس إلا أنه استطاع أن يحتال عليهما ويوقعهما فى المعصية.

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[2]. هكذا جاء التحذير ولكن إبليس كان يتربص بآدم وحواء، فبسبب آدم طُرد من رحمة الله عز وجل، إذ عصى الله ولم يسجد لآدم كما أمره... علم إبليس بخبثه أن العصيان سبب طرده، فأخذ يفكر كيف يُطرد آدم وزوجه من ذلك النعيم المقيم الذى جعلهما الله فيه.

* راح إبليس يوسوس إلى آدم على جهة الإغواء والحسد والمكر، لم يقبل منه آدم ذلك.

كرر إبليس وسوسته يومًا بعد يوم، كما ذكر الله سبحانه فى محكم

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٥).

(٢) سورة طه: الآيات: (١١٧- ١١٩).

التنزيل: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[1].

* فكر إبليس فى طريقه أخرى، لعل آدم وزوجه حواء يسمعان إلى نصيحته المزعومة، لجأ إلى طريق الحيلة، أوهمهما أنه صادق الود لهما، وأنه لا يقصد ضررهما[2].

واستطاع إبليس بمكره وخبثه أن يخدع آدم وحواء وأقسم لهما بالله على أنه يريد الخير لهما: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3] أى: حلف لهما بالله.

* ثم قال لآدم (عليه السلام): ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[4].

وقال أيضًا لهما: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[5].

* وهنا نسى آدم (عليه السلام) أن الله (عز وجل) حذره من الاقتراب من هذه الشجرة.. بل نسى أن إبليس هو عدوه وعدو ذريته إلى يوم القيامة فأكل آدم وحواء من هذه الشجرة ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[6].

* ولم يكد آدم ينتهى من الأكل من هذه الشجرة حتى أحس بالحزن والألم والخجل.. وهنا بدت له عورته لأول مرة وكان الله قد سترها عنه فلم يرها قبل ذلك.

وبدأ هو وحواء يقطعان من أوراق الشجر حتى يغطى كل واحد منهما عورته.

---

(١) سورة طه: الآية: (١٢٠).

(٢) نساء الأنبياء (ص: ٢٩ - ٣٠) باختصار.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢١).

(٤) سورة طه: الآية: (١٢٠).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٢٠).

(٦) سورة طه: الآية: (١٢١).

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[١].

* أكل آدم - عليه السلام - ناسيًا، وعوتب على نسيانه الوصية، . . . قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٢].

* خرج آدم وزوجه حواء عن أمر ربهما بمشيئة الله سبحانه، وناداهما ربهما مُذكرًا لهما وقائلاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣].

* سمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية، وعلى إغفال النصيحة، وأمام النداء العلوى، تذكر آدم وحواء الوصية، فأنابا إلى الله عز وجل، وندما على فعلتهما، وطلبا العون من الله والمغفرة، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

* نهض آدم من عثرته، وأدركته رحمة الله تعالى، وتاب عليه، ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٥][٦].

الهبوط إلى الأرض

لما عصى آدم ربه وأكل هو وحواء من الشجرة المحرمة ثم تاب وندم على ما فعل وتاب الله عليه. . . وهنا جاء الأمر من الله (جل وعلا) بهبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض التى أعدها الله وهيأها ليعيش فيها آدم وذريته إلى يوم القيامة. . . فقد كانت فترة وجوده فى الجنة كأنها فترة إعداد وتعليم

(١) سورة الأعراف: الآية: (٢٢).
(٢) سورة طه: الآية: (١١٥).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢٢).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (٢٣).
(٥) سورة البقرة: الآية: (٣٧).
(٦) نساء الأنبياء: (ص: ٣٣).

وتربية وتدريب على طاعة الأمر واجتناب النهى ومقاومة الشهوات.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(١).

* لقد هبطوا جميعًا إلى الأرض.. آدم وزوجه.. وإبليس وقبيله.. هبطوا ليصارع بعضهم بعضًا.. وليعادى بعضهم بعضًا.. وكُتب على آدم وذريته أن يستقروا فى الأرض، ويُمكنوا فيها، ويستمتعوا بما فيها إلى حين.

* كتب عليهم ربهم أن يحيوا فيها ويموتوا. ثم يخرجوا منها فيُبعثوا، ليعودوا إلى ربهم فيُدخلهم جنته أو ناره، فى نهاية الرحلة الكبرى، رحلة الحياة الدنيا (٢).

* عن أبى موسى الأشعرى، قال: إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علَّمه صنعة كل شىء وزوَّده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير(٣).

*** وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها»(٤).**

يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان

وها هو التحذير يأتينا من اللطيف الخبير (جل وعلا) لنحذر من مكائد الشيطان الذى زين لأبينا آدم أن يأكل من تلك الشجرة التى نهاه الله أن يأكل منها.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٦).

(٢) نساء الأنبياء (ص: ٣٦).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٥٤٣) وصححه وأقره الذهبى.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٥٤).

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

- فياليتنا نتعظ بتلك القصة ونسلك طريق الطاعة والإيمان ونحذر من خطوات الشيطان لنفوز بالجنة والرضوان.

وبدأ الصراع على ظهر الأرض

لما أُهبط آدم (عليه السلام) وزوجته حواء من الجنة إلى الأرض كان عليه أن يصبر على هذا الصراع الرهيب الذى يملأ الأرض.

فما ينتهى صراع إلا ويبدأ غيره... فقد كان عليه أن يبذل كل جهده من أجل أن يأكل ويشرب... ثم يأتى صراع آخر مع الوحوش والحيوانات التى تملأ الأرض والتى تُمثل خطرًا كبيراً عليه وعلى زوجته وأولاده.

بل ولا ننسى منبع الشر الذى كان سببًا فى هبوط آدم وحواء من الجنة... إنه إبليس اللعين الذى يوسوس لآدم وزوجته وذريته لكى يُدخلهم النار معه يوم القيامة.

هكذا كان الصراع يحيط به من كل جانب لكن الله كان يحفظه بطاعته وقربه من الله (جل وعلا).

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (٢٧).



اعرف عدوك

اعرف عدوك

وها نحن قبل أن نبدأ تلك الجولات مع الشيطان الرجيم نريد أن نعرف كل شيء عن هذا العدو.... وذلك من باب قول القائل:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقِّيه

ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

الجن حقيقة لا خرافة

نحن نعلم أن من أصول العقيدة الإسلامية أن نؤمن بالغيب، فالإيمان بالغيب هو أول صفة وصف الله بها عباده المتقين فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [1]، ومن أجل ذلك فإنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالغيب الذى أخبر عنه الله (جل وعلا) والذى أخبر عنه رسول الله ﷺ إيمانًا جازمًا لا يساوره ريب ولا يعتريه شك.

* ونحن نعلم أن الجن من الغيب الذى يجب أن نؤمن به لأنه قد وردت الأدلة الدامغة على وجوده فى القرآن والسنة.

* * *

(١) سورة البقرة: الآيات: (١- ٣).

الأدلة من القرآن على وجود الجن

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [(٣)].

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [(٤)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [(٥)].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [(٦)].

* * *

(١) سورة الذاريات: الآيتان: (٥٦ - ٥٧).
(٢) سورة الأحقاف: الآيات: (٢٩-٣١).
(٣) سورة الرحمن: الآية: (٣٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٣٠).
(٥) سورة الجن: الآية: (١).
(٦) سورة الجن: الآية: (٦).

الأدلة من السنة على وجود الجن

١- روى مسلم فى «صحيحه» عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا: استُطير أو اغتيل، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك، فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

وسألوه عن الزاد فقال: «لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»[١].

٢- عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إنى أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت فى غنمك، أو باديتك، فأذَّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شىء، إلا شهد له يوم القيامة»[٢].

٣- وفى «الصحيحين» عن ابن عباس ﷺ قال: انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا شُهب.

قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث، فاضربوا مشارق

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٩٦) كتاب بدء الخلق.

الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء؛ فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(١)، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾(٢)، وإنما أوحى إليه قول الجن(٣).

وجود الجن معلوم من الدين بالضرورة

أنكرت قلة من الناس وجود الجنّ إنكاراً كليًّا، وزعم بعض المشركين: أن المراد بالجن أرواح الكواكب(٤).

وزعمت طائفة من الفلاسفة: أن المراد بالجن نوازع الشر فى النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيها (٥).

وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم، وعدم العلم ليس دليلاً (٦)، وقبيح بالعاقل أن ينفى الشىء لعدم علمه بوجوده، وهذا مما نعاه الله على الكفرة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (٧)، وهذه المخترعات

---

(١) سورة الجن: الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة الجن: الآية: (١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٧٣) كتاب الأذان، ومسلم (٤٤٩) كتاب الصلاة.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٨٠.

(٥) مجموع الفتاوى: ٤/ ٣٤٦.

(٦) ليس لهم أن يحتجوا بما ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان ينكر مخاطبة الرسول ﷺ للجن وتكليمهم له، فإن إنكاره هنا للمشافهة لا للجن، ومع ذلك فغير ابن عباس - كابن مسعود - يثبت مشافهة الرسول ﷺ لهم. ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

(٧) سورة يونس: الآية: (٣٩).

الحديثة التى لا يستطيع أحد أن يكابر فيها، أكان يجوز لإنسان عاش منذ مئات السنين أن ينكر إمكان حصولها لو أخبره صادق بذلك؟ وهل عدم سماعنا للأصوات التى يعج بها الكون فى كل مكان دليل على عدم وجودها، حتى إذا اخترعنا (الراديو)، واستطاع التقاط ما لا نسمعه بآذاننا صدقنا بذلك؟!.

* يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فى ظلاله متحدثًا عن النفر من الجن الذين صرفهم الله إلى رسوله، فاستمعوا منه القرآن: «إن ذكر القرآن لحادث صرف نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبى ﷺ، وحكاية ما قالوا وما فعلوا، هذا وحده كاف بذاته لتقرير وجود الجن، ولتقرير وقوع الحادث، ولتقرير أن الجن هؤلاء يستطيعون أن يستمعوا للقرآن بلفظه العربى المنطوق، كما يلفظه رسول الله ﷺ، ولتقرير أن الجن خلق قابلون للإيمان وللكفران، مستعدون للهدى وللضلال، وليس هنالك من حاجة إلى زيادة تثبيت أو توكيد لهذه الحقيقة، فما يملك إنسان أن يزيد الحقيقة التى يقرزها سبحانه ثبوتًا.

ولكن نحاول إيضاح هذه الحقيقة فى التصور الإنسانى.

إن هذا الكون من حولنا حافل بالأسرار، حافل بالقوى والخلائق المجهولة لنا كنهًا وصفة وأثرًا، ونحن نعيش فى أحضان هذه القوى والأسرار، نعرف منها القليل، ونجهل منها الكثير، وفى كل يوم نكشف بعض هذه الأسرار، وندرك بعض هذه القوى، ونتعرف إلى بعض هذه الخلائق تارة بذواتها وتارة بصفاتها وتارة بمجرد آثارها فى الوجود من حولنا.

ونحن ما زلنا فى أول الطريق، طريق المعرفة لهذا الكون، الذى نعيش نحن وآباؤنا وأجدادنا، ويعيش أبناؤنا وأحفادنا، على ذرة من ذراته الصغيرة؛ هذا الكوكب الأرضى الذى لا يبلغ أن يكون شيئًا يُذكر فى حجم الكون أو وزنه!

وما عرفناه اليوم - ونحن فى أول الطريق - يُعَدُّ بالقياس على معارف البشرية قبل خمسة قرون فقط عجائب أضخم من عجيبة الجن، ولو قال قائل للناس قبل خمسة قرون عن شىء من أسرار الذرة التى نتحدث عنها اليوم لظنوه مجنونًا، أو لظنوه يتحدث عما هو أشد غرابة من الجن قطعًا! ونحن نعرف ونكشف فى حدود طاقتنا البشرية، المُعدَّة للخلافة فى هذه الأرض، ووفق مقتضيات هذه الخلافة، وفى دائرة ما سخره الله لنا؛ ليكشف لنا عن أسراره، وليكون لنا ذَلولاً، كيما نقوم بواجب الخلافة فى الأرض، ولا تتعدى معرفتنا وكشوفنا فى طبيعتها وفى مداها مهما امتد بنا الأجل - أى بالبشرية - ومهما سخر لنا من قوى الكون، وكُشف لنا من أسراره - لا تتعدى تلك الدائرة؛ ما نحتاج إليه للخلافة فى هذه الأرض، وفق حكمة الله وتقديره.

وسنكشف كثيراً، وسنعرف كثيراً، وستتفتح لنا عجائب من أسرار هذا الكون وطاقاته، مما قد تُعدُّ أسرار الذرة بالقياس إليه لعبة أطفال! ولكننا سنظل فى حدود الدائرة المرسومة للبشر فى المعرفة، وفى حدود قول الله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [1] قليلاً بالقياس إلى ما فى هذا الوجود من أسرار وغيوب لا يعلمها إلا خالقه وقيومه، وفى حدود تمثيله لعلمه غير المحدود، ووسائل المعرفة البشرية المحدودة بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [2].

فليس لنا والحالة هذه أن نجزم بوجود شىء أو نفيه، وبتصوره أو عدم تصوره، من عالم الغيب والمجهول، ومن أسرار هذا الوجود وقواه، لمجرد أنه خارج عن مألوفنا العقلى، أو تجاربنا المشهودة، ونحن لم ندرك بعد كل

(١) سورة الإسراء: الآية: (٨٥).

(٢) سورة لقمان: الآية: (٢٧).

أسـرار أجسـامنا وأجهـزتهـا وطاقاتهـا، فـضلاً عن إدراك أسـرار عقـولنا وأرواحنا!.

وقد تكون هنالك أسـرار، ليست داخلة فى برنامج مـا يُكشف لنا عنه أصـلاً، وأسـرار ليست داخـلة فى برنامج مـا يُكشف لنا عن كُنهـه، فـلا يُكشف لنا إلا عن صفته أو أثره، أو مـجرد وجوده؛ لأن هذا لا يفيدنا فى وظيفة الخلافة فى الأرض.

فإذا كشف الـله لنا عن القدر المقسوم لنا من هذه الأسـرار والقوى، عن طريق كلامه - لا عن طريق تجاربنا ومـعارفنا الصادرة من طاقتنا الموهوبة لنا من لدنه أيضًا - فسـبيلنا فى هذه الحالة أن نتلقى هذه الهبـة بالقبول والشكر والتسليم، نتلقاهـا كما هى، فلا نزيد عليهـا، ولا ننقص منها؛ لأن المصدر الوحيد الذى نتلقى عنه مثل هذه المـعرفة لم يمنحنا إلا هذا القدر بلا زيادة، وليس هنالك مصدر آخر نتلقى عنه مثل هذه الأسرار! اهـ.

يقـول الإمام ابن تيـميـة[1]: «لم يخالف أحـد من طوائف المـسلمين فى وجود الجن، ولا فى أن الله أرسل محمـدًا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن. أما أهل الكتاب من اليـهود والنصارى فهم مُقرون بهم كـإقرار المسلمـين، وإن وُجـد فيـهم من ينكر ذلك، كـما يوجـد فى المسلمين من ينكر ذلك... كالجـهمية والمعتزلة، وإن كان جـمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك.

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبيـاء تواترًا معلومًا بالضرورة، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عُقـلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضًا قائمة بالإنسـان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كـان أمر الجن متواترًا عن الأنبـياء تواترًا تعرفـه العامة والخاصـة، فلا

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٠).

يمكن لطائفة من المتسببين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم.

وقال أيضًا: «جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن»[1].

وذكر إمام الحرمين: «أن العلماء أجمعوا فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين»[2].

التعريف بعالم الجن والشياطين

الشيطان الذى حدثنا الله عنه كثيراً فى القرآن من عالم الجن، كان يعبد الله فى بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ودخل الجنة، ثم عصى ربه عندما أمره الله أن يسجد لآدم استكباراً وعلوًا، فطرده الله من رحمته.

والشيطان فى لغة العرب يُطلق على كل عاتٍ متمرد، وقد أُطلق على هذا المخلوق لعتوه وتمرده على ربه (شيطان). وأُطلق عليه لفظ (الطاغوت): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3] وهذا الاسم معلوم عند غالبية أمم الأرض باللفظ نفسه، كما يذكر العقاد فى كتابه (إبليس)، وإنما سُمى طاغوتًا لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتنصيبه نفسه إلهًا يُعبد.

وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله، ولذا أسماه الله (إبليس).

والبلس فى لغة العرب: من لا خير عنده، وأبلس: يئس وتحير.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٣).

(٢) آكام المرجان: ص ٤ - نقلا عن (عالم الجن والشياطين) للدكتور عمر الأشقر - بتصرف.

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٦).

والذى يطالع ما جاء فى القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك و .....، وليس كما يقول بعض الذين لا يعلمون: «إنه روح الشر متمثلة فى غرائز الإنسان الحيوانية التى تصرفه - إذا تمكنت من قلبه - عن المثل الروحية العليا»[١].

أسماء الجن وأصنافهم

قال ابن عبد البر: «الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

١- فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جنِّى.

٢- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر، والجمع عُمَّار.

٣- فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

٤- فإن خبث وتعرض، قالوا: شيطان.

٥- فإن زاد على ذلك، فهو مارد.

٦- فإن زاد على ذلك وقوى أمره، قالوا: عفريت، والجمع: عفاريت»[٢].

وأخبرنا الرسول ﷺ أن «الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير فى الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلُّون ويَظعنون»[٣].

* * *

(١) دائرة المعارف الحديثة: ص ٣٥٧ - نقلاً عن (عالم الجن والشياطين) للدكتور/ عمر الأشقر - حفظه الله -.

(٢) آكام المرجان: (٨).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٢٢/ ٢١٤ ، رقم ٥٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٩٥ رقم ٣٧٠٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١١٤).

الفرق بين الملائكة والجن

هناك من يزعم أن الجن هم الملائكة، وأن الملائكة والجن عـالم واحد لا فرق بينهما، واستدل على ذلك بأن الملائكة مستترون عن أعين الناس!!!

وهذا فـهم خاطئ.... وذلك لأن النبى ﷺ قـال: «خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارجٍ من نار وخُلق آدم مما وُصف لكم»[١].

ففـرق النبى ﷺ بين الملائكة والجن وهذا يدل على أن هذا غـير ذاك فهمـا عالمان محجـوبان عنا لا نراهما بأعيننا ولكنهـما عالمان مخـتلفان فى أصلهما وصفاتهما فلا يُشبه أحدهما الآخر.

* ونحن نعلم أن الملائكة لا يعصون الله ما أمـرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم لا يأكلون ولا يشربون.

أما الجن فهم يأكلون ويشربون ويكذبون ويعصون ربهم (جل وعلا).

فهل يمكن أن نقول بعد ذلك أن الجن هم الملائكة؟

متى خُلقت الجن؟

وأما عن بداية خلقهم فلا نستطيـع أن نجزم بالوقت الذى خُلقوا فيه لكن نستطيع أن نجـزم بأن الجن قد خُلقوا قـبل خلق الإنسان... لقـوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[٢] فقد نَصَّ فى الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان.

* وأما قول من قال: بأنهم خُلقوا قبل الإنسان بألفى عام... فهذا ليس عليه أى دليل من الكتاب أو من السنة.

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٢٦- ٢٧).

من أى شىء خُلقت الجن؟

ولعل سائلاً يسأل ويقول: من أى شىء خُلقت الجن؟.

والجواب: أن الجن خُلقت من النار... والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ (١)، وفى سورة الرحمن: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (٢) وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن وغير واحد فى قوله: ﴿مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: طرف اللهب، وفى رواية: من خالصه وأحسنه(٣): وقال النووى فى شرحه على مسلم: «المارج: اللهب المختلط بسواد النار»(٤).

وفى الحديث الذى أخرجه مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم»(٥).

صفة خلقة الجن

نحن لا نعرف من خلقتهم وصورهم وحواسهم إلا ما عرَّفنا الله منها، فنعلم أن لهم قلوبًا... قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(٦).

فقد صرح - تبارك وتعالى - بأن للجن قلوبًا، وأعينًا وآذانًا، وللشيطان

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٢٧).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (١٥).

(٣) البداية والنهاية: ١/ ٥٩.

(٤) شرح النووى على مسلم: ١٨/ ١٢٣.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

صوتًا، . . . وذلك لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (١) .

وثبت فى الأحاديث أن للشيطان لسانًا، وأن الجان يأكلون، ويشربون، ويضحكون(٢).

قدرة الجن على التشكُّل

لابد أن نعلم أن الجن لهم قدرة عجيبة على التشكل فى صور الإنسان والحيوان سواء كان التشكل فى صورة كلب أو قط أو حمار أو بقرة أو جمل لكن أكثر ما يكون التشكل فى صور الكلب الأسود أو القط الأسود.

وفى «صحيح مسلم» عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا قام أحدكم يصلى فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرَّحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته: الحمار والمرأة والكلب الأسود»** قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخى سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: **«الكلب الأسود شيطان»**(٣).

والشاهد من هذا الحديث هو قوله: «الكلب الأسود شيطان».

قال ابن تيمية رحمه الله: الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفى قوة الحرارة. اهـ(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والجن يتصورون فى صور الإنس والبهائم فيتصورون فى صور الحيات والعقارب وغيرها، وفى صور الإبل والبقر

(١) سورة الإسراء: الآية: (٦٤).

(٢) عالم الجن والشياطين (ص: ١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥١٠) كتاب الصلاة.

(٤) رسالة الجن (٤١).

والغنم والخيل والبغال والحمير، وفى صور الطير وفى صور بنى آدم. اهـ[(١)].

وقال النبى ﷺ: «الحيات مسخ الجن كما مُسخت القردة والخنازير من بنى إسرائيل»[(٢)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «على ذروة كل بعير شيطان، فامتهنوهن بالركوب فإنما يحمل الله تعالى»[(٣)].

وعن أبى قلابة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها، ولكن خفت أن أبيد أمة، فاقتلوا منها كل أسود بهيم، فإنه جِنُّها أو من جنها»[(٤)].

* ونحن نعلم أن الشيطان قد جاء إلى المشركين يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك ووعدهم بالنصر على المسلمين... وفى ذلك الموقف أنزل الله (عز وجل): **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾**[(٥)].

ولكن عندما التقى الجيشان، وعاين الملائكة تتنزل من السماء، ولى هاربًا: **﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾**[(٦)].

* بل هناك قصة لطيفة حدثت مع الصحابى الجليل أبى هريرة رضي الله عنه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: وكّلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله

---

(١) رسالة الجن (ص ٣٢).

(٢) **صحيح:** رواه الطبرانى (١١/ ٣٤١ ، رقم ١١٩٤٦) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٥/ ١٦٤٢ ، رقم ١٠٨٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٠٣).

(٣) **صحيح:** رواه الحاكم (١/ ٦١٢ ، رقم ١٦٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٤٠٣٠).

(٤) **صحيح:** رواه أبو داود (٢٨٤٥) كتاب الصيد، والترمذى (١٤٨٦) كتاب الأحكام والفوائد، والنسائى (٤٢٨٠)، وابن ماجه (٣٢٠٥) كتاب الصيد، وأحمد (٢٠٠٣٩) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٢١).

(٥)، (٦) سورة الأنفال: الآية: (٤٨).

ﷺ ، قال: إنى محتاج، وعلىَّ عيال، ولى حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبى ﷺ : «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟».

قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه كَذَبَك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ : إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ؛ قال: دعنى فإنى محتاج، وعلىَّ عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لى رسول الله ﷺ : «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله.

قال: «أما إنه كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم ألا تعود، ثم تعود! قال: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قال: قلت: ما هن؟.

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح... فخليت سبيله، فقال لى رسول الله ﷺ : «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها، فخليت سبيله، قال: ما هى؟ قلت: قال لى: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شىء على الخير.

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

قال النبي ﷺ : «أما إنه قد صدقك وهوكذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذاك شيطان»[١].

قبح صورة الشيطان

الشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان، وقد شبَّه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم، ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٢].

وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة، وحواجب مرفوعة، وفم ينفث لهبًا، وقرون وأظلاف وذيل[٣].

الشيطان له قرنان

في صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تَحرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بقرني شيطان»[٤].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا طلع حاجب الشمس فأخِّروا الصلاة حتى تبرز الشمس، وإذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب، ولا تَحَيَّنُوا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان»[٥].

والمعنى أن طوائف المشركين كانوا يعبدون الشمس، ويسجدون لها عند

---

(١) رواه البخاري معلقًا كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه.

(٢) سورة الصافات: الآيتان: (٦٤- ٦٥).

(٣) دائرة المعارف الحديثة: ٣٥٧.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٣) كتاب مواقيت، ومسلم (٨٢٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٧٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٨٢٩) صلاة المسافرين وقصرها.

طلوعها، وعند غروبها، فعند ذلك ينتصب الشيطان فى الجهة التى تكون فيها الشمس، حتى تكون عبادتهم له.

وقد جاء هذا مصرحًا به فى صحيح مسلم، فقد سأل عمرو بن عبسة السلمى الرسول عن الصلاة. فقال ﷺ: «**صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصِر الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة**».

ثمّ نهاه عن الصلاة بعد العصر «**حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرنى شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**» [1].

وقد نُهينا عن الصلاة فى هذين الوقتين، والصحيح أن الصلاة فى هذين الوقتين جائزة، إذا كان لها سبب كتحية المسجد، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق... لقوله ﷺ: «**لا تَحيَّنوا**»؛ أى لا تتقصدوا.

ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق، فقال: «**ها إن الفتنة ههنا، إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[2]، والمراد بقوله: «**حيث يطلع الشيطان**»؛ أى جهة الشرق[3].

إذا كانت الجن مخلوقة من النار فكيف يُعذب كافرهم بالنار؟

هذا سؤال طالما تردد على ألسنة الكثيرين، ولكن لو تفكروا قليلاً لعقلوا وفهموا، فكلنا نعلم أن الإنسان خُلق من طين، ولكنه الآن ليس طينًا؛ بل أصله فقط هو الطين، وكذلك الجن خُلقت من نار، ولكنها الآن ليست نارًا، والأدلة على ذلك كثيرة.

منها: ما رواه النسائى بإسناد صحيح على شرط البخارى عن عائشة

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٣٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٩٠٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) عالم الجن والشياطين (ص: ٢٤- ٢٥).

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ : «حتى وجدت برد لسانه على يدي»[(١)].

فمن هذا الحديث يتبين أن الجن الآن ليست نارًا، إذ لو كانت كذلك ما وجد رسول الله ﷺ للسان الشيطان بردًا.

ومنها: قول رسول الله ﷺ : «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي»[(٢)].

والشاهد من هذا الحديث أن إبليس لو كان باقيًا على ناريته ما احتاج إلى أن يأتي بشهاب من نار.

ومنها: قول النبي ﷺ : «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[(٣)] فلو كان باقيًا على ناريته لأحرق الإنسان.

فإن قيل: إن المقصود بهذا الحديث هو وسوسة الشيطان.

نقول: اتفق علماء الأصول على أنه لا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلا بقرينة، وأين القرينة هنا؟

وأضف إلى ذلك أن الإنسان خُلق من طين ويمكن أن يُعذَّب به، كما أنه خُلق أيضًا من ماء ويمكن أن يُعذَّب به.

والأحسن من هذا وذاك أن نقول: إن الله على كل شيء قدير[(٤)].

هل هناك من يرى الجن؟

الأصل في هذه المسألة أن الإنسان لا يرى الجن ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [(٥)].

---

(١) سنده صحيح: رواه أحمد (٣٩١٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصحح سنده العلامة الألباني رحمه الله في كتاب صفة الصلاة (ص٨٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٣٨) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٤) وقاية الإنسان من الجن والشيطان/ الشيخ وحيد عبد السلام بالي - حفظه الله - (ص: ٢٢ - ٢٣).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٢٧).

أى أن إبليس وأعـوانه وجنوده يرونكـم من حيـث لا ترونهم وهذا يدل على أن الإنس لا يرون الجن.

* لكن النبى ﷺ رأى الجن - وسيأتى حديثه فيما بعد - وهذا دليل على أن هذا الأمر كان خاصًا بالنبى ﷺ.

* وقد أخبر النبى ﷺ أن هناك من الدواب من يرى الجن.

ففى الصحـيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت مَلَكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانًا»[1].

وعن جابر بن عبد الـله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحمير، فتعوذوا بالله، فإنهن يرون ما لا ترون»[2].

* وهذا الأمر ليس عجيبًا فقد أثبت العلم الحديث أن هناك من الكائنات من يرى أشياء لا نستطيع أن نراها.

فالهدهد يرى الماء تحت طبقات الأرض... والبومة ترى الفأر فى ظلمة الليل والنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية.

فلا عجب أن يعطى الله القدرة لتلك الدواب على أن ترى الجن.

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٠٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٢٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١/ ٤٢٢، رقم ١٢٣٣)، وابن حبان (١٢/ ٣٢٦، رقم ٥٥١٧)، وأبو يعلى (٤/ ١٥٥، رقم ٢٢٢١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٨٤).

عدم رؤية الجن ليس دليلاً على عدم وجوده

ولابد أن نعلم جميعًا أن عدم رؤية الجن ليس دليلاً على عدم وجوده.. فكم من الأشياء لا نراها وهى موجوده.

فها هى الروح التى نعيش بها فإذا خرجت نموت من غيرها ومع ذلك فنحن لا نراها أبدًا ورغم ذلك نؤمن بوجودها.

وها هو التيار الكهربائى الذى يسير فى الأسلاك الكهربائية فنحن لا نراه لكن نؤمن بوجوده ونستدل على ذلك بنور المصباح وتشغيل الأدوات الكهربائية.

هل الجن مُكلفون؟

اعلم - أخى الحبيب - أن الجن مكلفون بالتكاليف الشرعية كالإنس تمامًا وإليك بعض الأدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١).

وقال تعالى إخباراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ (٢).

دلت الآيتان على أن الجن مكلفون كتكليف الإنس، وتوجُّه الخطاب الشرعى عليهم كما هو فى الإنس.

يقول ابن عبد البر رحمه الله: الجن مُكلَّفون مُخاطَبون لقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٣٠).

(٢) سورة الجن: الآية: (١٣).

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢] وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾[٣] وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[٤].

ولا يختلفون أن محمداً ﷺ رسول إلى الإنس والجن نذير وبشير هذا مما فُضِّل به على الأنبياء أنه بُعث إلى الخلق كافة الجن والإنس، وغيره لم يُرسَل إلا بلسان قومه، ودليل ذلك ما نطق به القرآن من دعائهم إلى الإيمان بقوله في مواضع من كتابه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[٥].

يقول الإمام ابن تيمية: «الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أُمروا به ونُهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعًا بين المسلمين»[٦].

وقال السبكي في فتاويه: فإن قلت: إنهم مكلفون بشريعته ﷺ في أصل الإيمان، أو في كل شيء؟ بل في كل شيء؛ لأنه إذا ثبت أنه - أي رسول الله ﷺ مرسل إليهم كما هو مرسل إلى الإنس، والدعوة عامة، والشريعة عامة - لزمهم جميع التكاليف التي توجد أسبابها فيهم، إلا أن يقوم دليل على تخصيص بعضها.

فنقول: إنهم يجب عليهم الصلاة، والزكاة إن ملكوا نِصابًا بشرطه، والحج وصوم رمضان وغيرها من الواجبات ويحرم عليهم كل حرام في الشريعة. اهـ[٧].

---

(١) سورة الجن: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الجن: الآية: (٣٤).

(٣) سورة الجن: الآية: (٣١).

(٤) سورة الجن: الآية: (٥٦).

(٥) التمهيد [جزء ١١ - صفحة ١١٦].

(٦) مجموع الفتاوى: ٤/ ٢٣٣.

(٧) «لقط المرجان» (٩٣) باختصار.

* فالشاهد أن الجن مكلفون بالأوامر والنواهى التى جاء بها النبى ﷺ فمن أطاع الله رضى عنه وأدخله الجنة ومن عصى الله غضب عليه وأدخله النار.

* ولذلك يخاطب الله (عز وجل) كفرة الجن والإنس موبخًا ومُبكتًا لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١).

* وأما عن الدليل على أنهم يُعذبون فى النار قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ (٢) وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ (٣)، وقال: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٤)، والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥).

ومن المعلوم أن الخطاب هنا مُوجَّه للإنس والجن وذلك لأن الحديث فى مطلع السورة كان معهما وفى هذه الآية امتنان من الله (عز وجل) على مؤمنى الجن بأنهم سيدخلون الجنة.

عقائد الجن وديانتهم

لابد أن نعلم أن الجن كالإنس تمامًا فى اختلاف عقائدهم وديانتهم فمنهم المسلم والنصرانى واليهودى والبوذى والهندوسى بل إن مسلمى الجن قد افترقوا إلى أهل سُنة وأهل بدعة وشيعة وقدرية ومُرجئة... ومنهم الطائع

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٣٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

(٤) سورة السجدة: الآية: (١٣).

(٥) سورة الرحمن: الآيتان: (٤٦ - ٤٧).

والعاصى والمسلم والكافر والتقى والفاجر والمتبع والمبتدع.

وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[١] ، قال ابن عباس: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾، أى منا المؤمن ومنا الكافر[٢].

قال ابن تيمية: أى مذاهب شَتَّى، مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة. اهـ[٣].

هل من الجن رسل؟

بما أنهم مكلفون فلا بد أن يُبلغهم الله وحيه، ويقيم عليهم الحجة، فكيف حصل ذلك؟ هل لهم رسل منهم، كما للبشر رسل منهم، أم أن رسلهم هم رسل البشر؟.

إن قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[٤] يدل على أن الله أرسل إليه رسلاً، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجن أو من الإنس؛ لأن قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يحتمل الأمرين؛ فقد يكون المراد أن رسل كل جنس منهم، وقد يراد أن رسل الإنس والجن من مجموعهما، فيصدق على أحدهما وهم الإنس، وقد اختلف فى ذلك على قولين:

الأول: أن للجن رسلاً منهم، وممن قال بهذا القول الضحاك، وقال ابن الجوزى: وهو ظاهر الكلام، وقال ابن حزم: «لم يبعث إلى الجن نبى من الإنس ألبتة قبل محمد ﷺ».

الثانى: أن رسل الجن من الإنس: قال السيوطى: «جمهور العلماء، سلفًا وخلفًا، على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبى... كذا روى

(١) سورة الجن: الآية: (١١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣)، سورة الجن آية (١١).

(٣) «رسالة الجن» (٢٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٣٠).

عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهل فيهم رسل أم ليس فيهم إلا نُذُر؟ على قولين، فقيل: فيهم رسل، لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ وقيل: الرسل من الإنس... والجن فيهم النذر، وهذا أشهر فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد، وأنهم: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[٢] الآية، قالوا: وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٣] وإنما يخرج من المالح، وكقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[٤] والقمر في سماء واحدة[٥].

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[٦]، ولكنه ليس نصًّا في المسألة.

وهذه المسألة لا يُبنى عليها عمل، وليس فيها نص قاطع[٧].

بلوغ دعوة النبي ﷺ إلى الإنس والجن

إن بعثة النبي ﷺ عامة إلى الجن والإنس وقد بلغ رسول الله دعوته إلى الجن دون شك ولا ريب.

يقول ابن تيمية رحمه الله: والجن مكلفون كتكليف الإنس، ومحمد ﷺ مُرسَل إلى الثقلين الجن والإنس، وكفار الجن يدخلون النار

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤، وانظر لقط المرجان: ٧٣ .

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٢٢).

(٤) سورة نوح: الآية: (١٦).

(٥) مجموع الفتاوى (ج ٤ ص ٢٣٤).

(٦) سورة الأحقاف: الآية: (٣٠).

(٧) عالم الجن والشياطين (ص: ٦٠ - ٦١).

بالنصوص وإجماع المسلمين[١].

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[٢].

وقد بلغ الرسول ﷺ القرآن للجن، . . . قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[٣].

وهذا يثبت بلوغ دعوته إلى الجن قطعًا، وكان ذلك عن طريق توافدهم عليه، واستماعهم إليه ﷺ، وعن طريق ذهابه إليهم، وقراءته عليهم وسؤالاتهم وجواباته لهم.

وقد سارع فريق من الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾.

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٤].

استمعوا القرآن، وآمنوا به، ورجعوا دُعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان، ويبشرونهم وينذرونهم.

(١) مجموع الفتاوى [جزء ١٣ - صفحة ٨٥].

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٩).

(٣) سورة الجن: الآيتان: (١- ٢).

(٤) سورة الأحقاف: الآيات: (٢٩ - ٣٢).

وقصة هؤلاء الذين استمعـوا للرسول ﷺ يرويها البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انطلق النبى ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حـيل بين الشياطين وبين خبر السـماء، وأرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشـهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السـماء إلا شىء حدث، فاضربوا مـشارق الأرض ومغاربها، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك النفـر الذين توجهوا نحو تهـامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصـحابه صلاة الفجر، فلما سمعـوا القرآن استمعوا له، فـقالوا: هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حيـن رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[1].

فـأنزل الله على نبيـه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[2]، وإنما أوحى إليه قول الجن»[3].

وفود الجن الذين تلقوا العلم من الرسول ﷺ:

تلك كانت بداية مـعرفة الجنّ برسـالة محمـد ﷺ، استمعـوا لقراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ، فآمن فريق منهم، وانطلقوا دعاة هداة.

ثم جـاءت وفـود الجن بعـد ذلك تـتلقى العلم مـن الرسـول ﷺ، وأعطاهم الرسـول ﷺ من وقتـه، وعلمهم مما علمـه الله، وقرأ عليـهم القرآن، وبلّغهم خبر السماء... وكان ذلك فى مكة قبل الهجرة.

روى مسلم فى صحـيحه عن عامر، قال: سألت علـقمة: هل كان ابن

(١) سورة الجن: الآيتان: (١- ٢).

(٢) سورة الجن: الآية: (١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٧٣) كتاب الأذان، ومسلم (٤٤٩) كتاب الصلاة.

مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه فى الأودية والشعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: «أتانى داعى الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم؛ أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم».

فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»(١).

ومما قرأه عليهم سورة الرحمن... عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «ما لى أراكم سكوتًا، لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد؟» (٢).

ولم تكن تلك الليلة هى الليلة الوحيدة، بل تكرر لقاؤه ﷺ بالجن بعد ذلك، وقد ساق ابن كثير فى تفسير سورة الأحقاف - الأحاديث التى وردت بشأن اجتماعه ﷺ بالجن، وفى بعضها أن ابن مسعود كان قريبًا من الرسول ﷺ فى إحدى تلك الليالى.

وقد ورد فى بعض الروايات فى صحيح البخارى: أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحى اليمن من مكان يسمى (نصيبين).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٢٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٨).

فقد روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «أتانى وفد نصيبين - ونِعم الجن - فسألونى الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعامًا»(١)(٢) .

لا نسب بين الجن ورب العزة (جل وعلا)

هذا الذى ذكرناه من أن الجن خَلْقٌ من خلق الله، وعباد من جملة عباده، خلقهم لطاعته، وكلفهم بشريعته، يقضى على الخرافات التى تنشأ عن الانحراف فى التصور، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل، فمن ذلك ما شاع عن اليهود ومشركى العرب، من أن الله - تعالى وتقدس - خطب من سروات الجن وتزوج منهم، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج، وقد حكى الله هذه الخرافة وبيَّن بُطلانها: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾(٣) .

قال ابن كثير عند تفسيره هذه الآيات: «قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون - فقال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن. وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد.. وقال العوفى عن ابن عباس: زعم أعداء الله أنه - تبارك وتعالى - هو وإبليس أخوان - تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا»(٤) .

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن، أو واحد

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٦٠) كتاب المناقب.

(٢) عالم الجن والشياطين (ص: ٦٢: ٦٥) بتصرف.

(٣) سورة الصافات: الآيات: (١٥٨ - ١٦٠).

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٤ .

منهم، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[١] .

وابن تيمية - رحمه الله - يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس[٢].

هل من الممكن أن يدعو الجنُّ الإنس إلى الخير؟

لقد أخبر النبى ﷺ بأن قرينه من الجن قد أسلم فلا يأمره إلا بخير.

وفى الأحاديث أن بعض الجن كان له دور فى هداية الإنس.

ففى صحيح البخارى: أن عمر بن الخطاب سأل رجلاً كان كاهنًا فى الجاهلية عن أعجب ما جاءته به جنيته، قال: «بينما أنا يومًا فى السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها

ويأسها بعد إنكاسها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها[٣]

قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه، يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، قال: فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبى»[٤].

وقد قال أبو سعيد الخدرى لأبى صعصعة: «إنى أراك تحب الغنم والبادية،

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٦).

(٣) الإبلاس: اليأس، والحزن، والانكسار - والإنكاس: الضعف، والهوان، والقلاص: جمع قلوص، وهى الناقة الشابة، والحلس: ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٨٦٦) كتاب المناقب.

فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ (١)... فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت أذانه.

هل يمكن أن يُسلم الشيطان؟

أما بالنسبة للشيطان الأكبر الذى هو إبليس فإنه من المستحيل أن يُسلم وذلك لأن الله (عز وجل) هو الذى أخبر أنه سيبقى على كُفره ولن يُسلم أبداً.

* وأما غيره من الشياطين، فقد اختلف أهل العلم فى ذلك: فمنهم من يرى أن الشيطان من الممكن أن يُسلم واستدلوا على ذلك بأن شيطان النبى ﷺ قد أسلم... وأن الشيطان الأكبر كان مؤمنًا قبل أن يكفر.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وُكِّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله قال: «وإياى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير» (٢).

ومنهم من يرى أن هذا الأمر كان خاصًا بالنبى ﷺ وأنه لا يستطيع إنسان أن يؤثر فى قرينه فيسلم.

ولذا لما كان عمر رضي الله عنه قوى الإيمان راسخ العقيدة شديداً فى دينه كان غاية أمره أن يخاف منه الشيطان، ولكن لم يستطع أن يؤثر عليه فيسلم.

ثم لو أثر مسلم - غير النبى ﷺ - على شيطانه، فأسلم لانتفت حكمة الاختبار والابتلاء نعم يمكن أن يُضعف المؤمن شيطانه بكثرة الذكر والطاعات وقراءة القرآن.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٩) كتاب الأذان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

حوار مع الشيطان

تخيل أحد الدعاة أنه يحاور الشيطان فقال:

حاورت الشيطان الرجيم فى الليل البهيم فلما سمعت أذان الفجر.

فقال لى: عليك ليلٌ طويل فارقد.

قلت: أخاف أن تفوتنى الفريضة.

قال: الأوقات طويلة عريضة.

قلت: أخشى ذهاب صلاة الجماعة.

قال: لا تُشدد على نفسك فى الطاعة.

فما قمت حتى طلعت الشمس...

فقال لى فى همس: لا تأسف على ما فات فاليوم كله أوقات.

وجلست لآتى بالأذكار ففتح لى دفتر الأفكار.

فقلت: أشغلتنى عن الدعاء.

قال: دعه إلى المساء.

وعزمت على المتاب، **فقال:** تمتع بالشباب!

قلت: أخشى الموت.

قال: عمرك لا يفوت....

وجئت لأحفظ المثانى.

قال: رَوِّح نفسك بالأغانى.

قلت: هى حرام.

قال: لبعض العلماء كلام!

قلت: أحاديث التحريم عندى فى صحيفة.

قال: كلها ضعيفة.

ومرت حسناء فغضضت البصر.

قال: ماذا فى النظر؟

قلت: فيه خطر.

قال: تفكر فى الجمال، فالتفكير حلال.

وذهبت إلى البيت العتيق فوقف لى فى الطريق.

فقال: ما سبب هذه السفرة؟

قلت: لأخذ عُمرة.

فقال: ركبت الأخطار بسبب هذا الاعتمار، وأبواب الخير كثيرة والحسنات غزيرة.

قلت: لابد من إصلاح الأحوال.

قال: الجنة لا تُدخَل بالأعمال.

فلما ذهبت لألقى نصيحة.

قال: لا تجرّ إلى نفسك فضيحة.

قلت: هذا نفع العباد.

فقال: أخشى عليك من الشهرة وهى رأس الفساد.

قلت: فما رأيك فى بعض الأشخاص؟

قال: أجيبك على العام والخاص.

قلت: أحمد بن حنبل؟

قال: قتلنى بقوله: عليكم بالسنة والقرآن المُنزَّل.

قلت: فابن تيمية؟

قال: ضرباته على رأسى باليومية.

قلت: فالبخارى؟

قال: أحرق بكتابه دارى.

قلت: فالحجاج؟

قال: ليت فى الناس ألف حجاج فلنا بسيرته ابتهاج، ونهجه لنا علاج.

قلت: فرعون؟

قال: له منا كل نصر وعون.

قلت: فصلاح الدين بطل حطين؟

قال: دعه فقد مرّغنا بالطين.

قلت: محمد بن عبد الوهاب؟

قال: أشعل فى صدرى بدعوته الالتهاب، وأحرقنى بكل شهاب.

قلت: أبو جهل؟

قال: نحن له إخوة وأهل.

قلت: فأبو لهب؟

قال: نحن معه أينما ذهب!

قلت: فلينين؟

قال: ربطناه فى النار مع استالين.

قلت: فالمجلات الخليعة؟

قال: هى لنا شريعة.

قلت: فالدشوش؟

قال: نجعل الناس بها كالوحوش.

قلت: فالمقاهى؟

قال: نرحب فيها بكل لاهى.

قلت: ما هو ذكركم؟

قال: الأغانى.

قلت: وعملكم؟

قال: الأماني.

قلت: وما رأيكم بالأسواق؟

قال: عَلَمُنا بها خفَّاق، وفيها يجتمع الرفاق.

قلت: فحزب البعث الاشتراكي؟.

قال: قاسمته أملاكي، وعلمته أورادي وأنساكي.

قلت: كيف تضل الناس؟.

قال: بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات.

قلت: كيف تضل النساء؟

قال: بالتبرج والسفور وترك المأمور وارتكاب المحظور.

قلت: فكيف تضل العلماء؟

قال: بحب الظهور والعجب والغرور وحسد يملأ الصدور.

قلت: كيف تضل العامة؟

قال: بالغيبة والنميمة والأحاديث السقيمة وما ليس له قيمة.

قلت: فكيف تضل التجار؟

قال: بالربا فى المعاملات ومنع الصدقات والإسراف فى النفقات.

قلت: فكيف تضل الشباب؟

قال: بالغزل والهيام والعشق والغرام والاستخفاف بالأحكام وفعل الحرام.

قلت: فما رأيك بدولة اليهود (إسرائيل)؟

قال: إياك والغيبة فإنها مصيبة وإسرائيل دولة حبيبة ومن القلب قريبة.

قلت: فأبو نواس؟

قال: على العين والرأس لنا من شعره اقتباس.

قلت: فأهل الحداثة؟

قال: أخذوا علمهم منا بالوراثة.

قلت: فالعلمانية؟

قال: إيماننا علمانى وهم أهل الدجل والأمانى ومن سمَّاهم فقد سمَّانى.

قلت: فما تقول فى واشنطن؟

قال: خطيبى فيها يرطن وجيشى فيها يقطن وهى لى موطن.

قلت: فما رأيك فى الدعاة؟

قال: عذبونى وأتعبونى وبهدلونى وشيبونى، يهدمون ما بنيت ويقرءون إذا غنيت ويستعيذون إذا أتيت.

قلت: فما تقول فى الصحف؟

قال: نضيع بها أوقات الخلف ونُذهب بها أعمار أهل الترف ونأخذ بها الأموال مع الأسف.

قلت: فما تقول فى هيئة الإذاعة البريطانية؟

قال: ندخل فيها السم فى الدسم ونقاتل بها بين العرب والعجم ونثنى بها على المظلوم ومن ظلم.

قلت: فما فعلت بقارون؟

قال: قلت له: احفظ الكنوز يا ابن العجوز لتفوز فأنت أحد الرموز.

قلت: فماذا قلت لفرعون؟

قال: قلت له: يا عظيم القصر قل أليس لى ملك مصر فسوف يأتيك النصر.

قلت: فماذا قلت لشارب الخمر؟

قال: قلت له: اشرب بنت الكروم فإنها تذهب الهموم وتزيل الغموم وباب التوبة معلوم.

قلت: فماذا يقتلك؟

قال: آية الكرسى منها تضيق نفسى ويطول حبسى وفى كل بلاء أمسى.

قلت: فمن أحب الناس إليك؟

قال: المغنون والشعراء الغاوون وأهل المعاصى والمجون وكل خبيث مفتون.

قلت: فمن أبغض الناس إليك؟

قال: أهل المساجد وكل راكع وساجد وزاهد عابد وكل مجاهد.

قلت: أعوذ بالله منك فاختفى وغاب كأنما ساخ فى التراب، وهذا جزاء الكذاب[1].

تسخير الجن لنبى الله سليمان (عليه السلام)

ومن بين تلك النعم التى أنعم الله بها على نبيه سليمان (عليه السلام) تسخير الجن... قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[3].

أى: منهم ما هو مُستعمَل فى الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة، التى لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون فى البحار، يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة، التى لا توجد إلا فيها.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[4] أى: موثوقون فى الأغلال والأكبال، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء فى صنيعه واعتدى.

(١) من مقامات الشيخ/ عائض القرنى.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٢).

(٣) سورة ص: الآية: (٣٧).

(٤) سورة ص: الآية: (٣٨).

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾[1] أى: سخر له الجن فدانوا له يسخرهم بإذن الله لما يشاء من عمل البنايات.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا ﴾[2] أى: ومن يعدل من الجن عن أمرنا له ويخرج منهم عن الطاعة ﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[3] وهو الحريق. ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾[4] أما المحاريب فهى المساجد وأما التماثيل فهى الصور وكانت من نحاس وقيل: من طين وزجاج.

وقوله تعالى: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾[5] الجواب هى الأحواض، والقدور الراسيات أى: الثابتات لا تتحرك لعظمها [6].

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[7] أى: وقلنا لهم اشكروا يا آل داود ربكم على هذه النعم الجليلة، فقد خصَّكم بالفضل العظيم والجاه العريض، واعملوا بطاعة الله شكرًا له جل وعلا ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[8].

أى: وقليل من العباد من يشكر الله على نعمه[9].

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من الله لعبده سليمان حين دعاه وقال: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾[10]، وهذه الدعوة هى التى منعت نبينا محمدًا ﷺ من ربط الجنى الذى جاء بشهاب من نار، يريد أن يرميه فى وجهه... ففى صحيح مسلم عن أبى الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك» ثم قال: «ألعنك بلعنة الله ثلاثًا» وبسط يده كأنه يتناول شيئًا.

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٢).
(٢)، (٣) سورة سبأ: الآية: (١٢).
(٤)، (٥) سورة سبأ: الآية: (١٣).
(٦) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧).
(٧)، (٨) سورة سبأ: الآية: (١٣).
(٩) القرطبى (١٤/ ٢٧٧).
(١٠) سورة ص: الآية: (٣٥).

فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله ! لقد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، فقال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة»[1] .

وقد تكرر هذا أكثر من مرة... ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن جعل يفتك عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه، فَذَعَتُّه، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون، (أو كلكم)، ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[2] ، فردَّه الله خاسئًا»[3] .

سرعة حركة الجن وانتقالهم

لقد أعطى الله عز وجل الجن قدرات كبيرة لم يُعطها للبشر فكان من بين تلك القدرات: سرعة حركتهم وانتقالهم بين البلدان، ولقد أخبرنا الله في كتابه أن سليمان (عليه السلام) لما أراد أن يُحضر عرش بلقيس ملكة سبأ من بلاد اليمن إلى بيت المقدس قام عفريت من الجن وتعهد بأن يحضر له عرش بلقيس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من جلوسه... وهنا قال الذي عنده علمٌ من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة ص: الآية: (٣٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦١) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٤١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(١) .

استراق الشياطين السمع من السماء

لقد كان الجن يصعدون على أماكن متقدمة في السماء فيسترقون أخبار السماء ليعلموا ما سيحدث قبل أن يكون. ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية استراقهم السمع.

فعن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ: «إذا قضى الله الأمر فى السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال: الحق، وهو العلى الكبير.

فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه، فحرفها وبدَّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يُلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمع من السماء» (٢) .

* بل وأخبر النبى ﷺ أنه قد يكون استراقهم السمع بطريقة أيسر من الأولى وذلك بأن تستمع الشياطين إلى الملائكة الذين يهبطون إلى العنان بما يكون من أحداث قدَّرها الله، فعن عائشة ﵂ عن النبى ﷺ قال: «الملائكة تتحدث فى العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون فى الأرض، فتستمع

---

(١) سورة النمل: الآيتان: (٣٩- ٤٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٨٠٠) كتاب تفسير القرآن.

الشياطين الكلمة، فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»[١].

* فلما بُعث النبى ﷺ زيدت الحراسة فى السماء لمنع استراق السمع ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٢].

* وقد كان الناس فى الجاهلية يظنون عند رؤية الشُّهُب أن ذلك بسبب ميلاد رجل عظيم، ولكن النبى ﷺ وضَّح لهم السبب الحقيقى ليقضى بذلك على خرافة كانت منتشرة فى الجاهلية.

فعن عبد الله بن عباس قال: أخبرنى رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رُمى بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا»؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته؛ ولكن ربنا - تبارك وتعالى اسمه - إذا قضى أمرًا سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبر بعض أهل السموات بعضًا؛ حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرِفون فيه ويزيدون»[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٨٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم(٨٢٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة الجن: الآيتان: (٨- ٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٢٩) كتاب السلام - يقرفون: يخلطون فيه الكذب.

هل يتمثل الجن فى صورة الرسول ﷺ ؟

على الرغم من قدرة الجن على التشكُّل فى صورة بعض الحيوانات وفى صورة الإنس إلا أنهم لا يستطيعون أبدًا أن يتمثلوا فى صورة الرسول ﷺ ففى الصحيحين عن أنس قال: قال النبى ﷺ : «من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل بى»(١). رواه مسلم من رواية أبى هريرة وفى صحيح البخارى: «وإن الشيطان لا يتراءى بى»(٢).

وفيه من رواية أبى سعيد: «من رآنى فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكوننى»(٣).

وفى الصحيحين من رواية أبى هريرة: «ولا يتمثل الشيطان بى»(٤).

وفى صحيح مسلم من حديث جابر: «من رآنى فى المنام فقد رآنى، إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى»، وفى رواية أخرى عن جابر: «فإنه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى»(٥).

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يتزيّا بصورة الرسول ﷺ الحقيقية، ولا يمنعه هذا من التمثل فى غير صورة الرسول ﷺ والزعم بأنه رسول الله، وهذا ما فقهه ابن سيرين رحمه الله، فيما نقله عنه البخارى(٦).

ولذلك فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من رأى الرسول ﷺ فى المنام أنه رآه حقًا إلا إذا كانت صفته هى الصفة التى روتها لنا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٩٩٥) كتاب التعبير.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٩٩٧) كتاب التعبير.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٩٩٣) كتاب التعبير، ومسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٨) كتاب الرؤيا.

(٦) البخارى (٦٩٩٣) كتاب التعبير.

كتب الحديث، وإلا فكثير من الناس يزعم أنه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية فى كتب الثقات[١].

هل تستطيع الجن أن تأتى بالمعجزات؟

لا تستطيع الجن أن تتحرك إلا فى حدود القدرات والإمكانيات التى منحها الله إياهم.

فالأنبياء والرسل أعطاهم الله المعجزات من أجل أن يدللوا للناس على صدق ما جاءوا به.... أما الجن فلا تستطيع ذلك.

ونحن نعلم أن الله (عز وجل) تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا جميعًا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٢].

* بل إنه لما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشياطين قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٣].

لا يستطيع الجن أن يتجاوزوا حدودهم

وعلى الرغم من تلك القدرات الكبيرة التى منحها الله للجن إلا أنهم لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدودهم.

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ

(١) عالم الجن والشياطين (ص ٥٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٨).

(٣) سورة الشعراء: الآيات: (٢١٠- ٢١٢).

عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ [١] .

الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

قال النبى ﷺ : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[٢] .

وفى رواية أخرى: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم»[٣] .

وقال الحافظ: قيل: هو على ظاهره، وأن الله تعالى أقدره على ذلك، وقيل: هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق كالدم، فاشتركا فى شدة الاتصال وعدم المفارقة[٤] . .

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. ا هـ[٥] .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيطان يستطيع أن ينفذ فى جسم الإنسان، ولذلك يختار القلب مكانًا له؛ لأنه هوالقائد، والأعضاء جنوده، فإذا سيطر الشيطان على القلب خضعت الجوارح.

ولذلك يقول النبى ﷺ : «ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»[٦] . .

ولكن هناك قلوبًا تحيط بها أسوار الإيمان وحصون التقوى، وعليها حُراس الذكر، فلا يستطيع الشيطان أن يدخلها إلا خلسة، فإذا دخلها قام حراس الذكر فطردوه خارج الحصون مذمومًا مدحورًا [٧] .

---

(١) سورة الرحمن: الآيات: (٣٣- ٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٨) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٤) فتح البارى (٤/ ٢٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٧) وقاية الإنسان (ص ١٣٢).

أين يبيت الشيطان؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه»[1] .

والخيشوم: الأنف، والاستنثار: هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه، والمقصود هو تنظيف الأنف من الداخل.

قال القاضي عياض رحمه الله: يحتمل أن يكون قوله ﷺ : «فإن الشيطان يبيت على خياشيمه» على حقيقته، فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها.

قال: ويحتمل أن يكون على الاستعارة، فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان. اهـ[2] .

قال الحافظ: ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم، ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن لم يحترز من الشيطان بشيء من الذكر، كحديث أبي هريرة الذي فيه: فكانت له حرزًا من الشيطان، وحديث آية الكرسي وفيه: ولا يقربك شيطان، ويحتمل أن يكون المراد بنفي القرب هنا: أنه لا يقرب من المكان الذي يوسوس فيه وهو القلب، فيكون مبيته على الأنف؛ ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ. اهـ[3] .

عُقد الشيطان وكيفية حلها

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عُقد، يضرب على كل

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٨) كتاب الطهارة.
(٢) شرح مسلم (٣/ ١٢٧) نووي.
(٣) فتح الباري (٦/ ٣٤٣).

عقدة مكانها: عليك ليل طويـل فارقد، فإن استيقظ فذكـر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقـدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فـأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[١].

قال النووى رحمه الله: واختلف العلماء فى هذه العقد، فقيل: هو عقد حقيقى بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام. . . . قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [٢].

فعلى هذا هو قـول يقوله يؤثر فى تثـبيط النائم كتـأثير السحـر، وقيل: يحتمل أن يكون فعـلاً يفعله كفعل النفاثات فى العقـد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميـمه، فكأنه يوسوس فى نفسه، ويحـدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخـر عن القيام، وقيل: هو مـجازى كُنى به عن تثبيط الشـيطان عن قيام الليل. اهـ[٣].

فإن قال قائل: إن لفظ الحديث عام فى الغافل وغيره.

نقول: إن عموم هذا الحديث مـخصص بحديث أبى هريرة فى قراءة آية الكرسى عند النوم، وإلى هذا مال الحافظ فـقال: يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ الكرسى لطرد الشيطان. اهـ[٤].

قال النووى: «فأصبح نـشيطًا طيب النفس» معناه: لسروره بما وفـقه الله الكريم له من الطاعـة، ووعده من ثـوابه، مع ما يبـارك له فى نفســه وفى تصرفه فى كل أموره، مع ما زال عنده من عقد الشيطان وتثبيطه. اهـ[٥].

قال الحافظ: والذى يظهر أن فى صلاة الليل سرًّا فى طيب النفس، وإن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة الفلق: الآية: (٤).

(٣) مسلم (٦/ ٦٥) بشرح النووى.

(٤) فتح البارى (٣/ ٢٧).

(٥) شرح مسلم (٦/ ٦٦) نووى.

لم يستحضر المصلى شيئًا من ذلك. اهـ[١] .

قال النووى: «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» معناه: لما عليه من عُقد الشيطان، وآثار تثبيطه، واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه.

قال: وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة: وهى الذكر والوضوء، والصلاة، فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان. اهـ[٢] .

ولكن كيف تبطل هذه المكيدة؟

١- بالوضوء قبل النوم لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال للبراء بن عازب: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة»**[٣] .

٢- أن توتر قبل النوم، لما جاء عن ابن عمر أنه قال: ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا.

قال الحافظ: رواه سعيد بن منصور بسند جيد[٤] ، أما إذا كنت تقوم قبل الفجر فتوتر فبها ونعمت. والجرير: هو الحبل الذى يُخطَم به البعير[٥] ، فكأن الشيطان أمسك بزمامه، فهو يوجهه حيثما شاء.

٣- تجمع كفيك، وتقرأ فيهما المعوذات، ثم تنفث فيهما، ثم تمسح بهما ما استطعت من جسدك بادئًا برأسك. وهذا ثابت فى «صحيح البخارى» من حديث عائشة[٦] .

٤- تقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، لما جاء فى الصحيحين من

---

(١) فتح البارى (٣/ ٢٦).

(٢) شرح مسلم (٦/ ٦٧) بشرح النووى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) فتح البارى (٣/ ٢٥).

(٥) لسان العرب (١/ ٥٩٢).

(٦) البخارى رقم (٥٠١٧) فى فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات.

حديث أبى مسعود الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ : «الآيتان من آخر سورة البقرة مَن قرأهما فى ليلة كفتاه»[١] .

قال النووى: قيل: معنى كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل الجميع. اهـ[٢] .

قال ابن القيم رحمه الله: الصحيح كفتاه شر ما يؤذيه. اهـ[٣] .

قلت: وهل هناك أذى للإنسان أعظم من تسلُّط الشيطان عليه، فيتناوله من باب أولى.

٥- تقرأ سورة من كتاب الله، لما رواه أحمد والترمذى عن شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا: «ما من امرئ مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكًا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهبَّ»[٤] .

٦- تقرأ آية الكرسى بتدبر وتفهُّم فهى تحفظك من الشيطان حتى تصبح، وهذا ثابت فى البخارى من حديث أبى هريرة وفى الترمذى من حديث أبى أيوب، وابن حبان من حديث أُبى بن كعب[٥] .

٧- تسبح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتكبر أربعًا وثلاثين، وهذا ثابت فى الصحيحين من حديث على رضي الله عنه[٦] .

٨- تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن، وتنام على جنبك الأيمن،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) شرح مسلم (٦/ ٩١) بشرح النووى.

(٣) الوابل الصيب (٩١).

(٤) ضعيف: رواه الترمذى (٣٤٠٧) كتاب الدعوات، وأحمد (١٦٦٨٣) مسند الشاميين، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٥٢١٨) - وحسنه الحافظ فى تخريج الأذكار.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٠٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وتقول: «باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١].

٩- ثم تقول: «بسم الله وضعت جنبى، اللهم اغفر لى ذنبى واخسأ شيطانى وفُكَّ رهانى، واجعلنى فى الندى الأعلى»[٢].

١٠- ثم تذكر الله حتى يغلبك النوم، . . . فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فإذا ذكر الله حتى يغلبه - يعنى النوم - طرد الملك الشيطان، وبات يكلؤه - أى يحرسه - فإن استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بشرٍّ، فإن قال الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها، ولم يُمتها فى منامها، الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مُسمًّى، الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه طرد المَلك الشيطان وظل يكلؤه»[٣][٤].

الشيطان يخاف من عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من المعلوم أنه كلما ازداد إيمان العبد فإنه يقهر شيطانه ويذله ويرده خاسئًا كما أخبر بذلك النبى ﷺ حيث قال: «إن المؤمن لَيُنصى شيطانه كما

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٢٠) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٥٤) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٤٩).

(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى (١/ ٥٤٨).

(٤) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (١١٩ : ١٢٣) بتصرف.

يُنصى أحدكم بعيره فى السفر»[(١)].

قال ابن كثير[(٢)] بعد أن ساق هذا الحديث: «ومعنى لينصى شيطانه: ليأخذ بناصيته، فيغلبه، ويقهره، كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه».

* فما ظنك بعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى قال عنه الرسول ﷺ: «لو كان من بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب»[(٣)].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[(٤)].

* فقد كان عمر رضي الله عنه فاروق الأمة الأكبر وكان الشيطان يخاف منه بل ويهرب منه.

كما قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر»[(٥)]، وقال فيه أيضًا: «إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر»[(٦)]، وفى صحيح البخارى عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[(٧)].

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٨٧١٧) باقى مسند المكثرين، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٧٧٢).

(٢) البداية والنهاية ١/ ٧٣، وفى رواية أخرى «لينضى شيطانه» أى يهزله ويجعله نضواً أى مهزولاً لكثرة إذلاله له وجعله أسيراً تحت قهره وتصرفه.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وأحمد (١٦٩٥٢) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٨٤).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٩٦٢) كتاب الخراج والإمارة والفىء، والترمذى (٣٦٨٢) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٠٨) فى مقدمة سننه، وأحمد (٥١٢٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٣٦).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٩٠) كتاب المناقب، وأحمد (٢٢٤٨٠) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢٦١).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٩١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٩٦).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

على قدر ذنوبك يتسلط عليك الشيطان

ففي الحديث: «إن الله تعالى مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تبرأ منه، وألزمه الشيطان»[1].

ويروى لنا أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله عن الحسن البصري رحمه الله قصة طريفة، وبغضّ النظر عن مدى صحتها فهي تصور قدرة الإنسان على قهر الشيطان إذا أخلص دينه لله، وكيف يصرع الشيطان الإنسان إذا خيل وراغ.

يقول الحسن: كانت شجرة تُعبَد من دون الله، فجاء إليها رجل، فقال: لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضبًا لله، فلقيه إبليس في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تُعبَد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَن عبَدها؟ قال: لأقطعنها.

فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك؟ لا تقطعها، ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك قال: فمن أين لي ذلك؟ قال: أنا لك. فرجع، فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا، فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته، وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله تعالى، قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل.

فذهب ليقطعها، فضرب به الأرض، وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبًا لله، فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين، فتركتها، فلما جئت غضبًا للدينارين سُلِّطت عليك[2].

(١) حسن: رواه الترمذي (١٣٣٠) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٢) كتاب الأحكام، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٥٣).
(٢) تلبيس إبليس: ٤٣.

وقد حدثنا الله فى كتابه عن شخص آتاه الله آياته، فعلمها، وعرفها، ثم إنه ترك ذلك كله، فسلط الله عليه الشيطان، فأغواه، وأضله، وأصبح عبرة تُروى، وقصة تتناقل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وواضح أن هذا لمن عرف الحق وكفر به كاليهود الذين يعلمون أن محمداً مُرسل من ربه، ثم هم يكفرون به.

أما هذا الذى عناه الله هنا، فقال بعضهم هو بلعام بن باعوراء كان صالحًا ثم كفر وقيل: هو أمية بن أبى الصلت من المتألهين فى الجاهلية، أدرك الرسول ﷺ، ولم يؤمن به حسداً، وكان يرجو أن يكون هو النبى المبعوث، وليس عندنا نص صحيح يعرفنا بالمراد من الآية على وجه التحديد.

وهذا الصنف (الذى يؤتَى الآيات ثم يكفر) صنف خطر، به شَبَه من الشيطان؛ لأن الشيطان كفر بعد معرفته الحق، ولقد تخوّف الرسول ﷺ هذا النوع على أمته.... عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك» قال: قلت: يا رسول الله: أيهما أولى بالسيف: الرامى أم المرمى؟ قال: «بل الرامى»[2].

قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد[3][4].

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (١٧٥- ١٧٦).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١/ ٢٨١، رقم ٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٢).

(٤) عالم الجن والشياطين (ص: ٤٦ - ٤٨) بتصرف.

هل الجن تحسد الإنس؟

الحسد ليس مقصورًا فقط على الإنس بل إن الجن تحسد الإنس.

قال ابن القيم رحمه الله: العين عينان: عين إنسية، وعين جنية:

فقد صَحَّ عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة»[١].

قال الحسين بن مسعود الفراء: سفعة، أى نظرة يعنى من الجن. اهـ[٢].

وقد أخرج الترمذى من حديث أبى سعيد «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات، فأخذ بها وترك ما سواها»[٣].

* وهذا دليل على أن الجن قد يحسد الإنس.

هل تشهد الجن للمؤذن يوم القيامة؟

من المعلوم أنه لا يسمع صوت المؤذن شىء فى الكون إلا شهد له يوم القيامة كما أخبر بذلك الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «إنى أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت فى غنمك، أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء؛ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٣٩) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩٧) كتاب السلام.

(٢) الطب النبوى (١٢٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٥٨) كتاب الطب، والنسائى (٥٤٩٤) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٣٥١١) كتاب الطب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٠٢).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٠٩) كتاب الأذان.

* لكن الشيطان - ذلك العدو اللدود - إذا سمع الأذان فإنه يجرى بعيدًا ويُحدث صوتًا - ضراطًا - حتى لا يسمع الأذان لأنه إذا سمع الأذان فإنه سيشهد للمؤمن يوم القيامة .... فكيف يشهد الشيطان لعدوه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى»[1] .

ما هى أعمار الجن؟ وهل يموتون؟

أما عن أعمار الجن فنحن لا نعلم شيئًا عن أعمارهم إلا أنهم أطول أعمارًا من الإنس.

وأما بالنسبة لزعيمهم إبليس فهو الذى نعلم أنه سيبقى حيًّا إلى أن تقوم الساعة وذلك لأنه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فاستجاب الله دعاءه و﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[2] .

* وأما عن موتهم فلا شك أن الجن والشياطين يموتون..

عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك، الذى لا إله إلا أنت، الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون»[3] .

ومما يدل على أنهم يموتون أن خالد بن الوليد قتل شيطانة العُزّى «الشجرة التى كانت تعبدها العرب»، وأن صحابيًّا قتل الجنى الذى تمثل بأفعى.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨) كتاب الأذان، ومسلم (٣٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٣٦- ٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

*وقبل ذلك كله فهم داخلون فى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[١].

عرش إبليس

لقد أخبرنا النبى ﷺ أن إبليس قد وضع عرشه على الماء ليكون مقراً للدسائس والمؤامرات على المؤمنين. . . . فمن هذا المقر يرسل إبليس سراياه لإضلال الناس ولتدمير حياتهم وإفساد عبادتهم وفتنتهم فى دينهم.

قال ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول ما صنعت شيئًا، ويجىء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيُدنيه منه، ويقول: نعم أنت!»[٢].

مساكن الجن وأماكنهم

الجن يفضلون الأماكن الخالية من الإنس كالصحراوات، ومنهم من يسكن المزابل والقمامات، ومنهم من يسكن مع الإنس.

ولذا كان رسول الله ﷺ يخرج إلى الصحراء فيدعوهم إلى الله يقرأ عليهم القرآن، ويُعلمهم أمور دينهم، وقد تكرر هذا كثيراً كما ثبت فى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم[٣].

ويسكنون المزابل والقمامات، لأنهم يأكلون فضلات طعام الإنس كما ثبت عند مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم[٤].

قال الحافظ: وقد روى ابن أبى الدنيا من طريق يزيد بن جابر - أحد ثقات

(١) سورة الرحمن: الآيات: (٢٦- ٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٧٣) كتاب الأذان، ومسلم (٤٤٩) كتاب الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

الشاميين، من صغار التابعين - قال: ما من أهل بيت إلا وفي سقف بيتهم من الجن، وإذا وضع الغداء نزلوا فتغدوا معهم، والعشاء كذلك. اهـ[١].

ورواه أبو بكر بن عبيد في «مكايد الشيطان» عن يزيد بلفظ: «ما من أهل بيت من المسلمين إلا وفي سقف بيتهم من الجن من المسلمين، إذا وضع غداؤهم نزلوا فتغدوا معهم، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم».

والجن تسكن الخلاء أيضًا، فقد ورد عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الحشوش مُحتَضَرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[٢].

ومعنى محتضرة: أي يحضرها الجن.

والجن تسكن الشقوق والجحور، فقد روى النسائي بسنده عن قتادة عن عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ قال: «لا يبولن أحدكم في جُحر» قالوا لقتادة: وما يكره من البول في الجحر: قال: إنها مساكن الجن[٣].

والجن تسكن أعطان الإبل، فقد ورد أنها مأوى الشياطين كما في «صحيح مسلم» وغيره[٤].

ويكثر تجمعهم في الأماكن التي يستطيعون أن يفسدوا فيها كالأسواق، فقد أوصى سلمان بعض أصحابه قائلاً: «لا تكونن، إن استطعت، أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشياطين، وبها ينصب رايته»[٥].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٤٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٦) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٢٩٦) كتاب الطهارة وسننها، وأحمد (١٨٨٠٠) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٦٣).

(٣) ضعيف جدًا: رواه أبو داود (٢٩) كتاب الطهارة، والنسائي (٣٤) كتاب الطهارة، وأحمد (٢٠٢٥١) أول مسند البصريين، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٦٣٢٤)، وقال: ضعيف جدًا.

(٤) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (١٣ : ٢٥) بتصرف.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥١) كتاب فضائل الصحابة.

والشيـاطين تبيت فى البـيوت التى يسكنها النـاس، وتطردها التسمـية، وذكر الله، وقراءة القرآن، خاصة سـورة البقرة، وآية الكرسى منها، وأخبر الرسول ﷺ أن الشـياطين تنتـشر، وتكثر بحلـول الظلام، ولذا أمرنا أن نكُفَّ صبياننا فى هذه الفترة، . . . وهو حديث متفق عليه.

والشياطين تهرب من الأذان، وفى رمضان تُصفَّد الشياطين.

والشياطين تحب الجلوس بين الـظل والشمس؛ ولذا نهى الرسول ﷺ عن الجلوس بينهما، وهو حديث صحيح مروى فى السـنن وغيرها[1] .

طعامهم وشرابهم

الجن - والشيطان منهم - يأكلون ويشربون، . . . ففـى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ أمره أن يأتيه بأحجار يسـتجمر بها وقال له: «ولا تأتينى بعظم ولا روثة»، ولما سأل أبو هريرة رسـول الله ﷺ بعد ذلك عن سر نهيـه عن العظم والروثة، قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتانى وفد جن نصيـبين - ونعم الجن - فسألونى الزاد، فـدعوت الله لهم: أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعمًا»[2] .

وعن عـبد الله بن مـسـعود قـال: قال رسـول الله ﷺ : «لا تستـنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن»[3] .

وعن ابن مسـعود: أن رسول الله ﷺ قال: «أتانى داعى الجن، فذهبت معـه، فقـرأت عليهم الـقرآن» قال: فـانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نـيرانهم،

(١) عالم الجن والشياطين (ص: ٣٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٦٠) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٨) كتاب الطهارة، وصححه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٢٥).

وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم، أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ : «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»(١).

وكون الروث طعامًا للجن أو لدوابهم ليس العلة الوحيدة للنهى عن الاستنجاء بالروث، فقد ذكر الرسول ﷺ علة أخرى، فقد صرح بأن الروث رجس(٢).

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله، وأمرنا بمخالفته فى ذلك، . . . روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»(٣).

وفى صحيح مسلم: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٤)(٥).

وروى مسلم فى صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبى ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابى كأنما يُدفع فأخذ بيده رسول الله ﷺ ثم قال: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٥٦) كتاب الوضوء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة.

(٥) عالم الجن والشياطين ص: (٢٦- ٢٧).

الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به، فأخذت بيده، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يدها».

وزاد مسلم فى رواية: «ثم ذكر اسم الله وأكل»[1].

قلت: ومعنى تُدفع: أى تجرى بسرعة كأن شيئًا يدفعها من خلفها.

وقوله: «إن يده» أى الشيطان «فى يدى» أى رسول الله ﷺ: «مع يدها» أى الجارية.

ففى هذه النصوص دلالة قاطعة على أن الشياطين تأكل وتشرب.

وكما أن الإنس منهيون عن أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه من اللحوم، فكذلك الجن المؤمنون جعل لهم الرسول ﷺ طعامًا كل عظم ذُكر اسم الله عليه، فلم يُبح لهم متروك التسمية، ويبقى متروك التسمية لشياطين كفرة الجن، فإن الشياطين يستحلون الطعام إذا لم يُذكر عليه اسم الله، ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن الميتة طعام الشياطين؛ لأنه لم يُذكر اسم الله عليها.

واستنتج ابن القيم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[2] أن المُسكر شراب الشيطان، فهو يشرب من الشراب الذى عمله أولياؤه بأمره، وشاركهم فى عمله، فيشاركهم فى شربه، وإثمه وعقوبته.

ويدل على صحة استنتاج ابن القيم ما رواه النسائى عن عبد الله بن يزيد قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أما بعد: فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان؛ فإن له اثنين، ولكم واحد»[3][4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأشربة.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٩٠).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٥٧١٧) كتاب الأشربة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٤) عالم الجن والشياطين (ص: ٢٧ - ٢٨) بتصرف.

وقد اختُلف فى أكل الجن وشربهم على ثلاثة أقوال:

الأول: أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون... وهذا قول باطل، لا دليل عليه.

الثانى: أن صنفًا منهم يأكلون ويشربون، وصنفًا لا يأكلون ولا يشربون.

وهؤلاء استدلوا بما رواه ابن عبد البر عن وهب بن منبه قال: الجن أصناف، فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، وجنس منهم يقع منهم ذلك، ومنهم السعالى والغول والقطرب. اهـ[1].

واستدلوا أيضًا بحديث أبى ثعلبةِ الخشنى.

قلت: وهذا محتمل.

الثالث: أن جميعهم يأكلون ويشربون.

قلت: وهذا أكثر احتمالاً من الذى قبله، بل هو الذى تدل عليه وتؤيده الأحاديث التى مرت معنا. فالله أعلم[2].

وقد زعم قوم أن الجن لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون وهذا القول تبطله الأدلة التى سُقناها من الكتاب والسنة.

* * *

(١) فتح البارى (٦/ ٣٤٥).

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص: ٢٦).

هل الجن يتناكحون ويتناسلون؟

الذى يظهر فى هذه المسألة أن الجن يتناكحون ويتناسلون.

فقد أخبر الحق (جل وعلا) أن الشيطان له ذرية، فقال تعالى مُبكتًا هؤلاء الذين يتولون الشيطان وذريته: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [1].

أخرج ابن جرير عن وهب بن منبه: أنه سُئل عن الجن: هل يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون؟ فقال: هم أجناس: فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يموتون، ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون. اهـ[2].

وقال قتادة: أولاد الشيطان يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددًا[3].

* واستدل بعض أهل العلم على جواز تناكح الجن بقوله تعالى فى أزواج أهل الجنة: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [4] والطمث فى لغة العرب: الجماع، وقيل هو الجماع الذى يكون معه تدمية تنتج عن الجماع.

هل من الجن ذكور وإناث؟

فى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إنى أعوذ بك من الخُبث والخبائث»[5].

قال ابن الأثير: الخبث بضم الباء جمع الخبيث، والخبائث جمع الخبيثة،

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٠).

(٢) لقط المرجان (ص ٤٤).

(٣) لقط المرجان (ص ٥١).

(٤) سورة الرحمن: الآية: (٥٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٢) كتاب الوضوء، ومسلم (٣٧٥) كتاب الحيض.

ويريد ذكور الشياطين وإناثهم. اهـ[(١)].

وقد مرَّ معنا حديث أبي هريرة في فضل آية الكرسي وأن الشيطان أوصاه بقراءة آية الكرسي وقال له: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

قال الحافظ في شرحه للعبارة الأخيرة من هذا الحديث: «إذا قلتها لا يقربك شيطان حتى تصبح» قال: وفي رواية أبي المتوكل: «إذا قلتهن لا يقربك ذكر ولا أنثى من الجن»، قال: وفي رواية ابن الضريس من هذا الوجه: «لا يقربك من الجن ذكر ولا أنثى صغير ولا كبير» اهـ[(٢)].

هل يحدث زواج بين الإنس والجن؟

لا زلنا نسمع أن فلانًا من الناس تزوج جنية، أو أن امرأة من الإنس خطبها جني، وقد ذكر السيوطي آثارًا وأخبارًا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الإنس والجن[(٣)]. . . . يقول ابن تيمية[(٤)]: «وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف».

وعلى فرض إمكان وقوعه فقد كرهه جمع من العلماء كالحسن وقتادة والحكم وإسحاق. . . والإمام مالك رحمه الله لا يجد دليلاً ينهى عن مناكحة الجن، غير أنه لم يستحبه، وعلل ذلك بقوله: «ولكني أكره إذا وجدت امرأة حاملاً فقيل من زوجك؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد»[(٥)].

وذهب قوم إلى المنع من ذلك، واستدلوا على مذهبهم بأن الله امتنَّ على عباده من الإنس بأنه جعل لهم أزواجًا من جنسهم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[(٦)].

---

(١) لسان العرب (٢/ ١٠٨٨).

(٢) فتح الباري (٤/ ٤٨٨).

(٣) لقط المرجان: ص (٥٣).

(٤) مجموع الفتاوى: ١٩/ ٣٩.

(٥) آكام المرجان: ص (٦٧).

(٦) سورة الروم: الآية: (٢١).

فلو وقع فلا يمكن أن يحدث التآلف والانسجام بين الزوجين لاختلاف الجنس، فتصبح الحكمة من الزواج لاغية؛ إذ لا يتحقق السكن والمودة المشار إليهما في الآية الكريمة.

* قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وربما يجامع الرجل من الجن الأنثى من بني آدم وكذلك العكس الرجل من بني آدم يجامع الأنثى من الجن، وقد ذكر العلماء الخلاف في وجوب الغسل بهذا الجماع، والفقهاء يقولون في باب الغسل لو قالت إن بها جنيًّا يجامعها كالرجل وجب عليها الغسل، وأما أن الرجل يجامع الأنثى من الجن فقد قيل ذلك، لكن لم أره في كلام أهل العلم وإنما أساطير تُقال والله أعلم[1].

وفي سؤال للشيخ ابن جبرين - حفظه الله -: عن حكم مجامعة الإنس للجن أو الزواج منهم.

فأجاب فضيلته: هذا ممكن في الرجال والنساء، وذلك الجني قد يتشكل بصورة إنسان كامل الأعضاء ولا مانع يمنعه من وطء الإنسية إلا بالتخلص بالذكر وقد يغلب على بعض النساء ولو استعاذت منه حيث يلابسها ويخالطها... ولا مانع أيضًا أن الجنية تظهر بصورة امرأة كاملة الأعضاء وتلابس الرجل حتى تثور شهوته ويحس بأنه يجامعها وينزل منه المني ويحس بالإنزال[2].

قال الحسيني أبو فرحة: من الممكن قيام علاقات مختلفة بين الإنس والجن فكتب الفقه الإسلامي مثلاً تحدثنا عن حكم ما لو ارتضع الصبي من جنية هل تحرم عليه بناتها مما يشير إلى جواز المصاهرة بين الذكر من الإنس والإناث من الجن، وذلك يحدث بظهور الجنية في صورة بشرية كاملة جميلة

---

(١) القول المفيد (١/ ٣٢٥).

(٢) فتاوى العلماء في علاج السحر (ص ٨٠، ٨١).

أو دميمة حسبما تشاء هى فإن رضيت عن زوجها الإنسى ظهرت له فى صورة وعاشت معه كزوجة مخلصة، وإن ضايقها ضايقته بظهورها له فى صورة دميمة، وقد حدثنا العلماء الربانيون من كبار رجال الأزهر عن زيجات تمت بين الذكور من الإنس والإناث من الجن غير أن هذا الزواج ليست له ثمرة من ناحية الإنجاب لاختلاف الجنسين فلا يولد لهما ولد[1].

* قال الدكتور عمر الأشقر - حفظه الله -:

وعلى كلٍّ فهذه مسألة يزعم بعض الناس وقوعها فى الحاضر والماضى، فإذا حدثت فهى شذوذ، قلما يسأل فاعلها عن حكم الشرع فيها، وقد يكون فاعلها مغلوبًا على أمره لا يمكنه أن يتخلص من ذلك.

ومما يدل على إمكان وقوع التناكح بين الإنس والجن قوله تعالى فى حور الجنة: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[2]، فدلت الآية على صلاحيتهن للإنس والجن على حَدٍّ سواء[3].

هل للجن دواب؟

لقد أخبرنا ربنا (جل وعلا) فى كتابه أن للشيطان خيلاً يجلب بها على أعدائه من بنى آدم فقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[4].

* بل وأخبر النبى ﷺ أن الجن لهم دواب وأن علف دوابهم هو البعر الذى يخرج من دواب الإنس.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن الجن سألوا الرسول ﷺ الزاد، فقال: «لكم

---

(١) من جريدة اللواء الإسلامى الصفحة التاسعة بتاريخ (٢٥/ ٩/ ١٩٨٦).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٥٦).

(٣) عالم الجن والشياطين (ص: ٣٠ - ٣١).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٦٤).

كل عظم ذُكر اسم الله عليه، يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم»[١].

هل الجن يعلمون فن التصنيع والإعمار؟

إن الجن يعلمون الكثير والكثير عن فن التصنيع والإعمار فلقد أخبرنا الله (عز وجل) فى كتابه أنه سخَّر الجن لنبيه سليمان (عليه السلام) فكانوا يعملون له ما يشاء من صناعات تحتاج إلى ذكاء وقدرات ومهارات عالية.

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢].

مشية الشيطان

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمشى أحدكم فى نعل واحدة، ولينعلهما جميعًا أو ليخلعهما جميعًا»، وفى رواية: «أو ليحفهما جميعًا»[٣].

وأما العلة فى ذلك، فقد ذكر العلماء أقوالاً، أصحها دليلاً ما ذكره ابن العربى وغيره: أن العلة أنها مشية الشيطان[٤].

ودليل ذلك عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) سورة سبأ: الآيتان: (١٢ - ١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٥٥) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٩٧) كتاب اللباس والزينة.

(٤) فتح البارى (١٠/ ٣١٠).

يمشى فى النعل الواحدة»[١].

قال حرب: سمعت أحمد يكره أن يمشى الرجل فى نعل واجدة[٢].

قال الإمام الخطابى رحمه الله: الحكمة فى النهى «وذكر عدة آراء» منها قول ابن العربى: قيل العلة فيها أنها مشية الشيطان.... إلخ.

قال الشيخ الألبانى رحمه الله: الصحيح من هذه الأقوال هو الذى حكاه ابن العربى أنها مشية الشيطان.

وأما الحديث الذى رواه ليث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ربما مشى النبى ﷺ فى نعل واحدة» فهو ضعيف لا يُحتج به... فعن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «أمرنا بأربع ونهانا عن خمس إذا رقدت فأغلق بابك، وأوكِ سقاءك، وخمِّر إناءك، واطف مصباحك فإن الشيطان لا يفتح بابًا، ولا يحل وكاءً، ولا يكشف غطاء، وإن الفأرة الفويسقة تحرق على أهل البيت بيتهم. ولا تأكل بشمالك، ولا تشرب بشمالك، ولا تمشِ فى نعل واحدة، ولا تشتمل الصمَّاء، ولا تحتب فى الإزارُ مفضيًا»[٣].

مجلس الشيطان

قال ﷺ: «إذا كان أحدكم فى الفيء فقلص عنه الظل وصار بعضه فى الشمس وبعضه فى الظل فليقم»[٤]: والعلة فى ذلك أنه مجلس الشيطان، والدليل على ذلك: «نهى رسول الله ﷺ أن يجلس بين الضحِّ والظل،

(١) صحيح: رواه الطحاوى فى مشكل الآثار (٢ / ١٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٤٨).

(٢) آكام المرجان ص (٢٥٣).

(٣) صحيح: رواه حبان (٤/ ٨٩ ، رقم ١٢٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٧٤).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٢١) كتاب الأدب، وأحمد (٨٧٥٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٨).

وقال: «مجلس الشيطان»(١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قعود الرجل بعضه فى الشمس وبعضه فى الظل مقعد الشيطان.

وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: «مقيل الشيطان بين الظل والشمس».

وعن قتادة كان يقال: مقعد الشيطان بين الظل والشمس ويُكره القعود فيه.

الشيطان يأكل بشماله

قال ﷺ: «لا يأكلنَّ أحد منكم بشماله ولا يشربنَّ بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليُعط بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويعطى بشماله ويأخذ بشماله»(٣).

وفى عون المعبود: قال: والذى عليه الجمهور من السلف والخلف من المحدثين وغيرهم أن أكل الشيطان محمول على ظاهره، وأن للشيطان يدين ورجلين، وفيهم ذكر وأنثى، وأنه يأكل حقيقة بيده إذا لم يدفع، وقيل: إن أكلهم على المجاز والاستعارة. . . . ولا ملجئ إلى شيء من ذلك(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤٩٩٥) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٣٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: انظر السابق.

(٤) عون المعبود (١٠/ ٢٤٢-٢٤٣).

ما علاقة الإبل بالشياطين؟

من المعلوم أن الإبل من أشد الحيوانات صعوبة فهى تشبه الجن فى صعوبتها وصَولتها.

قال ﷺ: «إن الإبل خُلقت من الشياطين وإن وراء كل بعير شيطانًا»(١).

ومن أجل ذلك نهى الرسول ﷺ عن الصلاة فى مبارك الإبل.

فعن البراء بن عازب أن الرسول ﷺ قال: «لا تُصلوا فى مبارك الإبل، فإنها من الشياطين، وصلوا فى مرابض الغنم، فإنها بركة»(٢).

وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا فى مرابض الغنم، ولا تصلوا فى أعطان الإبل، فإنها خُلقت من الشياطين»(٣).

وهذه الأحاديث ترد على من قال: إن علة النهى عن الصلاة فى مبارك الإبل نجاسة أبوالها وروثها، فالصحيح أن روث وبول ما يؤكل لحمه غير نجس.

وقد تساءل أبو الوفاء ابن عقيل عن معنى قول النبى ﷺ: «إن الكلب الأسود شيطان»(٤) ومعلوم أنه مولود من كلب، و«إن الإبل خُلقت من الشياطين»(٥) مع كونها مولودة من الإبل.

وأجاب: أن هذا على طريق التشبيه لها بالشياطين، لأن الكلب الأسود أشر الكلاب وأقلها نفعًا، والإبل تشبه الجن فى صعوبتها وصولتها، كما يقال: فلان شيطان، إذا كان صعبًا شريرًا (٦).

---

(١) حسن: رواه سعيد بن منصور فى سننه عن خالد بن معدان مرسلاً، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٧٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣) كتاب الصلاة، وأحمد (١٨٠٦٧) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٥١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٦٩) كتاب المساجد والجماعات، وأحمد (١٦٣٥٧) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٨٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥١٠) كتاب الصلاة.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) آكام المرجان: ص ٢٢. لقط المرجان: ص ٤٢.

ويدل لصحة قول ابن عقيل أن الأحياء فى عالمنا الأرضى مخلوقة من الماء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [١]، والشياطين مخلوقة من النار [٢].

الأسواق معركة الشيطان

قال سلمان: لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته [٣].

قال النووى رحمه الله: شبَّه السوق، وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم، بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل، كالغش، والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسوم على سومه، وبخس المكيال والميزان.

قال: وقوله: «وبها تُنصَب رايته» إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهى موضعه وموضع أعوانه. اهـ [٤].

الشيطان يستهزئ بمن أهمل قيام الليل

* بل إن الشيطان يستهزئ بمن أهمل قيام الليل ويتضح ذلك مما ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه - أو قال- فى أذنه» [٥].

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٣٠).

(٢) عالم الجن والشياطين (ص: ٣٤ - ٣٥).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) شرح النووى (١٦/ ٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قال الحافظ: واختُلف فى بول الشيطان، فقيل: هو على حقيقته.

قال القرطبى وغيره: لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه؛ لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع من أن يبول.

وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة، حتى لا يسمع الذكر.

وقيل: معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل، فحجب سمعه عن الذكر.

وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به، وقيل: إن الشيطان استولى عليه، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المُعدّ للبول؛ إذ من عادة المستخف بالشىء أن يبول عليه. اهـ[١].

الشيطان يضحك من المتثائب

وذلك لأن التثاؤب ينشأ عن الكسل، فيكون المتثائب فى حالة لا يستطيع معها أن يؤدى الطاعات على أكمل وجه، ومما يُضحك الشيطان أن المتثائب يكون فى منظر غير جميل، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله، فحقٌ على كل مسلم سمعه أن يُشمّته، وأما التثاؤب فهو من الشيطان فليردّ ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان»[٢].

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل»[٣].

قال الحافظ: يُحتمل أن يراد به الدخول حقيقة وهو إن كان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، لكنه لا يتمكن ما دام ذاكرًا لله تعالى،

---

(١) فتح البارى (٣/ ٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٢٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٩٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٥) كتاب الزهد والرقائق.

والمتثائب فى تلك الحالة غير ذاكر، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة، ويحتمل أن يكون أطلق الدخول، وأراد التمكن منه؛ لأنه من شأن من دخل فى شيء أن يكون متمكنًا منه. اهـ[1].

قال النووى: قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب وردِّه، ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضحكه منه. اهـ[2].

ومن الجميل هنا أن نذكر ما رواه ابن أبى شيبة والبخارى فى التاريخ من مرسل يزيد بن الأصم قال: «ما تثاءب النبى ﷺ قط»[3].

متى تنتشر الشياطين؟

فى الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا كان جُنح الليل أو أمسيتم - فكُفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قِرَبكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم»[4].

والإيكاء: هو ربط فى السقاء، وتخمير الآنية أى تغطيتها.

قلت: فى هذا الحديث خمسة أوامر: كف الصبيان، وإغلاق الأبواب، وإيكاء القِرب، وتخمير الآنية، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء المصباح عند النوم.

فأما الأمران الأول والثانى: قد بيَّن النبى ﷺ علتهما فى هذا الحديث.

وأما الثالث والرابع: فبيَّن علتهما الرواية الأخرى فى الصحيحين أيضًا أن

(١) فتح البارى (١٠/ ٦١٢).

(٢) شرح مسلم (١٨/ ١٢٣).

(٣) فتح البارى (١٠/ ٦١٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٢٣) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠١٢) كتاب الأشربة.

رسول الله ﷺ قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا ويذكر اسم الله فليفعل»[١].

أما الأمر الخامس فيبين علته الحديث الذى رواه أبو داود عن ابن عباس قال: «جاءت فأرة فجرَّت الفتيلة فألقتها بين يدى النبى ﷺ على الخمرة التى كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم فقال النبى ﷺ: «إذا نمتم فأطفئوا سُرجكم، فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم»[٢].

قال الحافظ: فى هذا الحديث بيان الحامل للفأرة على جر الفتيلة، وهو الشيطان، فيستعين وهو عدو الإنسان عليه بعدو آخر، وهى النار أعاذنا الله بكرمه من كيد الأعداء، إنه رءوف رحيم. اهـ[٣].

وفى صحيح مسلم عن جابر مرفوعًا: «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»[٤].

والفواشى: المال المنتشر كالإبل والبقر وغيرها.

قال ابن الجوزى: والحكمة فى انتشارهم حينئذ، أن حركتهم فى الليل أمكن منها لهم فى النهار؛ لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وكذلك كل سواد، ولهذا قال فى حديث أبى ذر «الكلب الأسود شيطان»[٥] اهـ. نقله عنه الحافظ فى الفتح[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٨٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٠١٢) كتاب الأشربة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٤٧) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٦).

(٣) فتح البارى (١١/ ٨٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٣) كتاب الأشربة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٥١٠) كتاب الصلاة.

(٦) فتح البارى (٦/ ٣٤٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل كان أبى ينام نصف النهار شتاءً أو صيفًا، ويأخذنى بذلك ويقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قيلوا، فإن الشياطين لا تقيل»(١).

تصفيد الشياطين فى رمضان

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين»(٢).

وعنه رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن...»(٣).

قال العلامة محمد بن مفلح رحمه الله: الشياطين تُسلسَل وتُغلُّ فى رمضان على ظاهر الحديث، أو المراد مردة الشياطين كما فى هذا اللفظ، وكذا جزم به أبو حاتم بن حبان وغيره من أهل العلم فليس فى ذلك إعدام الشر، بل قلة الشر لضعفهم.

هل يجوز الذبح للجن؟

اتفق العلماء على أن الذبح للجن محرم، بل هو شرك؛ لأنه ذبح لغير الله، فلا يجوز لمسلم أن يأكل منه فضلاً عن أن يفعله، ومع ذلك فإن الجُهَّال فى كل زمان ومكان يقومون بهذا الفعل الخبيث.

فهذا يحيى بن يحيى يقول: قال لى وهب: استنبط بعض الخلفاء عينًا

(١) حسن: رواه أبو نعيم عن أنس مرفوعًا، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة برقم (١٦٤٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٩) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٦٨٢) كتاب الصوم، وابن ماجه (١٦٤٢) كتاب الصيام، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥٩).

وأراد إجراءها وذبح للجن عليها؛ لئلا يُغـوِّروا ماءها فأطعم ذلك ناسًا فبلغ ذلك ابن شهاب فـقال: أما إنه قد ذبح مـا لم يحل له، وأطعم الناس ما لا يحل لهم، نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذُبح للجن. اهـ[1].

وما زال الذبح للجن حتى الآن يقوم به الكـهنة والسحرة الذين يتصلون بالجن.

فمن ذلك أننا نرى الجهال يذهبون إلى هؤلاء السحرة ليحلوا سحرًا، أو ليعـالجوا مصـروعًا، أو مـا شابه ذلك، فيطلبـون منهم حيـوانات بأوصاف معينة، ثـم يذبحونها ويلطخون المريض بدمـها، ثم يأمرون برميـها فى بئر، وأن لا يُذكر اسم الـله عليها فى أثنـاء الرمى، وهذا هو الذبح للجن المنهى عنه، وإن لم يتلفظ الذابح باسم الجن، وإنما الأعمال بالنيات.

والذابح لغيـر الله ملعون... فى صحيح مـسلم من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[2][3].

هل يجوز الاستعاذة بالجن؟

قال تعـالى حاكيًا عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[4].

قـال ابن كـثيـر: أى كنا نرى أن لنا فـضـلاً على الإنـس؛ لأنهم كـانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البـرارى وغيرها، كما كانت عادة العرب فى جـاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يـصيبهم بشىء يسوؤهـم كما كـان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فـى جوار رجل كبـير

(١) آكام المرجان (٧٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨) كتاب الأضاحى.

(٣) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص: ٤٢ - ٤٣) بتصرف.

(٤) سورة الجن: الآية: (٦).

وزمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أى خوفًا وإرهابًا ورعبًا وذعرًا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: فزادوهم رهقًا، أى إثمًا وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة.

قال السدى: كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضرّ أنا فيه، أو مالى أو ولدى أو ماشيتى.

قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

والاستعاذة بالجن شرك، وقد أبدلنا الله خيرًا منها... فعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»[1].

هل يجوز الاستعانة بالجن؟

طريقة السحرة والكهان تقوم أساسًا على الاستعانة بالجن والشياطين وهذا شرك، لأنه استعانة بغير الله، والأدهى من ذلك أن الشياطين لا تخدم الساحر حتى يكفر إما بقول أو بفعل، وكلما كان الساحر أعصى لله كانت الشياطين منه أقرب وله أطوع.

وكنا نسمع ونحن صغار أن رجلاً ساحرًا مشهورًا كان لا يقوم بسحره ولا تأتيه الشياطين حتى يصنع من المصحف حذاء فيلبسه فى قدميه، ويدخل به المرحاض ولذلك كانت الشياطين تخدمه وتحضر له الشىء إلى بيته.

وهذا كفر صريح معلوم حتى لدى الساحر نفسه، ولكن الأمر المحزن أن من السحرة من يكفر بالله وهو لا يدرى!! فهذه العزائم التى يقولونها وتلك

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

الطلسمات التى يكتبونها، معظمها بل كلها شرك وكفر صريح، ولكنها بحروف غير مفهومة، وقد يُدخلون فيها شيئًا من القرآن حتى يظن الجهال أنهم لا يستخدمون إلا القرآن[1].

ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه

نحن نعلم جميعًا أن إبليس عندما رفض أن يسجد لأبينا آدم (عليه السلام) وطرده الله من رحمته وجنته وغضب عليه ولعنه أخذ العهد على نفسه أن يسعى لإضلال الناس وإغوائهم ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [2].

وقال فى موضع آخر: ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [3].

* فيا ترى هل استطاع الشيطان أن يحقق مراده وأن يُضل الناس على مدى العصور والأزمان؟

* والجواب واضح لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فأكثر الناس على مدى العصور والأزمان كذبوا الرسل وكفروا بالله (جل وعلا) وعاثوا فى الأرض فسادًا وإفسادًا.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾ [5].

---

(١) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص ٤٦).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٦٢).

(٣) سورة النساء: الآيتان: (١١٨- ١١٩).

(٤) سورة المؤمنون: الآية: (٤٤).

(٥) سورة سبأ: الآية: (١٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

* وفى حاضرنا المعاصر وجدنا من يتفاخر بأنه يعبد الشيطان ويكفر بالرحمن (جل وعلا).

وهكذا استطاع إبليس أن يغوى أكثر الناس حتى إنك لو نظرت لأهل الأرض الآن الذين يبلغ عددهم أكثر من ستة مليارات من البشر لوجدت أن ملياراً وثلاثمائة مليون مسلم يعبدون الله (جل وعلا) وخمسة مليارات يكفرون بالله (جل وعلا).

وبذلك صدق ظن إبليس فى هذه الذرية التى لم تعتبر ولم تستفد من الدرس الذى جرى لأبيها آدم (عليه السلام) ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وما أقبح أن يصدق ظن إبليس فى أى إنسان فيطيعه ويعصى ربه (جل وعلا) بل ويبارزه بالذنوب والمعاصى.

فاللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين الذين عاشوا على التوحيد وتبرأوا من إبليس وأعوانه إلى يوم الدين.

هل الجن تسكن بيوت الإنس؟

كثيراً ما يُشاع أن المكان الفلانى أو البيت الفلانى مسكون بالجن، فهل هذا صحيح؟... فى الحقيقة أن فى هذا الأمر حقًّا وباطلاً:

أما جانب الحق فيه فهو أن هذا ممكن وواقع مُشاهَد وأخبرت به الشريعة

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٣) سورة سبأ: الآية: (٢٠).

الغرّاء، وقد مر بنا حديث الفتى الأنصارى الذى وجد جنًا فى بيته وقد تصور بصورة حية، والحديث بطوله فى «صحيح مسلم»[(١)(٢)].

عن سعد بن أبى وقاص قال: بينا أنا بناءٍ عن دارى إذ جاءنى رسول زوجتى فقال: أجب فلانة، فاستنكرت ذلك، فدخلت، فقلت: مه. فقالت: إن هذه الحية - وأشارت إليها - كنت أراها بالبادية إذا خلوت، ثم مكثت لا أراها حتى رأيتها الآن، وهى هى أعرفها بعينها.

وقال: فخطب سعيد خطبة حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنك قد آذيتنى وإنى أقسم لك بالله إن رأيتك بعد هذا لأقتلنك فخرجت الحية فانسابت من البيت، ثم من باب الدار[(٣)].

وحكى ابن عقيل فى الفنون قال: كان عندنا بالظفر - يعنى من بغداد - دار كلما سكنها ناس أصبحوا موتى، فجاء مرة رجل مقرئ - أى حافظ للقرآن - فاكتراها فارتقبنا فأصبح سالمًا، فتعجب الجيران وسألوه فقال: لما بتُّ بها صليت العشاء وقرأت شيئًا من القرآن، وإذا شاب صعد من البئر فسلم علىَّ فهبته فقال: لا بأس عليك علمنى شيئًا من القرآن فَسُرى عنه - أى ذهب خوفه - ثم قلت: هذه الدار كيف حديثها؟ قال: نحن جن مسلمون نقرأ ونصلى، وهذه الدار لا يكتريها إلا الفساق، فيجتمعون على الخمر فنخنقهم. قلت: ففى الليل أخافك فتجيء نهارًا، قال: نعم. قال: وكان يصعد من البئر بالنهار وألفته[(٤)].

والأخبار فى هذا كثيرة، وقد مر شيء منها.

أما جانب الباطل: فهو أحيانًا ما يثير الناس هذه الإشاعات كذبًا وبهتانًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٦) كتاب السلام.

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص: ٤٦).

(٣) آكام المرجان (٧٥).

(٤) السابق (٩٩).

لأغراض شخصية ومصالح دنيوية.

وسأسوق لك في ذلك قصة واقعية:

قال الشيخ ياسين أحمد عيد: توفي رجل في بلدة من عهد غير بعيد، وترك بيتًا جميلاً منفردًا عن البيوت وكان ذلك البيت متسع الأرجاء كثير الغرف مزينًا بالنقوش والزخرفة البديعة اللطيفة المنظر، وفي صحن الدار فسقية من المرمر لطيفة الصنع، وعلى دائرها جملة تماثيل مختلفة الأشكال والألوان، والمياه تتدفق من أفواهها.

ولم يكن لذلك الرجل ولد يرثه، فأصبح ذلك البيت من بعد وفاة صاحبه خاويًا من الناس خاليًا من الإنس، فاتفق أقاربه على بيعه، وكان أملهم عظيمًا في أنه يساوي مبلغًا وفيرًا، وما إن أعلنوا خبر بيعه حتى أشيع أنه مسكون بالجن وداخله عفريت، وامتدت هذه الإشاعة حتى صارت حديث القوم في سمرهم، وموضوع الكلام في سهرهم وإن خالف أحدهم هذا الاعتقاد وذهب إلى البيت ليلاً يعود وهو معتقد بأن في البيت شياطين.

ابتعد الناس عن شرائه وخاف الورثة سوء العاقبة، وخصوصًا بعد أن تقدم أحد الناس لشرائه، ودفع فيه مبلغًا يساوي ربع ثمنه، وقبل أن يستلم الورثة هذا المبلغ حضر شاب شجاع سمع بخبر البيت وما يتقوله الناس عنه، وكان من الذين لا يبالون بأمر الجن، ولا يخافون من العفريت، فقصد الورثة وطلب منهم مبلغًا من المال وتكفل لهم بطرد الجن وإمساك العفريت أو طرده، فقبلوا منه ذلك وأعطوه نصف الأجر.

وعند المساء ذهب ذلك الشاب وأخذ معه مسدسًا يستعين به في وقت الحاجة، ولما وصل البيت استراح قليلاً، وبعد إطفاء الشمعة نام، وبعد قليل شعر بأن يدًا تسحب اللحاف عنه، فأمسك به بكل قوته، وقال: من الذي يسحب اللحاف؟ قال: أنا عفريت ولازم آخذ اللحاف وإلا لبست جسمك

فتـرك الشاب اللحاف - الغطاء - فـوقع العفريت على قـفاه، فقـام الشاب وركب على صدر العفريت، ووجَّه المسـدس لرأسه وقال: أخبرنى من أنت؟ فخـاف منه خوفًا شديدًا وقـال: اتركنى وسوف أخبـرك عن حقيقـة حالى. فقال الـشاب: تكلم أيها العفـريت. قال: ما أنا بعفـريت ولا جان، بل أنا إنس مثـلك لا أختلف عنك إلا بسـواد لونى وقُبح منظرى، فـتركـه وأوقد الشمـعة لينظر من هو، فـرآه عبـدًا أسودًا عاريًا من الثـياب. قـال الشاب: أخبرنى أيها العبد مـا سبب وجودك هنا فى هذا المكان؟ فقال: الضرورة هى التى أجبرتنى؛ لأننى رجل فـقير الحال عديم الكسب وعندى أسـرة كبيرة لا يعولها أحد سواى، فقصـدت رجلاً لكى يدبر لى شغلاً أعيش منه، فأمرنى أن أحضر كل ليلة لهذا البيت لأقيم فيه، وأوصانى إذا شعرت بدنو أحد من هذا المنزل، أصفق على يدى، وأضرب علـى صفيحة أعددتهـا لهذه الغاية، وإذا رأيته جسوراً ولم يـعبأ بذلك أطلق الماء دفعة واحدة، فـتخرج من أفواه التماثيل وأرتقى فوق الفسقية وأصرخ بـأصوات مختلفة تخيفه، ثم حرضنى على كتم الســر، فلما سـمع الشاب هذا الكلام ساقـه أمامه وسـلَّمه للورثة وقص عليـهم حكايته، فظهـر لهم أن الرجل الذى استـأجر هذا العـبد هو المتقدم لشراء البيت بثمن بخس[1].

هل الجن يؤذون الناس؟

قال الشـيخ أبو بكر الجزائرى: إن أذى الجن للإنس ثابت لا يُنكَر؛ حيث ثبت ذلك بالدليل السـمعى والدليل الحسى، والعـقل لا يحيله، بل يجـيزه ويُقره، ولولا المعقبات من الملائكة التى أناط الله بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشـيـاطـين أحد؛ وذلك لعـدم رؤية الإنســان لهم، ولقـدرتهم على

---

(١) العرافون والدجالون، ص (٨٤).

التحول بسرعة، ولكون أجسامهم من اللطافة؛ بحيث لا نشعر بها ولا نحس، ومن هنا كان مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذى بعض الناس: إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فآذاهم بصبٍّ ماء حارٍّ عليهم، أو ببوله عليهم، أو بنزوله بعض منازلهم وهو لا يشعر؛ فينتقمون منه فيؤذونه.

وإما لمجرد الظلم من بعضهم فيؤذون الإنسان بغير سبب، كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ إذ أحيانًا يؤذى الإنسان أخاه بسبب خاص، وأحيانًا لمجرد الظلم كما هو مشاهد فى الناس عند فساد فطرتهم وضعف إيمانهم وإرادتهم وعقولهم.

قال: وقد تقدم حديث الصحيح، وجاء فيه أن الشاب الأنصارى لما طعن الجن المتمثل فى صورة حية ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن وقتلوه، فمات لفوره حتى قال أبو سعيد الخدرى: «لم يدر أيهما كان أسرع موتًا من صاحبه: الحية أم الفتى؟!».

ثم قال الجزائرى حفظه الله: ولشهرة هذه الحقيقة وتسليم الناس بها لا نطلب لها إيراد شواهد أخرى، ونكتفى بحادثة الأنصارى فى «صحيح مسلم».

قال الجزائرى: وهنا نذكر حادثة أخرى تمت فى بيتنا وعشنا آلامها وعانينا آثارها إنه كان لى أخت أكبر منى تُدعَى سعدية، وكنا يومًا ونحن صغار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل يربط له القنو - العرجون- ونسحبه إلى السطح ونحن فوقه، فحصل أن أختى سعدية جرَّت الحبل فضعفت عنه؛ فغلبها، فوقعت على الأرض على أحد الجنة، فكأنها بوقوعها عليه آذته أذى شديدًا، فانتقم منها، فكان يأتيها عند نومها فى كل أسبوع مرتين أو ثلاثًا أو أكثر، فيخنقها، فترفس المسكينة برجليها وتضطرب كالشاة المذبوحة، ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه

بميتة، ونطق مرة على لسانها مصرحًا بأنه يفعل بها هكذا؛ لأنها آذته يوم كذا في مكان كذا... وما زال يأتيها ويعذبها بصرعه ويأتيها عند النوم فقط، حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق، فصرعها ليلة على عادته فما زالت ترفس برجلها، وتضطرب حتى ماتت - غفر الله لها ورحمها... آمين.

قال: هذه الحادثة عشتها وبعيني رأيتها وليس من رأى كمن سمع. اهـ[1].

كيف تطرد الجن من البيت؟

ولكن إذا تيقنت فعلاً أن في البيت جنيًّا، فتكون طريقة إخراجه كالآتي:

١- تذهب أنت واثنان معك إلى هذا البيت وتقول: «أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان أن تخرجوا وترحلوا من بيتنا، أناشدكم الله أن تخرجوا ولا تؤذوا أحدًا» تكرر هذا ثلاثة أيام.

٢- إذا استشعرت بعد ذلك بشيء في البيت تُحضر ماءً في إناء وتُقرِّب فاك منه وتقول: «بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام، بسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مُسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، وشر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أعوذ بما استعاذ به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغي، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

---

(١) عقيدة المؤمن (ص ٢٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ⑤ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ⑥ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ⑦ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ⑧ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [1].

ثم تتبع بهذا الماء جوانب الدار، فتضع منه فى كل جانب من جوانبها؛ ليخرجون بإذن الله تعالى[2]، فها هو العلاج بين يديك، وما عليك إلا أن تُخلص النية أثناء الدعاء وتستعين برب الأرض والسماء.

وإياك! إياك! إن تترك هذا الهدى وتطلب ضلالات السحرة والكهان ففيها الشقاء والبلاء؛ وأسأل الله أن يجعلنا به مستعينين وعليه متوكلين وبسلطانه معتصمين[3].

ماذا نصنع مع حيات البيوت؟

تتشكل الجان بشكل الحيات وتظهر للناس؛ ولذا نهى الرسول ﷺ عن قتل حيات البيوت، خشية أن يكون هذا المقتول جنيًا قد أسلم.

ففى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»[4].

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت، فكان فى ذلك هلاكه، روى مسلم فى صحيحه: أن أبا السائب دخل على أبى سعيد الخدرى فى

---

(١) سورة الصافات: الآيات: (١- ١٠).

(٢) الوابل الصيب.

(٣) وقاية الإنسان (ص: ٤٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٦) كتاب السلام.

بيته، فوجده يصلى، قال: «فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته، فسمعت تحريكًا فى عراجين فى ناحية البيت، فالتفت، فإذا حية فوثبت لأقتلها، فأشار إلىَّ؛ أن اجلس فجلست.

فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعُرسٍ، قال: فخرجنا مع رسول الله إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا فقال له رسول الله ﷺ : «خذ عليك سلاحك، فإنى أخشى عليك قريظة».

فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى.

فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه فى الدار، فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا: الحية أم الفتى!.

قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ ، فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله يحييه لنا فقال: «استغفروا لصاحبكم» ثم قال: «إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»(١).

*** تنبيهات مهمة حول قتل حيات البيوت:**

١- هذا الحكم، وهو النهى عن قتل الحيوانات خاص بالحيات دون غيرها.

٢- وليس كل الحيات؛ بل الحيات التى نراها فى البيوت دون غيرها، أما

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

التى نشاهدها خارج البيوت فنحن مأمورون بقتلها.

٣- إذا رأينا حيات البيوت فنؤذنها؛ أى نأمرها بالخروج، كأن نقول: أقسم عليك بالله أن تخرجى من هذا المنزل، وأن تبعدى عنا شرك وإلا قتلناك، فإن رُؤيت بعد ثلاثة أيام قُتلت.

٤- والسبب فى قتلها بعد ثلاثة أيام أننا تأكدنا أنها ليست جنًّا مسلمًا؛ لأنها لو كانت كذلك، لغادرت المنزل. فإن كانت أفعى حقيقية فهى تستحق القتل، وإن كانت جنًّا كافرًا متمردًا فهو يستحق القتل، لأذاه وإخافته أهل المنزل.

٥- يُستثنى من جنان البيوت نوع يُقتل بدون استئذان.

ففى صحيح البخارى عن أبى لبابة أن الرسول ﷺ قال: «لا تقتلوا الجنان، إلا كل أبتر ذى طفيتين؛ فإنه يُسقط الولد، ويُذهب البصر، فاقتلوه»[(١)(٢)].

وقفة لطيفة

قال القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضروبًا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة، فقال: إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى بجرى العادة، وأما أنه يصور نفسه فذلك محال؛ لأن انتقالها عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقضت بطلت الحياة. اهـ[(٣)].

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣١١) كتاب بدء الخلق.

(٢) عالم الجن والشياطين (ص: ٤١ - ٤٣) بتصرف.

(٣) آكام المرجان (١٩).

قلت: وهذا كلام جيد، ولكنه يفتقر إلى دليل، ويمكن أن يستدل له بما رواه ابن أبى شيبة «إن الغيلان ذُكروا عند عمر بن الخطاب فقال: إن أحدًا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التى خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذنوا»[١].

وهذا لا ينافى ما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول»[٢]؛ لأنه لا ينفى وجود الغيلان، وإنما ينفى ما كانت تتوهمه العرب من أن الغيلان تستطيع أن تضل الناس.

قال النووى رحمه الله: قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات، وهى جنس من الشياطين فتتراءى للناس وتتغول تغولاً، أى تتلون تلونًا، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم فأبطل النبى ﷺ ذلك.

وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا: ومعنى «لا غول» أى لا تستطيع أن تضل أحدًا.

قال: ويشهد له حديث آخر: «لا غول ولكن السعالى» قال العلماء: السعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجن، أى: ولكن من الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل. اهـ.

* * *

(١) فتح البارى (٦/ ٣٤٤) وقال الحافظ: إسناده صحيح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٢٢) كتاب السلام.

ما هى الحكمة من خلق الشيطان؟

ولعل سائلاً يسأل ويقول: ما دام الشيطان هو أصل كل شرٍّ وفسادٍ فى الأرض وهو الذى يدعو الناس إلى أن يكفروا بالله ويبارزوه بالذنوب والمعاصى فما هى الحكمة من خلقه.

* ويجيب عن هذا السؤال الإمام الجليل ابن القيم - رحمه الله - فيقول[1]: «فى خلق إبليس وجنوده من الحِكَم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله».

فمن ذلك:

١- ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراغمته فى الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يُعيذهم من شره وكيده، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه.... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

٢- خوف العباد من الذنوب:

ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلية الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك، حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التى بلغت منه كل مبلغ، وهم يشاهدونه،

(١) شفاء العليل/ (ص: ٣٢٢ وما بعدها).

فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

٣- جعله الله عبرة لمن اعتبر:

ومنها أن الله جعله عبرة لمن خالف أمره، وتكبَّر عن طاعته، وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبى البشر عبرة لمن ارتكب نهيه، أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوى الجن والإنس بالذنب، وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه، فلله كم فى ضمن ذلك من الحكم الباهرة، والآيات الظاهرة.

٤- جعله فتنة واختبارًا لعباده:

ومنها أنه مَحَكٌّ امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنسانى من الأرض، وفيها السهل والحَزَن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر ما كان فى مادتهم،... ففى الحديث عن أبى موسى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود، والسهل والحزن، والطيب والخبيث»**[1].

فما كان فى المادة الأصلية فهو كائن فى المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره، فلا بد إذًا من سبب يُظهر ذلك، وكان إبليس محكًّا يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكًّا لذلك التمييز، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2]، فأرسل رسله إلى المكلفين، وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٣) كتاب السنة، والترمذى (٢٩٥٥) كتاب تفسير القرآن، وأحمد (١٩٠٨٥) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٥٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٩).

واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم فى دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حِدة، ولهؤلاء داراً على حِدة، حكمة بالغة وقدرة باهرة.

٥- إظهار كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد:

ومن هذه الحِكم أن يُظهر كمال قدرته بخلق الأضداد، مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه؛ فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

٦- الضد يُظهر حُسنه الضد:

ومن هذه الحكم أنَّ خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يَظهر حُسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

٧- الابتلاء به إلى تحقيق الشكر:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه، يحب أن يُشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده، وامتحانهم به من أنواع شكره، ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو فى الجنة، قبل أن يخرج منها، وبين شكره بعد أن ابتُلى بعدوه، ثم اجتباه ربه، وتاب عليه وقَبِله.

٨- فى خلق إبليس قيام سوق العبودية:

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان فى خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التى

لا يحصى حكمها وفوائدها، وما فيها من المصالح إلا الله.

٩- وترتب على ذلك ظهور آياته وعجائب قدرته:

ومن هذه الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، من تمام ظهور آياته، وعجائب قدرته، ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كظهور آية الطوفان، والعصا، واليد، وفلق البحر، وإلقاء الخليل في النار، وأضعاف ذلك من آياته، وبراهين قدرته، وعلمه، وحكمته، فلم يكن بُد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك.

١٠- الخلق من النار آية:

ومن هذه الحكم أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها - سبحانه - هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة، وآية دالة على أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١].

١١- ظهور متعلقات أسمائه:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الخافض الرافع، المُعز المُذل، الحَكَم العدل، المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

١٢- ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه:

ومن هذه الحكم أنه سبحانه المَلك التام المُلك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب، والإكرام والإهانة والعدل، والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بدّ من وجود من يتعلق به أحد النوعين، كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

١٣- وجود إبليس من تمام حكمته تعالى:

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الحكيم، والحكمة من صفاته - سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء في موضعه الذى لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك؟

فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة.

١٤- حمده تعالى على منعه وخفضه:

ومنها أن حمده - سبحانه - تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه، وخفضه ورفعه، وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه، ورفعه وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه، فله فى خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده، كما لا يجوز تعطيل حكمته.

١٥- وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره:

ومنها أنه - سبحانه - يحب أن يُظهر لعباده حلمه وصبره، وأناته، وسعة رحمته، وجوده، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده فى حكمه، ويجتهد فى مخالفته، ويسعى فى مساخطه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات ويرزقه، ويعافيه، ويمكن له من الأسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويجيب دعاءَه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من برِّه وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءَته فلله كم فى ذلك من حكمة وحمد.

ويتحبب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته، . . . كما فى الصحيح عن

أبى موسى الأشعرى قـال: قال رسول الله ﷺ : «ما أحدٌ أصبر على أذى يسمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم» [١].

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: كذبنى ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمنى ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياى فقوله: لن يعيدنى كما بدأنى، وليس أول الخلق بأهون علىَّ من إعادته، وأما شتمه إياى فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد، ولم يكن لى كفواً أحد» [٢].

وهو سبحانه مع هذا الشتم له، والتكذيب له، يرزق الشاتم المكذب، ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به فى جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله، ويأمرهم أن يلينوا له القول، ويرفقوا به.

قال الفضيل بن عياض: «ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل - جل جلاله - مَن أعظم منى جوداً، الخلائق لى عاصون، وأنا أكلؤهم فى مضاجعهم، كأنهم لم يعصونى، وأتولى حفظهم، كأنهم لم يذنبوا، أجود بالفضل على العاصى، وأتفضل على المسىء من ذا الذى دعانى فلم ألبَّه؟ ومن ذا الذى سألنى فلم أُعطه؟.

أنا الجواد ومنى الجود، أنا الكريم ومنى الكرم، ومن كرمى أنى أعطى العبد ما سألنى، وأعطيه ما لم يسألنى، ومن كرمى أنى أعطى التائب كأنه لم يعصنى، فأين عنى يهرب الخلق، وأين عن بابى يتنحى العاصون؟».

وفى أثر إلهى: «إنى والإنس والجن فى نبإ عظيم: أخلق ويُعبد غيرى، وأرزق ويُشكر سواى».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٨) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٠٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٨٢) كتاب تفسير القرآن.

وفى أثر حسن: «ابن آدم ما أنصفتنى: خيرى إليك نازل، وشرُّك إلىَّ صاعد، كم أتحبب إليك بالنعم، وأنا غنى عنك، وكم تتبغض إلىَّ بالمعاصى وأنت فقير إلىَّ، ولا يزال المَلَكُ الكريم يعرج إلىَّ منك بعملٍ قبيح».

وفى الحديث الصحيح: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[1].

١٦- خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم أحكام أسمائه وصفاته وآثارها:

فالله سبحانه لكمال محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقًا يظهر فيهم أحكامها وآثارها، فلمحبته للعفو خلق من يحسن العفو عنه، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له، ويحلم عنه، ويصبر عليه، ولا يعاجله، بل يكون يحب أمانه وإمهاله.

ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته، ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعصيان، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان، فلولا خَلْقُهُ مَن يجرى على أيديهم أنواع المعاصى والمخالفات، لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها، وأضعاف أضعافها، فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، ذو الحكمة البالغة، والنعم السابغة، الذى وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته، وله فى كل شىء حكمة باهرة، كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات.

١٧- ما حصل بسبب وجود الشيطان من محبوبات للرحمن:

فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب، المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى، يتصل فى حبه ما حصل به من مكروه، والحكيم الباهر الحكمة هو الذى يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذى يبغضه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩) كتاب التوبة.

ويسخطه إذا كان طريقًا إلى حصول ذلك المحبوب، ووجود الملزوم بدون لازمه محال.

فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من الشرور والمعاصى ما حصل، فكم حصل بسبب وجوده، ووجود جنوده من طاعة هى أحب إلى الله وأرضى له من جهاد فى سبيله، ومخالفة هوى النفس وشهوتها له، ويحتمل المشاق والمكاره فى محبته ومرضاته، وأحب شىء للحبيب أن يرى مُحِبَّهُ يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته.

من أجلك قد جعلت خدى أرضًا
للشامت والحسود حتى ترضى

ومن أثر إلهى: «بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى» فلله، ما أحب إليه احتمال محبيه أذى أعدائه لهم فيه، وفى مرضاته، وما أنفع ذلك الأذى لهم، وما أحمدهم لعاقبته، وماذا ينالون به من كرامة حبيبهم وقربه قرة عيونهم به، ولكن حرام على منكرى محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة، أو يدخلوا من هذا الباب، أو يذوقوا من هذا الشراب.

قل للعيون العمى للشمس أعين
سواك يراها فى مغيب ومطلع
وسامح بؤسًا لم يؤهل لحبهم
فما يحسن التخصيص فى كل موضع

فإن أغضب هذا المخلوق ربه، فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب، وإن أسخطه ما يجرى على يديه من المعاصى والمخالفات، فإنه سبحانه أشد فرحًا بتوبة عبده من الفاقد لراحلته، التى عليها طعامه وشرابه، إذا وجدها فى المفاوز المهلكات، وإن أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو اللعين، فقد سرَّه وأرضاه ما جرى

على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه، وهذا الرضا أعظم عنده وأبر لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضى المحبوب.

وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة، فقد أرضاه توبته وإنابته، وخضوعه وتذلله بين يديه وانكساره له.

وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله ﷺ من حرمه وبلدته ذلك الخروج، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول.

وإن أسخطه قتلهم أولياءه وأحبابه، وتمزيق لحومهم، وإراقة دمائهم، فقد أرضاه نيلهم الحياة التى لا أطيب منها، ولا أنعم، ولا ألذ فى قربه، وجواره.

وإن أسخطه معاصى عباده، فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك وحمده وتمجيده بهذه الأوصاف التى حمده بها والثناء عليه بها، أحب إليه، وأرضى له من فوات تلك المعاصى، وفوات هذه المحبوبات.

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله، فهو عقد نظام الخلق والأمر والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه، فما خلق شيئًا ولا حكم بشىء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره، حمدًا حقيقيًا يتضمن محبته والرضا به وعنه، والثناء عليه، والإقرار بحكمته البالغة فى كل ما خلقه وأمر به، فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده.... فكما أنه لا يكون إلا حميدًا فلا يكون إلا حكيمًا، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته، وحياته من لوازم ذاته، ولا يجوز تعطيل شىء من صفاته وأسمائه ومقتضياتها وآثارها، فإن ذلك يستلزم النقص الذى يناقض كماله وكبرياءه وعظمته.

١٨- محبته سبحانه أن يكون ملاذًا ومعاذًا لأوليائه:

وفى هذا يقول ابن القيم: «كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد

والثناء أنه يجود ويعطى ويمنح، فمنها أنه يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون يحب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم، كما قال أحمد بن حسين الكندى فى ممدوحه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذرهُ

لا يَجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرهُ

ولو قال ذلك فى ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله.

والمقصود أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم فى غير موضع من كتابه، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذا أعاذه وأجاره من عدوه، فلم يكن إعاذته وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين، ويريهم نصره لهم على عدوهم، وحمايتهم منه، وظفرهم به، فيا لها من نعمة كمّل بها سرورهم ونعيمهم، وعدل أظهره فى أعدائه وخصمائه.

وما منهما إلا له فيه حكمة ... يقصر عن إدراكها كل باحث

* * *



أهداف
الحرب الشيطانية

أهداف الحرب الشيطانية

بعد أن تعرفنا على بعض أعمال الشيطان الرجيم هيا لنقرأ فى هذه الصفحات بعض الأهداف الشيطانية، فقد وضع الشيطان لنفسه أجندة عمل لابد أن يحقق بعضًا منها، لذا وجب على كل من يرجو النجاة من كيده وأهدافه أن يتعرف عليها ويعلم خطرها وضررها عليه من باب قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: العقبات التى يتدرج منها الشيطان لإغواء العبد هي ما يلى:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله ولقائه وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به فى هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح.

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله، والكفر بالله وبشريعته: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [١].

وروى مسلم فى صحيحه عن عياض بن حمار أن النبى ﷺ خطب ذات يوم، فقال فى خطبته: «يا أيها الناس، إن الله أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومى هذا، كل مال نحلته عبدًا حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا»[٢].

فهذه أغلى أمانى الشيطان ولقد ظفر بكثير من الخلق فى هذه العقبة

(١) سورة الحشر: الآية: (١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

والدليل على ذلك قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [(١)].

وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [(٢)].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [(٣)]

فمن خلال تلك الآيات تبين لنا كيف لجح الشيطان الرجيم فى إغواء كثير من بنى آدم، فالحذر من شره ولا يغتر العبد بصلاته وعمله ولا يأمن على إيمانه وليحذر عدوه ويهتف فيقول: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك». فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية وسلم معه نور الإيمان طلبه على

العقبة الثانية: يقول ابن القيم: وهى عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذى أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، من الأوضاع والرسوم المُحدَثة فى الدين التى لا يقبل الله منها شيئًا.

والبدعتان فى الغالب متلازمتان قَلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى، كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال، فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيشون فى بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

وقال شيخنا: تزوجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة.

فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة واعتصم منها بحقيقة المتابعة وما مضى عليه السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب، فإن سمحت

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٦).

(٣) سورة ص: الآية: (٢٤).

به نصب له أهل البدع الحبائل ويبغوه الغوائل وقالوا: مبتدع محدث.

والناظر فى أحوال كثير من المتعبدين على غير علم يجد أن الشيطان الرجيم قد ظفر بهم فى هذه العقبة، . . . عن حارثة بن مضرب: إن الناس نودى فيهم بعد نومة أنه من صلى فى المسجد الأعظم دخل الجنة، فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون قال أبو إسحاق: إن أمى وجدتنى فيهم، فأتى ابن مسعود فقيل له: أدرك الناس، فقال: ما لهم؟ قيل: نودى فيهم بعد نومة أنه من صلى فى المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه، ويلكم اخرجوا لا تعذبوا إنما هى نفخة من الشيطان، إنه لم يُنزل كتابًا بعد نبيكم، ولا ينزل بعد نبيكم فخرجوا [(١)].

عن عبد الواحد بن صبرة قال: بلغ ابن مسعود أن عمرو بن عتبة فى أصحاب له بنوا مسجدًا بظهر الكوفة، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهُدم، ثم بلغه أنهم يجتمعون فى ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحًا معلومًا ويهللون ويكبرون قال: فلبس بُرنسًا، ثم انطلق فجلس إليهم، فلما عرف ما يقولون رفع البُرنس عن رأسه ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن، ثم قال: لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علمًا، أو لقد جئتم ببدعة ظلمًا.

قال: فقال عمرو بن عتبة: نستغفر الله، ثلاث مرات، ثم قال رجل من بنى تميم: والله ما فضلنا أصحاب محمد علمًا، ولا جئنا ببدعة ظلمًا، ولكنا قوم نذكر ربنا، فقال: بلى والذى نفس ابن مسعود بيده، لقد فضلتم أصحاب محمد علمًا، أو جئتم ببدعة ظلمًا، والذى نفس ابن مسعود بيده، لئن أخذتم آثار القوم ليسبقنكم سبقًا بعيدًا، ولئن حرتم يمينًا وشمالاً لتضلنّ ضلالاً بعيدًا»[(٢)].

---

(١) اتباع السنن واجتناب البدع المؤلف: ضياء الدين المقدسى (ص ١).

(٢) اتباع السنن واجتناب البدع (ص ١).

فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على

العقبة الثالثة: وهى عقبة الكبائر. فإن ظفر فيها زيَّنها له وحسَّنها فى عينه وسوَّف به وفتح له باب الإرجاء وقال له: الإيمان هو التصديق نفسه فلا تقدح فيه الأعمال - أى: أعمال الفسوق والعصيان-.

وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهى قوله: «لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة» والظفر به فى عقبة البدعة أحب إليه، لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله، وصاحبها لا يتوب منها، ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق إليها والاجتهاد على إطفاء نور السنة.

وتولية من عزله الله ورسوله وعزل من ولاه الله ورسوله، واعتبار ما ردَّه الله ورسوله و ردّ ما اعتبره، وموالاة من عاداه، ومعاداة من والاه، وإثبات ما نفاه، ونفى ما أثبته.

وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب، ومعارضة الحق بالباطل، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً والباطل حقًّا، والإلحاد فى دين الله، وتعمية الحق على القلوب وطلب العوج لصراط الله المستقيم وفتح باب تبديل الدين جملة.

فإن البدع تُستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسلّ الشعرة من العجين.

فمفاسد البدع لا يقف عليها إلاّ أرباب البصائر... والعميان ضالون فى ظلمة العمى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [(١)].

اعلم وفقنى الله وإياك لطاعته، وأنالنا من سوابغ رضاه ومهابته أن الله تعالى حذر عبادة من معصيته بما أعلمهم به من نوامس ربوبيته وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أى أغضبونا ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [(٢)].

---

(١) سورة النور: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٥٥).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾(٢).

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغار وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه»(٣).

وفيهما أنه ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله فلذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل»(٤).

وفى الحديث أنه ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أذنب نُكتت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه» أى تغشيه وتغطيه تلك النكتة السوداء فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٥)(٦).

وفى الصحيحين أنه ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٧).

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة: وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له: هل تركت بنو إسرائيل دينهم، أى: حتى عُذِّبوا بأنواع العذاب الأليم كمسخهم قردة وخنازير وأمرهم بقتل أنفسهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أُمروا بشىء تركوه، وإذا نُهوا عن شىء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا صاحب الذنب لِمَ تأمن سوء عاقبته ولما

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٦٦).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٢٣) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٦١) كتاب التوبة، واللفظ له.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٦٠) كتاب التوبة.

(٥) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٦) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

يتبع الذنب أعظم من الذنب؟ وقلة حيائك من ملك اليمين والشمال وأنت على الذنب[١].

.فإن قطع هذه العقبة بعصمة الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه على:

العقبة الرابعة: وهى عقبة الصغائر فكال لـه منها بالقفزان، وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت اللمم أو ما علمت أنها تُكفَّر باجتناب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يُهون عليه أمرها حتى يصر عليها.

فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

وقد قال ﷺ: «إياكم ومُحقرات الذنوب» ثم ضرب لذلك مثلاً بقوم نزلوا بفلاة من الأرض فأعوزهم الحطب، فجعل هذا يجئ بعود وهذا بعود حتى جمعوا حطبًا كثيراً فأوقدوا ناراً وأنضجوا خبزتهم[٢].

فكذلك فإن محقرات الذنوب تتجمع على العبد وهو يستهين بشأنها حتى تهلكه.

فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة والاستغفار وأتبع السيئة الحسنة طلبه على.

العقبة الخامسة: وهى عقبة المباحات التى لا حرج على فاعلها فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد فى التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن ثم إلى ترك الواجبات.

وأقل ما ينال منه: تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية، ولو عرف السعر ما فوَّت على نفسه شيئًا من القربات، ولكنه جاهل بالسعر.

فإن نجا من هذه العقبة - ببصيرة تامة ونورٍ هادٍ ومعرفة بقدر الطاعات

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (جـ ١/ صـ ٢٣).

(٢) صحيح لغيره: رواه أحمد (٣٨٠٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٤٧٠)، وقال: صحيح لغيره.

والاستكثار منها وقلة المقام على الميناء وخطر التجارة وكرم المشترى، وقدر ما يعوض به التجار فبخل بأوقاته وضنَّ بأنفاسه أن تذهب فى غير ربح - طلبه العدو على.

العقبة السادسة: وهى عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات فأمره بها وحسَّنها فى عينه وزيَّنها له وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسبًا وربحًا.

لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع فى تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضى عن الأرضَى له.

ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد فى العالم. والأكثرون قد ظفر بهم فى العقبات الأوَل.

فإن نجا منها بفقه فى الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها فى الفضل، ومعرفة مقاديرها والتمييز بين عاليها وسافلها ومفضولها وفاضلها ورئيسها ومرؤوسها وسيدها ومسودها.

فإن فى الأعمال سيدًا ومسودًا ورئيسًا ومرؤوسًا وذروة وما دونها، كما فى الحديث الصحيح: «سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت،...»[1] الحديث.

وفى الحديث الآخر: «الجهاد ذروة سنام الأمر»[2].

وفى الأثر الآخر: «إن الأعمال تفاخرت فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله وكان للصدقة مزية فى الفخر عليهن».

ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولى العلم السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلهم وأعطوا كل ذى حق حقه.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٥١١) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

فإذا نجا منها أحد لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لابد منها، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه وأكرم الخلق عليه.

العقبة السابعة: وهى عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته فى الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله وظاهَر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط.

وهذه العقبة لا حيلة له فى التخلص منها، فإنه كلما جَدَّ فى الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره جد العدو فى إغراء السفهاء به، فهو فى هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب، وأخذ فى محاربة العدو لله وبالله.

فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين وهى تسمى عبودية المراغمة ولا ينتبه لها إلا أولوا البصائر التامة، ولا شئ أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له. اهـ[1].

*** وهناك عقبات أخرى:**

*** صدُّه العباد عن طاعة الله:**

وهو لا يكتفى بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصى، بل يصدهم عن فعل الخير، فلا يترك سبيلاً من سُبل الخير، يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه، يصدهم ويميل بهم، فعن سبرة بن أبى فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطْرُقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه، فأسلم.**

ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطِّوَل[2]. فعصاه، فهاجر.

ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل،

---

(١) مدارج السالكين (جزء ١ - صفحة ٢٢٢) بتصرف.

(٢) الطِّوَل: الحبل الطويل، يشد أحد طرفيه فى وتد أو غيره، والطرف الآخر فى يد الفرس ليدور فيه، ويرعى ولا يذهب لوجهه.

فتُنكح المرأة ويُقسَّم المال؟! فعصاه، فجاهد.

فمن فعل ذلك، كان حقًا على الله أن يُدخله الجنة، ومن قُتل، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة»(١).

ومصداق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال لرب العزة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٢).

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ﴾ أي: على صراطك، فهو منصوب بنزع الخافض أو هو منصوب بفعل مضمر، أي: لألزمن صراطك، أو لأرصدنَّه أو لأعوجنَّه.

وعبارات السلف في تفسير الصراط متقاربه، فقد فسره ابن عباس: بأنه الدين الواضح، وابن مسعود: بأنه كتاب الله وقال جابر: هو الإسلام، وقال مجاهد: هو الحق.

فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه.

* **إفساد الطاعات:**

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدهم عن الطاعات، فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، ومن ذلك أن الصحابي عثمان بن أبي العاص أتى إلى النبي ﷺ فقال: «إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يُلبِّسها عليَّ».

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيطان يقال له: خنْزب، فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثًا». قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني»(٣).

فإذا دخل العبد صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له، ويشغله عن

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٣٤) كتاب الجهاد، وأحمد (١٥٥٢٨) مسند المكيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٥٢).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان: (١٦ - ١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٣) كتاب السلام.

طاعة الله ويُذكـره بأمور الدنيا؛ . . . فـفى صحيح البـخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودى للصلاة أدبر الشـيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التـأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حـتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى يخطر بين المرء ونفـسـه، يقول اذكر كـذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكـر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى»[1].

* **الإيذاء البدنى والنفسى:**

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب، فإنه يهدف إلى إيذاء المسلم فى بدنه ونفسه، ونحن نسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء:

أ- مهاجمة الرسول ﷺ:

ذكرنا فى غير هذا الموضع الحديث الذى يخبر فيه الرسول ﷺ بمهاجمة الشيطان له، ومجئ الشيطان بشهاب من نار ليرميه فى وجه الرسول ﷺ .

ب- تنغيص النوم وتحزين المسلم:

للشيطان قدرة على أن يُرى الإنـسان فى منامه أحلامًا تزعجه، وتضايقه، بهدف إحزانه وإيلامه.

فقد أخبر الرسول ﷺ: أن الرؤى التى يراها المرء فى منامه ثلاثة أنواع، فعن أبى هريرة عـن النبى ﷺ قال: «الرؤيا ثلاث: فـبشـرى من الرحـمن، وحديث نفس، وتخويف من الشيطان».

وفى رواية عن عوف بن مالك: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان؛ ليحزن بها ابن آدم»[2] .

وروى البخـارى ومسلم، عـن أبى هريرة رضي الله عنه مرفـوعًا: «الرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشـرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان؛ ورؤيا مما يُحدِّث المرء

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨) كتاب الأذان، ومـسلم (٣٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح ابن ماجه (٣١٥٤).

نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليُصلِّ، ولا يُحدث بها الناس»[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئًا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثًا، وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره»[٢].

وبجمع طرق هذا الحديث يتبين أن للرؤيا آدابًا يستحب للمسلم اتباعها:

- إذا كانت الرؤيا صالحة: يحمد الله عليها، ويستبشر بها، ويتحدث بها لمن يحب دون من يكره.

- وإذا كانت الرؤيا مكروهة: يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وأن يتفل عن يساره ثلاثًا، ولا يذكرها لأحد، ويتحول عن جنبه، ويقوم فيصلي.

- قال الحافظ: وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور، فأما الاستعاذة بالله من شرها واضح وهي مشروعة عند كل أمر يُكره، وأما الاستعاذة من الشيطان فلما وقع في بعض طرق الحديث أنها منه، وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه.

- وأما التفل فقال عياض: أمر به طردًا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرًا له واستهزاءً، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجوء إليه. اهـ. مختصرًا[٣].

أما صفة الاستعاذة فقد قال إبراهيم النخعي: «إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه، أن يصيبني منها ما أكره في ديني ودنياي».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠١٧) كتاب التعبير، ومسلم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٤٧) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٧١).

قال الحافظ: أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة (١) .

قال النووى: وأما قوله «فإنها لا تضره» معناه: أن الله تعالى جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقاية للمال وسببًا لدفع البلاء. اهـ(٢) .

ج- إحراق المنازل بالنار:

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التى يغريها بذلك، ففى سنن أبى داود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «إذا نمتم فأطفئوا سُرجكم، فإن الشيطان يدل مثل هذه الفأرة على هذا السراج فيحرقكم»(٣) .

د- تخبط الشيطان الإنسان عند الموت:

وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ من ذلك فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من التردِّى، والهدم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا»(٤) .

هـ- إيذاؤه الوليد حين يولد:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»(٥) .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب

---

(١) فتح البارى (١٢/ ٣٧١).

(٢) شرح مسلم (١٥/ ١٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٤٧) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥٥٢) كتاب الصلاة، والنسائى (٥٥٣١) كتاب الاستعاذة، وأحمد (١٥٠٩٧) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٨٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٦٦) كتاب الفضائل.

يطعن، فطعن الحجاب»[1]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها»[2].

والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3].

ولذا فإن أبا هريرة قرأ هذه الآية بعد روايته للحديث السابق[4].

فلما كانت أم مريم - عليها السلام - صادقة في طلبها استجاب الله لها، فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم.

وممن أجاره الله أيضًا عمار بن ياسر، ففي صحيح البخاري: أن أبا الدرداء سأل علقمة، وكان من أهل الكوفة، فقال: «أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ؟» قال المغيرة: «الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ يعني عمارًا»[5].

و- مرض الطاعون من الجن:

أخبر الرسول ﷺ أن: «فناء أمته بالطعن والطاعون؛ وخز أعدائكم من الجن، وفي كلٍّ شهادة»[6]، وفي مستدرك الحاكم: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادة»[7][8].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٢٨٦) كتاب بدء الخلق.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٣١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٦٦) كتاب الفضائل.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٣٦).

(٤) انظر صحيح البخاري: ٦/ ٤٦٩. ورقمه: ٣٤٣١. وصحيح مسلم: ٤/ ١٨٣٨. ورقمه ٢٣٦٦.

(٥) صحيح البخاري: ٦/ ٣٣٧. ورقمه: ٣٢٨٧. وانظر أيضًا: ٧/ ٩٠. ورقمه: ٣٧٤٢ - ٣٧٤٣.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (١٩٢٤٤) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٣١).

(٧) راجع إرواء الغليل: ٦/ ٧٠ .

(٨) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ١١٤ ، رقم ١٥٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٥١).

وما أصاب نبى الله أيوب كان بسبب الجن كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(١) .

ز- بعض الأمراض الأخرى:

قال ﷺ للمرأة المستحاضة، وهى حمنة بنت جحش: «إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان»(٢) .

ح- مشاركته لبنى آدم فى طعامهم وشرابهم ومساكنهم:

ومن الأذى الذى يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدى على طعامه وشرابه فيشركه فيهما، ويشركه فى المبيت فى منزله، ويكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن، أو غفل عن ذكر الله، أما إذا كان ملتزمًا بالهدى الذى هدانا الله إليه، لا يغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى أموالنا وبيوتنا.

فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمى، فإذا ذكر اسم الله عليه، فإنه يحرم على الشيطان، . . . روى مسلم فى صحيحه عن حذيفة، قال: «كنا إذا حضرنا مع النبى ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ ، فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تُدفع، فذهبت لتضع يدها فى الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابى كأنما يُدفع، فأخذ بيده».

فقال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به، فأخذت بيده، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يدها»(٣) .

---

(١) سورة ص: الآية: (٤١).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٨٧) كتاب الطهارة، والترمذى (١٢٨) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٦٢٢) كتاب الطهارة وسننها، وأحمد (٢٦٩٢٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٨٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأشربة.

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب، وتخمير الآنية، وذكر اسم الله؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم»(١).

ويشرب الشيطان مع الإنسان إذا شرب واقفًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يشرب قائمًا، فقال له: (قه)، قال: لِمَ؟ قال: «أيسرك أن يشرب معك الهر؟» قال: لا، قال: «فإنه قد شرب معك من هو شرٌ منه... الشيطان»(٢).

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنسَ أن تذكر اسم الله عند دخول المنزل، وقد أرشدنا الرسول ﷺ لذلك، حيث يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإن دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٣).

ط- مس الشيطان للإنسان (الصرع):

يقول ابن تيمية(٤): «دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، . . . قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٨٠) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٠١٢) كتاب الأشربة.

(٢) صحيح: رواه الدارمي (٢١٢٨) كتاب الأشربة، وأحمد (٧٩٤٣) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٤/ ٢٧٦.

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (١)، وفى الصحيح عن النبى ﷺ : «إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم»(٢).

وقال عبد الله بن الإمـام أحمد بن حنبل: «قلت لأبى: إن أقوامًا يقولون: إن الجنى لا يدخل فى بدن المـصروع، فـقـال: يا بنى يكذبـون، هذا يتكلم على لسانه».

يقول ابن تيـمية: «هذا الذى قاله مـشهور، فإنه يصرع الرجل، فـيتكلم بلسـان لا يعرف مـعناه، ويضرب علـى بدنه ضربًا عظيـمًا، لو ضُـرب به جـمل، لأثَّر به أثرًا عظيـمًـا، والمصـروع [مع هذا لا يحس بالضـرب ولا بالكلام الذى يقوله وقد يضر المصروع] وغير المصروع، ويجر البساط الذى يجلس عليه، ويحول الآلات... ويجرى غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علمًا ضروريًا، بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان».

ويقول رحـمه الله: «وليس فى أئمة المسلمـين من ينكر دخول الجن فى بدن المصروع وغـيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يكذب ذلك، فـقد كذب على الشرع، وليس فى الأدلة الشرعية ما ينفى ذلك».

وذكر أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة، كالجبائى وأبى بكر الرازى(٣)(٤).

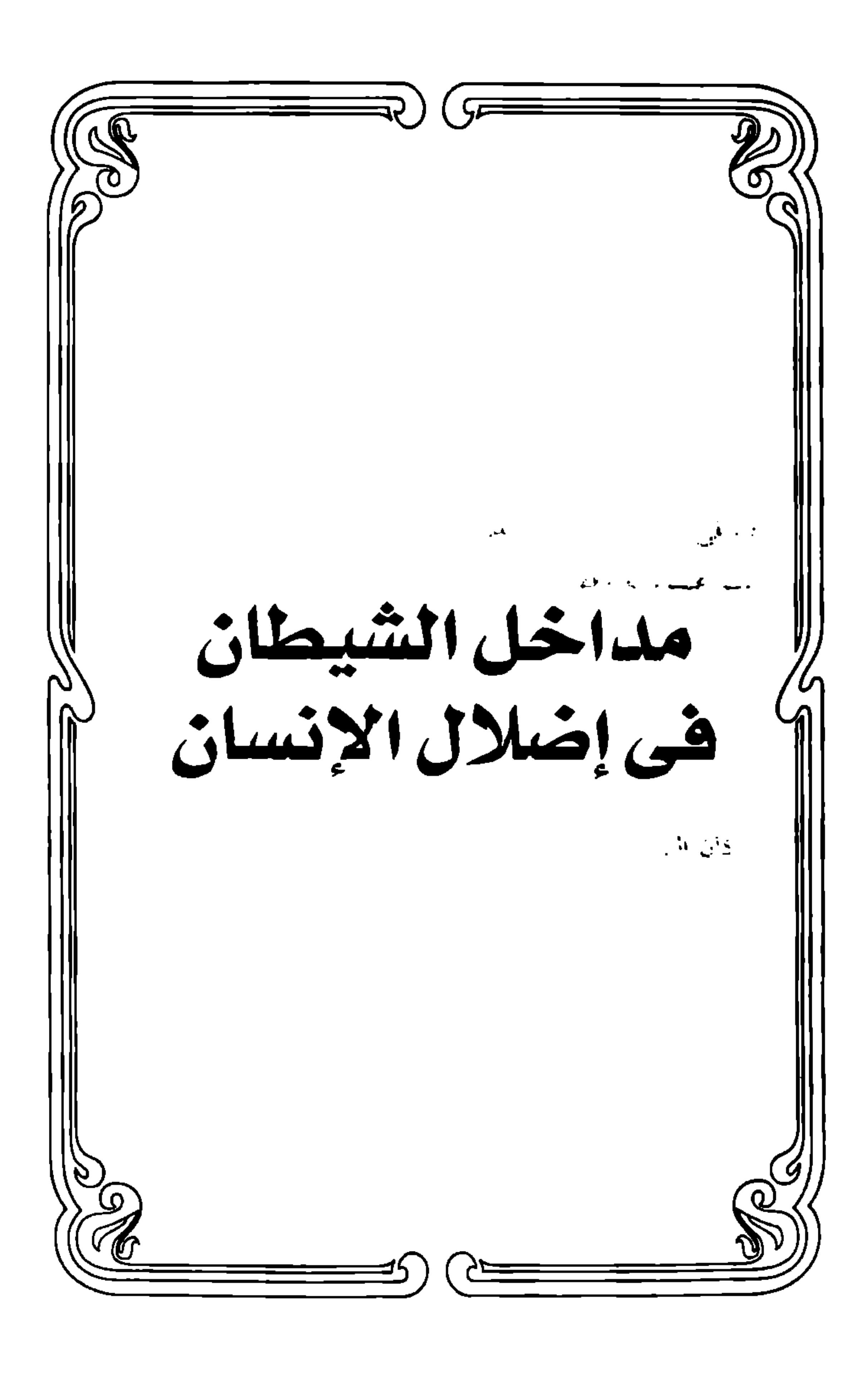
* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٨) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩/ ١٢.

(٤) عالم الجن والشياطين (٧٦: ٨٥) بتصرف.



مداخل الشيطان فى إضلال الإنسان

مداخل الشيطان فى إضلال الإنسان[1]

وقبل أن نتحدث عن مداخل الشيطان فى إضلال الإنسان فلابد أن نعرف أهمية القلب الذى يسعى الشيطان دائمًا لإفساده.

أهمية القلب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبى ﷺ : «ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله»[2] . فهو ملكها وهى المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هدايته، ولا يستقيم لها شىء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها؛ لأن كل راعٍ مسئول عن رعيته. اهـ[3] .

ولذا كان القلب هو محل الاختبار والابتلاء، .... عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأى قلب أشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مُجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه»[4] .

---

(١) بتصرف من (عالم الجن والشياطين) للدكتور عمر الأشقر - حفظه الله-.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فشبَّه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا، كعرض عيدان الحصير، وهى طاقاتها شيئًا فشيئًا، وقسَّم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عُرضت عليه فتنة أُشربها، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودَّ وينتكس، وهو معنى قوله: «كالكوز مجخيًا» أى مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسودَّ انتكس وعرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران متراميان به إلى الهلاك.

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض، حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً، والباطل حقًا.

الثانى: تحكيمه هواه على ما جاء به النبى ﷺ وانقياده للهوى واتباعه له.

* وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عُرضت عليه الفتنة أنكرها وردَّها فازداد نوره وإشراقه وقوته. والفتن التى تعرض على القلوب هى أسباب مرضها، وهى فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغى والضلال، فتن المعاصى والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. ا هـ[(١)].

ولذلك يجب على المسلم أن يراقب قلبه ويتعرف أحواله ويتخوله بالموعظة بين الحين والآخر، وليعلم أنه بصلاحه تكون السعادة الأبدية، وبفساده يكون الشقاء والبلاء والخسران المبين.

* **قال ابن القيم رحمه الله تعالى:** ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجود الشهوات إليه، وزيَّن له من الأحوال والأعمال ما يصده عن الطريق، وأمده من أسباب الغى

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢).

بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل، فإن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصايده، ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه فى حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذى هو أولى ما تلبَّس به الإنسان ليحصل له الدخول فى ضمان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [1]، فهذه الإضافة هى القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين، فإذا أُشرب القلب العبودية، والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [2] [3]. اهـ.

* **كيف يدخل الشيطان على الإنسان؟**

قال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى -: وإنما يدخل على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكُّنه منهم، ويقل على مقدار يقظتهم، وغفلتهم، وجهلهم، وعلمهم.

واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثُلَمٌ - أى نوافذ - وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبيه ربض فيه الهوى والشياطين، تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثُّلَم، فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وُكِّل بحفظه.

وجميع الثُّلَم، وألا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٦٥).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٤٠).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٦).

قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وهذا الحصن مستنير بالذكر، مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان، فتسودَّ حيطان الحصن، وتصدأ المرآة. وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكرّ عليه الحارس، فيخرج ربما دخل فعاث - أى فسد - وربما أقام لغفلة الحارس، وربما كدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جُرح الحارس لغفلته وأُسر واستُخدم، وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر.

قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى: كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم! وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها، فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأثره.

وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى: الجهل، وأوسطه فى القوة: الهوى، وأضعفه: الغفلة، وما دام درع الإيمان على المؤمن فإن نبل العدو لا يقع فى مقتل. اهـ[1].

طرق الشيطان فى إضلال الإنسان

لو أن إنسانًا مارس عملاً معينًا خمسين عامًا - مثلاً - لأصبح فيه مُحنَّكًا بمداخله وطرق خفاياه.

فهذا إبليس - عليه لعنة الله - من يوم طرده من الجنة، حتى الآن ليس له عمل إلا إضلال الخلق وإغوائهم، فهذه المدة الطويلة، وتلك الخبرة المديدة، جعلته يخترع أفانين فى الإغواء والإضلال، فمن هذه الحيل:

(١) تلبيس إبليس (ص ٣٨).

ط - * تزيين الباطل:

هذا هو السبيل الذى كان الشيطان، ولا يزال، يسلكه لإضلال العباد، فهو يُظهر الباطل فى صورة الحق، والحق فى صورة الباطل، ولا يزال بالإنسان يُحسّن له الباطل، ويكرهه فى الحق، حتى يندفع إلى فعل المنكرات، ويعرض عن الحق، كما قال اللعين لرب العزة: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١].

يقول ابن القيم فى هذا الصدد: «ومن مكايده أنه يسحر العقل دائمًا حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذى يضره، حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينُفره من الفعل الذى هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره... فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جلا الباطل وأبرزه فى صورة مستحسنة، وشنّع الحق وأخرجه فى صورة مستهجنة! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روّج من الزغل على العارفين!

فهو الذى سحر العقول حتى ألقى أربابها فى الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك فى مهلك بعد مهلك، وزيّن لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات، مع الكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه ووضعهم ذلك فى قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [٢]، والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ فى قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم،

---

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٣٩ - ٤٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١٠٥).

والنفاق والإدهان فى دين الله فى قالب العقل المعيشى الذى يندرج به العبد بين الناس»[١].

وبهذا السبيل كاد إبليس اللعين آدم عليه السلام؛ إذ زيَّن له الأكل من الشجرة التى حرمها الله عليه، فما زال به يزعم له أن هذه شجرة الخلد، وأن الأكل منها يجعله خالدًا فى الجنة، أو مَلَكًا من الملائكة، حتى أطاعه، فخرج من الجنة.

وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل فى إضلال العباد.

*** تسمية المعاصى بأسماء محببة:**

ومن صور هذا التزيين تسمية الفواحش والمعاصى بأسماء محببة إلى النفوس لكى يخفى خُبثها وفُحشها، فهو الذى سمى الشجرة بشجرة الخلد ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد ورَّث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التى تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر بأم الأفراح..[٣].

فهم الذين يسمون الربا بالفائدة، ويسمون التبرج الفاضح بحرية المرأة، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن، ويسمون المغنية الفاسقة الفاجرة فنانة، ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفن... كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلى فُحشهم وخبثهم.

*** تسمية الطاعات بأسماء مُنفرة:**

إن الحق تكون عليه مسحة من نور، وتعلوه إشراقة ووضاءة، فلو ظل

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ١٣٠

(٢) سورة طه: الآية: (١٢٠).

(٣) إغاثة اللهفان: (١/ ١١٢).

كما هو دون تشويه أو تقبيح لتهافتت إليه النفوس، وصغت إليه الأسماع، وركنت إليه القلوب، ولذا كان دور الشيطان الأول هو تقبيح صورة الحق، وتشويهها، وتسميته بأسماء منفرة.

فهو الذى أوحى إلى أوليائه من الكفار من قوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١).

وهو الذى أوحى إلى أوليائه من كفار مدين أن يقولوا للناس: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (٢).

وهو الذى أوحى إلى أوليائه من كفار قوم فرعون بتسمية موسى وهارون ساحرين: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ (٣).

وهو الذى أوحى إلى أوليائه من كفار قريش بتسمية رسول الله ﷺ بالساحر، والكاهن، والشاعر، والمسحور، والمجنون، وغيرها من الأسماء المنفرة: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ (٤) ولكن الله تبارك وتعالى نفى كل ما نُسب إلى رسول الله ﷺ من زور وبهتان، فقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ (٥).

وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

وهو الذى أوحى إلى أوليائه من كفار قريش بتسمية أتباع النبى

(١) سورة الأعراف: الآية: (٦٦).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٠).
(٣) سورة طه: الآية: (٦٣).
(٤) سورة الفرقان: الآية: (٨).
(٥) سورة الطور: الآية: (٢٩).
(٦) سورة الحاقة: الآيات: (٤١- ٤٣).

بالصابئين، وما زال الشيطان يسير فى نفس الخطة وبتلك الوسائل حتى زماننا هذا.

فهو الذى أوحى إلى أوليائه بتسمية المتمسكين بهدى النبى ﷺ، والمستنين بسنته ظاهراً وباطنًا بالمتطرفين والمتعصبين.

كما يسمون البعد عن المعاصى ودور الفسق والفجور انغلاقًا، ويسمون الحجاب الشرعى خيمة، ويسمون المرأة التى التزمت بأمر ربها وجلست فى بيتها رجعية ومتخلفة، كل ذلك من وحى الشيطان إليهم[1].

*** الإفراط والتفريط:**

يقول ابن القيم فى هذه المسألة: «وما أمر الله - عز وجل - بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالى بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتى إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة، فثبّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتوانى والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجدًّا، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسوّل له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغى لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا وأن لا تفطر إذا أفطروا وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات، فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة، فاغتسل أنت لها ونحو ذلك من الإفراط والتعدى، فيحمله على الغلو والمجاوزة، وتعدى الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه.

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بألا يقربه ولا

---

(١) وقاية الإنسان (١٤٧ - ١٤٨) بتصرف.

يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجى من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان وقوة على محاربته، ولزوم الوسط.. والله المستعان»[1].

*** تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:**

وله في ذلك أساليب وطرق، ففى الصحيحين عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: **«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - القافية: مؤخر الرأس -، إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله، انحلَّت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة، فإن صلى، انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»**[2].

وفى البخارى ومسلم: **«إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ، فليستنثر ثلاثًا، فإن الشيطان يبيت على خيشومه»**[3].

وفى الصحيحين: أن الرسول ﷺ ذكر عنده رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: **«ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه»**[4].

وهذا الذى ذكرناه تكسيل وتثبيط من الشيطان بفعله، وقد يثبط الإنسان بالوسوسة، وسبيله فى ذلك أن يحبب للإنسان الكسل، ويُسَوِّف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل،... يقول ابن الجوزى فى هذا: «كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه، ويقول: لا تعجل وتمهل النظر، فيسوفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصى بالتوبة، فيعجل له غرضه من الشهوات، ويمنيه الإنابة، وكم من عازم على

---

(١) الوابل الصيب: ص ١٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٨) كتاب الطهارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

الجد سوَّفه! وكم ساعٍ إلى مقام فضيلة ثبَّطه! فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه، فقال: استرح ساعة، أو انتبه العابد فى الليل يصلى، فقال له: عليك وقت، ولا يزال يحبب الكسل، ويسوف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل.

فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم، والحزم تدارك الوقت، وترك التسويف، والإعراض عن الأمل، فإن المخوف لا يؤمن، والفوات لا يبعث، وسبب كل تقصير، أو ميل إلى شر طول الأمل.

وقال بعض السلف: أنذركم (سوف)، فإنها أكبر جنود إبليس، ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل، كمثل قوم فى سفر، فدخلوا قرية، فمضى الحازم، فاشترى ما يصلح لتمام سفره، وجلس متأهبًا للرحيل، وقال المفرط: سأتأهب فربما أقمنا شهرًا، فضرب بوق الرحيل فى الحال، فاغتبط المحترز (المتوقى الحازم) وتحيَّر الأسِفُ المفرط.

فهذا مثل الناس فى الدنيا، منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة.

*** الوعد والتمنية:**

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة، ويعللهم بالأمانى المعسولة؛ كى يوقعهم فى وهدة الضلال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾[١].

يعد الكفرة فى قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم، ويولى هاربًا: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ ﴾[٢].

(١) سورة النساء: الآية: (١٢٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٤٨).

ويعد الأغنياء الكفرة بالثروة والمال فى الآخرة بعد الدنيا، فيقول قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[1] ، فيدمر الله جنته فى الدنيا، فيعلم أنه كان مغرورًا مخدوعًا.

ويشغل الإنسان بالأمانى المعسولة، التى لا وجود لها فى واقع الحياة، فيصده عن العمل الجاد المثمر، ويرضى بالتخيل والتمنى، وهو لا يفعل شيئًا.

*** إظهار النصح للإنسان:**

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية، يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[2] .

وقد روى وهب بن منبه هذه القصة الطريفة عن أهل الكتاب[3] ، نسوقها لنعلم أسلوبًا من أساليب الشيطان فى إضلاله العباد، وكى نحذر نُصحه، ونخالفه فيما يدعونا إليه.

يقول وهب: «إن عابدًا كان فى بنى إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة، لهم أخت، وكانت بكرًا، ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم - أى للجهاد - فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنونه عليها، ولا عند من يضعونها.

قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل، وكان ثقة فى أنفسهم، فأتوه فسألوه على أن يخلفوها عنده، فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك عليهم، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم. فقال: أنزلوها فى بيت حذاء

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٣٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٢١).

(٣) هذه القصة وأمثالها من الإسرائيليات لا تُصدَّق ولا تُكذَّب، ويجوز التحديث بها يقول الرسول ﷺ: «وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

صومعتى. فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها. فمكثت فى جوار ذلك العابد زمنًا ينزل إليها بالطعام من صومعته، فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة، ثم يأمرها فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يُرغبه فى الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجرًا. قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، ووضعه على باب بيتها، ولم يكلمها.

قال: فلبث على هذه الحال زمانًا، ثم جاءه إبليس فرغَّبه فى الخير والأجر وحضَّه عليه، وقال: لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك، فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام، ثم وضعه فى بيتها، فلبث على ذلك زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حدثها زمانًا يطلع إليها من فوق صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هى على باب بيتها، فتحدثك كان آنس لها.

فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، فلبثا زمانًا يتحدثان.

ثم جاءه إبليس فرغبه فى الأجر والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبًا من بيتها، فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى فعل. فلبثا زمانًا على ذلك.

ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها، ولم تتركها تُبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها،

نهارها كله، فإذا مضى النهار صعد صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبّلها، فلم يزل به إبليس يحسنها فى عينه، ويسول له حتى وقع عليها، فأحبلها فولدت له غلامًا، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء إخوة الجارية، وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل.

فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، خذها واذبحها، وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها، وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة، وسوّى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاؤوا فسألوه عنها، فنعاها لهم، وترحّم عليها وبكاها، وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم، وترحموا عليها، فأقاموا على قبرها أيامًا، ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جنّ عليهم الليل، وأخذوا مضاجعهم، جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها فأكذبه الشيطان.

وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلامًا، فذبحه وذبحها معه فزعًا منكم، وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعًا، وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم، أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل

بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت الليلة عجبًا، فأخبر بعضهم بعضًا بما رأى.

فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم: والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان، فأنظر فيه. قال: فانطلقوا جميعًا حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب، وبحثوا الموضع الذى وُصف لهم فى منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما، فاستَعْدَوا عليه مَلِكهم، فأُنزل من صومعته، وقُدِّم ليصلَب.

فلما أوثقوه على الخشبة، أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة، حتى أحبلتها، وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتنى اليوم، وكفرت بالله الذى خلقك وصوَّرك، خلصتك مما أنت فيه، فكفر العابد، فلما كفر بالله تعالى، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه»[1].

وهذه القصة يذكرها المفسرون عند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾[2]، ويذكرون أن المعنىّ بالإنسان هذا العابد وأمثاله. والله أعلم.

*** التدرج فى الإضلال:**

ومن القصة السابقة نعلم أسلوبًا من أساليب الشيطان فى الإضلال، وهو أن يسير بالإنسان خطوة خطوة، لا يكلّ ولا يملّ، كلما روَّضه على معصية ما قاده إلى معصية أكبر منها، حتى يوصله إلى المعصية الكبرى، فيوبقه

---

(١) تلبيس إبليس: ص ٣٩.

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٦).

ويهلكه، وتلك سنة الله فى عباده، أنهم إذا زاغوا سلط عليهم الشيطان، وأزاغ قلوبهم: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (١).

*** إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:**

ومن ذلك ما فعله بآدم، فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (٢)، وقال صاحب موسى لموسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ (٣).

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو واحد من أصحابه فى المجالس التى يُستهزأ فيها بآيات الله، ولكن الشيطان قد يُنسى الإنسان أمر ربه، فيجالس هؤلاء المستهزئين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

وطلب نبى الله يوسف إلى السجين الذى ظن بأنه سينجو من القتل، ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه، فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبى الله يوسف، فمكث يوسف فى السجن بضع سنين: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٥).

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكنًا كليًا، فإنه يُنسيه الله بالكلية: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦)، وهؤلاء هم المنافقون، كما دلت عليه الآية

(١) سورة الصف: الآية: (٥).
(٢) سورة طه: الآية: (١١٥).
(٣) سورة الكهف: الآية: (٦٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (٦٨).
(٥) سورة يوسف: الآية: (٤٢).
(٦) سورة المجادلة: الآية: (١٩).

السابقة لهذه الآية. وسبيل التذكر هو ذكر الله؛ لأنه يطرد الشيطان: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (١).

*** تخويف المؤمنين أولياءه:**

ومن وسائله أن يُخوِّف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا سبحانه عن هذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

والمعنى: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: «يُعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فكلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم».

*** دخوله إلى النفس من الباب الذى تحبه وتهواه:**

يقول ابن القيم فى هذا الموضوع: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الإنس، إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا أن يدخلوا عليهم من الباب الذى يحبونه ويهوونه فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره، فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود» (٣).

ومن ههنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٤).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٥).

(٣) إغاثة اللهفان: ١/ ١٣٢ .

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٢٠).

يقول ابن القيم: «فشام عـدو الله الأبوين، فأحس منهما إيـناسًا وركونًا إلى الخلد فى تلك الدار فى النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (١) .

*** إلقاء الشبهات:**

ومن أساليبه فى إضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقيه من شكوك وشبهات، وقد حذرنا الرسول ﷺ من بعض هذه الشبهات التى يلقيها، ففى حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»**(٢).

ولم يسلم الصحابة - رضوان الله عليهم - من شبهاته وشكوكه، وجاء بعضهم إلى الرسول ﷺ يشكون ما يعانونه من شكوكه ووساوسه.

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبى ﷺ فسألوه: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: **«أوَ قد وجدتموه؟»** قالوا: نعم. قال: **«ذلك صريح الإيمان»**(٣).

وصريح الإيمان دفعهم وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها، وقد سُئل الرسول ﷺ عن الوسوسة فقال: **«تلك محض الإيمان»**(٤).

*** الخمر والميسر والأنصاب والأزلام:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٣٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٣٣) كتاب الإيمان.

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] .

والخمر: كل ما يُسكر، والميسر: القمار، والأنصاب: كل ما نُصب كى يُعبد من دون الله، من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر، أو علم.

والأزلام: القداح كانوا يستقسمون بها الأمور؛ أى: يطلبون بها علم ما قُسم لهم.

وهذه قد تكون أقداحًا أو سهامًا أو حصيات أو غير ذلك، يكون مكتوبًا على واحد منها أمرنى ربى، وعلى الآخر نهانى ربى، فإذا شاء أحدهم زواجًا أو سفرًا أو نحو ذلك أدخل يده فى الشىء الذى فيه هذه القداح أو السهام، فإن خرج الذى فيه الأمر بالفعل فعل، وإن خرج الآخر ترك.

فالشيطان يحض الناس على هذه الأربع؛ لأنها ضلال فى نفسها، وتؤدى إلى نتائج وخيمة، وآثار سيئة، فالخمر تُفقد شاربها عقله، فإذا فقد عقله فعل الموبقات، وارتكب المحرمات، وترك الطاعات، وآذى عباد الله.

ذكر ابن كثير فى تفسيره عن عثمان بن عفان قال: «اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة، فدخل معها، فطفقت كلما دخل بابًا تغلقه دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة، عندها غلام، وباطية خمر.

فقالت: إنى والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علىَّ، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر، فسقته كأسًا فقال: زيدونى، فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس، فإنها لا تجتمع هى والإيمان أبدًا إلا أوشك أحدهما أن يُخرج صاحبه»[2].

---

(١) سورة المائدة: الآيتان: (٩٠- ٩١).

(٢) رواه البيهقى، وصحح ابن كثير إسناده.

منثور: روى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والنحاس فى ناسخه، عن سعد بن أبى وقاص: أن رجلاً من الأنصار صنع طعامًا لبعض الصحابة، ثم سقاهم خمرًا قبل أن ينزل تحريمها، فلما سكروا تفاخروا، فتعاركوا، وأصاب سعد بن أبى وقاص من هذا العراك أذى، فقد ضربه أحدهم بلحى بعير، فأصاب أنفه، فأثّر فيه أثرًا صاحبه طيلة حياته[1].

وتقدم أحدُ الصحابة يصلى بالناس وهو سكران، قبل نزول تحريم الخمر فقرأ: «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» فأنزل الله: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [2][3].

وقد رأينا الرجل الذى بلغ من الكبر عتيًا عندما يشرب الخمر يتصرف تصرفات المجانين، ويضحك منه الكبار والصغار ويفترش الطريق تدوسه الناس بأقدامها.

والميسر مرض خطير كالخمر، إذا تأصل فى نفس الإنسان صعب الشفاء منه، وهو سبيل لضياع الوقت والمال.... والميسر يُنشئ الأحقاد، ويدفع إلى الحرام.

والشيطان يدعو إلى إقامة النُّصُب كى تُتخذ بعد ذلك آلهة تُعبد من دون الله، وقد انتشرت عبادة الأنصاب قديمًا وحديثًا، والشياطين تلازم هذه الأصنام، وتخاطب عُبَّادها فى بعض الأحيان، وتريهم بعض الأمور التى تجعل عابديها يثقون بها، فيقصدونها بالحاجات، ويدعونها فى الكربات، ويستنصرون بها فى الحروب، ويقدمون لها الذبائح والهدايا، ويرقصون حولها ويطربون، ويقيمون لها الأعياد والاحتفالات، وقد أضل بهذا الكثير،

---

(١) راجع: الدر المنثور، للسيوطى: ٣/ ١٥٨ .

(٢) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٣) راجع روايات الحديث فى الدر المنثور ٧/ ٥٤٥ .

كما قال إبراهيم داعيًا ربه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[1].

ولا تزال عبادة القبور منتشرة بين المسلمين، يقصدونها بالدعاء والألطاف والذبائح.

*** الاستقسام بالأزلام:**

الأمور المستقبلية من مكنون علم الله، ولذلك شرع لنا الرسول ﷺ الاستخارة إذا أردنا سفرًا أو زواجًا أو غير ذلك، نرجو من الله أن يختار لنا خير الأمور.

وأبطل الاستقسام بالأزلام، فإن السهام والقداح لا تعلم أين الخير ولا تدريه، فاستشارتها خلل في العقل، وقصور في العلم.

ومثل ذلك زجر الطير: كان من يريد سفرًا، إذا خرج من بيته، ومرَّ بطائر زجره، فإن تيامن، كان سفرًا ميمونًا، وإن مر عن شماله، كان سفرًا مشؤومًا.. وكل ذلك من الضلال.

*** السحر:**

ومما يضل به الشيطان أبناء آدم السحر، فهم يعلمونهم هذا العلم، الذى يضر ولا ينفع ويكون هذا العلم سبيلاً للتفريق بين المرء وزوجه، والتفريق بين الزوجين: يَعُدُّه الشيطان من أعظم الأعمال التى يقوم بها جنوده كما سبق أن ذكرنا.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٣٥- ٣٦).

بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

*** ضعف الإنسان:**

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة، هي في الحقيقة أمراض، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية، ومن هذه الأمراض: الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسَّفَه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللدد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدنيا.

فالإسلام يدعو إلى إصلاح النفس، والتخلص من أمراضها، وهذا يحتاج إلى جهد يُبذل، كما يحتاج إلى صبر على مشقات الطريق.

ونحن نسوق إليك بعض كلام السلف؛ لنوضح كيف يستغل الشيطان نقاط الضعف في الإنسان:

حكى المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه قال: «ذُكر لي أن الشيطان الوسواس ينبعث في قلب ابن آدم عند الحزن والفرح، فإذا ذكر الله خنس»(٢).

وقال وهب بن منبه: «قال راهب للشيطان وقد بدا له: أي أخلاق ابن آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة (صفة تعترى الإنسان كالغضب)، إن العبد إذا كان حديدًا، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة»(٣).

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٢٣.

(٣) تلبيس إبليس: ص٤٢ .

ويذكر ابن الجوزى أيضًا عن ابن عمر: «أن نوحًا سأل الشيطان عن الخصال التى يهلك بها الناس، فقال: الحسد والحرص».

وليس بعيداً عنا ما فعله الشيطان بيوسف وإخوته، وكيف أوغر صدور الإخوة على أخيهم، وقد قال يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (١).

*** النساء وحب الدنيا:**

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء، ولذلك أُمرت المرأة بستر جسدها وأُمر الرجال بغضِّ أبصارهم ونهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة، وأخبر أنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، وفى سنن الترمذى بإسناد صحيح: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(٢).

ونحن اليوم نشاهد عظم فتنة خروج النساء كما وصفهم الرسول ﷺ كاسيات عاريات.... قامت مؤسسات فى الشرق والغرب تستخدم جيوشًا من النساء والرجال لترويج الفاحشة بالصورة المرئية، والقصة الخليعة، والأفلام التى تحكى الفاحشة وتدعو لها!.

أما حب الدنيا فهو رأس كل خطيئة، وما سُفكت الدماء، وهُتكت الأعراض، وغُصبت الأموال، وقُطعت الأرحام،.... إلا لأجل حيازة الدنيا، والصراع على حطامها الفانى، وحرصًا على مُتعها الزائلة.

*** الغناء والموسيقا:**

الغناء والموسيقا طريقان يفسد الشيطان بهما القلوب، ويخرب النفوس؛ يقول ابن القيم: «ومن مكايد عدو الله ومصايده التى كاد بها مَن قلَّ نصيبه

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٣) كتاب الرضاع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٩٠).

من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذى يصد القلوب بها عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسَّنه لها مكرًا وغرورًا، وأوحى لها الشُّبَه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجورًا. . .» [1].

*** تهاون المسلمين فى تحقيق ما أُمروا به:**

إذا التزم المسلم بإسلامه فإن الشيطان لا يجد سبيلاً لإضلاله والعبث به، فإذا تهاون وتكاسل فى بعض الأمور، فإن الشيطان يجد فرصة،. . . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [2].

فالدخول فى الإسلام فى كل الأمور هو الذى يخلص من الشيطان، فمثلا إذا كانت صفوف المصلين مرصوصة فإن الشياطين لا تستطيع أن تتخلل المصلين، فإذا تُركت فُرَجٌ بين الصفوف فإن الشياطين تتراقص بين صفوف المصلين؛ ففى الحديث: «**أقيموا صفوفكم، لا تتخللكم الشياطين كأنها أولاد الحذف**». قيل يا رسول الله: وما أولاد الحذف؟ قال: «**سودٌ جُرد بأرض اليمن**» [3].

وفى الحديث الآخر: «أقيموا صفوفكم، وتراصوا، فوالذى نفسى بيده، إنى لأرى الشياطين بين صفوفكم كأنها غنم عُفْر» [4].

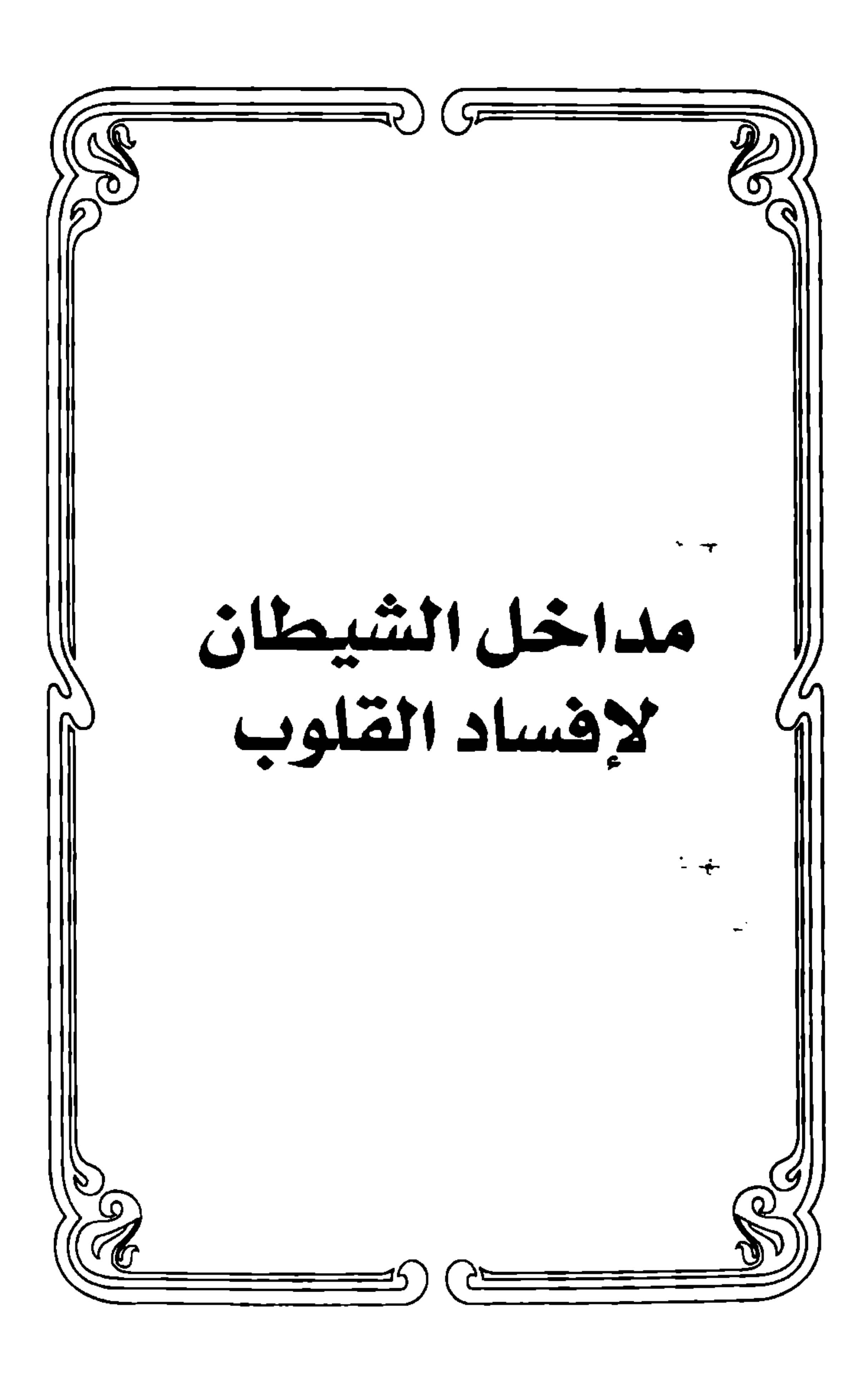
---

(١) إغاثة اللهفان: ١/ ٢٤٢ .

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨١٤٤) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٩٢).

(٤) صحيح: رواه الطيالسى (ص ٢٨٢ ، رقم ٢١٠٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٣٠٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٩٤).



مداخل الشيطان
لإفساد القلوب

مداخل الشيطان لإفساد القلوب[1]

١- الجهل:

وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان، ولا نبالغ إذا قلنا بأن كل مداخل الشيطان منه تبدأ، وعليه تعتمد وبه تقوى؛ لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدها، ولا مكائده فيبطلها، ولا شباكه فيتجنبها، فيجتذبه الشيطان بسهولة، ويتغلب عليه بأدنى حيلة.

كما أن الجاهل لا يعرف الخير من الشر، ولا السنة من البدعة، فربما أوقعه في الشر وهو يحسب أنه خير وربما أوقعه في البدعة وهو يظنها سنة، وبهذا يكون من الخاسرين: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [2]، والجهل يطمس القلب ويُعمى البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان غرضًا فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات، فيُرديه قتيل الهوى أسير الشهوة، فإذا وصل إلى تلك الغاية اتخذه الشيطان جندًا ينشر به الفساد في الأرض، ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير من حزب الشيطان: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [3].

ولذا قيل:

في الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسامهم قبل القبور قبورُ

---

(١) بتصرف من كتاب (وقاية الإنسان من الجن والشيطان) للشيخ وحيد بالي - حفظه الله -.

(٢) سورة الكهف: الآيتان: (١٠٣، ١٠٤).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١٩).

وإن امـرؤ لم يَـحى بالعـلم مـيت

فـليس له حـتى النشـور نشـورُ

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: أُغدُ عالمًا أو متعلمًـا أو مستمعًا أو محبًّا، ولا تكن الخامس فتهلك.

فإن وجـد من الجاهل رغبة فى العلم، قـال له: إن تعلمت العلم ولم تعمل به كـان حُجـة عليك، فأجمـل بك أن لا تتعلمه لكى تـخف مؤنتك ويقوى عذرك، وما علم المسكين أن العلم هو الذى يكشف عنه تلك الظلم، ويزيح عنه تلك المحن، فهو المرشد والمعين.

كما قال أحد العلماء: طلبنا العلم لغير الله، فأبى العلم أن يكون إلا لله.

٢- الغضب:

الغضـب من مداخل الشيطان الكبرى ومكائده العظمى؛ لأن الشيطان يلعب بالغضبان كما يلعب الأطفال بالكرة، والمشاهدة أكبر دليل على ذلك.

يقول أبو حامد الغزالى رحمه الله: يتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستوى على معادن الفكر، وربما يتعـدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حـتى لا يرى بها، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دمـاغه مثل الكهف الذى اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمى مسـتقره وامتلأت بالدخان جوانبه، وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلوب فيموت صاحبه غيظًا.

ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر: تغير اللون وشـدة ارتعاد الأطراف، وخروج الأفعـال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحـركة والكلام حتى يظـهر الزَّبدَ على الأشداق وتحمر الأحداق، وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان فى حالة غضـبه قُبح صورته لسكن غـضبه حياءً من قـبح صورته واستحـالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، هذا أثره فى الجسد.

وأما أثره فى اللسان: فانطلاقه بالشتم والفـحش من الكلام الذى يستحى

منه ذو العقل، ويستحى منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء: فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه، أو فاته بسبب، وعجز عن التشفِّي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوبه، ولطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض، وقد يضرب الجمادات ويتعاطى أفعال المجانين.

أما أثره فى القلب مع المغضوب عليه: فالحقد، والحسد، وإضمار السوء، والشماتة بالمساءة، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر وهتك الستر، والاستهزاء وغير ذلك من القبائح. اهـ ملخصًا[1].

فالقوة الحقيقية هى التحكم فى النفس عند الغضب، فلا ينطق بسوء ولا يتلفظ بفحش، ولا يُمضى غيظه، كما قال النبى ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبى أوصنى؟ قال: «لا تغضب» فردَّد مرارًا قال: «لا تغضب»[3]. رواه البخارى وزاد أحمد فى رواية: قال الرجل: ففكرت حين قال النبى ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[4].

قال على بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول، فقال عمر: أردت أن يستفزنى الشيطان لعزة السلطان؛ فأنال منك اليوم ما تناله منى غدًا، انصرف رحمك الله[5].

(١) «الإحياء» (٦٤٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٦١١٦) كتاب الأدب.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢٢٦٦٠) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٦).

(٥) أدب الدنيا والدين (٢٣٣).

تسكين الغضب:

فإذا غـضب فعليـه أن يُـسكِّن غضـبه، ويهدئ من ثورتـه، وذلك بعدة أمور:

الأول: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. فعن سليمان بن صرد ﷺ قال: استبَّ رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما يغضب، ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبى ﷺ فقال: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، فقام إلى الرجل ممن سمع النبى ﷺ فقال: هل تدرى ما قال رسول الله ﷺ آنفًا؟ قال: لا. قال: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، فقال الرجل: أمجنون ترانى؟![1].

الثانى: أن يتذكر ثواب كظم الغيظ وأجره العظيم، فيكظم غيظه رغبة فيما عند الله تعالى، فعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق حتى يُخيره الله من الحور العين ما شاء**»[2].

الثالث: أن يسكت؛ لأنه يكون أقرب إلى الخطأ فى هذه الحالة، فالسكوت أسلم كما قيل:

إذا نطق السفيه فلا تُجبه
فخيرٌ من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظن أنى
عييت عن الجواب وما عييتُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦١٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٢١) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥٢١٠) مسند المكيين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٨).

الرابع: أن يجلس، أو يضطجع، . . . لما رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، عن أبي ذر مرفوعًا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»[1].

الخامس: أن يتفكر في قُبح منظره عند الغضب، فإن هذا مما يُسكِّنه.

السادس: أن يتذكر جزاء الصفح وثوابه عند الله تعالى، فيدفعه ذلك إلى تحمل جهل الجاهل وسفه السفيه، ابتغاء مرضات الله، وما عنده من الثواب العظيم.

قال تعالى في صفة المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. فالمسلم عندما يكظم غيظه يضع نفسه في عداد المتقين، فإذا عفا وسامح ارتفع إلى درجة المحسنين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم[4].

وروي عن الحسن البصري أنه قال: من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وصبر في شدة، ولا يغلبه الغضب، ولا تجمح به الحمية، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقتصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف، ولا يقتر، يغفر إذا ظُلم،

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٨٢) كتاب الأدب، وأحمد (٢٠٨٤١) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٩٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٩٦).

(٤) رواه البخاري كتاب التفسير سورة فصلت.

ويعفو عن الجاهل، نفسه منه فى عناء، والناس منه فى رخاء.

السابع: أن يترفع بنفسه عن السباب، والقذف، واللعن، والشتم؛ لأن ذلك من صفات السفيه.

كما روى عن سلمان: أنه قال: لما شتمه رجل: إن خفَّت موازينى فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول.

وروى أن رجلاً سبَّ أبا بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر: ما ستر الله عنك أكثر.

وروى أن امرأة قالت: لمالك بن دينار: يا مرائى، فقال: ما عرفنى غيرك.

وروى عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عادانى أحد قط إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث: إن كان أعلى منى عرفت له قدره، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه، وإن كان نظيرى تفضلت عليه.

فأخذه الخليل فنظمه شعرًا:

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه إلىَّ الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذى فوقى فأعرف قدره
وأتبع فى الحق والحق لازم

وأما الذى دونى فأحلم دائبًا
أصون به عرضى وإن لام لائم

وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا
تفضلت، إن الفضل بالفخر حاكم

واعلم أن الغضب نوعان: إما أن يكون الغضب للنفس وهذا مذموم، وقد تقدم بيانه، وإما أن يكون لله وهذا محمود، بل مندوب، فقد كان النبي ﷺ وهو الرؤوف الرحيم إذا ما رأى مخالفة شرعية غضب، واحمرّ وجهه ولم يسكت حتى يغيرها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وفي بيتي قرام - أي ستر فيه صورة-، فتلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: «من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»(١).

ورأى رسول الله ﷺ في قبلة المسجد نخامة فحكّها بيده وتغيظ وقال: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة، فإن الله حيال وجهه، فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة»(٢)، ومن هنا يتبين لنا أن رسول الله ﷺ كان يغضب إذا انتُهكت حرمات الله.

٣- حب الدنيا:

لقد زين الشيطان الدنيا وزخرفها في قلوب كثير من الناس، فركنوا إليها واطمأنوا بها، بل وعضّوا عليها بنواجذهم، ونشبوا فيها أظفارهم ففيها يعادون، وعليها يتنافسون، ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون، ونفذ فيهم إبليس خطته حيث قال: ﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٣)، ويا أسفاه لقد اتبعوه وأطاعوه، إلا من اعتصم بالله ولجأ إليه، ورمى الدنيا خلف ظهره ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤)،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٠٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٠٧) كتاب اللباس والزينة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١١) كتاب الأدب، ومسلم (٥٤٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة الحجر: الآية: (٣٩).

(٤) سورة سبأ: الآية: (٢٠).

ولو عرف الناس حقيقة الدنيا ما أقاموا لها وزنًا، ولا جعلوا لها فى قلوبهم مكانًا، ولا على ألسنتهم ذكرًا، والله خالقها قد بيَّن حقيقتها فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1] .

فالحياة لعب ولهو وزينة، والعاقل من جعلها مزرعة للآخرة، ولذلك نادانا الله تعالى بعد هذه الآية قائلاً: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2] ، وكما حذرنا الله من الدنيا، حذرنا منها رسول الله ﷺ أيضًا.

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»[3] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو مُتعلم»[4] .

وعن عمرو بن عوف الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[5] .

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠١٥) كتاب المغازى، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

٤- طول الأمل:

فإن العبد إذا طال أمله سوَّف فى عمله، وعمَّر دنياه، وخرب أُخراه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال قلب الكبير شابًّا فى اثنتين: فى حب الدنيا، وطول الأمل»(١).

قال على بن أبى طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل (٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(٣).

ففى هذا الحديث بيَّن لنا رسول الله ﷺ أن المسلم فى الدنيا غريب عن وطنه الأصلى ألا وهو الجنة التى أُخرج أبوه آدم منها، فلابد أن يجتهد ليعود إليه.

٥- الحرص:

والحرص مفسدة للدين أى مفسدة؟! فعن كعب بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»(٤).

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٢٠) كتاب الرقاق، واللفظ له، ومسلم (١٠٤٦) كتاب الزكاة.

(٢) فتح البارى (١١/ ٢٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٦) كتاب الزهد، والدارمى (٢٧٣٠) كتاب الرقاق، وأحمد (١٥٣٥٧) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٢٠).

لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى المال»[١] .

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[٢] .

قال القرطبى[٣]: معنى الحديث أن الغنى النافع أوالعظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفَّت عن المطامع فعزَّت، وعظمت، وحصل لها من الحظوة، والنزاهة، والشرف، والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس؛ لحرصه فإنه يورطه فى رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبُخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزقه الله ولا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح فى الطلب ولا يلحف فى السؤال بل يرضى بما قسم الله له. . . . والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطى، بل هو أبدًا فى طلب الازدياد من أى وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطى، فكأنه ليس بغنى. . . ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره، علمًا بأن الذى عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة

فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرًا

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٠١٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤٦) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥١) كتاب الزكاة.

(٣) القرطبى هذا هو صاحب المفهم فى «شرح صحيح مسلم» وهو شيخ القرطبى صاحب التفسير.

٦- البخل:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فالشيطان يخوف الإنسان من الفقر لكى لا ينفق مما فى يده فى سبيل الله، ويخيل إليه أنه إذا أنفق افتقر واحتاج، ولكن الله يُطمئن كل مؤمن موقن، بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ مبينًا أن فضل الله لا منتهى له، ورزق الله لا حَدَّ له، وخزائنه ملأى لا تنفد أبدًا.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يُؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان؛ يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك» ثم تلا النبى ﷺ هذه الآية: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2][3].

ولقد بيَّن الله تبارك وتعالى أن الفوز والفلاح فى ترك البخل والشح فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٤٠٣) كتاب الزكاة.

(٤) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

٧- الكبر:

الكبر من مداخل الشيطان، وبه يستذل الإنسان، ويحمله على رد الحق، والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ولا حقيقة ربه؛ لأنه لو عرف نفسه حق المعرفة لعلم أنه كان نطفة تشمئز منها النفس، ثم علقة ثم مضغة ثم كان مولودًا صغيرًا ضعيفًا. . . . فعلام التكبر؟!.

لما كان الكبر داءً مُهلكًا، حذر الله تعالى منه فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (١) ، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (٢) .

وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٣)، وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٤)، والآيات فى ذلك كثيرة.

وحذر النبى ﷺ من الكبر أيضًا، وبيَّن أن عاقبته وخيمة فقال: **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»**(٥).

وقال النبى ﷺ: «قال الله تعالى: العز إزارى، والكبرياء ردائى، فمن نازعنى شيئًا منهما عذبته»(٦).

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟! كل عُتل جواظ مستكبر»(٧). والعتل هو: الغليظ الجافى، والجواظ: هو الضخم المختال فى مشيته.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٤٦).

(٤) سورة غافر: الآية: (٣٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وعن أبى سعيد ﷺ عن النبى ﷺ قال: «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: يدخلنى الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها»[1].

٨- حب المدح:

اعلم أخى المسلم أنك إذا أحببت المدح فقد دخل عليك الشيطان من باب العُجب وهو داء مهلك، هذا إن كنت تُمدح بما فيك.

ويمكن التخلص منه بأن تتذكر عيوبك وذنوبك، فما من إنسان إلا وله عيوب خفية، كما قال أحد الصالحين لرجل مدحه: لو أن للذنوب ريحًا ما استطاع أحد أن يقترب منى.

أما إذا كان المدح بما ليس فيك فالفرح بذلك جنون.

واعلم أن للمدح آفات كثيرة منها: أنه يُحدث كبرًا واعجابًا فى الممدوح، وهذا مهلك للممدوح، .... فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: سمع النبى ﷺ رجلا يثنى على رجل ويطريه فى المدحة فقال: «أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل»[2].

فقد بيّن النبى ﷺ أن المدح مهلكة.

ومن آفات المدح: أنه يعمى الممدوح عن عيوبه، فلا يشمر للتفتيش عنها.

ومن آفاته أيضًا: أن الممدوح يظن: بنفسه خيرًا، فلا يجتهد فى الإكثار من الطاعات، ولذلك يقول زياد بن أبى مسلم: ما من أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٦) كتاب التوحيد، ومسلم (٧٤٤٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٦٣) كتاب الشهادات، ومسلم (٣٠٠١) كتاب الزهد والرقائق.

وقال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكَّن الشيطان من أن يدخل فى باطنه.

٩- الرياء:

إن الرياء باب فسيح من الأبواب التى يلج الشيطان منها إلى قلب الإنسان، ولذلك يجب على المسلم الذى يريد الله والدار الآخرة أن يمحص فى قلبه، فإن وجد فيه التفاتًا لغير الله سارع بعلاجه، وأن يفتش فى أعماله، فإن وجد فيها شبهة من رياء طهَّرها، ولما كان الرياء هو التفات القلب لغير الله وترك مراعاة الخالق مع مراعاة المخلوقين سُمِّى شركًا أصغر.

فقد قال النبى ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر»**، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **«الرياء، يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!»**(١).

وأنواع الرياء كثيرة: فمن الناس من يرائى بعلمه، ومنهم من يرائى بعبادته، وكذلك من يرائى بصدقته، ومثال ذلك:

ما رواه مسلم والنسائى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد فأُتى به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال: جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتى به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال هو قارئ فقد قيل: ثم**

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣١١٩) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٥٥).

أمر به فسُحب على وجهه؛ حتى أُلقى فى النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، حتى أُلقى فى النار»[1].

* ويمكن التخلص من الرياء بالأمور الآتية:

١- أن تعلم أن مدح الناس لا ينفعك إن كنت عند الله مذمومًا، وذمَّهم لا يضرك إن كنت عند الله محمودًا.

٢- أن تعلم أن المخلوق الضعيف الذى تطلب مدحه لا يملك لك ضرًا، ولا نفعًا، خاصة يوم فقرك الأكبر وحاجتك العظمى.

٣- أن تعلم أن الرياء يُحبط العمل، وربما حوَّله إلى كفة السيئات.

٤- إن كنت تخشى إطلاع الناس على خبث باطنك وسواد قلبك فى الدنيا، فالله تعالى يطلع على ذلك، وسيفضحك يوم القيامة أمام الجمع الأكبر وعلى رؤوس الأشهاد.

٥- إذا خطر عليك خاطر من الرياء فلتقم بمدافعته والتخلص منه، ثم الالتفات إلى الله بقلبك.

واعلم أن الشيطان يدعوك أولاً لترك العمل، فإن عجز دعاك إلى الرياء فيه، فإن وجد منك إخلاصًا قال لك هذا العمل ليس خالصًا وأنت مُراءٍ، وتعبك ضائع حتى يحملك على ترك العمل فانتبه - حفظك الله - ولا تطع الشيطان فإنه عدو مُضلٌ مُبين.

١٠- العجب:

العجب يختلف عن الكبر، فالكبر له ثلاثة أركان: متكبر، ومتكبر به، ومتكبر عليه، والعجب ليس له إلا ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

ولكن العجب هو الدرجة الأولى فى سلم الكبر، فنعوذ بالله منهما.

والعجب هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب أنواع: فمن الناس من يعجب بصحته وقوته وتناسب أعضائه وحسن صورته، فليعلم أن ذلك من نصيب الدود، وأن كل من عليها فان.

وقد قال سليمان عليه السلام: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تلد فارسًا يجاهد فى سبيل الله؛ ولم يقل إن شاء الله فلم تلد واحدة منهن، إلا واحدة ولدت نصف طفل، قال رسول الله ﷺ: «لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله»[(١)].

ومن الناس من يعجب بعقله وفطنته واستكشافه لبطائن الأمور الدينية والدنيوية، وثمرة هذا العجب أن تجده مستبدًا برأيه مستجهلاً لغيره مُعرضًا عن سماع آراء الآخرين.

فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض فى دماغه لَجُنَّ عقله، وطار لُبُّه، وذهب فكره، فليحمد الله على العافية وليشكره على النعمة.

ومن الناس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناجٍ لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسَّب من الحسن والحسين؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه، وأن النبى ﷺ نادى أقرب الناس إليه: «يا فاطمة: اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئًا»[(٢)].

ومن الناس من يعجب بكثرة أولاده وأهله وعشيرته، وهذا يكفيه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[(٣)]. فأى عجب بمن يتركك فى أشد أحوالك؛

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٢٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٥٤) كتاب الأيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥٣) كتاب الوصايا، ومسلم (٢٠٦) كتاب الإيمان.

(٣) سورة عبس: الآيات: (٣٤ - ٣٧).

ويهرب منك فى أحرج أوقاتك.

ومن الناس من يعجب بماله وغناه فليقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١) وقول رسول الله ﷺ : «بينما رجل يمشى فى حُلَة تعجبه نفسه مُرَّجل جُمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» (٢).

ومن الناس من يُعجب بعبادته، وهذا إنما أُوتى من جهله؛ لأنه لا يدرى أَقُبلت عبادته أم لا؟

وقال مسروق رحمه الله تعالى: كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعمله.

* قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله: من أراد أن يكسر العجب، فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى فإذا رأى التوفيق من الله تعالى، فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه.

والثانى: أن ينظر إلى النعماء التى أنعم الله بها عليه، فإذا نظر فى نعمائه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولم يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظر فى ذنوبه التى أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قَلَّ عجبه، وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدرى ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة؟! وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب. اهـ(٣).

---

(١) سورة فاطر: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٨٩) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٨٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) «تنبيه الغافلين» (٢٥٢).

١١- الجزع والهلع:

إن الجزع من مراكب الشيطان التى يحمل بها الإنسان فى بحار الخيالات، والأوهام، حتى يكبه فى محيط الحيرة والأحزان، أما المؤمن فإنه يركب مراكب الصبر، ويخوض بها فى بحار الرضا والتسليم، حتى يصل إلى محيط الفرج، وهناك سيجد بَر الأمان.

أما عن أسباب الجزع فيقول أبو الحسن الماوردى: منها تذكُّر المصاب حتى لا يتناساها، وتصوره حتى يعزب عنه، ولايجد من التذكار سلوة، ولا يخلط مع التصور تعزية، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لا تستفزوا الدموع بالتذكر».

ومنها: الأسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفًا، ولا يجد لمفقوده بدلاً، فيزداد بالأسف ولهًا، وبالحسرة هلعًا، ولذلك قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(١).

ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع، فقد قيل فى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾(٢)، إنه الصبر الذى لا شكوى فيه ولا بث.

ولما كان الجزع والهلع فطرة فى الإنسان بها خُلق وعليها جُبل، فقد أرشدنا الله إلى طريق التخلص منهما بقوله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٣).

(٢) سورة المعارج: الآية: (٥).

هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[1].

فمن اتصف بهذه الصفات التسع، فقد أخذ بأسباب التخلص من الجزع والهلع وهذه الصفات هي:

أولاً: الخشوع في الصلاة: وهو معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قاله عقبة بن عامر.

قال ابن كثير: ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد[2].

ثانيًا: أداء الزكاة المفروضة سامحة بها أنفسهم.

ثالثًا: التصديق الجازم بيوم القيامة، ذلك التصديق الدافع إلى العمل الصالح.

رابعًا: الخوف والإشفاق من عذاب الله، خوفًا يُبعد صاحبه عن كل ما يغضب الله، وكل ما يوجب عذابه وعقابه.

خامسًا: حفظ الفروج عن المحرمات.

سادسًا: حفظ الأمانات وأداؤها تامة غير منقوصة.

سابعًا: الوفاء بالعهد وعدم الغدر فيه.

ثامنًا: أداء الشهادات دون زيادة عليها أو نقصان منها أو كتمانها.

تاسعًا: المحافظة على الصلاة: مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شر ما في الرجل: شُحٌّ هالع، وجُبنٌ خالع»[3].

فإن تخلص الإنسان من الجزع والهلع فتح على نفسه باب الصبر والفرج

---

(١) سورة المعارج: الآيات: (١٩- ٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٥١١) كتاب الجهاد، وأحمد (٧٩٥٠) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٠٩).

ولذلك قال النبي ﷺ : «الصبر ضياء»[١] أى يضئ للإنسان فى ظلمات الحيرة ليرى الفرج قد اقترب والمحنة قد انكشفت والغمة قد انجلت.

١٢- اتباع الهوى:

إن الله تبارك وتعالى عندما ركَّب الهوى فى الإنسان خلق له عقلاً؛ ليكون عليه أميرًا وله قائدًا.

قال بعض الشعراء:

يا عاقلاً أردى الهوى عقله
مالك قد سُدَّت عليك الأمور
أتجعل العقل أسير الهوى
وإنما العقل عليه أمير

وقال بعض العلماء: ركَّب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركَّب البهائم من شهوة بلا عقل، وركَّب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم[٢].

وروى أن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب، فأهلكونى بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون.

وعن أبى برزة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم، ومُضلات الهوى»[٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ذكر الله عز وجل هوى فى القرآن إلا ذمَّه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٢) أدب الدنيا والدين (١٣، ١٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٩٢٧٣) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢).

قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ [(١)] ، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ [(٣)] . وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [(٤)] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [(٥)] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق[(٦)] .

* وللهوى مع العقل ثلاثة أحوال:

الأول: أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى تستولي عليه غلبة الهوى والشهوات، فيكل[(٧)] العقل عن دفاعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قُبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم، وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم.

وصاحب هذه الحالة أسير الهوى، فلا يفكر إلا بهواه، ولا يعادي إلا من أجله، ولا يصادق إلا من أجله، ولا يجتهد إلا لنيله، وربما ذلَّه الهوى واتخذه عبداً ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [(٨)] .

ومن تحكم فيه هواه قاده إلى الذل والهوان، والخيبة والخسران.

الحالة الثانية: أن تكون الحرب بينهما سجالاً، فمرة يجتذبه الهوى، ومرة يعود إلى رشده، فعلى صاحب هذه الحالة أن يُكثر من أصدقاء الخير

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٧٦).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).
(٣) سورة الروم: الآية: (٢٩).
(٤) سورة القصص: الآية: (٥٠).
(٥) سورة ص: الآية: (٢٦).
(٦) ادب الدنيا والدين (١٥)
(٧) الكَلُّ: الثقل، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ ﴾ .
(٨) سورة الفرقان: الآية: (٤٣).

الذين يُذكرونه إذا نسى، وينبهونه إذا غفل، ويرشدونه إذا جهل، وينشطونه إذا كسل، ويقوونه إذا ضعف، ويأخذون بيده إلى الطريق المستقيم وعليه أيضًا أن يلبس درع الحرب، ويشد عليه سلاحه وينزل ميدان النفس؛ ليجاهد جند الهوى.

قال الحسن البصرى رحمه الله: أفضل الجهاد: جهاد الهوى.

وقال المصطفى ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»(١).

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر فى مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس فى مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعضهم: خير الناس منِ أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه فى طاعة ربه، وعليه أن يستميت فى الجهاد؛ لأن الغنيمة ثمينة **«ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»**(٢).

الحالة الثالثة: أن يتغلب على الهوى فيكبته ويقهره، ويكبح جماحه، ويوجهه نحو الشرع فيه يستضئ، وعلى طريقه يسير، وبرسوله يقتدى، وهؤلاء هم المستقيمون الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا الذين تمثلوا قول النبى ﷺ: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**(٣).

وهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠ - ٤١).

ب- يقول سيد قطب رحمه الله: والذى يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشرى قاده خوف هذا المقام إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل فى دائرة الطاعة.

١٢- سوء الظن:

إن سوء الظن من الفخاخ التى يصطاد بها الشيطان قلوب العباد؛ لأن سوء الظن من عوامل تفكيك الجماعات، وإفساد العلاقات، وتقطيع أواصر المحبة، وفى هذا الجو المظلم يستطيع الشيطان أن يعمل عمله، وينفذ خطته، فيصطاد المسلمين واحداً تلو الآخر؛ لأنهم تفرقوا ولم يجتمعوا وتفككوا ولم يعتصموا وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ولذلك يجتهد الشيطان فى التفريق بين الأحبة، وتشتيت الصحبة، ولكن النبى الرحيم صلوات الله وسلامه عليه نبهنا إلى هذا المدخل الخبيث من مداخل اللعين فقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[1].

قال الحافظ: قال القرطبى: المراد بالظن هنا التهمة التى لا سبب لها، كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله: «ولا تجسسوا» وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد أن يتحقق فيتجسس، ويبحث ويستمع؛ فنهى عن ذلك وهذا الحديث يوافق قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾[2].

فدلّ سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة؛ لتقدم النهى عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان: أبحث لأتحقق، قيل له:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فإن قال: تحققت من غير تجسس، قيل له: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ا هـ[1].

قال القرطبي رحمه الله: الظن في الشريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان، والمظنون به عند بلوغه، والمذموم ضده، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وقوله: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [2].

قال: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة، وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاة، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهر بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث.... وعن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظنَّ به ظنَّ السوء»[3][4] اهـ.

١٤- احتقار المسلم:

إن احتقار المسلم والسخرية من أعظم الذنوب عند الله تعالى، ولذلك يقول النبي ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[5] حتى وإن وقع من المسلم شيء خارج عن الآداب الاجتماعية يجب أن يُلتمس له العذر.

فيجب أن يكون الاحترام والتقدير متبادلاً بين أفراد المجتمع المسلم، ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٨١).

(٢) سورة النور: الآية: (١٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٣٢).

(٤) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٥، رقم ٢٧٧٥٤)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٦، رقم ٦٧٠٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب.

مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [١].

توجيهات إلهية لصلاح المجتمع المسلم وتنقيته من شوائب الشحناء والبغضاء، لو تمسك بها أفراده لانتشر الحب بينهم، وغمرت السعادة قلوبهم.

يقول القرطبي: ينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبق في محادثته فلعله أخلص ضميرًا وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله، والاستهزاء بمن عظَّمه الله، ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك، أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزًا فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع.

وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول، ولو سخرت من كلب؛ لخشيت أن أُحَوَّل كلبًا. اهـ[٢].

هذا من ناحية العيوب الخلقية، أما من ناحية التفريط في أمر من أمور الدين فلا يوجب ذلك احتقاره والاستهزاء به والسخرية منه، ولكن تبغض عمله السيء وتدعوه إلى الإقلاع عنه بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٣].

يقول القرطبي رحمه الله: وهذا حديث عظيم يترتب عليه أن لا يقطع بعيب أحد لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفًا مذمومًا لا تصح معه تلك الأعمال.

(١) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب.

ولعل من رأينا عليه تفريطًا أو معصية، يعلم الله من قلبه وصفًا محمودًا يغفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنية، لا أدلة قطعية، ويترتب عليه عدم الغلو فى تعظيم من رأينا عليه أعمالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة، بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فإنه نظر دقيق، وبالله التوفيق. اهـ[1].

وما قاله القرطبى رحمه الله فى التفريق بين بغض الذنب وبغض المذنب دقيق فعلاً، قلما ينتبه إليه كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، ويؤيده قول النبى ﷺ : **«فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**[2].

ولكن ربما استشكل فهم هذا الحديث على البعض.

والمعنى والله أعلم: أن الرجل يُظهر الأعمال الصالحة للناس، وإن قلبه ملىء بالرياء والنفاق، فالظاهر للناس أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن الله يعلم ما خفى عنهم من خبث باطنه؛ ولذلك يختم له بعمل سئ، والأعمال بالخواتيم.

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار من الذنوب والمعاصى وغيرها، ثم يتوب توبة صادقة خالصة، ويبدأ مع الله عهدًا جديدًا مليئًا بالطاعات والقربات، فيقبل الله توبته؛ لعلمه بإخلاص نيته، وصفاء قلبه، ويختم له بعمل صالح، والأعمال بالخواتيم.

ويؤيد ذلك حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن

---

(١) تفسير القرطبى (١٦/ ٣٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٥٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

الزجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[١].

١٥- احتقار الذنوب:

ومن مداخل الشيطان أيضًا أنه يأتي للمسلم ويقول له: هذا ذنب صغير، هذا هيِّن حتى يوقعه فيه، فبالتهاون ارتُكبت كثير من الذنوب وانتهكت حرمات الله.

ولكن المسلم العاقل يحترز من الذنوب صغارها وكبارها؛ لأن اقتراف الصغيرة يجر إلى الكبيرة بل إن الصغائر إذا اجتمعت على الرجل أهلكته.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود وذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نُكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي ذكره الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣]»[٤].

بل إن التهاون بالذنوب من علامات ضعف الإيمان، لأن العبد كلما قوى إيمانه زاد خوفه، واشتد تحرزه من الذنوب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٠٢) كتاب المغازي، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٠٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٨٦).

(٣) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٠).

ففى صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق فى أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبى ﷺ من الموبقات.

قال البخارى رحمه الله: يعنى بذلك المهلكات[١][٢].

وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت. ولقد بلغ من شدة تحرز الصحابة وهم أقوى هذه الأمة إيمانًا، وأتقاها قلوبًا، أنهم كانوا يخافون النفاق على أنفسهم.

قال البخارى: وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[٣].

١٦- الأمن من مكر الله:

من الناس من يقيم على المعاصى، فإذا نصحته ردَّ عليك بقوله: «الله غفور رحيم» ولقد نسى هذا المسكين أن عذابه هو العذاب الأليم، فقد قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[٤].

فأنا غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، ولكن العاصين لهم عذاب أليم، فلا تغتر أيها العبد برحمة الله، ولا تأمن مكره ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥].

ومكر الله: استدراجه بالنعمة والصحة[٦].

والأمن من مكر الله يورث الغفلة... والغفلة تورث التهاون، وما أدراك ما التهاون؟! هو سلم الشيطان وسبب من أسباب الخسران.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٢) كتاب الرقاق.

(٢) فتح البارى (١١/ ٣٢٩).

(٣) رواه البخارى معلقًا. كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٤) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩ - ٥٠).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٩٩).

(٦) تفسير القرطبى (٧/ ٢٥٤).

فمن تهاون فى أمر من أوامر الله، جرَّه الشيطان إلى ما هو أكبر منه، وهكذا حتى يوقعه فى شباك المعاصى، فلابد للنفس من خوف يردعها عن المعاصى ويصدها عن المحارم، بل إن المؤمن كلما ازداد إيمانًا ازداد خوفًا وشفقة على نفسه، ولذلك حكى الله عز وجل عن المؤمنين فى الجنة قولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[(١)].

ولذلك يقول الحسن البصرى رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِلٌ خائف والفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» [(٣)].

ويقول النبى ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[(٤)].

١٧- القنوط من رحمة الله:

فإذا لم يستطع الشيطان أن يدخل للعبد من باب الأمن من مكر الله شدد عليه الأمر حتى ييأس ويقنط من رحمه الله، فيقول له: إن ذنوبك كثيرة وعظيمة لا يمكن أن تُغفر، ولا يمكن أن تدرك رحمة الله، فيظل خلف العبد حتى يقنط، فإذا قنط قال له: إذًا فتمتع من الدنيا بما تشاء قبل الموت ما دمت داخلاً النار لا محالة... بهذه الطريقة يستدرج العبد حتى ينطلق فى المعاصى والشهوات ليقضى نهمته منها.

---

(١) سورة الطور: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٢١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٣٥٩) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

فعلى العبد أن يسد هذا المدخل بتذكر رحمة الله التى وسعت كل شىء، فـالله يقبـل توبة الكافر إذا تـاب وأسلم، فكيف لا يقـبل توبة المسلم الذى أذنب؟

وقد قيل:

يا كثير الذنب: عفو الله من ذنبك أكثـر، ذنبك أعظم الأشياء فى جانب عفو الله يُغـفر. وقد فتح الله باب التـوبة لكل عباده وأطمعهم فى رحـمته فناداهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وإذا مـا علمنا سـبب نزول هذه الآية رأينا سـعة رحـمـة الله للعـالمين جميعًا.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن ناسًا من أهل الشرك قـد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فـقالوا: إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٢)، ونزل ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)(٤).

وعن أبى مـوسى الأشـعرى رضي الله عنه **قـال:** قال رسـول الله ﷺ: «إن الله

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨- ٧٠).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨١٠) كتاب تفسير القرآن. ومسلم (١٢٢) كتاب الإيمان.

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، يا ابن آدم. لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم: لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[(٣)].

ويكفيك أن تعلم أن الله تعالى تاب على وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ[(٤)]، فهل بعد ذلك من يأس أو قنوط؟! لا والله ولكنها حيلة من حيل الشيطان وشبكة من شباكه.

فلا تيأس، وإن عظم ذنبك، وكثرت معاصيك، فإن عفو الله أعظم، ولكن تب وارجع إلى ربك وقل:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ
من ذا الذي يدعو ويرجو المجرمُ
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم إني مسلمُ

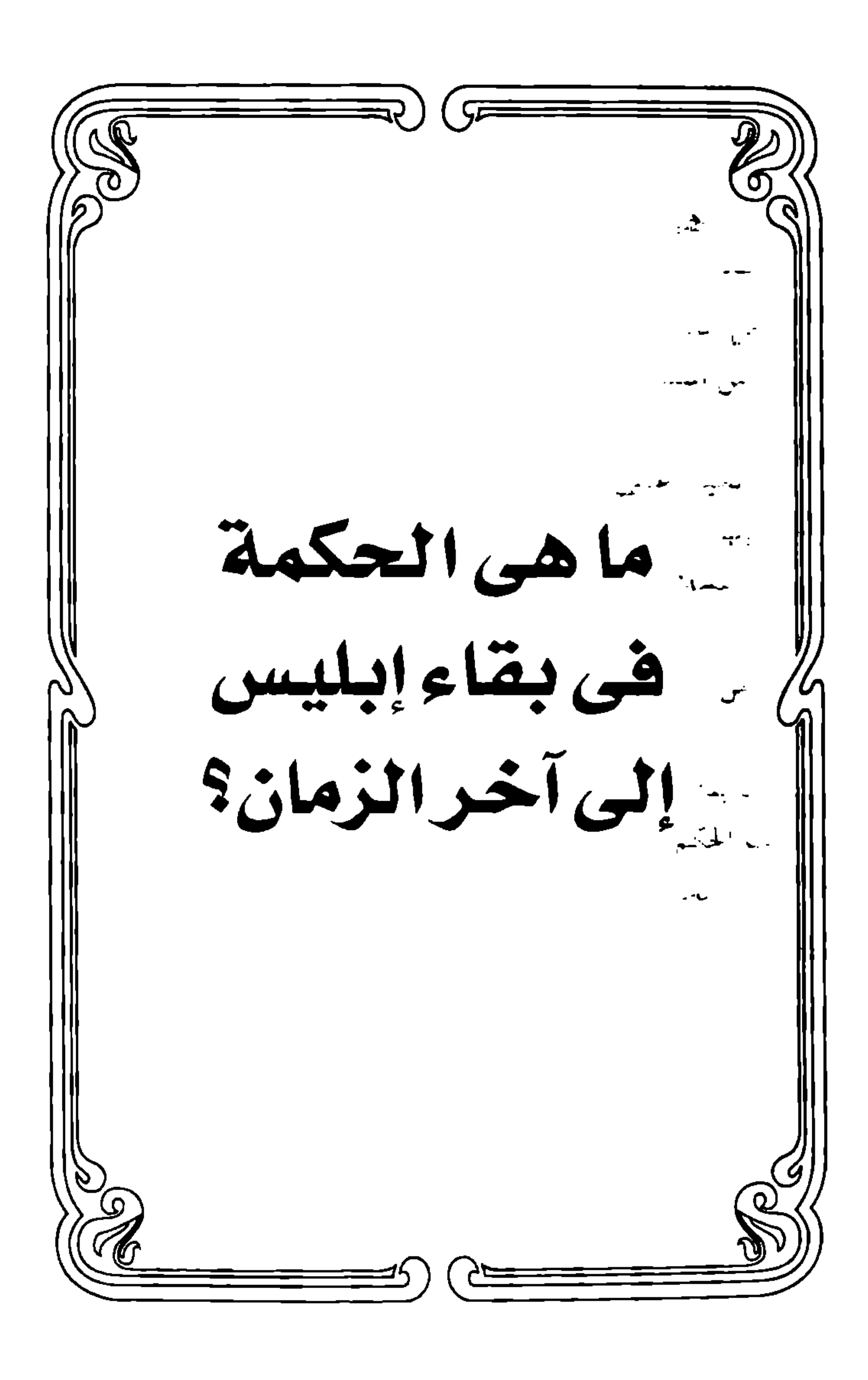
---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٤) انظر: لباب النقول (١٨٥).



ما هى الحكمة فى بقاء إبليس إلى آخر الزمان؟

وما هى الحكمة فى بقاء إبليس إلى آخر الزمان؟

ولعل سائلا يسأل ويقول: إذا كان هناك حكمة فى وجود إبليس فما هى الحكمة من استمرار بقائه إلى آخر الزمان وهو السبب فى كل الشرور والآثام الموجودة على الأرض؟!

ويجيب على ذلك أيضًا الإمام ابن القيم[1] ويوضح أن من أسباب وجود إبليس واستمرار بقائه إلى آخر الزمان:

١- امتحان العباد:

فمما ذكره رحمه الله تعالى: أن الله جعله محكًّا ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث ووليه من عدوه، ولذا اقتضت حكمته إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار فى الأرض إلى آخر الدهر، ولو أهلكهم ألبتة لتعطلت الحكم الكثيرة فى إبقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان أبى البشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه وينحاز إليه من وافقه ووالاه.

٢- وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق:

ومنها أنه لما سبق حكمه وحكمته أنه لا نصيب له فى الآخرة، وقد سبق له طاعة وعبادة، جزاه بها فى الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر، فإنه سبحانه لا يظلم أحدًا حسنة عملها، فأما المؤمن، فيجزيه بحسناته فى الدنيا وفى الآخرة، وأما الكافر، فيجزيه بحسناته فى الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة،

---

(١) شفاء العليل/ (ص: ٣٢٧ وما بعدها).

لم يكن له شيء، كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي ﷺ .

٣- أملى له ليزداد إثما:

وبقاؤه إلى يوم القيامة لم يكن كرامة في حقه، فإنه لو مات كان خيراً له، وأخف لعذابه، وأقل لشره، ولكن لما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغي التسليم بحكمه، والقدح في حكمته، والحلف على اقتطاع عباده، وصدهم عن عبوديته، كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه فأبقى في الدنيا وأملى له ليزداد إثمًا على إثم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر، ولما كان مادة كل شر فعنه تنشأ جوزي في النار مثل فعله، فكل عذاب ينزل بأهل النار يبدأ فيه، ثم يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهرًا وحكمة بالغة.

٤- وأبقاه ليتولى المجرمين:

ومن حكم إبقائه إلى يوم الدين أنه قال في مخاصمته لربه: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١) وعلم الله سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم، وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي ما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين من الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٦٢).

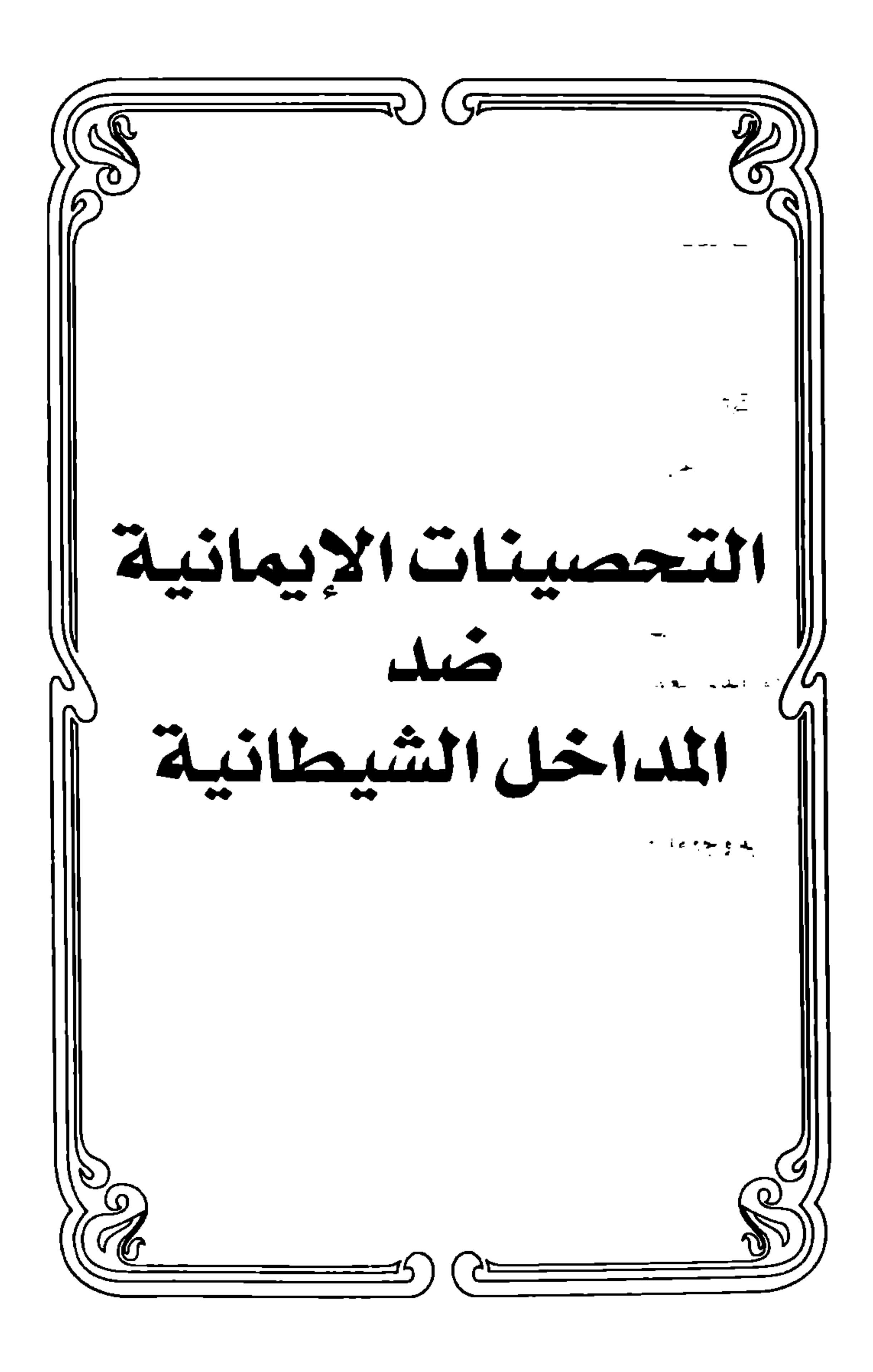
(٢) سورة النحل: الآيتان: (٩٩- ١٠٠).

فأما إماتة الأنبياء والمرسلين، فلم يكن ذلك لهوانهم عليه، ولكن ليصلوا إلى محل كرامته، ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم وأتباعهم، وليحيا الرسل بعدهم، يرى رسولاً بعد رسول، فإماتتهم أصلح لهم وللأمة، أما هم فلراحتهم من الدنيا، ولحوقهم بالرفيق الأعلى فى أكمل لذة وسرور، ولا سيما أنه قد خيرهم ربهم بين البقاء فى الدنيا واللحاق به.

وأما الأمم فيعلم أنهم لم يطيعوهم فى حياتهم خاصة، بل أطاعوهم بعد مماتهم كما أطاعوهم فى حياتهم وأن أتباعهم لم يكونوا يعبدونهم، بل يعبدون الله بأمرهم ونهيهم، والله هو الحى الذى لا يموت فكم فى إماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمة، هذا وهم بَشَر، ولم يخلق الله البشر فى الدنيا على خلقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف فى الأرض، يخلف بعضهم بعضًا، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة فى جعلهم خلائف، ولضاقت بهم الأرض، فالموت كمال لكل مؤمن، ولولا الموت لما طاب العيش فى الدنيا، ولا هناء لأهلها بها، فالحكمة فى الموت كالحكمة فى الحياة[1].

* * *

(١) عالم الجن والشياطين (ص: ٢١٠- ٢١٣) بتصرف شديد.



التحصينات الإيمانية
ضد
المداخل الشيطانية

التحصينات الإيمانية ضد المداخل الشيطانية[1]

الحصن الأول: الإخلاص:

إن تحقيق الإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان باعترافه هو، حيث يقول تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2]، فقد اعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين.

*** فمن المخلص؟**

هو الذي يعمل، ولا يحب أن يحمده الناس[3].

وقال يعقوب المكفوف: المخلص من يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته.

وقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهه»[4]؟

وقال الجنيد: إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع.

ولما كان الإخلاص حصنًا حصينًا يعصم الإنسان من كيد الشيطان، فقد عمل الشيطان بكل قواه، وبجميع حيله ليخرج الإنسان من حصن الإخلاص.

---

(١) بتصرف من كتاب «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» للشيخ وحيد بالي - حفظه الله -.

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٣٩، ٤٠).

(٣) القرطبي (٢٨١).

(٤) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٥٦).

الحصن الثانى: تحقيق العبودية لله وحده

لما أقسم الشيطان للرحمن أنه سيغوى آدم وذريته، ردَّ الله عليه مبينًا أن هناك طائفة لا يستطيع أن يسيطر عليها، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

فمن حقق العبودية لله وحده فلا سلطان للشيطان عليه.

*** ولكن ما العبادة؟**

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

*** وأقسام العبادة أربعة:**

القسم الأول: العبادة البدنية:

كالصلاة، والصيام، والركوع، والسجود، والحج، والطواف.

القسم الثانى: العبادة المالية:

كالذبح، والنذر، والزكاة، والصدقة.

القسم الثالث: العبادة القلبية:

كالخشوع، والخضوع، والذل، والانكسار، والإخبات، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والخوف، والرجاء، والتعظيم، والرهبة.

القسم الرابع: العبادة القولية:

كالحلف، والاستغاثة، والدعاء، والاستعاذة.

فهذه كلها عبادات يجب أن تُصرف لله عز وجل ولا يجوز أن يُصرف شيء منها لسواه ولو كان مَلَكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلاً أو وليًّا صالحًا فكما لا يجوز الركوع والسجود إلا لله، كذلك لا يجوز الطواف إلا بالكعبة.

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٢).

الحصن الثالث: لزوم الجماعة

إن الالتزام بالجماعة مطردة الشيطان، مرضاة للرحمن فعليك بالجماعة إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية الشاردة، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[١].

وإذا أراد الرجل أن يسافر طويلاً - خاصة إذا كان فى الصحراء - فليصطحب معه غيره؛ لأن النبى ﷺ يقول: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ»[٢].

ولقد بيَّن لنا النبى ﷺ أن التفرق من الشيطان:

فعن أبى ثعلبة الخشنى رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا تفرقوا فى الشعاب والأودية فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم فى الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان» فلم ينزلوا بعد ذلك إلا انضم بعضهم إلى بعض[٣].

* **والالتزام بالجماعة يقتضى أمرين:**

الأول: الالتزام بالجماعة اعتقادًا، وهو أن تكون عقيدتك كعقيدة الجماعة الأولى جماعة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومَن نَهَجَ وسار على طريقهم[٤].

وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢١٦٥) كتاب الفتن، وأحمد (١١٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠٧) كتاب الجهاد، والترمذى (١٦٧٤) كتاب الجهاد، وأحمد (٦٧٠٩) مسند المكثرين من الصحابة، ومالك فى الموطأ (١٨٣١) كتاب الجامع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٢٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٢٨) كتاب الجهاد، وأحمد (١٧٢٨٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٥٢).

(٤) راجع العقيدة الطحاوية والواسطية، والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى.

الثانى: الالتزام بالجماعة صفًا. وهو أن تكون بقلبك وقالبك مع أهل الحق أينما كانوا وحيثما كانوا.

وأهل الحق هم الذين قال فيهم ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك»(١).

الحصن الرابع: المحافظة على صلاة الجماعة

إن التهاون فى صلاة الجماعة يجرئ الشيطان على الإنسان.

فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»(٢).

والله عز وجل يقول: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (٣).

الحصن الخامس: الالتزام بالكتاب والسنة

يقول الدكتور الأشقر: أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة عملاً وعلمًا، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم، والشيطان يجاهد كى يُخرجنا عن هذا الصراط... قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٤).

وقد شرح الرسول ﷺ هذه الآية وبينها، فقد خطَّ خطًا بيده، ثم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٠) كتاب الإمارة.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (٨٤٧) كتاب الإمارة، وأحمد (٢١٢٠٣) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠١).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١٩).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا» وخَطَّ عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾»[1].

قال: فاتباع ما جاءنا من عند الله من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات وترك كل ما نُهى عنه، يجعل العبد فى حرز من الشيطان، ولذلك قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

الحصن السادس: الاستعانة بالله على الشيطان

اعلم أنك لن تستطيع أن تتغلب على الشيطان إلا بإعانة الله لك، وتوفيقه إياك.

روى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدى، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفّه عنك.

فإذا أردت أن تتخلص من كيد الشيطان فاستعن بخالقه، يصده عنك ويحميك منه.

الحصن السابع: كثرة الطاعات

إن الإكثار من الطاعات يُرغم أنف الشيطان ويذله.

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله

---

(١) حسن: رواه الدارمى (٢٠٢) فى مقدمة سننه، وأحمد (٤٤٢٣) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٦).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠٨).

ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فعصيت فلى النار»[١].

الحصن الثامن: الاستعاذة

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من كل ذى شرٍّ ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أى أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى، أو دنياى، أو يصدنى عن فعل ما أمرت به، أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أُمر بالاستعاذة من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه. اهـ. ملخصًا»[٢].

الحصن التاسع: تحصين الأهل والأولاد والأموال

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترى خادمًا، فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه».

وفى رواية: «ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة فى المرأة والخادم، وإذا اشترى بعيرًا، فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك»[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٥).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٢١٦٠) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩١٨) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤١).

وعن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فقُضي بينهما ولد؛ لم يضره شيطان أبدًا»(١).

وللعروس أن يصلي ركعتين بزوجته عند دخوله بها، فإن ذلك حفظ لحياتهما الزوجية من كل مكروه، . . . قال ابن مسعود ﵁: إذا أتتك امرأتك، فمُرها أن تصلي وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى الخير.

وإذا أُعجبَ الرجل بشيء من ماله، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (٢).

يُستحب للرجل أن يؤذن في أذن المولود.

فعن أبي رافع ﵁ قال: رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذن الحسين بن عليٍّ حين ولدته فاطمة بالصلاة(٣).

ويستحب للرجل أيضًا أن يُعوِّذ أولاده، . . . قال عبد الله بن عباس ﵄: كان رسول الله ﷺ يُعوذ الحسن والحسين ﵄: **«أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»**(٣)، ويقول: **«إن أباكم كان يُعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق»**(٤).

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٨٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٣٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧١) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٤) صحيح: روى هذه الزيادة الترمذي (٢٠٦٠) كتاب الطب، وابن ماجه (٣٥٢٥) كتاب الطب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٥٣٥).

الحصن العاشر: سورة البقرة

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»[1].

الحصن الحادى عشر: آية الكرسى

قد مَـرَّ بنا حديث أبى هريرة، وفـيه أن الشيطـان قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى، فـإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وأقره الرسول ﷺ قائلاً: «صدقك وهو كذوب»[2].

الحصن الثانى عشر: آيات من سورة البقرة

روى الدارمى من طريق الشعبى قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: من قرأ عشر آيات من سـورة البقرة فى ليـلة؛ لم يدخل ذلك البيت شـيطان تلك الليلة: أربع من أولها، وآية الكرسى، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها.

وفى رواية: لم يقـربه ولا أهله يومئـذٍ شـيطان، ولا شىء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق.

الحصن الثالث عشر: الآيتان من آخر سورة البقرة

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٧٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٥٠٥) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قيل: كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل من كل شر، والله أعلم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة لا يُقرآن في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها شيطان»[(١)].

الحصن الرابع عشر: المعوذات

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[(٢)].

وعن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان، وأعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٨٢) كتاب فضائل القرآن، والدارمي (٣٣٨٧) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٩٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٨٢) كتاب الأدب، والترمذي (٣٥٧٥) كتاب الدعوات، والنسائي (٥٤٢٨) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٠٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٥٨) كتاب الطب، والنسائي (٥٤٩٤) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٣٥١١) كتاب الطب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٩٠٢).

الحصن الخامس عشر: الأذكار

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[1] .

الحصن السادس عشر: حفظ البصر

إن إطلاق البصر من أعظم مداخل الشيطان؛ ولذا كان غض البصر قاصمًا لظهر الشيطان قاطعًا لطمعه فى الإنسان.

يقول ابن القيم رحمه الله: إن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه فى القلب والانشغال به، والفكر فى الظفر به.

فمبدأ الفتنة من فضول النظر.

كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظرِ
ومعظم النار من مُستصغر الشررِ
كم نظرةٍ فتكت فى قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

ولما كان البصر جاراً إلى المهالك، وجالبًا للمخاطر، فقد نهى النبى ﷺ عن إطلاقه، فقال لعلى: «يا على لا تُتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وليست لك الآخرة»(١).

ولقد سدَّ النبى ﷺ على الشيطان كل منفذ، وأغلق فى وجهه كل باب، فنهى عن الدخول على النساء، فقال: **«إياكم والدخول على النساء»** فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو: الموت»(٢).

ثم قال الترمذى ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روى عن النبى ﷺ : **«لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»**(٣). اهـ كلام الترمذى.

ويُحرم على المرأة أيضًا أن تنظر للرجل.... قال ابن كثير رحمه الله: ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً. اهـ(٤). وقد شرع الله تبارك وتعالى الاستئذان من أجل البصر.

الحصن السابع عشر: حفظ اللسان

يقول ابن القيم رحمه الله: وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل الشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرَّتها كلمة واحدة، وقد قال النبى ﷺ لمعاذ: **«وهل يكبُّ الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟!»**(٥).

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذى (٢٧٧٧) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢١٦٥) كتاب الفتن، وأحمد (١١٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٥١١) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

وأكثـر المعاصـى إنما يولدها فضـول الكلام والنظر، وهما أوسع مـداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تُركا لم يَفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشُّعَب عظيمة الآفات. اهـ[١].

واعلم يا أخى: رحمك الله أن اللسان هو أعظم آلة للشيطان فى استهواء الإنسان، ولذا كان حفظ اللسان من أعظم تحصينات الإنسان ضد الشيطان.

الحصن الثامن عشر: حفظ البطن

١- حفظ البطن عن أكل الربا:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هـن؟ قال: «الشرك بالله، والسحـر، وقتـل النفس التى حـرم الله إلا بالحق، وأكـل الربا، وأكل مـال اليـتيم، والتـولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٢].

٢- حفظ البطن عن أكل الرشوة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى»[٣].

٣- حفظ البطن عن أكل ثمن الكلب وكسب البغى:

عن أبى جحيفة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، ونهى عن ثمن الكلب؛ وكسب البغى ولعن المصورين»[٤].

---

(١) التفسير القيم (٦٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٨٠) كتاب الأقضية، والترمذى (١٣٣٧) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٣) كتاب الأحكام، وأحمد (٦٤٩٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١١٤).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٠٨٦) كتاب البيوع.

وكسب البغى: هى المرأة التى تزنى بأجرة وتتكسب من ذلك.

٤- حفظ البطن عن أكل مال اليتيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١).

٥- حفظ البطن عن الشبهات:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»(٢).

٦- حفظ البطن عن الحرام بأنواعه:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (٤)، ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟!»(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٧٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

٧- حفظ البطن عن الإمعان فى الشبع:

عن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** أضاف رسول الله ﷺ ضيفًا كافرًا، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحُلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى، فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمه، فقال رسول الله ﷺ : **«المؤمن يشرب فى معىً واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء»**(١).

وقال لقمان لابنه: يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال أبو عبيدة الخواص: حتفك فى شبَعك، وحفظك فى جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت فنمت استمكن منك العدو فجثم عليك.

وقال عمرو بن قيس: إياكم والبطنة؛ فإنها تُقسى القلب.

* **وروى أن إبليس لعنه الله قال ليحيى عليه السلام:** ربما شبعت فأثقلناك عن الصلاة.

فقال يحيى: لله علىَّ ألا أشبع أبدًا، فقال إبليس - عليه لعنة الله-: لله علىَّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا.

وقال الشافعى: الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

وخلاصة القول: أن الرجل إذا شبع استمكن منه الشيطان فمنعه من كل خير، وزيّن له كل شر، وقد جمع الله ذلك كله فى قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

الحصن التاسع عشر: حفظ الفرج

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لى ما بين لَحيَيه[١]، وما بين رجليه[٢] أضمن له الجنة»[٣].

الحصن العشرون: حفظ اليد

١- حفظ اليد عن نزعات الشيطان:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده، فيقع فى حفرة من النار»[٤].

وعنه رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[٥].

٢- حفظ اليد عن قتل المسلم:

عن أبى بكرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار» قيل: يا رسول الله هذا القاتل؟ فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»[٦].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٧].

٣- حفظ اليد عن قتل النفس:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من تردَّى من جبل فقتل

---

(١) لحييه: فكيه والمقصود اللسان.

(٢) رجليه: المقصود الفرج.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٧٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦١٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦١٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣١) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٨٨٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٦٤) كتاب الإيمان.

نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسه فسُمُّه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[١].

٤- حفظ اليد عن مصافحة الأجنبية:

اعلم أخى المسلم: أنه لا يجوز للمسلم أن يصافح امرأة أجنبية منه، وهذا الحكم يشمل المرأة المحرمة تحريمًا مؤقتًا أيضًا.

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»**[٢].

وبالتحريم قال جمهور علماء المذاهب الأربعة وغيرهم[٣].

٥- حفظ يد الرجل عن لبس الذهب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: **«يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده»** فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. فقال: لا، والله لا آخذه، وقد طرحه رسول الله ﷺ[٤].

٦- حفظ اليد عن اللعب بالنرد:

عن بريدة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه»**[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٢٠/ ٢١٢، رقم ٤٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٣) راجع رسالة أدلة تحريم المصافحة، للدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم - حفظه الله -.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٠٩٠) كتاب اللباس والزينة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٠) كتاب الشعر.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لعب بنرد فقد عصى الله ورسوله»(١).

وبالجملة يجب على المسلم أن يحفظ جميع جوارحه عن المعاصي صغيرها وكبيرها، فإن استهواه الشيطان فاقترف شيئًا، وجب عليه المسارعة بالتوبة.

الحصن الحادي والعشرون: تحصين البيت

١- ذكر الله عند الدخول:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ولج(٢) الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج؛ بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله»(٣).

٢- التسليم على الأهل:

قال النووي: يستحب أن يقول: بسم الله، وأن يكثر من ذكر الله تعالى، وأن يسلم سواء كان في البيت آدمي أم لا، .... لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (٤) اهـ (٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك، فسلّم يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»(٦).

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٩٣٨) كتاب الأدب، وابن ماجه (٣٧٦٢) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٠٢٧) أول مسند الكوفيين، ومالك في الموطأ (١٧٨٦) كتاب الجامع، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٢٩).

(٢) ولج: دخل.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٦) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٣٩).

(٤) سورة النور: الآية: (٦١).

(٥) تخريج الكلم الطيب تعليق رقم (٤٣).

(٦) رواه الترمذي (٢٦٩٨) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨).

٣- ذكر الله عند الطعام والشراب:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»(١).

٤- كثرة تلاوة القرآن فى البيت:

وذلك لأن القرآن يُعطر البيت، ويطيبه، ويطرد منه الشياطين.

فعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح، وطعمها مر»(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اقرءوا سورة البقرة فى بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتًا تُقرأ فيه سورة البقرة(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يُقرآن فى دار ثلاث ليال، فيقربها شيطان»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١/٧٤٩، رقم ٢٠٦٢)، والبيهقى فى الشعب (٢/٤٥٣، رقم ٢٣٨٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٨٢) كتاب فضائل القرآن، والدارمى (٣٣٨٧) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٩٩).

٥- تطهير البيت من صوت إبليس:

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [(١)].

قال مجاهد: صوت الشيطان الغناء.

وإذا نادى إبليس فى بيت، اجتمع عليه جنوده، من كل مكان، فعاثوا فى البيت الفساد، وأوقعوا فيه الشقاق والفرقة والبغضاء والشحناء، فإذا كثر الغناء فى البيت عششت فيه الشياطين، واتخذته لها مسكنًا، . . . فعليك يا أخى المسلم بتطهير بيتك من الغناء سواء من المذياع أو التلفاز أو غيرهما.

٦- تطهير البيت من الأجراس:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «الجرس مزامير الشيطان»[(٢)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»[(٣)].

واعلم أن الملائكة جند الرحمن، وهم دائمًا فى حرب مع جند الشيطان، فإذا تخلت عنهم جنود الرحمن، استحوذت عليهم جنود الشيطان، . . . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جرس»[(٤)].**

٧- تطهير البيت من التصاليب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبى ﷺ يترك فى بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه»[(٥)].

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٦٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١١٤) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١١٣) كتاب اللباس والزينة.

(٤) حسن لغيره: رواه أبو داود (٤٢٣١) كتاب الخاتم، والنسائى (٥٢٢٢) كتاب الزينة. وأحمد (٢٥٥٢١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣١٢٠)، وقال: حسن لغيره.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٥٩٥٢) كتاب اللباس.

٨- تطهير البيت من التصاوير والتماثيل:

يجب على المسلم أن يطهر بيته من التماثيل إلا ما ورد فيه الاستثناء وهو لعب البنات، وكذلك التصاوير إلا ما كان لضرورة كصورة البطاقة والأوراق الرسمية.

وذلك لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تصاوير ولا تماثيل.

وكما قلنا آنفًا إذا خرجت الملائكة من البيت عششت فيه الشياطين.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير»**[(١)].

واعلم أن التحريم عام شامل لجميع أنواع الصور سواء كانت صورة، أو تمثالاً، لها ظل أو ليس لها ظل، باليد أو بالآلة.

قال النووي رحمه الله: ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له، هذا تلخيص مذهبنا[(٢)] في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم. اهـ.

ويُستثنى من ذلك الصور التي لا روح فيها كالأشجار، والأنهار، والزروع، والجمادات، وغيرها.

٩- تطهير البيت من الكلاب:

عن أبي طلحة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة»[(٣)].

ولا يستثنى من ذلك إلا كلب الصيد وكلب الحراسة، بشرط ألا يكون

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١١٢) كتاب اللباس والزينة.

(٢) أي المذهب الشافعي.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٢٢) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢١٠٦) كتاب اللباس والزينة.

أسود؛ لأن النبى ﷺ قال: «الكلب الأسود شيطان»(١).

وأمر بقتله، فقال: «عليكم بالأسود البهيم ذى النقطتين؛ فإنه شيطان»(٢).

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اقتنى كلبًا إلا كلب صيد أو ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»(٣).

١٠- الإكثار من صلاة النوافل فى البيت:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا»(٤).

ومن المعلوم أن المقابر، والفلوات، والأماكن الخربة مساكن الشياطين، فكأنه ﷺ يريد منا أن نجعل لبيوتنا قسطًا من صلاة النافلة لتطرد الشياطين منها.

١١- الكلمة الطيبة والابتسامة المشرقة:

من المعلوم أن الشيطان يريد أن يهدم المجتمع المسلم، فهو يكيد له ويدبر ويخطط، ومن هذه الخطط تقويض عرش الأسرة المسلمة؛ لأنها هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع.

ويتضح ذلك من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجىء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥١٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٧٢) كتاب المساقاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٨١) كتاب الذبائح والصيد، ومسلم (١٥٧٤) كتاب المساقاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٢) كتاب الصلاة، ومسلم (٧٧٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

وذلك؛ لأن التفريق بين الزوجين هدم للمجتمع من أساسه، وهذا هدف اللعين.

ولذلك يجب على الزوج أن يعامل أهله بالحسنى، وينتقي الحسن من الكلام حتى لا ينزغ الشيطان بينه وبين أهله،... قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (١).

الحصن الثانى والعشرون: دعاء الخروج من البيت

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال يعنى إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت، ووُقيت، وهُديت، وتنحَّى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟!»(٢).

الحصن الثالث والعشرون: دعاء دخول المسجد

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد يقول: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» قال: «فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ منى سائر اليوم»(٣).

الحصن الرابع والعشرون: دعاء المساء

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٥) كتاب الأدب، والترمذى (٣٤٢٦) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧١٥).

يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة. فقال: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم تضرك»(١).

وفى رواية لابن السنى: «من قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثًا لم يضره شىء»، وفى رواية لمسلم: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك»(٢).

الحصن الخامس والعشرون: دعاء الصباح والمساء

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول فى صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات لم يضره شىء»(٣).

الحصن السادس والعشرون: الدعاء

عن أبى الأزهر الأنمارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعت جنبى، اللهم اغفر لى ذنبى، وأخسئ شيطانى، وفك رهانى، واجعلنى فى الندى الأعلى»(٤).

* قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، علمنى شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: «قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٨٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٩) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٤٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٥٤) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٤٩).

كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه»[(١)].

وفي رواية: «وأن اقترف على نفسي سوءًا أو أجُرَّه إلى مسلم، قُله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»[(٢)].

الحصن السابع والعشرون: البسملة

عن أبي تميمة الهيجمي، عمَّن كان ردف النبي ﷺ قال: كنت رِدفه على حمار، فعثر الحمار، فقلت تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان، تعاظم في نفسه، وقال: صرعته بقوتي، وإذا قلت: بسم الله، تصاغرت إليه نفسه، حتى يكون أصغر من ذباب»[(٣)][(٤)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره»[(٥)].

وينبغي للمسلم أن يسمي الله إذا وضع شيئًا، أو رفعه، أو جلس، أو قام، أو فعل أي شيء؛ لأن البسملة مجلبة للبركة مطردة للشياطين.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٦٧) كتاب الأدب، والترمذي (٣٣٩٢) كتاب الدعوات، والدارمي (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان، وأحمد (٥٠٦٧) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٩) كتاب الدعوات، وأحمد (٦٥٦١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨١٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٢) كتاب الأدب، وأحمد (٢٠١٦٧) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٠١).

(٤) الترغيب والترهيب (٥/ ٢٧٦).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٦٧) كتاب الأطعمة، والترمذي (١٨٥٨) كتاب الأطعمة، وابن ماجه (٣٢٦٤) كتاب الأطعمة، والدارمي (٢٠٢٠)، وأحمد (٢٤٥٨٢) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٠).

الحصن الثامن والعشرون: رد التثاؤب

وينبغى على المسلم أن يرد التثاؤب ما استطاع، وأن يضع يده على فيه إذا تثاءب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله، فحقٌّ على كل مسلم سمعه أن يُشمِّته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليردَّه ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تثاءب أحدكم فلْيمسك بيده على فيه[2]، فإن الشيطان يدخل»[3].

الحصن التاسع والعشرون: التسليم للقضاء من غير عجز ولا تفريط

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله عز وجل، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٢٣) كتاب الادب، ومسلم (٢٩٩٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) فيه: فمه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٥٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

الحصن الثلاثون: الأذان طارد للشيطان

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا نُودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل»(١).

الحصن الحادى والثلاثون: الوضوء

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبد يبيت طاهرًا إلا بات معه فى شعاره(٢) مَلَك، لا ينقلب ساعة فى الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرًا»(٣).

الحصن الثانى والثلاثون: قيام الليل

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند النبى ﷺ رجل؛ فقيل: مازال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: «بالَ الشيطان فى أذنه»(٤).

والمراد - والله أعلم - أن هذا الرجل ما قام إلى صلاة الليل، ولذلك ترجم له البخارى قائلاً: باب إذا نام ولم يُصلِّ، بال الشيطان فى أذنه.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عُقَد، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨) كتاب الأذان، ومسلم (٣٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) الشعار: هو ما يلى جسد الإنسان من ثوب أو غيره.

(٣) حسن: رواه الطبرانى (١٢/٤٤٦ ، رقم ١٣٦٢٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٣٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

انحلت عقدة فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[١].

وهذه العقد لا تُحل أيضًا إلا إذا قام الرجل فذكر الله وتوضأ، وصلى بالليل، ولهذا ترجم له البخارى تحت باب: عقد الشيطان على قافية الرأس، إذا لم يُصلِّ بالليل.

وروى سعيد بن منصور عن ابن عمرو: «ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا» قال الحافظ: سنده جيد[٢].

فمن ذلك نستخلص أن الرجل إذا لم يقم شيئًا من الليل، أصبح وقد بال الشيطان فى أذنيه، وعلى قافيته الثلاث عقد وعلى رأسه الجرير المعقود والجرير: هو الحبل الذى يُخطَم به البعير، فلقد تمكن الشيطان منه، وسُلِّط عليه، وبالعكس تمامًا إذا قام الإنسان من الليل، فإنه يكون بعيدًا عن الشيطان قريبًا من الرحمن.

الحصن الثالث والثلاثون: عدم التشبه بالشيطان

١- الأكل والشرب باليمين: وذلك لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يأكلنَّ أحدٌ منكم بشماله، ولا يشربنَّ بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»**[٣].

٢- الأخذ والعطاء باليمين: وذلك لأن الشيطان يأخذ ويعطى بشماله، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه وليُعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعطى بشماله، ويأخذ بشماله»**[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) فتح البارى (٣/ ٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٢٦٦) كتاب الأطعمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٤٨).

٣- عدم الجلوس بين الظل والشمس، وذلك لأنه مجلس الشيطان، فعن أبي عياض عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ نهى أن يجلس الرجل بين الضَّحِّ (١) والظل، وقال: «**مجلس الشيطان**»(٢).

٤- التأني، لأن النبي ﷺ قال: «**الأناة من الله، والعجلة من الشيطان**»(٣).

٥- التواضع، لأن الكبر من صفات إبليس قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤).

٦- عدم التبذير والإسراف، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (٥).

قال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق.

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مُدًّا في غير حق كان مبذرًا ولو أسرف الرجل في أي شيء لشاركه الشيطان فيه سواء مسكن، أو مطعم، أو مشرب، أو مركوب، حتى الفراش.

فعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان»(٦).

* * *

---

(١) الضَّحُّ: الشمس.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٤٩٩٥) مسند المكين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٨٢٣).

(٣) **ضعيف**: رواه الترمذي (٢٠١٢) كتاب البر والصلة، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٢٣٠٠).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٣٤).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٢٧).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٨٤) كتاب اللباس والزينة.

الحصن الرابع والثلاثون: عدم الوقوف موقف شبهة

اعلم أن الشيطان ينتهز الفرصة وينفذ إلى القلوب ويبث فيها وسوسته؛ ولذلك يجب عليك ألا تعطيه فرصة أو تفتح له بابًا، ومن هنا يجب أن تتجنب مواقف الشبهات، ولو كنت مأمونًا بين الناس.

فعن صفية زوجة النبى ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره، فحدثته، ثم قمت فانقلبت، فقام معى ليقلبنى[1] وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا، فقال النبى ﷺ: «على رِسْلكما، إنها صفية بنت حُيى» قالا: سبحان الله يا رسول الله قال: «إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، فخشيت أن يقذف فى قلوبكم شيئًا - أو قال - شرًّا»[2].

الحصن الخامس والثلاثون: الذكر

الذكر يُضعف الشيطان، ويقوى الإيمان، ويُرضى الرحمن، وهو الركن الركين والحصن الحصين الذى يتحصن به المسلم من الشيطان الرجيم.

عن الحارث الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تخبرهم، وإما أن أخبرهم، فقال: يا أخى لا تفعل فإنى أخاف إن سبقتنى بهن أن يُخسَف بى أو أُعذَّب، قال: فجمع بنى إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشُّرفات، ثم خطبهم، فقال: إن الله أوحى إلىَّ بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمر بنى

---

(١) ليقلبنى: ليرجعنى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

إسرائيل أن يعملوا بهن - وكان من بينها -.

وآمركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى إثره حتى أتى حصنًا، فأحرز نفسه منه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله»[1].

فالذى يداوم على ذكر الله يحرز نفسه من الشيطان، والذى يتغافل عن ذكر الله يدع نفسه للشياطين تلعب به وتغويه، وتوسوس له.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [2].

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٣) كتاب الأمثال، وأحمد (١٦٧١٨) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٣٦).



صراع مع الـذنـوب

صراع مع الذنوب

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع بحيله الماكـرة أن يزين لكثـيـر من الناس تسـويف التـوبة والإصـرار على الذنوب والمعاصى حتى أصبح كثير من الناس أسير الذنوب والمعاصى فلا يستطيع أن يتوب وأن يعود إلى ربه (جل وعلا).

* وها نحن نخوض تلك الجولة ضد الشيطان لنحـذر المسلمين من مغبة تسويف التوبة والإصرار على الذنوب ولنحضهم على أن يسارعوا إلى التوبة والمغفرة مصـداقًا لقول الله (جل وعلا): ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [1]، وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان بالضربة القاضية - بإذن الله -.

الإصرار على الذنب لغة واصطلاحًا

الإصرار لغة:

الإصرار مصدر أصر على الشىء يصر، وهو مأخوذ من مادة (ص ر ر) التى تدل على أربـعـة مـعـانٍ: الأول: صَرُّ الدراهم، والثـانى: السـمـو والارتفـاع، والثالـث: البرد والحـر، والرابع: الصـوت، ومن المعنى الأول الإصرار بمعنى العزم على الشىء.

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣- ١٣٦).

وأصر على الشيء إذا لزمه وداومه وثبت عليه، وأكثر ما يُستعمل في الشر والذنوب.

يعني من أتبع الذنب الاستغفار فليس بمُصرٍّ عليه وإن تكرر منه.

وفي الحديث: «ويل للمُصرِّين الذين يُصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»[1].

* وقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾[2] أي لم يثبتوا ويعزموا على مافعلوا.

الإصرار: هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه.

وقال سهل بن عبد الله: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك، والإصرار: هو التسويف، والتسويف: أن يقول: أتوب غداً وهذا دعوى النفس، كيف يتوب غداً (وغداً) لا يملكه؟!

وقال غير سهل: الإصرار هو أن ينوي ألا يتوب، فإذا نوى التوبة النصوح خرج عن الإصرار.... وقول سهل أحسن.... وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا توبة مع إصرار»[3].

*** الإصرار على الذنب اصطلاحاً:**

وقال المناوي: الإصرار: التعقد في الذنب والتشديد فيه، والامتناع عن الإقلاع عنه والدوام والملازمة وكل عقد شددت عليه[4].

قال الجرجاني: الإصرار: الإقامة على الذنب والعزم على فعل مثله[5].

* * *

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٢)، المفردات للراغب (٢٧٩)، والصحاح (٢/ ٧١٢)، لسان العرب (٤/ ٤٥٠- ٤٥٤) ط. بيروت، والنهاية (٣/ ٢٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٥).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٣٦).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥٣).

(٥) التعريفات (٢٨).

حكم الإصرار على الذنب

عدَّها ابن حجر من الكبائر[1] ، وقال العز بن عبد السلام: الإصرار على الذنوب يجعل صغيرها كبيرًا فى الحكم والإثم فما الظن بالإصرار على كبيرها؟![2] .

التحذير من الإصرار على الذنب (من الكتاب والسنة)

ولقد ورد فى الكتاب والسنة التحذير من الإصرار على الذنوب والمعاصى:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٩٩).

(٢) شجرة المعارف والأحوال (١١٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٣٥).

(٤) سورة الجاثية: الآيات: (٧- ٩).

(٥) سورة الواقعة: الآيات: (٤١ - ٤٧).

وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[1] .

* **وأما فى السنة،** فقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من الإصرار على الذنوب ووردت أحاديث تصور عاقبة المصرين على المعاصى:

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه يقول:** سمعت رسول الله ﷺ **يقول: «كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»**[2].

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ **أنه قال وهو** على المنبر: **«ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر الله لكم، ويل لأقماع[3] القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»** [4].

* **عن أبى مالك الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»** [5].

* * *

(١) سورة نوح: الآيات: (٥ - ١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) الأقماع: جمع قمع وهو الإناء الذى يترك فى رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة. وشبه أسماع الذين يستمعون القول ولا يوعونه ويحفظونه ويعملون به بالأقماع التى لا تعى شيئًا عما يُفرغ فيها.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦٥٠٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٩٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) كتاب الجنائز.

سلفنا الصالح والتحذير من الإصرار على الذنوب والمعاصى

* قال الإمام الغزالى - رحمه الله -: «اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب: منها الإصرار والمواظبة، فقطرات من الماء تقع على الحجر على توالٍ فتؤثر فيه فكذلك القليل من السيئات إذا دام عَظُم تأثيره فى إظلام القلب»[١].

* قال أبو الفرج ابن الجوزى - رحمه الله -: «لا ينبغى أن يغتر مُسامَح فالجزاء قد يتأخر، ومن أقبح الذنوب التى قد أُعد لها الجزاء العظيم، الإصرار على الذنب»[٢].

* وقال أيضًا: «ربما رأى العاصى سلامة بدنه وماله فظن أن لا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة»[٣].

* وقال أيضًا: «ربما كان العقاب العاجل معنويًّا كما قال بعض أحبار بنى إسرائيل: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبنى؟ فقيل له: كم أعاقبك ولا تدرى، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتى؟» [٤].

* قال ابن حجر - رحمه الله - فى المصرين: «يعلمون أن من تاب تاب الله عليه، ثم لا يستغفرون» [٥].

* كان أبو على الروذبانى يقول: «من الاغترار أن تسىء فيحسن إليك، فتترك التوبة توهمًا أنك تُسامَح فى الهفوات» [٦].

* قال أحد الحكماء: «المعصية بعد المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد

---

(١) عن إحياء علوم الدين باختصار (٤/ ٣٢).
(٢) صيد الخاطر (١٧).
(٣) المصدر السابق (٤٥).
(٤) صيد الخاطر (٤٥).
(٥) فتح البارى (١/ ١٣٧).
(٦) صيد الخاطر (٢٠).

الحسنة ثواب الحسنة»[١].

* عن قتادة قال: إياكم والإصرار، فإنما هلك المصرون الماضون قُدمًا. لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرّمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك [٢].

* قال الغزالى: اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب فيها الإصرار والمواظبة: وكذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار[٣].

من مضار الإصرار على الذنب

(١) الإصرار على الذنوب يسبب الوحشة بين العبد وبين الله - عز وجل.

(٢) يَسخط الله والملائكة المقربون ويدعون على المصر على الذنب.

(٣) يتسلط شياطين الجن والإنس على المصر على الذنب.

(٤) تصعب عليه الطاعات ويغفل عن الدعاء فتتقاذفه نوازع النفس والشيطان.

(٥) يشعر دائمًا بانقباض القلب وخبث النفس وضيق الصدر.

(٦) تعظم الدنيا فى عينيه فيستعذبها ويلهث وراءها.

(٧) خفة عقله والنقص فى إيمانه.

(٨) وإذا مات تلقته ملائكه العذاب بالسخط والويل.

(٩) وإذا صار للانصراف من الموقف يوم القيامة أُخذ به ذات الشمال.

(١٠) ينقص قدر المصر على الذنب فى أعين الناس والمجتمع.

(١١) تعتريه الذلة والصغار بين الناس[٤].

---

(١) صيد الخاطر (٤٥).

(٢) الدر المنثور (٢/ ٣٢٨).

(٣) الإحياء (٤/ ٣٤) - نقلاً من نضرة النعيم (٩/ ٣٩٠١ - ٣٩٠٤) بتصرف شديد.

(٤) نضرة النعيم (٩/ ٣٩٠٤).

* ومن أجل ذلك كـان لابد أن تتوب وأن ترجع إلى الله (جـل وعلا) فتعالوا بنا لنعرف منزلة التوبة وكيف نتوب توبة صادقة.

منزلة التوبة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ومنزل «التـوبة» أول المنازل، وأوسطهـا، وآخـرها فـلا يفـارقه العـبـد السـالك، ولايزال فيـه إلى الممـات، وإن ارتحل إلى منزل آخـر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هى بدايـة العبد ونهايته، وحاجته إليها فى النهـاية ضرورية، كمـا أن حاجـته إليـها فى البـداية كذلك، وقد قـال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١].

وهذه الآية فى سورة مدنية، خاطب الله بهـا أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليـه، بعد إيمـانهم وصبرهم، وهجـرتهم وجهادهـم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببـه، وأتى بأداة «لعلَّ» المشعرة بالترجِّى إيذانًا بأنكم إذا تُبتُم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون - جعلنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢] قسَّم العباد إلى تائب وَظالم، ومـا ثَم قسم ثالث البـتة، وأوقع اسـم «الظالم» على من لم يتب. ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله.

وفى الصـحيح عنه ﷺ أنه قـال: «يا أيها الناس، توبوا إلـى الله، فوالله إنى لأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»[٣] وكان أصحابه يعدون له فى المجلس الواحد قـبل أن يقوم «رب اغـفر لى وتب علىَّ إنك أنـت التواب الغـفور، مـائة

---

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

مرة»(١) وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾(٢) إلى آخرها. إلا قال فيها: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. اللهم اغفر لي»(٣).

وصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «لن يُنجِّي أحداً منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»(٤)(٥).

الله يدعو الكون كله للتوبة

إن الله - عز وجل - دعا الناس جميعًا إلى التوبة الصادقة فلقد دعا المشركين إلى التوبة فقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٦).

ودعا إليها أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٧)، والذين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (٨)، فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩) ودعا المنافقين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٠).

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم بالمعاصي من أمة الحبيب ﷺ: فقال

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٦) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٤٣٤) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨١٤) كتاب ابن ماجه، وأحمد (٤٧١٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

(٢) سورة النصر: الآية: (١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٦٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٤٨٤) كتاب الصلاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٥) مدارج السالكين (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٦) سورة التوبة: الآية: (١١).

(٧) سورة آل عمران: الآية (١٨١).

(٨) سورة المائدة: الآية: (٦٤).

(٩) سورة المائدة: الآية: (٧٤).

(١٠) سورة النساء: الآية: (١٤٦).

تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١) ، كما دعا إليها المؤمنين الصادقين، فأمر الله عز وجل أصحاب النبي ﷺ بالتوبة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢) .

بل فتح الله باب التوبة لأصحاب الكبائر ليتوبوا، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) .

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله جل وعلا فتح لهم باب التوبة، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤) .

وها هم أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد..... هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون في النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (٥) فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٢) سورة النور: الآية: (٣١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٣٣).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٣٤).

(٥) سورة البروج: الآية: (١٠).

يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ﴿٦٨﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا ﴿٧٠﴾ ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا﴾ (١) .

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا ﴿٥٩﴾ إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾ (٢) .

ومع كل هذه الأمثلة التى تثلج الصدور لسعة رحمة الله جل وعلا، إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال تعالى: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ (٣) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول....﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ﴿٤٩﴾ وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾ (٥) .

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله العظيم، قال تعالى: ﴿وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم﴾ (٦) .

---

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨، ٧١).

(٢) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٤) سورة غافر: الآية: (٣٠).

(٥) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٦) سورة النور: الآية: (١٥).

خَلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقَى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

فلقد دخلت امرأة النار فى هرة.

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[1].

علامات صحة التوبة وقبولها

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-:

فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات:

منها: أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

ومنها: أنه لا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين.

فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] فهناك يزول الخوف.

ومنها: انخلاع قلبه، وتقطعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها... وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى: ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[3]، قال: تقطعها بالتوبة. ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه وهذا هو تقطعه، وهذا حقيقة التوبة؛ لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه، وخوفًا من سوء عاقبته، فمن لم يتقطع قلبه فى الدنيا على ما فرط حسرة وخوفًا، تقطع فى الآخرة إذا حقَّت الحقائق وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٠).

فلابد من تقطع القلب إما فى الدنيا وإما فى الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضًا: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء. ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا رياضة، ولا حب مجرد، وإنما هى أمرٌ وراء هذا كله. تكسر القلب بين يدى الرب كسرة تامة. قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدى ربه مطيعًا ذليلاً خاشعًا، كحال عبدٍ جانٍ آبقٍ من سيده، فأُخذ فأُحضر بين يديه، ولم يجد من ينجيه من سطوته، ولم يجد منه بدًا ولا عنه غناء، ولا منه مهربًا. وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته. هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده، وذله وعز سيده.

فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ما أنفعها للعبد، وما أجدى عائداتها عليه! وما أعظم جبره بها. وما أقربه بها من سيده! فليس شيء أحبَّ إلى سيده من هذه الكسرة، والخضوع والتذلل، والإخبات، والانطراح بين يديه، والاستسلام له. فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى، أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك. هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواى كثير. وليس لى سيد سواك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه».

يا من ألوذ به فيما أؤمِّله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يَجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة: فمن لم يجد ذلك فى قلبه فليتهم توبته وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى! وما عالج الصادق بشيء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة ولا حول ولا قول إلا بالله[١].

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضيء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق - جل جلاله.

قال ﷺ : «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدى وأنا ربُّك... أخطأ من شدة الفرح»[٢].

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا - أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[٣].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٠٦- ٢٠٨) بتصرف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

(٣) رواه الترمذى والضياء وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

مشهد عظيم لفرحة الرب بتوبة العبد

إن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبته والخضوع له وطاعته وهذا هو الحق الذى خُلقت به السموات والأرض وهو غاية الخلق والأمر ونفيه - كما يقول أعداؤه - هو الباطل، والعبث الذى نزَّه الله نفسه عنه، وهو السُّدَى الذى نزه نفسه عنه: أن يترك الإنسان عليه، وهو سبحانه يحب أن يُعبد ويُطاع ولا يعبأ بخلقه شيئًا لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له.

فإذا خرج العبد عما خُلق له من الطاعة والعبودية، فقد خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التى لأجلها خُلقت الخليقة، وصار كأنه خُلق عبثًا لغير شىء إذ لم تُخرج أرضه البذر الذى وضع فيها. بل قلبته شوكًا ودغلاً، فإذا راجع ما خُلق له وأُوجد لأجله؛ فقد رجع إلى الغاية التى هى أحب الأشياء على خالقه وفاطره، ورجع إلى مقتضى الحكمة التى خلق لأجلها وخرج عن معنى العبث والسُّدى والباطل، فاشتدت محبة الرب له، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فأوجبت هذه المحبة فرحًا كأعظم ما يقدر من الفرح ولو كان فى الفرح المشهود فى هذا العالم نوع أعظم من هذا الذى ذكره النبى ﷺ لذكره ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمادة حياته وبلاغه فى سفره، بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشىء وغاب عنه ثم وجده وصار طوع يده، فلا فرحة أعظم من فرحته به.

فما الظن بمحبوب لك تحبه حبًّا شديدًا أسره عدوُّك، وحال بينك وبينه وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك، وأنت أولى به منه، وهو غرسك وتربيتك ثم إنه انفلت من عدوه، ووافاك على غير ميعاد، فلم يفجأك إلا وهو على بابك، يتملقك ويترضاك ويستعينك،

ويُمرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به، وقد اختصصته لنفسك، ورضيته لقُربك وآثرته على سواه؟

هذا ولست الذى أوجدته وخلقته وأسبغت عليه نعمك، والله عز وجل هو الذى أوجد عبده، وخلقه وكوَّنه، وأسبغ عليه نعمه، وهو يحب أن يتمها عليه، فيصير مُظهرًا لنعمه، قابلاً لها، شاكرًا لها، محبًّا لوليها، مطيعًا له عابدًا له، معاديًا لعدوه مبغضًا له عاصيًا له، والله تعالى يحب من عبده معاداة عدوه، ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالى الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده، فتنضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه، إلى محبته لعداوة عدوه، ومعصيته ومخالفته، فتشتد المحبة منه سبحانه، مع حصول محبوبه، وهذا هو حقيقة الفرح.

وفى صفة النبى ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة «عبدى الذى سُرَّت به نفسى» وهذا لكمال محبته له. جعله مما تسر نفسه به سبحانه.

ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده، حين يأتى من عبوديته بأعظم ما يحبه.

فيضحك سبحانه فرحًا ورضًا، كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه... ويضحك من رجل هرب أصحابه من العدو فأقبل إليهم وباع نفسه لله ولقاهم نحره حتى قُتل فى محبته ورضاه.

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرًّا؛ حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه فهذا الضحك منه حبًّا له، وفرحًا به، وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة فيضحك إليه فرحًا به وبقدومه عليه[1].

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

الأمور التى تعين على التوبة

إن الأمور التى تعين على التوبة والاستمرار عليها كثيرة منها:

١- إخلاص النية لله تعالى فى التوبة وجميع الأعمال الأخرى، قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتُغى به وجهه»[١].

وقال ﷺ: «من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه»[٢].

٢- أن يحاول التائب قدر ما يستطيع أن يعمل أعمالاً صالحة تثبته على طريق الخير وترجح ميزان حسناته وتذهب سيئاته... قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [٣].

ووصى النبى ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «يا معاذ! اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن»[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فالكيِّس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات»[٥].

٣- أن يستشعر قُبح وفداحة الذنب أو الذنوب التى ارتكبها وضررها عليه فى الدنيا والآخرة.

٤- أن يبتعد عن المكان الذى يمارس فيه المعصية، بحيث لا يعود لارتياد المكان الذى فيه المعصية.

٥- إتلاف الأدوات التى كان يعمل بها المعصية كأن يرمى ويكسر المسكر

---

(١) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٢) رواه أحمد (٢٠٢٢٢) أول مسند البصريين، بنحوه، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه.

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، والدارمى (٢٧٩١) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٠٨٤٧) مسند الأنصار ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٥) الوصية الجامعة (ص: ٣).

المتبقى عنده أو آلات اللهو.

٦- أن يجد لنفسه رفقة صالحة تعينه على الخير من الصالحين وأن لا يجالس رفقاء السوء الذين كان يعمل المعاصى معهم.

٧- أن يداوم على قراءة الآيات المخوفة للمذنبين فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٨- أن يتذكر أن العقوبة المُعجَّلة قد تأتيه فى أى وقت. قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[1].

٩- أن يداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأوقات، فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان ويحاول المحافظة على الأذكار خاصة التى تقال فى الصباح والمساء وعند النوم وغيرها الثابتة عن الرسول ﷺ.

الفوائد التى نجنيها من التوبة

ولكى تسارع إلى التوبة فلابد أن تعلم ما هى الثمرة وما هى الفوائد التى تجنيها من التوبة والتى لخصها الإمام ابن حجر فى تلك السطور:

أولا: التوبة تمحو عنك الذنوب.

قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[2].

ثانيا: التوبة تبدل السيئات إلى حسنات:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

ثالثا: التوبة تطهر قلب التائب:

قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نُكتت فى قلبه نُكتة سوداء، فإن هو

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٤).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذى ذكر الله تعالى» ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١)(٢).

رابعًا: التوبة سبب فى الحياة الهادئة المطمئنة:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (٣).

خامسًا: التوبة سبب فى سعة الرزق والقوة:

قال الله تبارك وتعالى على لسان نبيه نوح (عليه السلام): ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٤).

سادسًا: التوبة سبب الفلاح فى الدنيا والآخرة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦).

فوائد ترك الذنوب والمعاصى

يقول الإمام ابن القيم: إن من فوائد ترك الذنوب والمعاصى إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذى جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن،

---

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٣) سورة هود: الآية: (٣).

(٤) سورة نوح: الآيات: (١٠- ١٢).

(٥) سورة القصص: الآية: (٦٧).

(٦) سورة مريم: الآية: (٦٠).

وقـوة القلب، وطيب النفـس، ونعـيم القلب، وانشـراح الصـدر، والأمن من مخاوف الـفساق والفجـار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احـتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصـية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسـر على أرباب الفسـوق والمعاصي، وتسهيل الطـاعات عليه، وتيسـير العلم والثناء الحسن في قـلوب الناس، وكثرة الـدعاء له، والحلاوة التي يكـتسبـها وجـهه، والمهابة التي تُلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أُوذي وظُلم، وذبِّهم عن عِرضه إذا اغتـابه مغتاب، وسرعة إجابـة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقـرب الملائكة منه، وبُعد شيـاطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبـتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومـه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصـغر الدنيا في قلبه، وكـبر الآخرة عنده، وحـرصه على الملك الكبيـر، والفوز العظيم فيـها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجـد حلاوة الإيمان، ودعاء حمـلة العرش ومن حوله من الملائكة له وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعـرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحـه بتوبته، وهكذا يجاريه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقَّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خـوف عليـه ولا حـزن، وينتقل من سـجن الدنيـا وضيقهـا إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيـامة فإذا كان يوم القيامـة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش فـإذا انصرفوا من بين يدي الله أخـذ به ذات اليـمـين مع أوليـائه المتقـين وحـزبه المفلحـين. و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1][2]

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(٢) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص ٢٢١ - ٢٢٢).

شروط التوبة

إن للتوبة شروطًا يجب أن نتعرف عليها لكى تحسن توبتنا:

١- الإقلاع عن الذنوب:

فإنه والله تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.... ولذلك يجب على التائب أن يترك المعصية فور توبته إلى الله (جل وعلا).

٢- الندم على فعل تلك الذنوب:

إن الندم توبة.... والعبد إذا لم يندم على ما فعل من المعاصى كان ذلك دليلاً على رضاه بفعلها، وهذا كله يقدح فى توبة العبد.

٣- العزم على أن لا يعود إليها أبدًا:

وينبغى على التائب أن يعزم على أن لا يعود إلى مقارفة الذنوب مرة أخرى... ولكنه إن فعل ذلك ثم عاد إلى نفس الذنب أو إلى غيره من الذنوب فإن توبته عن الذنب الماضى صحيحة ويلزمه أن يتوب من الذنوب التى وقع فيها بعد ذلك.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال: **«أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى، أذنب عبدى ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدى فليفعل ما شاء»**[1] وقوله تعالى: «فليفعل ما شاء» أى: مادام يفعل هكذا، يذنب ويتوب أغفر له، فإن التوبة تهدم ما قبلها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

يقول الإمام النووى - رحمه الله - بعدما أورد هذا الحديث وغيره:

وهذه الأحاديث ظاهرة فى الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب فى كل مـرة قُبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحّت توبته. ا هـ[1].

٤- الإخلاص فى التوبة:

وذلك بأن يتوب العبد ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا) ..... لا للخوف من أى مخلوق أو لأنه عاجـز عن فعل المعصية أو لأنه يخشى على سـمعته وجاهه، أو لأى حظٍّ دنيوى.

٥- التحلل من المظالم:

قال ﷺ: «من كان لأخـيه عنده مظلمة من مـال أو عِرض فليتـحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»[2].

فـيـجب على كل مـؤمن يؤمن بالله واليـوم الآخـر أن يرد المظالم إلى أصحابها من قبل أن يجد نفسه يوم القـيامة مفلسًا من الحسنات.... فيأخذ هذا من حسـناته وهذا من حسناته فـإن فنيت حسناته أُخـذ من سيـئات مَن ظلمهم فتُطرح عليه ثم يُطرح فى النار، أعاذنا الله وإياكم من نار جهنم.

٦- التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها:

قال ﷺ: «إن الله يبـسط يده بالليل ليـتـوب مسىء النهـار، ويبـسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

وقد ذكـر ابن حجر أحـاديث وآثارًا كثيـرة تدل على استمـرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: «فهذه آثار يشد بعـضها بعضًا متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أُغلق باب التوبة، ولم يُفتح بعد ذلك، وأن

(١) مسلم بشرح النووى (١٧/ ١١٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٤) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله عز وجل جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من قبله، وذلك قوله الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ...﴾[٢] الآية»[٣].

قال القرطبي في قوله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[٤].

أي: تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار.

لا تقنطوا من رحمة الله

واعلم يا أخي أننا لا نُقنط أحدًا من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[٦].

فاللهم ارزقنا توبة نصوحًا صادقة تُرضيك عنا.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٤: ٣٥٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٩/ ٥١٧، ٥١٨) وقال: حسن صحيح وقال ابن كثير في تفسيره صححه النسائي.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٦) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٠، ٧١).



صراع مع
هجر الصلاة

صراع مع هجر الصلاة

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع بكل أسف أن يصرف كثير من المسلمين عن الصلاة التى هى أعظم الأركان بعد الشهادتين وميزان تعظيم الدين فى قلب العبد المؤمن..

فاستجاب له كثير من المسلمين وتركوا الصلاة وهجروا المساجد ورفضوا أن يسجدوا لله (جلَّ وعلا).

* وها نحن نخوض تلك الجولة لكى يعرف المسلمون قدر الصلاة ويسجدوا لله (جلَّ وعلا)... فنكون بذلك قد انتصرنا على الشيطان الرجيم فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

همسة فى أذن كل مسلم

* اعلم - أخى الحبيب - أن الشيطان لا يريد لك الخير أبدًا بل يريد أن يبعدك عن طاعة الله وأن يكون سببًا فى دخولك النار - عياذًا بالله - ولذلك فهو يوسوس لك ليل نهار لكى تترك الصلاة وتهجر القرآن وتسلك طريق الغواية والضلال.

فإن أردت أن تُرغم أنف الشيطان فلا بُدَّ أن تقوم الآن لتتوضأ ولتسجد لله (جلَّ وعلا).

* فإن الصلاة هى أعظم الأركان بعد الشهادتين وهى أمُّ العبادات وميزان تعظيم الدين فى قلب المؤمن فهى التى أمر الله بها وهى الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ وهى ملجأ المؤمن فى الكربات وهى التى يرفع الله بها الدرجات ويغفر بها الخطيئات وينجو بها العبد من عذاب رب الأرض

والسماوات وهى أمنية المعذَّبين والأموات وهى العاصمة من الشهوات والناهية عن المنكرات وهى الحادى للنعيم المقيم فى الجنات.

* فيا شباب.. حى على الصلاة فالجنة تناديكم فهل من مجيب؟... وهل سنجد شبابًا يشتاق إلى جنة الرحمن فيعلنها اليوم توبة صادقة ويغسل جبال الذنوب بدموع التوبة، فيتوضأ ويقف بين يدى الله (جل وعلا).. ولسان حاله ومقاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[1].

حال النبى ﷺ مع الصلاة

لقد بلغت الصلاة مبلغًا عظيمًا وقدرًا عاليًا فى قلب النبى ﷺ وأصحابه حتى كانت أغلى من نسيم الهواء الذى يتنفسه الإنسان.

وحسبنا أن نتأمل قول النبى ﷺ: «حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم: النساء والطِّيب وجُعلت قُرة عينى فى الصلاة»[2].

وقد كان النبى ﷺ يفزع إلى الصلاة... ففزع إليها ليلة الأحزاب.

قال حذيفة: «رجعت إلى النبى ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل فى شملة يصلى، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر صلى»[3].

وفزع إليها يوم بدر: ... عن (على) قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح.

* وكان يفزع إليها كذلك عند تجدد النعم.

فمن ذلك أن الله -عز وجل- لما أنعم على نبيه ﷺ بفتح مكة اغتسل وصلى ثمانى ركعات شكرًا لله عز وجل.

---

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٣١٩) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٢٧٨٨) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧٠٣).

وكان ﷺ يحب الصلاة حبًا جمًا لدرجة أنه كان يقول لبلال: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»[1].

بل إنه ﷺ في مرض الموت وفي آخر لحظات حياته يُغشى عليه ثم يفيق ويقول: «أصلَّى الناس؟» فيقولون له: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، ويُغشى عليه ثم يفيق ولا يسأل إلا نفس السؤال: «أصلى الناس؟»[2].

* وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جُهينة، فقاتلوا قتالاً شديدًا»... الحديث، وفيه: «وقالوا -أي: المشركون- إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد»[3].

* ولكونها كانت «قرة عينه ﷺ» كان ﷺ يطيل القيام والتهجد، ولا يقوى على مفارقتها.

حال سلفنا الصالح مع الصلاة

كان أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان يحبون الصلاة، ويشتاقون إليها، فلقد استولت على قلوبهم واستغرقت نفوسهم فقد تعلموا ذلك من النبي ﷺ.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدًا: الظمأ لله بالهواجر، والسجود في جوف الليل، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما يُنتقى أطايب التمر».

ولما حُضر عامر بن عبد قيس -رحمه الله- جعل يبكي، فقيل له: «ما يبكيك؟» قال: «ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٧٨) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٤٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

أبكى على ظمإ الهواجر، وعلى قيام ليالى الشتاء».

* روى أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان يصلى فى جوف الكعبة وهو مُحاصَر بجيش عبد الملك بن مروان الذى يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبى قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه، ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه، فمازال رضي الله عنه عن مقامه، ولا ظهر على صورته هَمٌّ ولا اهتمام، ولا قطع قراءته، ولا ركع دون ما يركع، حتى فرغ من صلاته.

بل إنه كان يصلى حين تقف الضربات أحيانًا فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم، تصعد وتنزل فى أمان، وهى تظنه جذم حائط، أو جذع شجرة.

ولقد ركع ذات مرة، وكان رجل من أصحابه يقرأ القرآن، فما قام رضي الله عنه من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة «البقرة» و «آل عمران» و «النساء» و«المائدة».

وروى أنه كان يصلى ذات يوم فى بيته، فسقطت حية من السقف، فطوقت على بطن ابنه «هاشم» فصرخ النسوة، وانزعج أهل الدار، واجتمعوا على قتل الحية، فقتلوها، وسلم الولد، فعلوا كل ذلك، وابن الزبير فى صلاته، لم يلتفت، ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته.

* وكان أبو مسلم الخولانى -رحمه الله- يجتهد فى العبادة، ويقول: «أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا؟! كلا والله، لنزاحمنهم عليه زحامًا، حتى يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالاً».

* بل هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يصلى بالقرآن كله فى ركعة الوتر... وهذا عروة بن الزبير -رحمه الله- تُقطع رجله وهو ساجد بين يدى الله -جل وعلا- وكان قد عرضوا عليه أن يشرب شيئًا يُذهب عقله حتى لا يشعر بألم القطع فقال: لا أذهب عقلى بشىء حرمه الله، ولكن

انتظروا حتى أدخل فى الصلاة فإذا سجدت فاقطعوا رجلى.

* بل هذا سعيد بن المسيب -رحمه الله- يصلى أربعين سنة خلف الإمام فى الصف الأول لا تفوته تكبيرة الإحرام.

* وقال بعضهم معبراً عن هذا النعيم وقرة العين بذكر الله والصلاة: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف»...

وقال آخر: «إنه لتمر بى أوقات أقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب»..

* ولذلك كان من تعظيم قدر الصلاة أن النبى ﷺ كان يأخذ البيعة على إقامتها.

* عن جرير بن عبد الله قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1].

الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان»[2].

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٦) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

الصلاة إيمان

قال البيهقى -رحمه الله-: «وليس من العبادات - بعد الإيمان الرافع للكفر- عبادة سماها الله - عز وجل- إيمانًا، وسمى رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلا الصلاة»[١]. اهـ.

* ولذلك سمى الله -عز وجل- الصلاة إيمانًا كما فى قوله -جل وعلا-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٢] يعنى: صلاتكم عند البيت.

الصلاة أمُّ العبادات

لقد كُلِّف العبد أن تستحوذ الصلاة على كل كيانه، ظاهرًا وباطنًا، وتستغرق قلبه ولسانه وجوارحه، قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٣]، وقال ﷺ كما فى الصحيحين: «إن فى الصلاة لشغلاً»[٤].

الصلاة شأنها عظيم عند الله

إن الصلاة شأنها عظيم عند الله -جل وعلا- ولذلك فقد تميزت على ما عداها من الفرائض بخصائص لا تُعد ولا تُحصى.

وحسبنا أنها العبادة الوحيدة التى منحها الله لنبيه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بلا واسطة من فوق سبع سماوات لعلو قدرها ومكانتها عند الله -جل وعلا- فهى الفريضة الوحيدة التى فُرضت فى السماء.

* * *

(١) شعب الإيمان (٣/ ٣٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢١٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٥٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

الصلاة أفضل الأعمال

* ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «أفضل الأعمال: الصلاة لوقتها»، وقال رسول الله ﷺ: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر»[1].

أى: أن الصلاة أفضل ما وضعه الله -أى: شرعه- من العبادات، ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل.

الصلاة امتثال لأمر الله (جل وعلا)

اعلم أيها الأخ الحبيب... وأيتها الأخت الفاضلة أن العبد عندما يصلى فهو يمتثل أمر الخالق (جل وعلا) الذى أمر بإقامة الصلاة، فقد قال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾[2].

الصلاة هى عبودية كل الكائنات

فالكون كله يسبح بحمد الله، والكون كله يسجد ويصلى لله (جل وعلا). قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[3].

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟» ثم ذكر كيفية اصطفافهم فقال: «يتمون الصف الأول

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٨٤، رقم ٢٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٧٠).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٣١).

(٣) سورة الحج: الآية: (١٨).

فالأول، ويتراصون فى الصف»[١].

* وقد فضَّلنا الله على بقية الأمم بأن «جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة»[٢].

الصلاة هى القاسم المشترك بين كل الأديان

اعلم أيها الأخ الحبيب أنه لم يأت دين من الأديان إلا وكانت الصلاة عموده الأكبر بعد التوحيد فلم يخل دينٌ من تلك العبادة على اختلاف صورها وأشكالها فى كل ديانة.

فقد حكى الله عز وجل عن إبراهيم -عليه السلام- دعاءه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[٣].

ونوَّه جل وعلا بشأن إسماعيل -عليه السلام- فقال سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٤].

وقال سبحانه مخاطبًا موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[٥].

ونادت الملائكة مريم أم عيسى -عليهما السلام-: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٦].

وقال عيسى -عليه السلام- محدثًا بنعمة ربه سبحانه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٧].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٣٠) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٤٠).

(٤) سورة مريم: الآية: (٥٥).

(٥) سورة طه: الآية: (١٤).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (٤٣).

(٧) سورة مريم: الآية: (٣١).

وقد أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل، فجعل إقامة الصلاة من أهم مواده: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (١)

وقال جل وعلا مخاطبًا خاتم النبيين ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢).

الصلاة ميزان يُقاس به إيمان العبد

إذا أردت أن تقيس إيمان العبد فانظر لحاله مع الصلاة.

* قال ﷺ: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فلينظر ما لله عنده» (٣).

الصلاة شعار ديار المسلمين

فكما أن النبى ﷺ أخبر أن حُكم الكفر يرتفع عن العبد بالصلاة فكذلك يرتفع حكم الكفر عن أى دولة بظهور شعائر الإسلام وفى مقدمتها الصلاة، وذلك أننا إذا دخلنا أى بلد ولم نسمع فيها أذانًا ولم نجد فيها مساجد فهذا دليل على أن تلك الدار دار كفر.

* روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاكم المسلم الذى له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته»(٤).

* وروى البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبى ﷺ كان إذا غزا

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

(٢) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٣) حسن: رواه ابن المبارك فى الزهد (١/ ٢٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٠٦).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٩١) كتاب الصلاة.

بنا قومًا، لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كَفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم»(١).

الصلاة... مدرسة خلقية

إن الصلاة هي المدرسة التي يتربى فيها المسلم على الأخلاق الحميدة ويتخلص فيها من الأخلاق المذمومة ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(٣).

فاستثنى المحافظين على الصلاة من أصحاب الأخلاق الذميمة.

الصلاة تنهاك عن فعل المنكرات

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٤).

* ولما قيل للنبي ﷺ: إن فلانًا يصلى الليل كله، فإذا أصبح سرق!، قال ﷺ: «سينهاه ما تقول» أو قال: «ستمنعه صلاته»(٥).

من حفظ الصلاة فقد حفظ دينه

* قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٠) كتاب الأذان.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٣) سورة المعارج: الآيات: (١٩-٢٣).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٧).

فى سبيل الله»[1]

* وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق: «إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظَّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة».

المصلى فى حماية الله وحفظه

قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك»[2] والمعنى: أى: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب.

ومن أعظم ما يحفظه العبد أن يحافظ على الصلاة فلقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[3].

ومدح المحافظين عليها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4].

* فالمصلى يكون فى حفظ الله وحمايته.

* روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء، فإنه من يطلبه من ذمته بشىء يدركه، ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم»[5].

* فالله (عز وجل) يجعل الصلاة سببًا لحفظ العبد.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٥١١) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٤) سورة المؤمنون: الآية: (٩).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

الصلاة تجلب لك الرزق (بإذن الله)

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة: اعلموا أن الصلاة من أعظم أسباب الرزق؛ لأن الانشغال بهموم الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح (وعلى رأسه الصلاة) يجعل الدنيا تاتى إلى العبد وهى صاغرة.

* وقال ﷺ : «إن الله تعالى يقول: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتى، أملأ صدرك غنى، وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسُدَّ فقرك»[١].

* وبيَّن (جل وعلا) أن المال خادم وأن الدين مخدوم، فقد قال رسول الله ﷺ : «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة...»[٢].

* ولو كان يجوز لأحد أن يترك الصلاة لانشغاله بما عداها، لكان أولى الناس بذلك المجاهد الذى يكافح العدو، ومع ذلك لم يُعذَر فى ترك الصلاة، وشرع الله له صلاة الخوف.

أو المريض الذى أنهكه المرض... لكن تبقى الصلاة فريضة عينية فى حقه، ويصلى حسب ما يستطيع، فلا يُتصور مسلم لا يصلى إلا امرأة حائضًا أو نفساء، والله تعالى أعلم[٣].

الصلاة تجلب لك المزيد

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٤].

ومما لا شك فيه أن الصلاة من أعظم العبادات التى يتقرب بها العبد إلى

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩١٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨١).

(٣) الصلاة لماذا؟/ الدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - (ص: ١٠٥).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

الله شكرًا على نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى.

* وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1].

* بل ولما أنعم الله على النبى ﷺ بفتح مكة بادر إلى شكر هذه النعمة الكبرى، فدخل دار أم هانئ بنت أبى طالب، واغتسل، وصلى ثمان ركعات «سبحة الضحى» شكرًا لله تعالى[2].

* وهكذا كلما أكثرت من السجود لله وشكرت الله على نعمه كلما فتح الله لك باب المزيد من خيرى الدنيا والآخرة.

الصلاة سبب للنجاة من النفاق ومن النار

فقد قال رسول الله ﷺ: «من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة، يدرك التكبيرة الأولى؛ كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»[3].

الصلاة ترغم أنف الشيطان وأعوانه

لقد أقسم الشيطان على إغوائك فهو يريد أن يأخذك معه إلى نار جهنم، ومن أجل ذلك فإنه يبذل كل ما فى وسعه من أجل أن يصرفك عن الصلاة بشتَّى الطرق والوسائل.

ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[4].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٩١).

* فالشيطان يغتاظ إذا رأى عبدًا ساجدًا لله (جل وعلا).

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويلى، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار»(١).

* فأنت إذا حافظت على صلاتك فإنك بذلك تُرغم أنف الشيطان.

* ولذا شرع النبى ﷺ للمصلى إذا سها فى صلاته سجدتين، وقال: «إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان» وفى رواية: «ترغيمًا للشيطان»(٢) وسماهما: «المرغمتين».

الصلاة كفارة للذنوب والخطايا

* روى مسلم عن ابن مسعود أن رجلاً أتى النبى ﷺ فذكر له أنه أصاب من امرأة إما قُبلة أو مسٍّ يد، كأنه يسأل عن كفارتها، فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾(٣) فقال الرجل: يا رسول الله أليَ هذه؟ قال: «هى لمن عمل بها من أمتى».

* وقال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر»(٤).

الصلاة يكشف الله بها الكربات

الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذى يأوى إليه، والعروة الوثقى التى يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذى يتعلق به، وهى غذاء الروح،

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة.

وبلسم الجروح، ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل»[١].

* قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٢].

وروى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إنسان إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح»[٣].

وقال حذيفة رضي الله عنه: «رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ صلى»[٤].

ويُروى أن ثابتًا قال: «كان النبي ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى بأهله: «صلوا، صلوا» قال ثابت: «وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة».

الذي ينتظر الصلاة كالفارس المجاهد.. فكيف وهو يصلي؟

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «منتظر الصلاة بعد الصلاة، كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله على كشحه[٥] وهو في الرباط الأكبر»[٦].

* فإن كان هذا وصف النبي ﷺ لمن ينتظر الصلاة فكيف به حين يقوم بين يدي الله (جل وعلا) ليصلي ويبكي ويتضرع؟!!

---

(١) الأركان الأربعة / للندوي (ص: ٣٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٣) رواه أحمد (١١٦٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن.

(٤) رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣١).

(٥) الكاشح: هو العدو الذي يُضمر عداوته.

(٦) حسن: رواه أحمد (٨٤١١) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٤٥٠).

الملائكة تدعو لمن ينتظر الصلاة..
فكيف بمن يصلى؟

* قال النبى ﷺ : «إن أحدكم فى صلاة مادامت الصلاة تحبسه، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يقم من مُصلاه، أو يُحدث»[(١)].

فإن كانت الملائكة تدعو كل هذا الدعاء للعبد الذى ينتظر الصلاة فكيف إذا قام ووقف بين يدى الله ليصلى ويبكى ويخشع ويضع جبهته فى التراب طلبًا لرضوان الله (جل وعلا)؟!!

خيركم من طال عمره وحَسُن عمله

قال ﷺ : «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشرُّ الناس من طال عمره وساء عمله»[(٢)].

* فالعبد كلما طال عمره فى طاعة الله كلما كان ذلك خيرًا له.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «كان رجلان من (بَلِىٍّ) من (قضاعة) أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما، وأُخِّر الآخر سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة، صلاة سنة؟».

وفى رواية ابن ماجة قال ﷺ : «فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٢٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٩) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٢٢٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٢٥) كتاب تعبير الرؤيا، وأحمد (٨١٩٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٩١).

مَنَ الصدِّيقين والشُّهداء؟

* عن عمرو بن مُرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصُمت رمضان، وقُمته، فممَّن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء»[1].

من حافظ على الصلاة لقى الله مسلماً

* إن المحافظة على الصلاة عنوان لاستسلام العبد لأوامر الخالق (جل وعلا) ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلمًا، فليحافظ علَى هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادَى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، ولعمرى لو أن كلكم صلى فى بيته، لتركتم سُنة نبيكم، ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يُهادَى بين الرجلين، حتى يدخل فى الصف»[2].

عهد من الله بالمغفرة للمصلين

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، مَن أحسن وضوءهن، وصلاَّهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه»[3].

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٨/ ٢٢٣، رقم ٣٤٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٤٢).

أهل الصلاة هم الفائزون برحمة الله

فقد قال (جل وعلا) عن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤدون سائر الفرائض: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

إذا أردت القرب من الله فعليك بالصلاة

قال تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾(٢).

وقد قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»(٣).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من كان فى الصلاة فهو يقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له»(٤).

وإذا أردت القرب من رسول الله ﷺ فعليك بالصلاة

عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لى: «سلنى» فقلت: أسألت مرافقتك فى الجنة، قال: «أوَ غير ذلك؟» قلت: هو ذاك قال: «فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود»(٥).

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٧١).

(٢) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٠)، والبيهقى فى الشعب (٣/ ١٤٦، رقم ٣١٤٨)، وابن المبارك فى الزهد (١/ ٨، رقم ٢١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

الصلاة آخر وصية للنبى ﷺ

الا تعلم أيها الأخ الحبيب أن الصلاة هى آخر وصية أوصى بها النبى ﷺ وهو فى الرمق الأخير من حياته.

فعن على رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبى ﷺ : «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»[(١)].

* فإن أردت أن تحفظ وصية الحبيب ﷺ فعليك بالصلاة.

الصلاة من أسباب النجاة من عذاب القبر

من المعلوم أن العبد إذا تزود بالعمل الصالح فإن ذلك يكون من أسباب النجاة من عذاب القبر، ومن أعظم الأعمال الصالحة التى يتزود بها العبد (الصلاة).

الصلاة أمنية الأموات والمعذبين

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «مَرَّ النبى ﷺ على قبرٍ دُفن حديثًا، فقال: «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتَنفَّلون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دنياكم»[(٢)].

* فالعبد حين يعاين الحقائق ويرى العذاب أمام عينيه يتمنى العودة مرة أخرى إلى الدنيا ليصلى ويتصدق ويفعل كل الخيرات، ولكن هيهات هيهات فقد مضى الأجل وضاع العمر فى اللهو واللعب وما بقيت إلا التبعات.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٦) كتاب الأدب، وابن ماجه (٢٦٩٨) كتاب الوصايا، وأحمد (٥٨٦) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١٦).

(٢) صحيح: رواه ابن المبارك (١/ ١٠ ، رقم ٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١٨).

إذا صلحت صلاتك صَلحَ سائر عملك

وإذا صلحت الصلاة، صلح سائر عمل المرء، قال رسول الله ﷺ : «أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صَلحَت صَلحَ سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»(١) .

الصلاة تحرم أجسادكم على النار

* وقد ضمن الله (عز وجل) النجاة من النار لمن حافظ على صلاتى الفجر والعصر، فعن عمارة بن رُوَيبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»(٢) .

وقال ﷺ : «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها؛ حُرِّم على النار»(٣) .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يرحم ممن كان شهد أن لا إله إلا الله، أمر الله أن يخرجوهم، فيعرفوهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من بنى آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحشوا، فيصبّ عليه من ماء يقال له: ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل»(٤) الحديث .

* * *

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٢٤٠ ، رقم ١٨٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٧٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٢٦٩) كتاب الصلاة، والترمذى (٤٢٧) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١١٦٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٦٢٢٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٤) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

الصلاة ترفع درجتك فى الجنة

قال ﷺ: «صلاة فى إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ فى عليين»(١).

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٢).

الصلاة.. ولذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا)

إن أعظم نعمة فى الجنة هى نعمة النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٣).

وقد ربط ﷺ بين رؤية الرب تبارك وتعالى وبين الصلاة فيما رواه جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال: كنا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾(٤)(٥).

* * *

(١) حسن: رواه أبو داود (١٢٨٨) كتاب الصلاة، وأحمد (٢١٧٧٠) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة.

(٣) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٤) سورة طه: الآية: (١٣٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

عقوبة تارك الصلاة

إن مغبة ترك الصلاة شديدة، وحسبُك يا تارك الصلاة أنك بذلك قد خُنت الأمانة وجعلت حياتك كلها عُرضة للعذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة.

وها هى بعض العواقب الوخيمة لترك الصلاة:

١- ترك الصلاة كفر:

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

وفى رواية لمسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[(١)].

وقال ﷺ : «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[(٢)].

* **وعن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة رضي الله عنه:** «كان أصحابُ رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تَرْكُهُ كُفر غير الصلاة»[(٣)].

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أما إنه لا حظَّ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة».

٢- ترك الصلاة من أكبر الكبائر:

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى-: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢١) كتاب الإيمان، والنسائى (٤٦٢) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٠٧٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٢٤٢٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢٢) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة»[1].

٣- تارك الصلاة برئت منه ذمة الله:

* قال ﷺ: «لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت، وحُرِّقت، ولا تعقنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»[2] الحديث.

٤- ترك الصلاة خيانة للأمانة:

- فالأمانة تشمل التكاليف كلها.. وعلى رأسها الصلاة فمن تركها فقد خان الأمانة، وقد قال (جل وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

٥- عقوبات متلاحقة لمن ترك الصلاة:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله»[4].

- والموتور: من أُخذ أهله وماله، وهو ينظر إليه، وذلك أشد لغمِّه، ومن فاته الصلاة أشبهه لاجتماع غمِّ الإثم، وغم فقد الثواب، كما يجتمع على الموتور غمان: غمُّ السلب، وغمُّ الطلب بالثأر.

* وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر حبط عمله»[5].

* فإن كان هذا حال من ترك صلاة العصر فقط فما ظنكم بمن ترك الصلوات الخمس؟!!!

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٣).

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (٢١٥٧٠) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠)، وقال: حسن لغيره.

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٢) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٢٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٥٣) كتاب مواقيت الصلاة.

٦- ترك الصلاة تضييع لحقوق عباد الله الصالحين:

لأنه يجب عليه في التشهد أن يقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» قال ﷺ : «إذا قالها بلغت كل عبد لله صالح في السماء والأرض»[1] فإذا ترك الصلاة، عطل هذه التحية الطيبة عن أن تبلغ أولياء الله الصالحين[2].

٧- ترك الصلاة سبب للوقوع في الشهوات:

فهناك تلازم حقيقي بين ترك الصلاة والوقوع في الشهوات قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3] فكل من أضاع الصلاة لابد أن تستعبده الشهوات؛ لأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها؛ ولأن مَنْ ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع.

٨- ترك الصلاة يُظلم القلب ويسود الوجه:

ترك الصلاة يظلم القلب، ويسود الوجه، وذلك لأن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت الحيرة حتى يقع تاركها في الضلالات، وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم حتى تعلو الوجه، فيصير سوادًا يدركه أهل البصائر، وتحصل حين ذلك الوحشة بينه وبين الناس سيما أهل الخير، فيجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُد منهم، وحُرم بركة النفع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بَعُد من حزب الرحمن[4].

٩- ترك الصلاة يورث النفاق:

إن العبد إذا ترك الصلاة فإن النفاق يدب في قلبه، فالمنافق لا يطيق الصلاة، وإذا قام إلى الصلاة فإنه يأتيها وهو كسلان كما وصف الله حال

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٠٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٤٠٢) كتاب الصلاة.

(٢) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٧٩).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام ابن القيم (ص: ٤٩).

المنافقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(١)] .

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتُقام، ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم منْ حطب؛ إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[(٢)] .

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى شأن صلاة الجماعة: ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان يُؤتَى بالرجل يُهادى بين الرجلين[(٣)] حتى يقام فى الصف»[(٤)] .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا إذا فقدنا الرجل فى الفجر والعشاء أسأنا به الظن»[(٥)] .

١١- ترك الصلاة من أسباب سوء الخاتمة:

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلمى أيتها الأخت الفاضلة، أن ترك الصلاة من أعظم أسباب سوء الخاتمة، فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه».

* ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه، وينقر فى سجوده وهو يصلى، فقال: «لو مات هذا على حاله هذه، مات على غير ملة محمد ﷺ»[(٦)] .

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) أى: يمشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح موقوف: رواه ابن أبى شيبة (١/ ٢٩٢ ، رقم ٣٣٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٤١٧)، وقال: صحيح موقوف.

(٦) حسن: رواه الطبرانى (٤/ ١١٥، رقم ٣٨٤١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٢٨).

فإن كان الذى يصلى ولكنه يسىء صلاته متوعداً بسوء الخاتمة فكيف بمن يهجر الصلاة بالمرة؟!!

١٢- ترك الصلاة من أسباب عذاب القبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [(١)] .

ومن المعلوم أن تارك الصلاة لا يعمل عمل الأبرار وإنما يعمل بعمل الفجار.

قال ابن القيم – رحمه الله –: «ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء فى نعيم فى دورهم الثلاثة، وهؤلاء فى جحيم فى دورهم الثلاثة»[(٢)]. اهـ.

* قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[(٣)].

وقد فُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر.

* ويخبر النبى ﷺ أن تارك الصلاة يظل يُعذَّب فى قبره إلى يوم القيامة ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى....» الحديث، وفيه: «...وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه [(٤)]، فيتدهده [(٥)] الحجر ها هنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى»[(٦)] الحديث.

١٣- تارك الصلاة يُحشر فى وادى سقر:

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: ألا تعلمون أن المضيعين للصلاة والمفرطين فيها لهم الغى.

---

(١) سورة الانفطار: الآيتان: (١٣-١٤).

(٢) الجواب الكافى (ص: ١٠٧).

(٣) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٤) يثلغ رأسه: أى: يشدخه، ويشقه.

(٥) يتدهده: يتدحرج، والمقصود أنه يدفعه من علو إلى سفل.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(١).

والمستكبرون عن الركوع لله (عز وجل) والمستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل، . . . قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(٢) ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٣).

وأما الذين يتركون الصلاة فهم في وادى سقر... قال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾(٤).

- ولكن يا ترى ما وادى سقر؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(٥).

شبهات... والرد عليها

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

أريد أن أسأل أى مسلم: لماذا لا تصلى؟ ومن المعلوم أن كل واحدٍ سيذكر سببًا يمنعه من الصلاة، وسوف نتولى الرد عليه.

١- يقول أحدهم: أنا لا أصلى لأن الصلاة ثقيلة جداً.

نقول: يخففها عليك أن تعلم أنك عبدٌ لله (جل وعلا).. وأن تعلم أنها

(١) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٢) سورة المرسلات: الآيتان: (٤٨-٤٩).

(٣) سورة الماعون: الآيتان: (٤-٥).

(٤) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٥).

(٥) سورة المدثر: الآيات: (٢٧-٣٠).

كانت خمسين صلاة فخُففت إلى خمس صلوات، . . . ويخففها أيضًا عليك أن تستعين بالله (جل وعلا) أن يجعل الصلاة قرة عينك كما كانت قرة عين النبى ﷺ .

٢- يقول: مش مهم الصلاة... ويكفينى أنى أحب الخير للناس.

نقول: كيف تزعم أنك تحب الخير للناس، وأنت لم تحبه لنفسك فتركت الصلاة وجعلت نفسك عُرضة لعذاب الله يوم القيامة. . . ثم ما الذى يمنع أن تحب الخير للناس، وأن تصلى فى نفس الوقت؟

٣- يقول المشكلة أننى ليس عندى وقت للصلاة.

نقول: يعنى عندك وقت للطعام والشراب، والعمل ولكل شىء إلا الصلاة. . . هل نسيت أيها الأخ الحبيب أن الغاية العظمى من وجودك فى هذه الدنيا أن تكون عبدًا لله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [1].

فهل يجوز لك أن تؤثر الدنيا بمتاعها الزائل على طاعة الله (جل وعلا). .

هل تعلم أيها الأخ الحبيب أن المجاهد فى سبيل الله لا يجوز له أن يترك الصلاة فكيف بك وأنت فى هذا الأمان وبين تلك النعم؟!!

٤- يقول: المشكلة أننى أعرف أناسًا فى غاية السوء ومع ذلك فهم يصلون.

نقول: إذن فما عليك إلا أن تصلى وتكون قدوة للناس بأخلاقك ومعاملاتك وأمانتك لتكون سببًا فى تغيير تلك الصورة السيئة ويكون ذلك فى ميزان حسناتك.

٥- يقول: مادام القلب أبيض يبقى خلاص.. لسنا فى حاجة إلى الصلاة.

نقول: إن الذى فى مكنونات القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب (جل وعلا). . . فنحن لا نعلم إذا كان قلبك أبيض أم غير ذلك، ولكننا نعلم يقينًا أن صاحب القلب الأبيض لا بد أن يكون من الذين يسجدون لله (جل وعلا).

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

٦- يقول: المشكلة أننى كلما صليت جاءتنى المصائب من كل مكان.

نقول: إن هذا اختبار من الله (عز وجل) لك لأنه يحبك، أما سمعت قول النبى ﷺ عندما قال: «إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم..»[1].

وأنت تعلم كيف عانى النبى ﷺ من شدة البلاء ومع ذلك كان راضيًا عن الله... فما عليك إلا أن ترضى وتُسلم وتعلم أن الدنيا دار بلاء وأن النعيم الحقيقى الكامل لن يكون إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

٧- يقول: المشكلة إن إمام المسجد يطيل فى القراءة.

نقول: إن أردت أن تبحث عن مسجد آخر قريب لا يطيل فيه الإمام فى القراءة فافعل، ولكن لو أنك استشعرت أن هذا القرآن هو كلام ربنا (جل وعلا) فلن تشعر بطول القراءة أبداً.

كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: والله لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا... ومع ذلك فنحن نوصى الأئمة فى المساجد بعدم التطويل على الناس فى الصلاة.

٨- يقول: ذنوبى كثيرة وحاسس إن صلاتى غير مقبولة.

نقول له: أحسن الظن بالله واعلم أن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع فلو أنك تُبت توبة صادقة فإن الله (عز وجل) سوف يبدل سيئاتك كلها حسنات فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

٩- يقول: المشكلة أننى لا أستطيع أن أغسل رجلى خمس مرات.

نقول: توضأ واغسل رجلك مرة واحدة فى اليوم والبس جوربًا أو شرابًا

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

وإذا أردت أن تتوضأ فامسح عليه فى سائر الصلوات الخمس إذا كنت مقيمًا، وثلاثة أيام بلياليهن إذا كنت مسافرًا.

١٠- يقول: أنا لا أستطيع أن أصلى إلا وأنا جالس فأستحيى أن أصلى فى المسجد حتى لا يسخر الناس منى.

نقول: صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فصلِّ جالسًا فإن لم تستطع فصلِّ على جنبك. . . . فإن كنت تريد أن تترك الصلاة حياء من الناس فمن باب أولى أن تصلى حياءً من الله.

١١- يقول: خلاص أنا سوف أصلى إن شاء الله من يوم الجمعة القادمة.

نقول: وهى تضمن أن تعيش ساعة واحدة. . . والله أنا أخشى أن تموت قبل أن تصلى.

- **وأنا أهدى لك هذه القصة:** كان هناك شابٌ يشرب الخمر ولا يصلى وبعد سنوات عديدة قابله بعض الشباب الأفاضل فأخذوا يدعونه إلى الله بكل رحمة وحنان فانفتح قلبه وعاد إلى البيت فاغتسل وتوضأ ولبس ملابس نظيفة وذهب إليهم فى المسجد ووقف خلف الإمام ليصلى صلاة المغرب، وما إن سجد الإمام وسجد خلفه هذا الشابُّ حتى فاضت روحه مع أول سجدة سجدها لله (جل وعلا).

* فالإنسان لا يدرى متى يأتيه الموت. . . قد تموت وأنت ساجد لله وقد تموت وأنت تارك للصلاة.

ومن مات على شىء بُعث عليه. . فيا ترى هل تحب أن تُبعث وأنت ساجد لله أم تحب أن تُبعث وأنت تارك للصلاة.

*** أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

يا من تركتم الصلاة. . تذكروا أننا عما قريب سنلقى الله وسيسألنا عن كل صغير وكبير.

أقول لكل واحد منكم: بالله عليك قُم الآن... نعم الآن.. وتوضأ وصلِّ واسجد بين يدىّ الله واسكب دموع الندم عسى الله أن يغفر لك وأن يتوب عليك وأن يرحمك وقل بلسان الحال والمقال: «أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء مَن خضعت لك رقبته، وفاضت لك عَبرته، وَذلَّ لك جسمه، ورَغِم لك أنفه».

وأخيراً: فإننى أسأل الله (جل وعلا) أن يهدى كل عُصاة المسلمين وأن يردهم إلى دينه وإلى سُنة حبيبه ﷺ وأن يرزقهم نعمة الصلاة التى هى من أعظم النعم.

* * *



صراع مع الموضة

صراع مع الموضة

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يخدع الكثير من المسلمات ويوقعهن فى شراك التبرج الصارخ تحت اسم الموضة وآخر صيحات الموضة وأزياء الربيع والشتاء والصيف والخريف. . . فراحت المرأة المسلمة - إلا من رحم الله - تلهث وراء بيوت الأزياء اليهودية لتسير على أحدث صيحات الموضة وكأنها تقول لبيوت الأزياء اليهودية سمعنا وأطعنا. . . فى الوقت الذى جاءها النداء من أكثر من أربعة عشر قرنًا من رب الأرض والسماء لكى تلبس حجابها وتحافظ على دينها وحيائها فلم تستجب إلا ثلة قليلة مباركة من نساء المسلمين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] .

* وها نحن نخوض تلك الجولة من أجل أن نأخذ بأيدى أخواتنا إلى العفة والحجاب ومن أجل أن نحذر أخواتنا من مغبة التبرج فنكون بذلك قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

إعداد المرأة الصالحة فى ظل الإسلام [(١)]

أما بعد . .

فإن منهج التربية الإسلامية يُعد الإنسان إعدادًا كاملاً من جميع جوانب شخصيته؛ ليكون إنسانًا صالحًا فى نفسه، مُصلحًا لغيره، نافعًا لمجتمعه، ولا يفرق منهج التربية الإسلامية فى إعداده للإنسان بين ذكر أو أنثى، فهو يتعامل بمنهجه التربوى مع نوعى الإنسان، يرعى كلاً منهما بما يُصلحه ويُكمّله؛ ليكون عبدًا صالحًا لله تعالى، يحقق المقصد الأسمى من مبدأ وجوده، الذى حدده المولى عز وجل إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)] .

ولما كانت الأنثى من نوعى الإنسان تقوم بمهمات اجتماعية وتربوية لا تقل أهمية عما يقوم به الذكور فى ميادينهم العملية المختلفة - عُنى منهج الإسلام التربوى بإعدادها إعدادًا خاصًا؛ لتكون بنتًا بارَّة، وأختًا حانية، وزوجة صالحة، وأمًّا راعية بحيث يتولاها هذا المنهج الربانى المحكم فى كل مرحلة من مراحل حياتها بالإعداد التربوى المناسب الذى يؤهلها للقيام بمسؤولياتها العبادية والاجتماعية المناطة بها.

وتأتى قضية اللباس والزينة، وما يلحق بهما من مسالك التأنُّق والتجمُّل لتكون معلمًا من أوضح وأبرز معالم التميز بين الجنسين فى التشريع الإسلامى؛ فلا تسمح الشريعة الغراء لأحد الجنسين بأن يتخطى حدوده فى اللباس أو الزينة إلى الجنس الآخر، فقد «لعن رسول الله ﷺ الرجل

(١) من مجلة الشريعة العدد (٥٦) / ضوابط لباس المرأة وزينتها د/ عدنان حسن باحارث - حفظه الله - (٢٩٠ - ٢٩٧).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[1] فقطع بذلك رسول الله ﷺ الطريق بين الجنسين فى ميدان اللباس والزينة؛ ليبقى لكل جنس طبيعته الفطرية التى خلقه الله عليها؛ ليحقق من خلالها مهمته الاجتماعية المناطة به.

حاجة المرأة إلى اللباس

اتخاذ اللباس من أعظم نعم الله تعالى على بنى آدم، وهو مع ذلك فطرة إنسانية مُلحة تنزع نحو التجمُّل باللباس، والاستكثار منه، ولا يُعرف إهماله إلا فى بعض القبائل النائية الشاذة وهو فى النساء أبلغ ما يكون؛ إذ يستحوذ على جُلّ اهتماماتهن، فما أن تبلغ إحداهن سن الشباب إلا وتصبح قضية الملابس الجميلة وحسن المظهر من أعظم وأكبر قضاياها الخاصة. حتى إن عجزها فى الظهور بما يليق بمثلها فى وسطها الاجتماعى قد يجرها إلى مشكلات نفسية، واجتماعية حادة وهذا من الطباع النسائية التى لم ينج منها حتى زوجات النبى ﷺ رضى الله عنهن؛ حيث رغبن فى التوسع، وأن ينالهن من الخير ما نال المؤمنين فى مجتمع المدينة، بعدما أفاض الله على رسوله ﷺ من النعم والخير، رغبة منهن فى المساواة بغيرهن، والتمتع بشىء من زينة الحياة الدنيا.

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٨) كتاب اللباس، وأحمد (٨١١٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٩٥).

تأثير اللباس فى شخصية المرأة

لما كان من الطبيعة الإنسانية أن يتأثر الفرد - إيجابيًّا أو سلبيًّا - بما يجرى على جوارحه: فإن للملابس فى أنواعها، وأشكالها، وطريقة ارتدائها آثارًا بارزة فى سلوك الأفراد - ذكورًا كانوا أو إناثًا - «وليس من شك فى أن مصطفى كمال أتاتورك حينما فرض القُبَّعة لباسًا وطنيًّا للشعب إنما أراد بذلك تغيير نفسٍ لا تغيير ملبسٍ؛ إذ إن الملبس يحكم تصرفات الإنسان إلى حَدٍّ بعيد». فكما أن تقليد الباطن فى الأفكار والآراء يتبعه تقليد للظاهر فى الملابس والأزياء فكذلك تقليد الظاهر كثيرًا ما يتبعه تقليد للباطن، فالعلاقة بينهما قوية.

ولعل من الأمثلة التى تدل على ذلك تأثير قيمة اللباس وجماله على شخصية المرأة؛ فحين ترتدى إحداهن اللباس الجميل الغالى الثمن كثيرًا ما تنعكس قيمته على سلوكها؛ إعجابًا وترفُّعًا بين القرينات. وكذلك إذا لبست الثمين من الحُلى، فإنها كثيرًا ما تسعى فتُبرزه وتتباهى به؛ ولهذا ورد فى السنة الترهيب من مثل ذلك.

وفى الجانب الآخر حين تعجز إحداهن عن بلوغ مرتبة قريناتها فى امتلاك الملابس الحسنة، والحلى الثمينة فإنها قد تشعر بالإحباط، وهبوط المكانة الاجتماعية، وربما بالاحتقار والدونية. مما قد يدفع بعضهن إلى الانزواء، وترك الاختلاط بالنساء، أو الحيلة الممنوعة لكسب المال لشراء الملابس والحلى، وكل ذلك حتى لا تشعر بهذه المشاعر النفسية المحبطة.

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية السمحة فى مثل هذه المواقف الاجتماعية بتوجيه المرأة للنظر فى أمر الدنيا وزينتها إلى من هو دونها، والنظر فى أمر الآخرة وأعمالها لمن هو فوقها، فهذا أجدر؛ حتى لا تحتقر

نعمة الله عليها، . . . وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»(١).

* فالواجب على كل أخت مسلمة أن تحرص كل الحرص على إرضاء الله (جل وعلا) وعلى تنفيذ كل أوامره والانتهاء عن كل ما نهى عنه حتى لا يضيع عمرها الغالى فى معصية الخالق (جل وعلا).

نعم أيتها الأخت المسلمة. إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك. . بل أنت كالمسافر إلى الله ولابد للمسافر من يوم يصل فيه.

إنه اليوم الذى تقفين فيه بين يدى الحق جل جلاله فيسألك عن كل صغيرة وكبيرة. .ويا له من موقف يجعل الولدان شيبًا !!

أختاه: ألست مسلمة؟ ألست تريدين الجنة؟ إذن فاستمعى إلى قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢). إنها دعوة لحياة القلب والعرض والدين والحياء. . فمن استجابت لتلك الدعوة فسوف تنضم لتلك القافلة المباركة التى شرَّفها الله بهذا الخطاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣).

ويا له من شرف عظيم أن تنضمى يا أختاه لتلك القافلة المباركة التى على رأسها أزواج النبى ﷺ وبناته.

أختاه: لقد اختار الله لك تلك القافلة لتدخلن الجنة سويًا فهل رضيت باختيار الرحيم الرحمن الذى يخاطبك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٩٠) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق، واللفظ له.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٤).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1].

وبقوله: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2].

أم أنك ترفضين أمر الخالق جل جلاله؟!!

إنه سؤال يحتاج منك إلى وقفة مع النفس.. وإننى والله لا أظن أبدًا أن هناك مسلمة ترفض الجنة والرحمة والرضوان وتسير طوعًا وراء خطوات الشيطان.

أختاه: تالله إن شرع الله يجعلك كريمة مصونة محفوظة وأنت ابنة، وكذلك وأنت زوجة، ثم يجعل الجنة تحت قدميك وأنت أم ثم يجعلك امًّا لتلك الأمة المسلمة.. فأنت صانعة الرجال ومربية الأبطال.

أختاه: أيتها الطاهرة. يا بنت خديجة وعائشة وأسماء وصفية.. يا بنت الإسلام.. ألا تعلمين أن أعداء الإسلام لا يحاربون الإسلام إلا من خلالك.. أترضين أن تكونى معولاً يُهدم به الإسلام بدلاً من أن تكونى لبنة طيبة مباركة فى جدار الإسلام؟!

يا من كنت بالأمس تحملين هم الإسلام فأصبحت اليوم همًّا وحملاً ثقيلاً على الإسلام. انهضى واحملى راية الإسلام خفاقة عالية وانفضى غبار الغفلة وتجملى بحجابك وحيائك واعلمى قدر الإسلام فى قلبك، بل واعلمى قدر نفسك فى ظل الإسلام.

أختاه: لقد قال أحدهم موضحًا عداءه وكيده للإسلام: «كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ»...

فحذار يا أختاه أن تكونى ممن يحاربون الله ورسوله. وحذار يا أختاه أن تكونى ممن يسعون لهدم الحياء والدين فى تلك الأمة المباركة.

وأخيرًا: فإنى أهمس وأقول لك:

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٥).

أختاه أما تاقت نفسك إلى جنة الرحمن؟!

ها أنا أدعوك إلى الجنة فتأملى معى قول النبى ﷺ حيث يقول: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»[1].

فيا له من أجر عظيم لمن تمسكت بدينها وحيائها وحجابها.

أختاه: كانت تلك الكلمات مقدمة لموضوع تلك الرسالة القصيرة التى أهديها إلى أختى المسلمة الغالية، واعلمى يا أختاه أنه لا راحة للقلب إلا فى رضا الله وفى طاعة الله، ولذلك فإننى أهدى إليك قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[2] فهيا نُرضى ربنا ونفر إليه وهيا بنا نؤمن ساعة لعلها تكون آخر ساعة وبعدها نلقى النبى ﷺ على الحوض ونعيش معه فى جنة الرحمن، وننظر إلى وجه الرحيم الرحمن.

فضائل ومزايا الحجاب

إننا اليوم نسير فى طريقنا إلى الجنة.. ومع أول خطوة نخطوها نجد لافتة كبيرة مكتوب عليه «الحجاب قائد إلى جنة الرحمن» ولذلك فلابد أن نعرف فضائل ومزايا الحجاب.

الحجاب يجلب التقوى

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[3] أى أنزلنا عليكم لباسين: لباسًا يستر عوراتكم ولباسًا يزينكم وتتجملون به ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾، أى ولباس الورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء فإن طهارة

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى (١٠/١٨٢ ، رقم ١٠٣٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٥٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢٦).

الباطن أهم من جمال الظاهر.

وخيــر لبــاس المرء طاعــة ربه

ولا خيـر فيـمن كـان لله عـاصيًـا

الحجاب طهارة للقلب

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(١).

فعن عائشة أن عمر بن الخطاب قال: «يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(٢)».

فأثبتت تلك الآية أن الحجاب حائل بين المسلمين وبين شهوات النفوس وفتنة القلوب فهو يقطع أطماع أصحاب القلوب المريضة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(٣).

الحجاب يجلب الحياء

قال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة» (٤).

إنه لا شك فى أن الحجاب يجعل المسلمة تشعر بقيمة نفسها فى ظل هذا الدين العظيم، بل إنه يجعلها تحذر دائمًا أن يصدر منها شيء يتنافى مع مظهرها الإسلامى الرائع، ولذلك فهو يقودها شيئًا فشيئًا إلى الحياء.. والحياء يفرض عليها الحجاب، وهكذا فإن الطاعة تؤدى إلى طاعة أخرى.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠١٣٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٥).

قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «كنت أدخل البيت الذى دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبى رضي الله عنه واضعة ثوبى وأقول: إنما هو زوجى وأبى، فلما دُفن عمر رضي الله عنه والله ما دخلته إلا مشدودة علىَّ ثيابى حياءً من عمر- رضي الله عنه»[1].

الحجاب دعوة إلى الستر

قال ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل»[2].

فمن حافظت على حجابها فقد فازت بستر الله عليها فى الدنيا والآخرة وكانت من أهل الجنة التى هى دار الستر.

الحجاب هو الفطرة

فالحجاب والستر هو فطرة المرأة فهى بطبعها لا تحب أن يراها أحد حتى إن المسلمة صاحبة الحياء تستحيى والله من زوجها الذى أحله الله لها ففطرة الإنسان تدعو إلى الستر، وفطرة الحيوان تدعو إلى العرى.

الحجاب عبودية لله

إنه مشهد من مشاهد العبودية لله؛ لأن الذى أمرها بذلك هو الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[3].

والمسلمة التى تُذعن لأمر الله هى التى امتلأ قلبها حبًّا لله فقضية الحجاب ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة.. إنها قضية ترتبط بالعقيدة والشريعة فى آنٍ واحد.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٥١٣٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٧٧١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٢٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧١٠).

(٣) سورة النور: الآية: (٣١).

الحجاب يقودك إلى حُسن الخاتمة

يقول أحد السلف الصالح: إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيم أقامك. فإن أقام الله الأخت المسلمة فى الطاعة والحجاب فتلك منزلتها عند ربها، بل إن النبى ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه»(١).

فإن وفقك الله للحجاب لآخر لحظة فى عمرك فقد استعملك فاسجدى لله شكراً أيتها الأخت الطاهرة.

الحجاب وقاية من العذاب

قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما - وذكر منهما - ونساء كاسيات عاريات»(٢).

فمن لبست حجابها فقد أبعدت نفسها عن عذاب الله- عز وجل-.

الحجاب عنوان للمرأة الحرة

فعن السدى: أن الفُساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل فإذا رأوا المرأة عليها قناع «حجاب» تركوها وقالوا: هذه حرة. وإذا رأوها بغير قناع قالوا: إنها أمة فآذوها.

فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٢٠) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

الحجاب عفة

لقد خاطب الله - عز وجل- العجائز من النساء اللاتى لا يرغب فيهن الرجال بهذا الخطاب فقال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾(١)، أى لا حرج ولا إثم فى أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والجلباب ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التى لا تُلفت انتباهًا ولا تثير شهوة ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾(٢)أى: غير متظاهرات بالزينة لينظر إليهن ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾(٣)، أى وأن يسترن بارتداء الجلباب ولبس الثياب كما تلبسه الشابات من نساء مبالغة فى التستر والتعفف خير لهن وأكرم وأزكى عند الله وأطهر.

الحجاب خطاب لكل مؤمنة

إن الله عز وجل لم يخاطب بالحجاب إلا كل مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾(٤). وهكذا فإن الاستجابة لأمر الله لا تكون إلا من المؤمنة الصادقة التى لامس الإيمان شغاف قلبها.

* * *

(١)، (٢)، (٣) سورة النور: الآية: (٦٠).

(٤) سورة النور: الآية: (٣١).

التبرج ومغبته

إن التبرج سبب لفساد المرأة المسلمة، ومن ثَم لفساد الشباب المسلم والأمة تبعًا لذلك.

ولذلك فلابد أن تعلمى يا أختاه أن:

التبرج دعوة إبليس

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1] . فإبليس هو أول من دعا إلى التبرج فوظيفته هتك الأستار وكشف السوءات وإشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات.

التبرج ثقب كبير فى جدار العبودية

فإن المتبرجة عاصية لله ولرسوله ﷺ ، فقد جاءها الأمر بالحجاب فأبت أن تذعن لأمر الملك جل جلاله واتبعت هواها واتخذته إلهًا من دون الله.

التبرج حرمان من دخول الجنة

قال ﷺ : «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى».

فقالوا: يا رسول الله من يأبى؟

قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[2].

(١) سورة الأعراف: الآية: (٢٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

التبرج من عمل الجاهلية الأولى

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾[1].

فليس التبرج فى لبس القصير أو الشفاف فحسب، بل إن خروج المرأة لغير ضرورة وبدون محرم واختلاطها بالرجال فى الأسواق تبرج ومن أفعال الجاهلية التى نهى عنها الشارع.

التبرج علامة على فساد الفطرة

إن فطرة الإنسان تميل دومًا وأبدًا إلى الستر.. أما التعرى والتكشف فهو فطرة حيوانية لا يميل إليها أصحاب الفطر السليمة.

ولذلك فإنه كلما ازداد منسوب الإيمان فى قلب المرأة كلما ازدادت حاجتها إلى ستر بدنها؛ لأن قلبها قد ازداد تعلقًا بربها عز وجل الذى أمرها بالستر والعفاف.

التبرج يجلب الطرد من رحمة الله

قال ﷺ: «سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروجٍ كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البُخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات»[2].

التبرج مقترن بأكبر الكبائر

لقد روى أن أميمة بنت رُقيقة جاءت إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال ﷺ: «أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئًا ولا تسرقى ولا

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٢٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٨٣).

تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى»[١].

التبرج يقود المرأة إلى النار

لقوله ﷺ: «صنفان من أهل النار -وذكر منهما- ونساء كاسيات عاريات»[٢].

التبرج عواقبه وخيمة

فمن بين تلك العواقب الوخيمة:

* شيوع الفواحش والرذيلة فى المجتمع.
* تدمير الرجال والنساء وصرفهم عن الأخلاق الحميدة.
* جعل المرأة سلعة رخيصة.
* انهيار الاقتصاد الإسلامى.
* التفكك الأسرى وانعدام الثقة بين أفرادها.
* انتشار الأسقام والأمراض لشيوع الفواحش فى المجتمع.
* إهمال الواجبات الدينية وترك الجهاد.
* نزول العقوبات على الأمة فى الدنيا إضافة إلى عذابها فى الآخرة.

التبرج من علامات النفاق

قال ﷺ: «..وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/١٦٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في جلباب المرأة المسلمة (ص٧٤).

(٢) صحيح. رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه البيهقى (٧/ ٨٢ ، رقم ١٣٢٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٤٩).

التبرج من صنع اليهود

إن بيوت الأزياء اليهودية هى التى تنشر التبرج بين نساء المسلمين من خلال ما يسمونه بالموضة، وبكل أسف فإن أكثر المسلمات يستمعن لنداء اليهود ولا يستمعن لنداء رب السماوات والأرض «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

التبرج دعوة لإشاعة الفواحش

فإن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان فيراها الشاب المسلم فتكون سببًا لفتنته، بل ولصرفه عن دينه.. ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1]. وكم سمعنا عن فواحش قد ارتُكبت ومحارم قد انتُهكت بسبب تبرج النساء.

فنسأل الله أن يردّ نساء المسلمين إليه ردًا جميلاً.

أختاه.. تدبرى وتأملى

هذه بعض شبهات المتبرجات والرد عليها فى أبسط عبارة.

* تقول المتبرجة إننى أحب الله وهذا يكفى..

نقول لها: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2].

* تقول: إن الدين يُسر.

نقول لها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[3].

ولقد أمر الله بالحجاب للتيسير.

---

(١) سورة النور: الآية: (١٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

* تقول: إن التبرج أمر هين.

نقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾(١).

* تقول: إننى صغيرة وسوف أتحجب عندما أكبر.

نقول: الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً.

* تقول: سوف أتحجب بعد الزواج.

نقول: إن الزواج رزق ولا يأتى الرزق بمعصية الخالق (جل وعلا) وإنما يُنال بطاعته.

* تقول: إن زوجى لا يرضى بالحجاب.

نقول: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»(٢).

* تقول: أتحجب عندما أقتنع بالحجاب.

نقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(٣).

* تقول: إن الحجاب يعوق عن العمل والتعليم.

نقول: عفة المرأة أعظم من كل شىء ورضا الله وجنته أغلى من كل شىء.

* تقول: أخشى من سخرية الناس.

نقول: لك الفخر والمثوبة، فلقد استهزؤوا بالنبى ﷺ فهذا هو طريق الأنبياء والصالحين.

* تقول: لا أطيق الحجاب فى الصيف والحر.

نقول: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ (٤).

* تقول: المجتمع كله هكذا.

---

(١) سورة النور: الآية: (١٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٠٩٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥٢٠).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٤) سورة التوبة: الآية: (٨١).

نقول: تلك والله أسوأ مقالة لأهل النار فقد قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٢).

* تقول: إن طهارة القلب تغنى عن الحجاب.

نقول: لو طهر القلب لاستقامت الجوارح فقد قال ﷺ: «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»(٣).

أختاه: كانت هذه بعض شبهات المتبرجات والرد عليها فى إيجاز خشية الإطالة.

*** وما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فى حجاب الأخت المسلمة؟**

١- استيعاب جميع البدن.

٢- أن لا يكون زينة فى نفسه.

٣- أن لا يكون مُبخَّرًا أو مُطيَّبًا.

٤- أن لا يكون ضيقًا يصف شيئًا من جسدها.

٥- أن يكون صفيقًا لا يشف... أى يكون سميكًا لا يكشف جسدها.

٦- أن لا يشبه لباس الرجال.

٧- أن لا يكون لباس شهرة، وثوب الشهرة هو الثوب الذى يُقصد بلبسه الاشتهار بين الناس.

٨- أن لا يشبه لباس الكافرات.

فقد قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»(٤).

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٢٣)

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٩٩٦) كتاب المساقاة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٣١) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٩).

فهذه هى شروط الحجاب فى إيجاز شديد.

أختاه: اعلمى أن الحجاب امتثال لأمر الله جل وعلا، ولذلك فلابد أن تتوافر فيه الشروط التى أسلفناها وذلك لأننا نرى فى تلك الأيام حربًا على الحجاب باسم الحجاب فنجد أن بعض بيوت الأزياء تعرض لنسائنا حجابًا بينه وبين الحجاب حجاب فهو دعوة لتبرج الحجاب وللحجاب المتبرج..

فابحثى يا أختاه عن الحجاب الذى يُرضى عنك الله عز وجل.

فهيا أيتها الأخت المؤمنة الصابرة فى زمن الغربة الثانى: افتحى صفحة جديدة مع الله وتذكرى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1].

تالله لقد آن الأوان يا أختاه لتتوبى وترجعى إلى ربك ولسان حالك ومقالك: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2].

وإياك أن تقنطى من رحمة الله فإن رحمته وسعت كل شىء فتذكرى قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

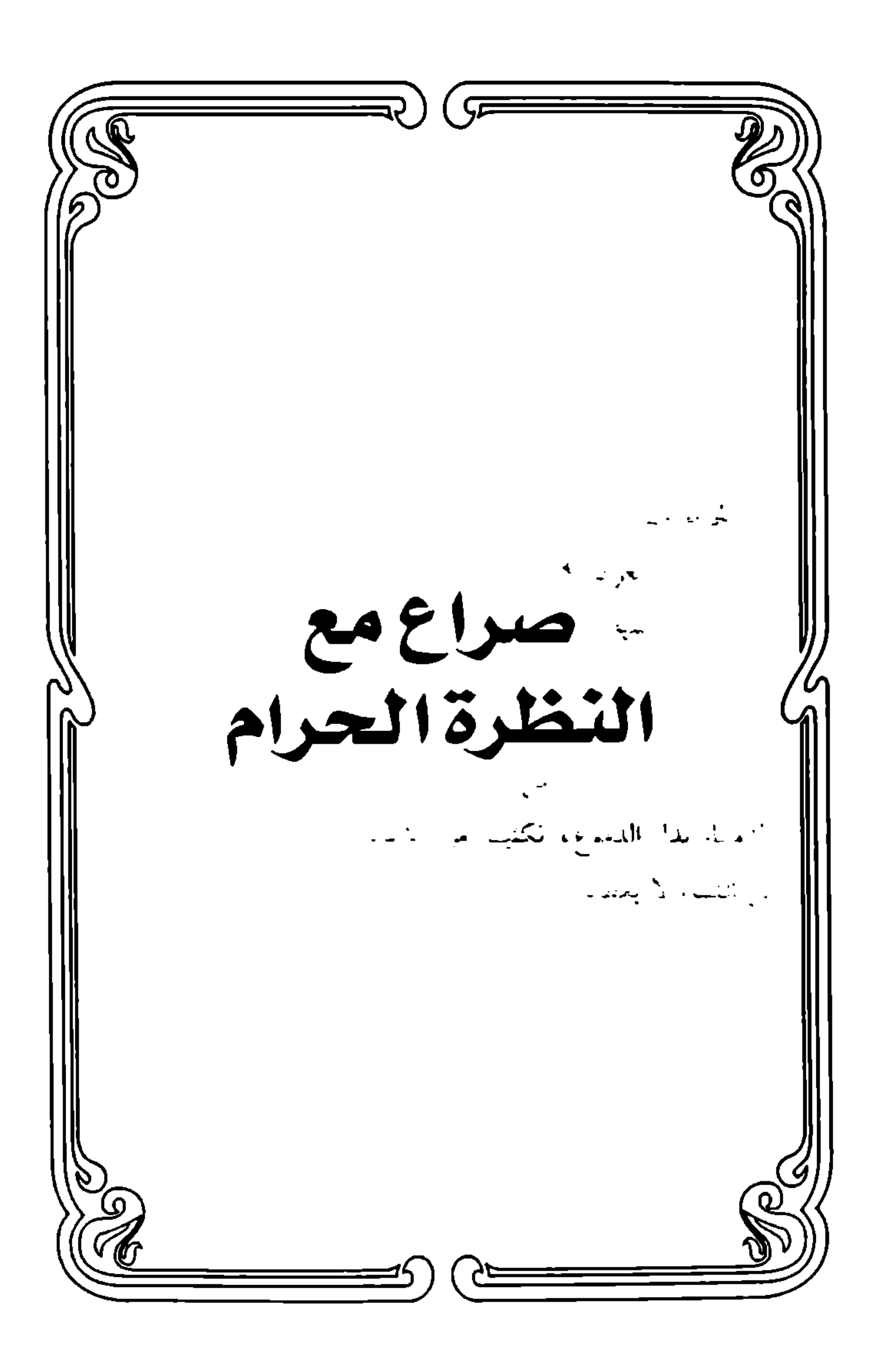
* * *

---

(١) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).



صراع مع النظرة الحرام

صراع مع النظرة الحرام

ومن طُرق الشيطان فى إضلال الناس: تزيين النظرة الحرام، وهنا تأتى جولة جديدة نصارع فيها الشيطان.

فيا تُرى هل سننتصر على الشيطان فى هذه الجولة ونتوب إلى الله (عزَّ وجلَّ) من النظر إلى الحرام أم أن الشيطان هو الذى سينتصر علينا ويزين لنا النظر إلى الحرام فنُطيعه؟!

* فتعالوا بنا لنعرف كيف نغض أبصارنا لنفوز على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

واقعٌ أليم

إن المتأمل فى حال كثير من شباب وفتيات المسلمين مع نعمة غض البصر ليبكى الدماء بدل الدموع، فكثير من الشباب لا يغض بصره عن النساء، وكثير من النساء لا يغضضن أبصارهن عن الرجال.

ولعل السبب فى ذلك هو ضعف الوازع الدينى وعدم استحضار مراقبة الله للعبد.. فالله (جل وعلا) هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.

ولا يخفى علينا أيضًا أن الانفتاح الذى يعيشه كثير من الناس فى هذا الزمان على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وما تبثه من الفواحش والرذائل التى تُذهب الحياء، وتؤجج نار الشهوة، وتُبعد العبد عن طاعة ربه (جل وعلا).. كان سببًا رئيسًا فى انتشار ظاهرة عدم غض البصر.

ومما يجدر ذكره أن من أرخى لشهوته العَنان، فإن سُعار هذه الشهوة لا حدَّ له ولا انقضاء، وإذا كان الشخص المولع بالدنيا لا يشبع من المال - فلو كـان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًـا، ولا يملأ جـوف ابن آدم إلا التـراب - فكذا الشخص المولع بشـهوة الـنظر إلى النساء لا يقف عند حـدٍّ معين ولا يرعوى.

يقـول الشـيخ على الطنطاوى: «لو أُوتيت مـال قارون، وجسـد هرقل، وواصلتك عشـرة آلاف من أجمل النسـاء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتـفى؟ لا... أقولها بالصـوت العالى: لا. أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدة بالحلال تكفيك.

لا تطلبوا منى الدليل، فحيـثما تلفَّتم حولكم وجـدتم فى الحياة الدليل قائمًا ظاهرًا مرئيًّا»[1].

* إن أشدَّ الفتن وأعظمـها: الفتنة بـالنساء، كمـا قال النبى ﷺ: **«ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»[2].**

* **قال الإمـام طاوس عند قوله تـعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[3]: «إذا نظر إلى النسـاء لم يصبر»[4].**

* ومن أجل ذلك كان لا بُدَّ لنا من وقفة صادقة مع ضرورة غض البصر حتى لا تشيع الفاحشة فى المجـتمع المسلم... وحتى نعيش حياة طاهرة فى رحاب شرع الله وسُنة رسول الله ﷺ.

* * *

(١) فتاوى على الطنطاوى (ص: ١٤٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة النساء: الآية: (٢٨).

(٤) ذم الهوى لابن الجوزى (ص: ١٧٩)، وروضة المحبين (ص: ٢٠٣).

النظر أصل عامة الحوادث

قال الإمام المحقق ابن القيم فى «الداء والدواء»: «والنظر أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرةُ فكرةً، ثم تولد الفكرة شهوةً، ثم تولد الشهوةُ إرادةً، ثم تقوى فتصيرَ عزيمةً جازمةً، فيقعُ الفعل ولابد ما لم يمنع منه مانع. وفى هذا قيل: الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على ألمٍ بعده» [1].

النظر سهم سُمٍّ إلى القلب

* فالنظر سهم سُمٍّ إلى القلب، وسهم مسموم من سهام إبليس، ومن أطلق لحظاته دامت والله حسراته، ولقد صدق القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظرِ
ومعظم النار من مستصغر الشررِ

كم نظرةٍ فتكت بقلب صاحبها
فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

والمرء ما دام ذا عين يُقَلِّبُها
فى أعين الغِيدِ موقوف على الخطرِ

يسر مُقلته ما ضرَّ مهجته
لا مرحبًا بسرور عاد بالضررِ

* ولذلك فإن الشيطان يزين للرجل المرأة الأجنبية، ولو كانت قبيحة ويُقبِّح فى عينيه زوجته، ولو كانت من أجمل النساء... فإذا رأيت امرأة فما عليك إلا أن تغض بصرك، وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

* *

(١) الداء والدواء (ص: ١٨٦).

إطلاق البصر منقصة للرجل الشريف

* إن إطلاق البصر يُعدُّ مَنقصة للرجل الحر الشريف... حتى إن أهل الجاهلية، على الرغم من الجاهلية التى كانوا يعيشون فيها كانوا يرون أن من العار أن يُطلق الرجل العفيف بصره للنظر إلى النساء.

كما قال القحطانى (رحمه الله):

إن الرجال الناظرين إلى النسا
مثل الكلاب تطوف باللحمان(١)

* ومع ذلك نرى كثيراً من شباب ورجال المسلمين لا يستطيع الواحد منهم أن يغض بصره عن النساء... بل لقد وصل الأمر إلى وقوف كثير من شباب المسلمين على النواصى لمشاهدة النساء... فعجزوا حتى عن الوصول إلى ما وصل إليه بعض الناس فى عصر الجاهلية من الترفع عن الوقوع فى رذيلة إطلاق البصر حتى قال قائلهم:

وأغضُّ طرفى ما بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ
لا أُتبع النفس اللَّجوج هواها (٢)

الأدلة على وجوب غض البصر

أما عن الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا) وسُنَّة رسول الله ﷺ على وجوب غض البصر فكثيرة.. ووالله لو لم يرد أى دليل من

(١) متن نونية القحطانى (ص: ٧٣).

(٢) هو عنترة العبسى.

القرآن أو السنة على وجوب غض البصر لكانت عفة المسلم تمنعه من الوقوع فى تلك الرذيلة التى تُسقط المروءة.

الأدلة من القرآن الكريم

ولنبدأ أولاً بسرد بعض الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا)، والتى تدل على وجوب غض البصر.

* **الدليل الأول:**

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

ونحن نلاحظ هنا أن الله يخاطب بتلك الآية المؤمنين؛ لأنه لا يستجيب لأمر الله إلا أهل الإيمان والتقوى الذين امتلأت قلوبهم حبًا لله ولرسوله ﷺ.

* قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

«هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرِّمَ عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصرهُ عنه سريعًا»[2].

الأمر بغض البصر للرجال وللنساء

وحتى لا يتوهم أحدٌ أن غض البصر خاصٌّ بالرجال فقط، فإن الله (عز

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

وجل) قال فى الآية التى تليها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (١)(٢).

«فهذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتميز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات»(٣).

* فكما أن الرجل عنده ميلٌ فطرى إلى المرأة؛ فكذلك المرأة لديها ميلٌ فطرى إلى الرجل... فكما أن الرجل يشتهى المرأة؛ فكذلك المرأة تشتهى الرجل، ومن أجل ذلك جعل الله غض البصر سياجًا واقيًا لمنع انتشار الفواحش فى المجتمع المسلم.

* **الدليل الثانى:** قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٤).

فكل خائنة أعين يعلم الله بها، وخائنة الأعين كما عرَّفها ابن عباس ﷺ هى: (أن يدخل الرجل على أهل البيت بينهم فتمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غضَّ بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غضَّ).

سُئل الجنيد (رحمه الله) فقيل له: (بِمَ يُستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى من تنظر إليه).

والله لو استحضرت هذا المعنى لسقط لحم وجهك حياءً من الله.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت، ولكن قُل علىَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً
ولا أن ما تُخفيه عنه يغيبُ

---

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

(٢) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

(٤) سورة غافر: الآية: (١٩).

* **الدليل الثالث:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١).

(أي سيُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يُسألُ عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر كل واحد منهم عما اكتسب مما رأى وسمع)(٢).

الأدلة من السنة المطهرة

وها هي الأدلة من السنة المطهرة على وجوب غض البصر:

* **الدليل الأول:**

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**». فقالوا: يا رسول الله! ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها. فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر**»(٣).

فجعل النبي ﷺ أول حق من حقوق الطريق أن يغض الإنسان بصره عن النساء.. فيا ليت شبابنا الذين يضيعون أوقاتهم في الوقوف على النواصي للنظر إلى النساء.. يا ليتهم يتدبرون هذا الحديث ويمتثلون أمر الحبيب محمد ﷺ.

* **الدليل الثاني:**

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة؛ العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل**

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٦٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة.

زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(١).

فسمَّى النبى ﷺ نظر العين إلى الحرام زنى... بل جعله النبى ﷺ على قائمة زنى الجوارح؛ لأن العين مرآة للقلب، ولذلك نجد أن القلب لا يشتهى إلا ما تراه العين.

* **الدليل الثالث:**

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظرُ الرجلُ إلى عورة الرجل، ولا المرأةُ إلى عورة المرأة، ولا يُفضى الرجلُ إلى الرجل فى ثوبٍ واحد، ولا تُفضى المرأةُ إلى المرأة فى الثوب الواحد»(٢).

* فإذا كان النبى ﷺ قد نهاك عن النظر إلى عورة رجلٍ مثلك.. فمن باب أولى أن يُحرم عليك النظر إلى النساء الأجنبيات.

* **الدليل الرابع:**

روى مسلم، عن جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فقال: «اصرف بصرك»(٣).

* فيا تُرى ما هى نظرة الفجأة؟..

هى أن تنظر أمامك لتُبصر الطريق فتقع عينك من غير قصدٍ ولا تعمدٍ على امرأة فعليك أن تغض بصرك فى التو واللحظة..

* **الدليل الخامس:**

وفى الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكمُ الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضٌ للبصر وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاءٌ»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٤) متفق عليه. رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

* فنجد هنا أن النبى ﷺ قد حَضَّ الشباب على الزواج ليكون عونًا لهم على غض البصر وتحصين الفرج.. وهما من أعظم الأسباب التى تفرغ القلب للطاعة وطلب العلم والدعوة إلى الله.

* **الدليل السادس:**

عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا علىُّ! لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»**[1].

والنظرة الأولى هى التى ورد ذكرها فى حديث جرير الذى جاء فى الدليل الرابع.

* **الدليل السابع:**

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اضمنُوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكمُ الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم»**[2].

* فجعل النبى ﷺ غض البصر من أسباب دخول الجنة.

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: الا تريدون الجنة؟

غضوا أبصاركم لتظفروا بالجنة.

سلفنا الصالح.. ونعمة غض البصر

* **قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** «حفظُ البصر أشدّ من حفظ اللسان»[3].

* **وقال وكيعُ بن الجراح (رحمه الله تعالى):** خرجنا مع سفيان الثورى فى

---

(1) **حسن:** رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذى (٢٧٧٧) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٤٨٢) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

(2) **حسن:** رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(3) الورع: لابن أبى الدنيا (ص: ٦٢).

يوم عيدٍ فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا غضٌّ أبصارنا»[١].

* وقال شُجاعُ بن شاه (رحمه الله تعالى): «من عمَّر ظاهرهُ باتباع السُّنَّة، وباطنهُ بدوام المُراقبة، وغضَّ بصرهُ عن المحارم، وكفَّ نفسهُ عن الشهوات لم تُخطئ له فراسة»[٢].

مغبة إطلاق البصر إلى الحرام

قد أجرى الله الحكيم سُنته بعدله أن الخواتيم مواريث السوابق، فمن فسدت بدايته فسدت حتمًا نهايته، فمن أطلق بصره وخالف أمر ربه وقع في هذه النتائج المُرة المحزنة التي اكتظ بها المجتمع من زنى واغتصاب، . . . وما قصة رجل الأعمال منا ببعيدة، يوم شُغل عن بيته بصفقاته وتجاراته وترك الأمر لبناته يفعلن ما يُردن دون رقيب ولا حسيب يدخلن بمن يُردن وبما يردن، فجئن يومًا بشريط فيديو جنسيٍّ عارٍ تمامًا وتفرجن عليه في غرفتهن سرًّا من أمهن، ثم نمن ونسين الشريط في الجهاز وذهبن إلى المدرسة في الصباح، وجاء أخو الزوج المشغول لزيارة زوجة أخيه، فوجدها في البيت وحدها، فطلب منها إعداد فنجان من الشاي، ثم دخل غرفة بنات أخيه فوجد - الريموت - وبحب استطلاع منه شغَّل الجهاز فدار الشريط الجنسي، وتحركت المناظر الجنسية المثيرة، والتي جذبت انتباهه، ثم جاءت زوجة أخيه بالشاي فشدَّها ما رأت، وانتهى الأمر بجريمة الزنى بين الرجل وزوجة أخيه، والتي تكررت مرات ومرات، وتطاير شررها عندما حملت المرأة سفاحًا، وجرت على لجنة الفتوى بالأزهر. . . أريد حلاًّ.

* * *

(١) الورع: لابن أبي الدنيا (ص: ٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥).

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا ذا أسوق لحضراتكم قصة لنعلم جميعًا أن مغبة إطلاق البصر إلى المحرمات وخيمة جدًا.

فأما الحكاية الأولى؛ فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزى بقوله: «وبلغنى عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصرانى كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتينى على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا إلا أن تترك دينك، فقال: أنا برىء من الإسلام، ومما جاء به محمد ﷺ، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضى غَرَضك ثم تعود إلى دينك، فكُل من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبى زوّجنى منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفّته فى ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه فى الليل فرماه فى السكة، فظهر حديثه، فرُمى فى مزبلة»[1].

فوائد غض البصر

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «وفى غض البصر عدة منافع:

١- غض البصر امتثال لأمر الله الذى هو غاية سعادة العبد فى معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك

---

(١) ذم الهوى (ص: ٤٠٩).

وتعالى، وما سَعِد مَن سَـعِد فى الدنيا والآخرة، إلا بامتثـال أوامر ربه وما شقى من شقى فى الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

٣- غض البصر يورث القلب أنسًا بالله واجتماعًا عليه، وإطلاقه يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، وليس على العبد شىء أضر من إطلاق البصر فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

٤- أنه يقوى القلب ويُفرحه، كما أن إطلاقه يضعف القلب ويحزنه.

٥- أنه يُلبس القلب نوراً، كما أن إطلاقه يُلبسه ظُلمة؛ ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر؛ فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[1] ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [2] .

أى: مثل نوره فى قلب عبده المؤمن الذى امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذى فى القلب، فإذا نفد ذلك النور بقى صاحبه كالأعمى الذى يجوس فى حنادس الظلام.

٦- أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب. وكان شجاع الكرمانى يقول: من عمَّر ظاهره باتباع السنة، واغتذى بالحلال، لَم تُخطئ له فراسة، وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة.

والله سبحانه يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٥).

لله شيئًا عوَّضه الله خيراً منه؛ فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصره لله. ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفِراسة الصادقة المصيبة التى إنما تُنال ببصيرة القلب.

٧- أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فيجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما فى الأثر: «الذى يخالف هواه، يَفْرَقُ [(١)] الشيطان من ظله».

وضد هذا تجد فى المتبع هواه - من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها - ما جعله الله سبحانه فيمن عصاه.

كما قال الحسن: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذُل المعصية فى رقابهم، أبَى الله إلا أن يُذل من عصاه».

وقد جعل الله سبحانه العزَّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته.

٨- أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب، أسرع من نفوذ الهواء فى المكان الخالى.

٩- أنه يفرغ القلب للتفكر فى مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره، ويقع فى اتباع هواه وفى الغفلة عن ذكر ربه.

١٠- أن بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك فى جانب الصلاح[(٢)].

١١- يجعل العبد يذوق حلاوة الإيمان؛ لأن من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيراً منه.

---

(١) يفرق: يخاف.

(٢) الداء والدواء (ص: ٢١٣: ٢١٦) بتصرف.

١٢- غض البصر يعين الإنسان على طلب العلم؛ لأن العلم لا يُنال إلا بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1].

١٣- غض البصر ينجى العبد من الوقوع فى حفرة من حفر النار.

١٤- فيه راحةٌ للنفس والبدن.

١٥- يصونُ المحارمَ ويُجنبُ الوقوع فى الزلل.

١٦- يجعل المجتمع المتحلى بهذه الصفة مجتمعًا آمنًا متحابًّا.

١٧- يصونُ المجتمعَ من انتشار الزنى.

١٨- يضرُّ بالشيطانِ وأعوانه ويستجلبُ العفة[2].

١٩- غض البصر يحفظ عليك تلك النعمة، كما قال النبى ﷺ: «احفظ الله يحفظك»[3].

٢٠- غض البصر مهرٌ للحور العين.

٢١- أرجو من الله أن يُنعم على كل من غض بصره فى الدنيا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٨٢).

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٣٠٧٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

الوسائل المعينة على غض البصر

١- الاستعانة بالله (جل وعلا):

فإن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله. . . فينبغي على العبد أن ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فيلجأ إلى الله أن يعينه على غض البصر. . وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه.

قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله؛ وإذا استعنت فاستعن بالله..»(١).

وانظر إلى نبي الله يوسف (عليه السلام) عندما قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).

٢- استحضار مراقبة الله للعبد:

فإن العبد إذا علم أن الله مُطلع عليه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. . وأنه يعلم السر وأخفى. . وأنه يراقب العبد في سكناته وحركاته؛ فإن ذلك يجعل العبد يستحيي أن يعصي الله بنعم الله (جل وعلا).

٣- الزواج أو الصيام؛ لقول النبي ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»(٣).**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

(٣) متفق عليه: وقد تقدم.

٤- معرفة فضائل غض البصر.

٥- التعرف على الشرور التى يجنيها العبد من مغبة إطلاق البصر فى النظر إلى النساء، فإن ذلك يردعه عن النظر إلى النساء.

٦- استحضار مشاهد يوم القيامة بدءًا من دخول ملك الموت.. وانتهاءً بدخول الجنة أو النار.

٧- مصاحبة الأخيار، وترك صحبة الأشرار.

فالرجل على دين خليله.. فالصاحب المؤمن يعينك على غض البصر، أما صديق السوء، فإنه يُهوِّن عليك الذنوب، ويأخذ بيديك إلى كل أسباب الهلاك.

٨- ملازمة المصحف فى كل مكان:

فلا تخرج من بيتك إلا والمصحف فى جيبك.. فأينما كنت فأخرج المصحف واقرأ فيه، فإن ذلك يعينك على غض البصر.

٩- ملازمة ذكر الله:

اشغل لسانك دائمًا بذكر الله؛ فإن ذلك يعينك على غض البصر؛ لأن الانشغال بالذكر يجعل قلبك موصولاً بالله، ومن ثم فإنك لن ترى النساء من حولك، فضلاً عن أن تُفتن بواحدة منهن.

١٠- عدم الوقوف فى الأماكن التى تمر منها النساء:

لأن ذلك فيه استشراف للفتنة... والأصل أن الإنسان لا يورد نفسه موارد الهلاك؛ لأن الميل الفطرى الغريزى بين الرجل والمرأة لا ينتهى أبدًا ومن ثم فإن الشيطان يزين لك الوقوف فى تلك الأماكن، ثم يأخذ بيديك إلى أن تقترب من أسباب الفتنة خطوة خطوة، ولذلك حذرنا الله (جل وعلا)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1].

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

١١- الانشغال بهمِّ الدعوة:

فإن المسلم إذا كان صاحب همٍّ وقضية تشغله، فإنه لا يفكر فى أى شىء آخر.. وليس هناك قضية أعظم من أن ندعو الكون كله لعبادة الله (جل وعلا).

١٢- أن تربط عينك بقطعة قماش لمدة طويلة، وتتخيل أن الله قد حرمك نعمة البصر... ثم تنزع تلك القطعة لتشعر بقدر تلك النعمة؛ فلا تستعملها إلا فى طاعة الله.

١٣- التوبة: وذلك بأن تتوب من إطلاق البصر للنساء... وتبدأ صفحة جديدة مع الله (جل وعلا) تعاهده فيها على غض البصر، وتصدق معه... وليكن لسان حالك ومقالك.

يا رب أنت أمرتنى ونهيتنى
وأريتنى طرق الضلالة والهدى
وعلمت أنى لا أفرُّ من الذى
قدرت لى إن كان خيرًا أو ردى
وسلكت بى ما شئت للشىء الذى
فى الخلق ما أخفيته عنهم سُدى
فاقبل بفضلك توبتى لك خالصًا
واغفر فإنى قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذى يا سيدى
قد جاء معترفًا وعاش موحدًا

١٤- استحضار ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة: فمن بين النعيم الذى يكرمك الله به فى الجنة... الحورُ العين.

* قال ﷺ: «... ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض،

لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»[1].

فماذا تساوى المرأة التى تنظر إليها بالنسبة لجمال الحور العين... فهل هناك عاقلٌ يضيع على نفسه لذة الاستمتاع بالحور العين فى الجنة من أجل نظرة إلى امرأة من أهل الدنيا؟!!

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٦) كتاب الجهاد والسير.



صراع مع فتنة النساء

صراع مع فتنة النساء

ومازلنا فى صراع مرير مع ذلك الشيطان الذى لا يمل ولا يفتر أبدًا عن تدبير المكائد والمصايد لفتنة المسلمين فى كل زمان ومكان.

* وها هى أكبر مؤامرة من مؤامرات الشيطان التى اتخذها وسيلة لفتنة شباب المسلمين لكى يتركوا دينهم وينشغلوا بشهواتهم وملذاتهم فى الحرام... وبذلك يَفسد شباب المسلمين وتضعف قوة الإسلام والمسلمين.

* ومن أجل ذلك كان لابد أن نخوض أكبر جولة ضد الشيطان الرجيم لننقذ شباب المسلمين من براثنه وندلهم على طُرق الحلال التى تعصمهم من الوقوع فى الحرام.

ومن أجل أن نفوز على الشيطان بالضربة القاضية - بإذن الله -.

فتنة النساء

لقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1].

فقدم سبحانه النساء لعراقتهن فى هذا الباب، ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قِبل هذه الشهوة، ولعله لأجل ذلك أيضًا قدم سبحانه وتعالى المرأة على الرجل فى قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[2] الآية، وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن عزيز مصر: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[3].

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٢) سورة النور: الاية: (٢).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢٨).

وبيّن النبى ﷺ خطر فتنة النساء قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، فقال ﷺ : «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»(١) .

وقال ﷺ : «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال مِنْ النساء»(٢) .

وقال ﷺ : «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»(٣) .

قال الطيبى: «والمعنى المتبادر أنها مادامت فى خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفى إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع؛ لأنها حبائله وأعظم فخوخه».

قال المنذرى: «أى ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها؛ لأنها قد تعاطت سببًا من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا، أو أشهد جنازة، أو أصلى فى مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها(٤) .

الترهيب من الزنا

ولقد جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة لترهب الناس من الوقوع فى الزنا.

* قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(٥) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٣) وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٦٦٩٠).

(٤) صحيح موقوف: رواه الطبرانى فى الكبير (٩/ ١٨٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ١٥٦): رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٨٤).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

* وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾[1].

* ولعظيم جُرم هذه الفاحشة وشدة نكارتها جُعلت عقوبتها من أشد العقوبات وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله.

فجُعلت عقوبة هذه الجريمة النكراء الرجم بالحجارة حتى الممات لمن زنى وهو مُحصن، والجلد والإبعاد عن البلاد عامًا لمن زنى ولم يكن قد أُحصن.

والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[2][3].

* بل وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ لتحمل الوعيد الشديد للزناة، قال ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٠) كتاب الحدود.

(٣) بعد الاتفاق على وجوب الرجم للزانى المحصن، اختلف العلماء فى حكم الجمع بين الجلد والرجم على ثلاثة أقوال:

الأول: يُجلد قبل الرجم، وهو رواية عن أحمد وبه قال الظاهرية لما يأتى:

١- حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «... والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» [رواه عبد الرزاق (٧ / ٣٢٦) بسند صحيح].

٢- قضاء علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى شراحة الهمدانية فإنه: «جلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة...» وقال: «جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ».

قالوا: فتوارد على الجمع بين الجلد والرجم قولُ النبى ﷺ وقضاءُ علىٍّ فوجب العمل بذلك.

الثانى: يُرجم فقط، ولا جلد عليه: وهو مذهب الجمهور: أبو حنيفة ومالك والشافعى وإحدى الروايتين عن أحمد، واستدلوا بما يلى:

أن الذين رجمهم النبى ﷺ كماعز والغامدية واليهوديين، لم يأت فى رواية أنه جلد واحدًا منهم،

* وإقامة الحد أمر يشتهر بين الناس، فلو كان شىء من ذلك لنُقل إلينا كما نقل الرجم.

* والأظهر قول الجمهور بأن الزانى المحصن يُرجم حتى الموت ولا يُجلد.

كالظلة - السحابة - فإذا أقلع رجع إليه»[١].

* قال ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»[٢].

* وقال ﷺ فى صلاة الخسوف: «يا أمة محمد، ما من أحد أغير من الله من أن يزنى عبده أو تزنى أمته»[٣].

- وأخبر النبى ﷺ أن انتشار الفاحشة من أسباب كثرة الأمراض فقال ﷺ: «يا معشر المهاجرين ! خصال خمس إذا ابتُليتم بهن - وأعوذ بالله أن تدركوهن - لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا...»[٤].

- بل وأخبر النبى ﷺ عن عذاب الزناة فى قبورهم فقال ﷺ: «إنه أتانى الليلة آتيان، وإنهما ابتعثانى، وإنهما قالا لى: انطلق وإنى انطلقت معهما...» فذكر الحديث، وفيه: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور»، قال: وأحسب أنه كان يقول: «فإذا فيه لغط وأصوات»، قال: «فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا»، قال: «قلت لهما: ما هؤلاء؟..» فذكر الحديث وفيه: «وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى»[٥].

* ولما كانت معصية هؤلاء بأجزائهم السفلى كانت النار تأتيهم من أسفل منهم، ولما كانت نيران الشهوات تثور عليهم فى الدنيا بين حين وآخر فيقارفون المعصية كانت النار تثور عليهم بين حين وآخر، وكانوا كلما أرادوا الخروج من المعصية والتوبة إلى الله عز وجل والانطلاق فى فضاء الطاعة

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٢١) كتاب النكاح، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

قصرت بهم هممهم، وغلبت عليهم شهواتهم فعادوا إليها مرة ثانية، فهم كذلك فى تنور فى البرزخ كلما هموا بالخروج عادوا إليه مرة ثانية[1].

• الزنا يجمع خلال الشر كلها:

قال ابن القيم رحمه الله: «ويكفى فى قبح الزنا أن الله سبحانه وتعالى - مع كمال رحمته - شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قبحه أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذى لا عقل له كما ذكر البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: رأيت فى الجاهلية قردًا زنى بقردة فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا وكنت فيمن رجمهما»[2].

ثم قال رحمه الله ما ملخصه: والزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع ولا وفاء بعهد، ولا صدق فى حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله.

ومنها سواد الوجه، وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت، الذى يبدو عليه للناظرين، ومنها ظلمة الوجه وطمس نوره.

ومنها الفقر اللازم.

ومنها أنه يُذهب حُرمة فاعله، ويُسقطه من عين ربه، ومن أعين عباده.

ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق، والزانى، والخائن.

ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»[3].

---

(١) «مواقف إيمانية» الشيخ أحمد فريد (ص ٢٨٣).

(٢) «روضة المحبين» (ص: ٣٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

ومنها أنه يعرض نفسه لسكنى التنور الذى رأى النبى ﷺ فيه الزناة والزوانى.

ومنها أنه يفارقه الطيب الذى وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذى وصف الله به الزناة كما قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[1].

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بلَ جعلها مأوى الطيبين، ولا يدخلها إلا طيب.

ومنها الوحشة التى يجعلها الله ـ عز وجل ـ فى قلب الزانى، وهى نظير الوحشة التى تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفى قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزانى تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به.

ومنها قلة الهيبة التى تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شىء فى نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يُرزق الحلاوة والمهابة.

ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحدٌ على حرمته ولا على ولده.

ومنها الرائحة التى تفوح عليه، يشمها كل ذى قلب سليم.

ومنها ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعامَلون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط.

ولو علم الفاجر ما فى العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش، لرأى أن الذى فاته من اللذة أضعاف ما حصل له مع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

(١) سورة النور: الآية: (٢٦).

ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين فى المساكن الطيبة فى جنات عدن.

ومنها أن الزنا يجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر وأشرك وهو يدرى أو لا يدرى، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصى قبلها، ومعها، ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصى بعدها، فهى محفوفة بجند من المعاصى قبلها وجند بعدها وهى أجلب شىء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شىء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع فى حبائلها وأشراكها عزَّ على الناصحين استنقاذه، وأعيا الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يُفدى، وقتيلها لا يودى - أى ليس له دية - وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلى بها عبد فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[2][3].

● كان النبى ﷺ يبايع الرجال والنساء على ترك الزنا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وقال النبى ﷺ كذلك للرجال: «بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا..»[5].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الرعد: الآية: (١١).

(٣) «روضة المحبين» (ص: ٣٦٠ - ٣٦٣) بتصرف.

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (١٢).

(٥) صحيح: رواه البخارى (١٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٧٠٩) كتاب الحدود.

* فأخذ النبى ﷺ البيعة من النساء والرجال على ترك الزنا . . فيا من وقعت فى تلك الجريمة «تخيل أن النبى ﷺ أخذ منك البيعة على ترك الزنا فهل تستطيع أن تنقض مبايعتك للنبى ﷺ ؟

• كما تدين تدان:

* عن أبى أمامة أن فتى من الأنصار أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لى بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «ادنه» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا! والله ـ جعلنى الله فداك ـ، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم».

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا! والله يا رسول الله، ـ جعلنى الله فداك ـ قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا! والله ـ جعلنى الله فداك ـ قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا! والله ـ جعلنى الله فداك ـ قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا! والله ـ جعلنى الله فداك ـ قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء[1].

* وفى قصص بنى إسرائيل أن رجلاً تاجرًا ذهب يومًا إلى متجره فجاءته امرأة جميلة لتشترى منه شيئًا فلما أرادت أن تعطيه الثمن أمسك بيديها ثم تذكر فجأة أن هذا لا يحل له، وأنه سوف يُسأل أمام ربه ـ جل وعلا ـ عما فعله فعاد إلى بيته مسرعًا فاستقبلته زوجته وهى تبكى وتقول له: لقد حدث اليوم شىء عجيب. فقال لها: ما هو؟ قالت: لقد جاء السقا ليضع الماء فى الحوض كعادته فلما وضع الماء فتح الباب فجأة على غير عادته وأمسك بيدى ثم تركها وانصرف. فابتسم زوجها وقال: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٠٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

* نعم أيها الأخ الحبيب... كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد.

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا طرق الفساد فأنت غير مُكَرَّمِ

من يزنِ فى قومٍ بألفى درهم فى أهله يُزنى بربع الدرهمِ

إن الزنا دَيْن إذا استقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

• الضمانات الوقائية لعدم الوقوع فى الزنا:

لقد اتخذت الشريعة الإسلامية اتجاهين لضمان عدم وقوع الأفراد فى الزنا.

الأول: اتجاه وقائى يمنع وقوع الفاحشة عن طريق سد المنافذ المؤدية إليها سدًا محكمًا.

والثانى: اتجاه علاجى عن طريق فتح أبواب التعفف والحصانة على مصاريعها، وشق الطرق المعبدة الموصلة إلى ما أحله الله.

* فأما عن الضمانات الوقائية فهى[1].

* أن الله سبحانه منع الزواج ممن عُرف - أو عُرفت - بالفاحشة إذا لم يتب، فقال سبحانه: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، أخذًا بالحيطة إذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن أن يعاودها.

* حرم البذاء ومنع الفحش فى القول، وكره التلفظ بالسوء.

قال ـ عز وجل ـ: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾، وقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذىء»[3].

---

(١) سأذكرها باختصار من كتاب «عودة الحجاب» الدكتور / محمد إسماعيل المقدم (حفظه الله).

(٢) سورة النور: الآية: (٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٧)، وأحمد (٣٨٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٠).

* وحرم أن يُظن بمؤمن سوء، وأوجب على المؤمن إذا سمع عن أخيه سوءًا أن يظن به البراءة من الإثم، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبرىء، قال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١).

والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة أن تظهر، ولو على ألسنة المتكلمين، أو في أذهان السامعين تركيزًا للطهارة وتثبيتًا لها في جو البلاد والعباد، وفي هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية ما لا يخفى على عاقل.

* وحرم قذف المؤمن أو المؤمنة بالفاحشة، ووضع لذلك عقوبة زاجرة - الجلد ثمانين جلدة -، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمنًا عفيفًا بكلمة الفاحشة، وجب عليه أن يُحضر أربعة شهود على صحة ما قاله، أو يُجلد حدًا على ظهره ثمانين جلدة، مع إسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحًا.

* وحرم مجرد حب إشاعة الفاحشة في البلاد والعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٣).

* ومن إجراءات الإسلام في هذا الشأن تحريم التحدث بما يكون بين الزوجين متعلقًا بالوقاع ونحوه.

---

(١) سورة النور: الآيتان: (١٢، ١٣).

(٢) سورة النور: الآيتان: (٤، ٥).

(٣) سورة النور: الآية: (١٩).

* حظر على الرجل أن يغيب عن زوجه مدة طويلة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

فإذا حلف الرجل ألا يطأ زوجته أربعة أشهر فأكثر كان مُوليًا، فإما أن يرجع فى تلك المدة فيطؤها، ويُكفر عن يمينه، وإلا تُطلق منه بمجرد مضى المدة حتى لا تتضرر الزوجة.

* فرض الحجاب على النساء، واعتبار قرارهن فى البيت هو الأصل الأصيل فى دائرة عملهن، قال ﷺ: «والمرأة فى بيت زوجها راعية، وهى مسئولة عن رعيتها»[(٢)]، وما عداه استثناء، ثم إن هى خرجت تخرج محجوبة، لا تخالط الرجال.

* ومن ذلك أيضًا: تحريم التبرج، وإظهار الزينة، والتجمل للفت نظر الأجانب، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[(٣)].

* ومنها تشريع الاستئذان، فقد حرم الله ـ عز وجل ـ الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[(٤)].

ووضحت السنة الهدف من الاستئذان وهو خشية أن تقع عين آثمة على عورة غافلة، فتلد تلك النظرة الخاطفة فاحشة فاضحة.

* ومنها الأمر بغض البصر، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

---

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٥٨) كتاب العتق، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٤) سورة النور: الآيتان: (٢٧ ، ٢٨).

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١].

فالله ـ سبحانه ـ يعلم مدى تأثير النظرة المحرمة فى القلب، وما تُحدثه من تحويل النفس إلى بركان، وما تحركه من الاندفاع نحو المرأة، والواقع يصدق ذلك.

* **ومنها تحريم مس الأجنبية ومصافحتها:** وإذا كان الإسلام يطارد الحرام أنَّى وُجد، ويترصد المنكر حيثما كان ليقضى عليه، فلمس المرأة باليد يحرك كوامن النفس، ويفتح أبواب الفساد، ويسهل مهمة الشيطان، من أجل ذلك توعد الله من يفعل ذلك بصارم عقابه، وشديد عذابه:

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٢].

وإذا كان هذا فى مجرد المس إذا كان بغير شهوة، فما بالك بما فوقه؟!

وهذا أطهر ولد آدم ﷺ وأخوفهم لله، وأرعاهم لحدوده، يقول ـ وهو المعصوم: ـ **«لا أمس أيدى النساء»**[٣]، ويمتنع من ذلك حتى فى وقت البيعة الذى يقتضى عادة المصافحة، فكيف يباح لغيره من الرجال مصافحة النساء مع أن الشهوة فيهم غالبة؟، والفتنة غير مأمونة؟، والشيطان يجرى منهم مجرى الدم؟!

* **ومن ذلك:** تحريم الخلوة بالأجنبية: وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة فى غَيبة عن أعين الناس.

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى.

---

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/٢١١) وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥٠٤٥).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٩/٣٣٢)، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٧١٧٧).

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور، وكيف لا يكون ذلك، والفرصة سانحة، وقد مهدت الخلوة للغريزة أن تستيقظ؟

وقد تكون القرابة إلى المرأة أو زوجها سبيلاً إلى سهولة الدخول عليها أو الخلوة بها، كابن العم وابن الخال مثلاً، ولذلك حذرنا النبي ﷺ من ذلك؛ لأنه من مداخل الشيطان، ومسارب الفساد، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[1].

والحمو: هو قريب الزوج الذى لا يحل للمرأة، فبين النبى ﷺ أنه يفسد الحياة الزوجية كما يفسد الموت البدن.

* فلا يحل لشخص بعد هذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له.

* فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتى إلى البيت فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة.

* ولا يحل لصديق الزوج أن يأتى إلى المنزل فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة، ولا يحل له أن يخلو بها فى حضور الزوج فى البيت ويُغلَق على الأجنبى مع الزوجة باب.

* لا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يُغلَق عليهما باب، فهذا باب عظيم من أبواب البلاء.

* وكذلك لا يحل لمحفظ قرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن.

* وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها.

* ولا يحل لطبيب أن يخلو بمريضة ولا بممرضة.

* وقبيح - أيما قبح - أمر صيدلى يستأجر فتاة للعمل معه حيث هناك مكان يخلو بها فيه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

* وكذلك لا يحل - ثم لا يحل - لمدير أن يخلو بسكرتيرة، ولا أن يغلق عليهما باب، فالشيطان ثالث هؤلاء.

* ولا يحل كذلك لخاطب أن يخلو بمخطوبته، فهو لا يزال رجلاً أجنبيًا عنها.

* كذلك لا يحل لرجل أن يخلو بالخادمة التى تخدم فى بيته، فليست هى من محارمه.

* ولا يحل لسائق أن يخلو بامرأة من يعمل عنده فهو رجل أجنبى كذلك[1].

* **ومن الضمانات الوقائية**: قرار المرأة فى بيتها:

فلما كان احتكاك النساء بالرجال واختلاط النساء بالرجال من أكبر أسباب هذه الفاحشة وأعظمها جاء الحث على قرار النساء فى البيوت.

قال الله تعالى لأزواج نبيه ﷺ - اللواتى هن خير أسوة لنسائنا وبناتنا -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [2].

وقال النبى ﷺ: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهى فى قعر بيتها»[3].

وانظر إلى جميل الاعتذار الذى اعتذرت به هاتان المرأتان لما سألهما موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [4].

فذكرتا عذرهما فى خروجهما، وأوضحتا السبب الذى من أجله كان الخروج ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[5].

---

(١) «ولا تقربوا الزنا»/ الشيخ مصطفى العدوى (ص: ٦٩، ٧١) بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٩٠).

(٤) سورة القصص: الآية: (٢٣).

(٥) سورة القصص: الآية: (٢٣).

شيخ كبير لا يطيق سقى الأنعام، ولا يطيق العمل ولا الخروج، ولولا ذلك ما خرجنا.

ولكنهما مع هذا الخروج «تَذُودَانِ» تصرفان الأنعام والمواشى والأغنام عن الاحتكاك بالناس!!

* من ذلك: أنه حرم سفر المرأة بغير محرم:

فإن المرأة مظنة الشهوة والطمع، وهى لا تكاد تقى نفسها، لضعفها ونقصها، ولا يَغَار عليها مثل محارمها، الذين يرون أن النَّيل منها نيل من شرفهم وعرضهم... وسفرها بدون محرم يعرضها إلى الخلوة بالرجال ومحادثتهم، وقد يطمع فيها من فى قلبه مرض، وربما سهل خداع المرأة، وربما يعتريها مرض، وإذا سلمت من كل هذا فلن تسلم من القيل والقال إذا سافرت بدون محرم يصونها ويرعاها.

* ومنها تحريم خروج المرأة متطيبة متعطرة:

فمن المعلوم أن من دواعى فتنة الرجل بالمرأة، ونزوعه إليها، ما يشم منها من الطيب الذى يفوح شذاه فيجر إلى الفتنة، ويكون رسولاً من نفس شريرة إلى نفوس أخرى شريرة.

قال ﷺ: «أيما امرأة استعطرت، ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية، وكل عين زانية»[1].

* ومنها تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها:

فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجىء لعنتها الملائكة حتى تصبح»[2].

وفى رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من رجل

---

(١) حسن: رواه النسائى (٥١٢٦)، وأحمد (١٩٢١٢، ١٩٢٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح.

يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطًا عليها»[١].

* ومنها عدم وصف المرأة لامرأة أخرى:

قال ﷺ : «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[٢].

فقد قال ذلك رسول الله ﷺ ، وذلك خشية أن يفضى هذا الوصف إلى افتتان الزوج بهذه الموصوفة.

* ومنها تحريم الخضوع بالقول:

فقد يكون صوت المرأة رخيمًا، يحرك النفوس المريضة، فيجرها إلى التفكير فى المعصية، أو يوقعها ويوقع بها فى بلية العشق.

وقد سدَّ الإسلام على المرأة كل سبيل للتسيب فى هذا الباب حينما جعل أمهات المؤمنين محلاً للقدوة، فلم يبق هناك عذر لمعتذر، قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [٣].

* ومن أعظم وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة: تحريم الاختلاط المستهتر: وقد حذَّر القرآن الكريم من هذا الاختلاط كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [٤]، فخير حجاب للمرأة بيتها، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [٥].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لو تركنا هذا الباب للنساء؟» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[٦].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣٦) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٢٤١) كتاب النكاح.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٢، ٥٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٨).

قال أبو داود فى «سننه»: «باب انصراف النساء قبل الرجال من الصلاة» ثم ساق حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال».

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان يسلم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ»(١).

قال الشيخ محمد بن إسماعيل: والآن نستطيع أن نجزم بحقيقة لا مراء فيها، وهى أنك إذا وقفت على جريمة فيها نُهش العرض، وذُبح العفاف، وأُهدر الشرف، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التى نسجت هذه الجريمة وسهلت سبيلها، فإنك حتمًا ستجد أن هناك ثغرة حصلت فى الأسلاك الشائكة التى وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، ومن خلال هذه الثغرة دخل الشيطان، وصدق الله العظيم: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾(٢)(٣).

* ومنها: الحض على الزواج لمن استطاع إليه سبيلاً والحض على الصيام لمن لم يستطع إلى ذلك سبيلاً.

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن له وجاء»(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لو لم يبق من أجلى سوى عشرة أيام أعلم أنى أموت بعدهن، ولى طَول النكاحِ فيهن لتزوجت مخافة الفتنة».

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٨٥٠) كتاب الأذان.

(٢) سورة النساء: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

(٣) عودة الحجاب / الدكتور محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ (٣ / ٥٩ - ٦٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠٥) كتاب الصوم، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

* ومنها الحض على تعاون المسلمين على تزويج الشباب والفتيات حتى لا يبقى بين المسلمين عزب تخشى فتنته.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

والأيامى: جمع أيم، وهو من ليس متزوجًا من ذكر أو أنثى، فالرجل أيم، والمرأة أيم إذا لم يكن لهما زوج... قال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى فى النكاح»، وتلا هذه الآية، وقال عمر رضي الله عنه: «عجبى ممن لا يطلب الغنى فى النكاح، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[(٢)].

● **خير النكاح أيسره:**

قال صلى الله عليه وسلم: «خير النكاح أيسره»[(٣)]، ويا لها من كلمة عظيمة تكشف عن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بأمته، ورغبته فى تيسير الخير لكل شابٍّ مسلم ولكل فتاة مسلمة، وذلك لأن المغالاة فى المهور وعدم تيسير الزواج يجلب الشقاء للأمة المسلمة ويجعل الحرام يتفشى فى المجتمع المسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»[(٤)].

قال عروة رضي الله عنه: وأنا أقول من عندى: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها.

وقال عمر رضي الله عنه: لا تغلوا فى صداق النساء، فإنها لو كانت مكرُمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبى صلى الله عليه وسلم، وما أصدق رسول الله

---

(١)، (٢) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢١١٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٣٩٥٧، ٢٤٠٨٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٥).

ﷺ امرأةً من نسائه، ولا أُصدقت امرأة من بناته بأكثر من أربعمائة درهم، أو خمسمائة.

ولقد زوَّج النبى ﷺ عليًا من ابنته فاطمة بدرعٍ مكسورة، وزوَّج رجلاً بما معه من القرآن... وكل ذلك يجعل الأُلفة تخيم على المجتمع المسلم بدلاً من الحقد والضغينة.

ولقد جاء الأمر من الله جل وعلا بتزويج الفقراء من المؤمنين ووعد بأن يغنيهم من فضله، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

يقول ابن العربى فى تفسير هذه الآية: «فى هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقول: كيف أتزوج وليس لى مال، فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى، وقد زوَّج النبى ﷺ الموهوبة من بعض أصحابه، وليس له إلا إزار واحد»[2].

وذكر الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[3]، وذكر أبو بكر الجصاص قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت مثل من يُجلس أيمًا بعد هذه الآية ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ التمسوا الغناء فى الباءة»[4].

وقد عنون الإمام البخارى فى صحيحه بابًا أسماه «باب تزويج المعسر» لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[5].

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٢) أحكام القرآن لابن العربى (٣ / ١٣٦٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣ / ٣٢٠).

(٥) صحيح البخارى مع فتح البارى (٩/ ١٣١).

ويقول الحافظ ابن حجر في شرح قول الإمام البخاري: «إن الآية تعليل لحكم الترجمة، ومحصله أن الفقر في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في المآل، والله أعلم»[1].

• المجتمع الإسلامي وتيسير سبل الزواج:

إن المنهج الإسلامي هدفه الأساسي هو إصلاح المجتمع المسلم وزرع البذرة الصالحة في هذا المجتمع، ولذا فإنه لم يعتبر الفقر عيبًا ولا مانعًا من الزواج، فعن سهل رضي الله عنه قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: **«ما تقولون في هذا؟»** قالوا: حرى إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يُستمع، قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: **«ما تقولون في هذا؟»** قالوا: حرى إن خطب ألا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض من هذا»**[2].

فقد وضح النبي ﷺ أن الفقر ليس مما يُزدرى به الشخص وأن المقياس هو ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3].

ثم أرشد المجتمع المسلم إلى أن المال أو عدمه ليس شرطًا في قبول الزواج أو رفضه فقال ﷺ: **«إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض»**[4] وأرشد كذلك الشاب المسلم على أن يحرص على ذات الدين ولا يطمع في صاحبة المال أو الجمال.

ولم يقتصر الإسلام على تقديم الدعم المعنوي للفقراء الذين يريدون

---

(١) فتح الباري (٩/ ١٣١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٠٩١) كتاب النكاح، و(٦٤٤٧) كتاب الرقاق.

(٣) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

(٤) حسن: رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٢٢).

الزواج، بل قدم لهم الدعم المادى كذلك فمن ذلك أنه ألقى على عاتق الآباء مسئولية تزويج أولادهم، وأمر المجتمع الإسلامى بمساعدة من يريد الزواج من الفقراء وجعل للدولة الإسلامية تقديم المساعدة لهم.

يقول ابن قدامة فى «المغنى»: «ويلزم الرجل إعفاف ابنه إذا احتاج إلى النكاح، وهذا ظاهر مذهب الشافعية»[1].

أما عن مسئولية المجتمع عن تزويج الأيامى، فقد أمر الله عز وجل بذلك فقال: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[2].

يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية: «زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف»[3].

• وأما عن مسئولية الدولة عن تزويج الأيامى:

فقد جعل الإسلام للدولة الإسلامية تقديم المساعدة للراغب فى الزواج إذا عجز عن تحمل نفقاته، وتتمثل مساعدة الدولة للراغب من الفقراء فى الزواج فى صورتين؛ إما أن تيسر له وسيلة الحصول على المال الحلال الذى يكفيه للزواج وإما أن تعينه من بيت المال[4].

• مهور نساء النبى ﷺ وبناته:

عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: يا أيها الناس لا تغالوا مهر النساء فإنها لو كانت مَكْرُمة لم يكن منكم أحد أحق بها ولا أولى من النبى ﷺ ما أمهر أحدًا من نسائه ولا أصدق أحدًا من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية والأوقية أربعون درهمًا فذلك ثمانون وأربع مائة درهم

---

(١) المغنى (٧ / ٥٨٧).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٣) تفسير القرطبى (١٢/ ٢٣٩).

(٤) التدابير الواقية من الزنا - الدكتور فضل إلهى (٩٥- ٩٨) بتصرف.

وذلك أغلى ما كان رسول الله ﷺ أمهر فلا أعلم أحدًا زاد على أربع مائة درهم[(١)].

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: سألتُ عائشة زوج النبى ﷺ: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية ونَشًّا، قالت: أتدرى ما النشُّ؟ قال: قلت: لا، قالت: نصف أوقية؛ فتلك خمسمائة درهم. فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه[(٢)].

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان صداق بنات رسول الله ﷺ ونسائه خمس مائة درهم اثنتى عشر أوقية ونصفًا [(٣)].

وعن عكرمة قال: لما زوج النبى ﷺ عليًّا فاطمة قال: **«أعطها شيئًا»** قال: يا رسول الله ليس عندى شيء، قال: **«فأين درعك الحطمية؟»**![(٤)]

• مهور أصحاب النبى ﷺ:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان صداقنا إذ كان رسول الله ﷺ فينا عشرة أواقٍ أربع مائة درهم[(٥)].

عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صُفْرة فقال: **«ما هذا؟»** قال: يا رسول الله إنى تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: **«فبارك الله لك؛ أَوْلِم ولو بشاة»**[(٦)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٩٢ .

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢٦)، ويعادل ٥٠٠ درهم فضة ١٢٠٠ جرام تقريبًا. وهو ما يعادل ١٥٠٠جنيه مصرى حاليًا تقريبًا.

(٣) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (ج٣ ص٤٩٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائى (٣٣٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود.

(٥) مصنف عبد الرزاق ج٦ ص١٧٧

(٦) متفق عليه رواه البخارى (٥٠٧٢) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٧) كتاب النكاح.

وعنه رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم رضي الله عنها فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشى بنى فلان؟ إن أنت أسلمت لم أرِدْ منك من الصداق غيره، قال: حتى أنظر فى أمرى، قال: فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله قالت: يا أنس! زوِّج أبا طلحة[1].

● جهاز فاطمة بنت النبى ﷺ:

ـ لننظر جميعًا إلى جهاز واحدة من سيدات نساء العالمين، بنت سيد العالمين حينما جهزها أبوها ﷺ لتدخل بيت الزوجية.

قالت أم أيمن: وَلِيتُ جَهازها ـ أى جهاز فاطمة ـ فكان فيما جهزتُها به مرفقة ـ وسادة أى مخدة ـ من أدم ـ جلد ـ حشوها ليف ـ ليف النخل ـ وبطحاء ـ رمل ـ مفروش فى بيتها... عن دارم بن عبد الرحمن بن ثعلبة الحنفى قال: حدثنى رجل أخواله الأنصار قال: أخبرتنى جدتى أنها كانت مع النسوة اللاتى أهدين فاطمة إلى علىٍّ؛ قالت: أُهْدِيَت فى بُردين ـ ثوبين ـ عليهما دُمْلوجان ـ حُلى أملس ـ من فضة مُصَفَّران ـ مطيبان ـ بزعفران، فدخلنا بيت علىٍّ فإذا إهاب ـ جلد ـ شاة على دكان ـ دكة مبنية من الطين للجلوس عليها كالمصطبة ـ ووسادة ـ مخدة ـ فيها ليف، وقِربْة ـ سقاء ـ ومنخل ومنشفة وقدح ـ إناء يؤكل فيه ـ[2].

قال على: لقد تزوجت فاطمة وما لى ولها إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لى ولها خادم غيرها. والناضح هو: البعير.

وعن علىٍّ أن رسول الله ﷺ لما زوَّجه فاطمة بعث معها بخملة ـ قطيفة ـ ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين – والجرة إناء من

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ١٩٥)، وقال الحافظ الذهبى فى التلخيص: على شرط مسلم.

(٢) الطبقات الكبرى (ج: ٨ ص: ٢٤).

الفخار - فقال على لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت - سقيتُ - حتى قد اشتكيت صدرى، وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه - اطلبى خادمًا - فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مَجَلَتْ - تورمت - يداى، فأتت النبى ﷺ فقال: «ما جاء بك يا بنية؟» قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعتْ، فقال علىٌّ: «ما فعلْتِ»؟ قالت: استحْيَيْتُ أن أسأله، فَأتياه جميعًا فقال على: والله يا رسولَ الله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداى وقد أتى الله بسبى وَسَعَة فأخدمنا، قال: «والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصُّفَّة تُطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم - يعنى: يبيع الخدم - أُنفق عليهم أثمانهم»، فرجعا فأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما بدت رؤوسهما فثارا، فقال: «مكانكما؛ ألا أخبركما بخير مما سألتمانى»؟ فقالا: بلى، فقال: «كلمات علمنيهن جبريل؛ تسبحان فى دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين»، قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله، فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، ولا ليلة صفين. . . . وليلةُ صفين كانت ليلة حرب وشدة، ورغم هذا لم يدع الذكر رضي الله عنه[1].

فانظروا أيها المسلمون هذه بنت سيد البشر وهذا جَهازها، وهذا موقف أبيها منها لما طلبت خادمًا ليس ترفُّهًا ولا من الكماليات، وإنما لأنها قد تورمت يدها من طحن الحَب على الرحى، واشتكى زوجها علىٌّ رضي الله عنه آلام صدره من كثرة سقى الماء، ثم إن عندهما فى البيت قطيفة - غطاء - لا يكفى

(١) ضعيف: رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (ج: ٨ ص: ٢٥) وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٩٨٤).

لتغطيتهما كما في رواية ابن حبان. قالت فاطمة رضي الله عنها: وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولاً خرجت منها جنوبنا، وإذا لبسناها عرضًا خرجت منها رؤوسنا وأقدامنا.

* فهل نتعلم من هؤلاء الأخيار؟ ولا أقول نضيق على أنفسنا ولكن أقول: لا نشدد على أنفسنا ولا نكلفها ما لا تطيق، فالله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

* **قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:**

- **في هذا الحديث فائدة:** أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء؛ لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك. كذا أفاده ابن تيمية... قال ابن حجر: وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب، بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل عليه ولو حصل له التعب. والله أعلم.

- **قال:** وفيه أيضًا ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش وقلة الشيء وشدة الحال، وأن الله تعالى حماهم الدنيا مع إمكان ذلك صيانة لهم من تبعاتها، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء.

* وذكر ابن حجر رحمه الله رواية تفيد أن النبي ﷺ لم يدخل على فاطمة وعليٍّ بدون إذن: قال علي: فأتانا وقد دخلنا فراشنا، فلما استأذن علينا تخششنا لنلبس علينا ثيابنا، فلما سمع منا ذلك قال: «كما أنتما في لحافكما».

* **قال:** وفي الحديث إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما وبالغ حتى أدخل رجله بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضًا عما طلباه من الخادم[1][2].

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٢٠) بتصرف.

(٢) الأفراح بين الحرام والمباح (ص: ٧١- ٧٦) بتصرف.

● البساطة فى مسكن الزوجية:

كلما كان للعروسين مسكن خاص بهما كلما كان ذلك أهنأ عند بنائهما، وأستر لهما فى حياتهما الجديدة، وقد سأل النبى ﷺ عليًا ﷺ أن يسعى فى ذلك ففعل، واستقل ببيت خاص، لكنه كان بعيدًا عن بيت الرسول ﷺ قليلاً، فطلب من على أن يقترب منه، فلما تيسر ذلك تحول قريبًا من المصطفى ﷺ.

● مسكن فاطمة ﷺ:

عن أبى جعفر قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أبى أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج علىٌّ فاطمة قال لعلى: «اطلب منزلاً» فطلب علىّ منزلاً، فأصابه مستأخرًا عن النبى ﷺ قليلاً، فبنى بها فيه فجاء النبى ﷺ إليها فقال: «إنى أريد أن أحولك إلىّ» فقالت لرسول الله: فكلّم حارثة بن النعمان أن يتحول عنى، فقال رسول الله ﷺ: «قد تحول قد استحييت منه» فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! إنه بلغنى أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلى وهى أسقب - أقرب - بيوت بنى النجار بك، وإنما أنا ومالى لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذى تأخذ منى أحب إلىّ من الذى تدع[1].

● مساكن أزواج النبى ﷺ:

فلما قال حارثة بن النعمان ذلك له قال رسول الله ﷺ: «صدقت بارك الله عليك» فحولها إلى بيت حارثة. قال محمد بن عمر: وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله ﷺ وحوله، وكلما أحدث رسول الله أهلاً تحول له حارثة بن النعمان عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ وأزواجه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٦٦

عن عامر قال: لم يوص رسول الله إلا بمساكن أزواجه وأرض تركها صدقة. قال محمد بن عمر: حدثنى معاذ بن محمد الأنصارى قال: سمعت عطاء الخراسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حُجر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج النبى فى مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيت يومًا أكثر باكيًا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها ـ يعنى: الدنيا ـ قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه قال عمران بن أبى أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حُجَر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مُطينة لا حُجَر لها على أبوابها مسوح الشعر، ذَرَعْتُ الستر فوجدته ثلاثة أذرع والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتنى فى مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركت فلم تُهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا ما رضى الله لنبيه ﷺ ومفاتيح خزائن الدنيا بيده[1][2].

● سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين:

وها هو سعيد بن المسيب الذى زوَّج ابنته على درهمين فكان مثالاً

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٦٧

(٢) الأفراح بين المحظور والمباح / الشيخ : جمال عبد الرحمن (ص: ١٠١ - ١٠٤) بتصرف.

عظيمًا للاتباع لنهج الحبيب ﷺ، وها هى القصة كما أوردها الإمام الذهبى فى السير:

قال أبو بكر بن أبى داود: كانت بنتُ سعيد قد خطبها عبدُ الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتالُ عبدُ الملك عليه حتى ضربه مائة سوطٍ فى يومٍ بارد، وصبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جُبة صوف... قال كثير بن أبى وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدنى أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: تُوفيت أهلى - يعنى زوجته - فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله! ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمَّد، وصلى على النبى ﷺ، وزوَّجنى على درهمين ـ أو قال: ثلاثة ـ فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلتُ أتفكر فيمن أستدين. فصليتُ المغرب، ورجعت إلى منزلى، وكنتُ وحدى صائمًا، فقدمت عشائى أفطر، وكان خبزًا وزيتًا، فإذا بابى يُقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت فى كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له[1]، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلىَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تُؤتى، إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هى قائمةٌ من خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب، وردَّ الباب. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعتُ القصعة فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميت الجيران، فجاءونى فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليها، وبلغ أمى، فجاءت وقالت: وجهى من وجهك

(١) أى بدا له أن يرجع عن تلك الزيجة.

حرامٌ إن مستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام؛ فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهرًا لا آتى سعيد بن المسيب. ثم أتيته وهو فى حلقته، فسلمت، فردَّ علىَّ السلام ولم يُكلمنى حتى تقوّض المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يُحبُّ الصديق، ويكرهُ العدوُّ. قال: إن رابك شىءٌ، فالعصا. فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إلىَّ بعشرين ألف درهم[1].

• التزويج على القرآن وبغير صداق:

والإسلام يضرب لنا الأمثلة العظيمة فى تيسير الزواج على المسلمين، فهذا هو رسول الله ﷺ يزوج رجلاً على القرآن وبغير صداق، وقد أورد الحديث الإمام البخارى فى صحيحه، وقال فى عنوان هذا الباب: (باب التزويج على القرآن وبغير صداق).

فعن سهل بن سعد الساعدى أنه قال: إنى لفى القوم عند رسول الله ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك، فلم يُجبها شيئًا. ثم قامت فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك، فلم يُجبها شيئًا. ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك. فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله أنكحنيها. قال: **«هل عندك من شىء؟»** قال: لا. قال: **«اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد»**. فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدتُ شيئًا، ولا خاتمًا من حديد. قال: **«هل معك من القرآن شىء؟»** قال: معى سورةُ كذا وسورةُ كذا. قال: **«اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن»** وفى رواية: **«اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**[2]، نعم هذا هو إسلامنا، وتلك هى رحمة نبينا ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٤٩) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

كان مهرها الإسلام

إنها أم سليم بنت ملحان التى سارعت إلى الدخول فى الإسلام، وكان من أوائل من وقف فى وجهها زوجها ـ مالك ـ الذى غضب وثار عندما رجع من غيبته وعلم بإسلامها، فقال لها بغضب بالغ: أصبوت؟ فقالت بيقين وثبات: ما صبوت، ولكنى آمنت.

وجعلت تلقّن أنسًا: ابنها وهو أنس بن مالك ﷺ قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدى علىّ ابنى، فتقول: إنى لا أفسده.

ولما سمع مالك زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، خرج من البيت غاضبًا فلقيه عدو له فقتله.

ولما علمت أم سليم، بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا جرم، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنسًا خادمًا عنده، فرحب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير، ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها مهرًا غاليًا، إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة وكبرياء، وهى تقول: إنه لا ينبغى أن أتزوج مشركًا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت[1]. فأحس أبوطلحة بضيقٍ شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٦)، الإصابة لابن حجر (٨/ ٣٤٣).

مما يرى ويسمع، ولكنه عاد فى اليـوم التالى يمنيها بمهرٍ أكبر وعـيشة رغيدة عساها تلين وتقـبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكـية ـ التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيـها، حيث المال والجاه والشباب ـ تشـعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدبٍ جمٍّ: «والله ما مثلك يا أبا طلحـة يُرد. ولكنـك رجل كـافـر، وأنا امـرأة مـسلمـة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره»[1].

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه ومـلأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًـا، فليست هى بالمرأة اللعـوب التى تنهار أمام المغـريات، إنها المرأة العاقلة التى تـفرض وجودها، وهل يجـد خيرًا منهـا تكون زوجًا له، وأمًّا لأولاده؟؟!

فما شعر إلا ولسانه يردد أنا على مـثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مـحمدًا رسول الله. فالتفـتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهى تقول بسعادة بالغة بعـد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوج أبا طلحة، فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت راوى الحديث عن أنس: «فما سمـعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم كان مهرها الإسلام»[2].

وكانت أم سليم مثـال الزوجة الصالحة التى تقوم بحـقوق الزوج أحسن قيام، كما كانت مثال الأم الرؤوم. والمربية الفاضلة الداعية.

وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام على يد زوجته الفاضلة أم سليم وأصبح ينهل من نبع النبوة حتى غدا كفؤًا كريمًا لأم سليم.

• النبى ﷺ يعاتب من يبالغ فى المهر وهو لا يقدر:

عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى تزوجت امرأة

(١) الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣)، الحلية (٢/ ٥٩ - ٦٠).
(٢) سنن النسائى (٣٣٤١) عن أنس.

من الأنصار، فقال له النبى ﷺ : «هل نظرت إليها؟ فإن فى عيون الأنصار شيئًا» قال: قد نظرت إليها، قال: «على كم تزوجتها؟» قال: على أربع أواق، فقال له النبى ﷺ : «على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه» قال: فبعث بعثًا إلى بنى عبس بعث ذلك الرجل فيه[1].

قال النووى: قوله ﷺ : «كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل». العُرض .. هو الجانب والناحية، وتنحتون .. أى تقشرون وتقطعون، ومعنى هذا الكلام كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج[2]. ولهذا عاتبه النبى ﷺ فى تكلف مهر لا يستطيع أداءه.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

ويُكره للرجل أن يصدق المرأة صداقًا يَضُرُّ به إن نَقَدَه، ويعجز عن وَفائه إن كان دَيْنًا ..، وإذا أصدقها دينًا كثيرًا فى ذمته، وهو ينوى أن لا يعطيها إياه كان ذلك حرامًا عليه..

وما يفعله أهل الجفاء والخيلاء والرياء من تكثير المهر للرياء والفخر[3]، وهم لا يقصدون أخذه من الزوج، وهو ينوى أن لا يعطيهم إياه: فهذا منكر قبيح، مخالف للسنة، خارج عن الشريعة[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٢٤) كتاب النكاح.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج: ٩ ص: ٢١١ .

(٣) ويظهرون مهرًا فى العلانية يقل عن مهر السر لأجل السمعة والتبارى والمباهاة.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ١٩٣-١٩٤) بتصرف، والناظر إلى العقود التى يكون فيها مهور مؤجلة يدرك أن القصد منها ليس المهر بقدر ما هو التضييق على الزوج، وتقييده إذا فكر فى الطلاق، ولذا يكون المؤجل أضعاف المعجل، ويتساهلون فى المعجل ظنًّا منهم انه إذا أقدم على طلاقها، تذكر إغرامه بالمؤخر عند حلوله، فيمتنع عن التسرع فى طلاقها، وفى ذلك يقول شاعرهم:

مَهْرُ الفتاة إذا غلا صَونٌ لها ... عن أن يُبتَّ عَشيرُها تطليقَها
يَهْوَى الفِراقَ، وخافَ مِنْ إغرامه ... فأدامَ فى أسبابه تعليقَها
ولربما ورِثَتْهُ أو سَبقَتْ بها ... أقدارُ مِيْتتها فكان طليقَها

وإذا قصد الزوج أن يؤذيه، وهو فى الغالب لا يطيقه، فقد حمَّل نفسه، وشغل ذمته، وتعرض لنقص حسناته، وارتهانه بالدَّين، وأهل المرأة قد آذَوْا صِهْرَهم، وضَرُّوه[1]. اهـ.

* * *

- إن المغالاة فى المهر تثير الحقد والغضب والعداوة فى نفس الخاطب، كما بيَّن ذلك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، وإن من أراد أن يكون نكاح ابنته ميمونًا عظيم البركة، فعليه أن يسعى إلى ذلك بتيسير المهر وتقليله، تصديقًا لقول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ : «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»، وليعلم الآباء «التجار» الذين ينظرون إلى بناتهم نظرتهم إلى السلع المبيعة، والذين يتوهمون أن فى رفع مهور بناتهم ضمانًا لمستقبلهن، ليعلم هؤلاء أن الذى يكره زوجته، ويريد طلاقها لا يمكن أن تقف فى وجهه مشكلة المال، إذا كان ميسور الحال، وإلا فربما زيَّن الشيطان له عَضْلَها والإضرار بها حتى تفتدى نفسها منه، أو خداعها بالمكر والخلابة، فيعود الحال إلى نقيض ما قصده أبوها، بشؤم المغالاة فى المهور!

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ١٩٢-١٩٤) بتصرف.



صراع مع
أصدقاء السوء

صراع مع أصدقاء السوء

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس صحبة أصدقاء السوء والبعد عن أهل المروءة والصلاح . . . فكانوا سبب فسادهم وضياعهم فى الدنيا والآخرة.

* وها نحن نخوض هذه الجولة لنحذر المسلمين من أصدقاء السوء ونحضهم على صحبة أهل الخير والصلاح . . ويذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان بالضربة القاضية - بإذن الله -.

الصاحب الصالح لا يشقى به جليسه

إن من صاحب أهل الصلاح نال من بركتهم وصلاحهم وإن كان دونهم فى الصلاح.

ففى «الصحيحين» عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً، يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا، وحَفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا انصرفوا عرجوا وصعدوا إلى السماء.

قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك فى الأرض يُسبحونك ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك ويسألونك.

قال: وما يسألونى؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتى؟

قالوا: ويستجيرونك. قال: ومما يستجيروننى؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك قال: فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما

سألوا، وأجرتهم مما استجاروا.

قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خَطَّاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

الصاحب السوء يشقى به جليسه

إذا كان الصاحب الصالح لا يشقى به جليسه؛ فإن الصاحب السيء قد يشقى به جليسه، فإن أناسًا من المسلمين بمكة خرجوا يُكثرون سواد المشركين على المسلمين يوم بدر، فكان المسلمون الذين هم مع رسول الله ﷺ يرمى أحدهم أخاه، فيقع الحرج، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل ما يرفع به الحرج مع وعيد شديد للذين خرجوا مع المشركين.

ففى «صحيح البخارى» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثِّرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتى السهم يُرمَى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [2][3].

فانظر كيف أن العذاب الذى حَلَّ بالكافرين قد شمل أُناسًا من المسلمين بسبب خروجهم معهم، وتالله إنا لنخشى على من يجالس أُناسًا عُرفوا بمقارفة المعاصى كالسخرية من الصالحين، والتعرض لبنات المسلمين من أن تشملهم عقوبة الله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة النساء: الآية: (٩٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٥٩٦) كتاب تفسير القرآن.

الصالح وغير الصالح لا يجتمعان[1]

ولك أن تنظر على الضرر العظيم الذى ألحقة الصاحب السيئ أبو جهل بأبى طالب.

ففى «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبو طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»[2].

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله».

وهذا يدل على خطورة صديق السوء.

* بل ها هو عقبة بن أبى معيط الذى ضيَّعه صاحب السوء أُبى بن خلف. قال تعالى حاكيًا عن حال عقبة بن أبى معيط وكل من كان على شاكلته: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[3].

روى أن «عقبة بن أبى معيط» وكان صديقًا لأُبى بن خلف صنع وليمة فدعا إليها قريشًا ودعا رسول الله ﷺ فلما قدم الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أنى رسول الله» ففعل فأكل رسول

(١) بتصرف من رسالة (رسالة إلى ولدى من تصاحب) لأبى عبد الله فيصل الحاشدى (حفظه الله).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

(٣) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧ - ٢٩).

الله من طعامه فلما بلغ «أبي بن خلف» ذلك قال لصديقه عقبة: صبأت قال: لا ولكن دخل عليَّ رجل عظيم فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له بالرسالة فقال له أبي: وجهي من وجهك حرام إن رأيت محمداً حتى تبزق في وجهه وتطأ على عنقه وتقول كيت وكيت، ففعل عدو الله ما أمره به خليله فأنزل الله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ الآية[1].

من صفات الصاحب الصالح

(١) العقل:

عليك بمصاحبة العاقل من الناس؛ لأن العاقل قريب من كل خير وبِرّ؛ فهو مطبوع على حب المكارم من الأخلاق والأعمال، شديد النفور من سفاسفها.

ومن علامة العاقل الظاهرة: «حسن السمت، وطول الصمت»[2].

ويُعرف العاقل بأنه من عقل عن الله أمره، وسما بنفسه إلى نيل رضاه.

قال الحسن - رحمه الله -: «ما تَمَّ دين عبد حتى يتم عقله»[3].

وقال ابن حبان في وصف العاقل: «العاقل لا يقاتل من غير عدة، ولا يخاصم بغير حجة، ولا يصارع بغير قوة؛ لأن بالعقل تحيا النفوس، وتنور القلوب، وتمضي الأمور، وتعمر الدنيا.

والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى، ويضيف ما لم يسمع منها بما قد سمع، وما لم يصب منها، إلا ما قد أصاب، وما بقي من عمره بما قد فني، وما لم ينل منها، بما قد أوتي، ولا يتكل على المال، وإن كان في تمام الحال؛ لأن المال يحل ويرتحل والعقل يقيم ولا يبرح ولو أن العقل شجرة، لكانت من

(١) التفسير الكبير (٢٤/ ٧٥).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٦).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٥).

أحسن الشجر، كما أن الصبر لو كان ثمرة، لكان من أحسن الثمر».

إذا ما كنت متخذا خليلاً
فلا تثقن بكل أخي إخاءِ
فإن خُيِّرت بين الناس فالصق
بأهل العقل منهم والحياءِ
فإن العقل ليس له إذا ما
تفاضلت الفضائلُ من كفاءِ[1]

(٢) الدين:

صاحب أخا الدين؛ فإنك لن تجد منه إلا كل خير، ولو لم يكن من بركة صُحبته ومحبتك له في الله إلا أنك تُحشر معه لكان ذلك من أعظم الشرف، ولو قطعت الأرض حافيًا بحثًا عن ذلك الصاحب لكان قليلاً.

ففي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟

قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[2].

ففي «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟».

قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وأرجو أن أكون

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[(١)].

فهـذا الحديث قد دَلَّ على أنه من أحب صـالحًا حُشر مـعه، ومن أحب فاسقًا حُشر معه.

(٣) حُسن المعتقد:

ليكن من تصـاحب حسن المعتـقد، سُنيًّا، سلفيًّا، وقافًـا عند الأوامر والنواهي غير معروف ببدعة وغير مجالس لأهلها.

فإذا كان مبـتدعًا أو عُرف بمجالسـة المبتدعة والتردد عليهم، فـالبعد عنه عـين كمـالك، وأهـل العلم مـن لدن السلف إلى يومنا هـذا على الحـذر والتحذير منهم ومن مجالستهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان أقسام الناس من حيث المخالطة[(٣)]:

«القسـم الرابع - مَن مخالطته الهـلاك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس، لا كثَّرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة».

قاعدة في معرفة حسن المعتقد:

وأهل البـدع والأهواء يتكـاتمون كل شيء من أمـورهم إلا شيء واحـد هيهـات أن يخفى عن عـامة الناس فـضلاً عن كل ذي لُبٍّ، وهذه القـاعدة هي: الألفة.

وتـستطيع أن تعرف الرجل المبـتدع، وكذلك الحزبي المتستـر بهذه القاعدة الذهبية[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٨٨) كتب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٧٢).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٧٥).

(٤) مستند هذه القاعدة حديث: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

قال الأوزاعي رحمه الله: «من ستر علينا بدعته لم تخف علينا ألفته»[1].

(٤) التقوى:

صاحب من يتقي الله فإن صحبة من هذا حاله غنيمة، تُذكرك بالله رؤيته، ويزيد في عملك كلامه، ويرغبك في الآخرة عمله.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى صحبة التقي من الناس.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[2].

قال الخطابي رحمه الله معلقًا على قوله ﷺ: «ولا يأكل طعامك إلى تقي»: «إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[3] ومعلوم أن أسراهم كانوا كفارًا غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر عليه السلام من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته؛ فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب»[4].

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم
وتوسمنَّ أمورهم وتفقّد
فإذا ظفرت بذي الأمانة والتُقى
فبه اليدين قرير عين فاشدُدِ
كم من صديقٍ في الرخاء مساعد
وإذا أردت حقيقة لم توجَد

---

(١) الإبانة (٢/ ٤٧٩).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٨).

(٤) «عون المعبود» (٧/ ١٢٣).

(٥) الحَسَب:

الحسيب هو من انحدر نسبه عن أصول عريقة، فصحبته غنيمة؛ فله من أصله وأعراقه دليل فى أفعاله وأقواله، والعرب تقول فى أمثالها: «إذا غاب عنك أصله كان دليل أصله فعله».

وتقول: «أصلٌ راسخ وفعلٌ شامخ» وتقول: «من طاب أصله زَكِىَ فعله»[١].

ومتى اجتمع النسب الشريف، والدين الحنيف، والعلم المنيف، فذلك الشرف الذى لا شرف أرفع منه، أليس النبى ﷺ يقول وقد سُئل عن أكرم الناس: **«فعن معادن العرب تسألونى؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»**[٢].

قال الحافظ رحمه الله: «قوله: «تجدون الناس معادن» أى: أصولاً مختلفة، والمعادن جمع معدن، وهو الشىء المستقر فى الأرض فتارة يكون نفيسًا وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس»[٣].

إذا ما اصطفيت امرأً فليكن
شريف النجاد زكى الحسبْ
فنذلُ الرجال كنذل النبات
لا للثمار ولا للحطبْ[٤]

وصاحب الأصل أثبت مودة، وأعظم وفاء لتوارثه الشهامة والمروءة والكرم ومراعاة الجار، وعزة الدار.

---

(١) «محاضرات الأدباء» (١/ ٦٩٩).

(٢) متفق عليه رواه البخارى (٣٣٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٧٨) كتاب الفضائل.

(٣) «الفتح» (٦/ ٦٥٧).

(٤) البيتان لأبى الفتح البستى كما فى ديوانه (ص ١٠٦).

حرص السلف على صحبة صاحب الحسب:

ولقد حرص السلف على صحبة صاحب الحسب لتوارثه المكارم كابراً عن كابر، وكانوا يستعينون بهم على أمورهم في سياسة الناس[(١)].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره، ويشاركه ويصادقه، ويزوجه أو يتزوج إليه ثم ينظر بعد ذلك في الصور؛ فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن، أما الأصول فإن الشيخ يرجع إلى أصله، وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن، وإن المرأة الحسناء إذا كانت من بيت رديء فقلَّ أن تكون صيِّنة، وكذلك أيضًا المخالط، والصديق، والمباضع، والمعاشر؛ فإياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس، فالغالب السلامة، فإن وقع ذلك كان نادراً.

وكل أخ يقول أنا وفيٌّ
ولكن ليس يفعلُ ما يقولُ
سوى خِلٍّ له حسبٌ ودينٌ
فذاك لما يقول هو الفَعُولُ[(٢)]

(٦) بر الوالدين:

لا تصاحب إلا بارًّا بوالديه؛ فإن العاق لا ينبغي أن يكون لك صاحبًا فلا يستقيم وُدُّهُ ولا يفي بعهده، ومن ضيَّع حق والديه لن يُنتظر منه أن يحفظ حق الصحبة؛ فإياك وإياه.

---

(١) أما انتفاع السلف بأصحاب الحسب في سياسة الناس فذلك متوارث حتى يوم الناس هذا، ولا بأس من ذكر مثالين: زيادة على ما يأتي ذكر الراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٦٩٤).

قال عدي بن أرطاة لإياس: دلني على قوم من القراء أوليهم. فقال: القراء ضربان: ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم وضربٌ يعملون للآخرة فلا يعملون لك، ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم.

وقال الحسن رحمه الله لعمر بن عبد العزيز: عليك بذوي الأحساب؛ فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٦٩).

(٧) حُسن الخلق:

جميـل أن تصاحب من كان ذا خُلقٍ حسن؛ فـإن حسن الخلق يدل على سـماحـة النفس، وكرم الطبع. ويُعـرف حسـن الخلق بأنه التخلق بأخـلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التى أدب بها عباده فى كتابه.

فاحرص على أن تصاحب ذا خلق؛ فـإنك تزداد بالقرب منه أخلاقًا إلى أخـلاقك وأدبًا إلى أدبك ومـتى وجـدت صـاحـبك عـاريًا من الأخـلاق؛ فاحرص على رأس مالك؛ فإنها تجارة لا تبور.

(٨) الحياء:

لا تصاحب إلا من كسـاه الحياء ثوبه؛ فإن الصحبـة تدوم بدوام الحياء؛ فإذا ذهب الحياء ذهب عنه كل جميل.

ففى «صحيح البخارى» من حديث أبى مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئت»** [١].

وهذا الحديث خرج مخرج الذم، فمن لا يسـتحيـى دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء، فلا تأمن أن ينالك منه بعض ما تكره.

إذا لم تـخش عـاقـبـة الليـالى

ولم تـسـتحِ فـاصنـع مـا تشـاءُ

فـلا والله، مـا فى العـيش خيـرٌ

ولا الدنـيـا، إذا ذهب الحـيـاءُ

والحيـاء من الإيمان؛ فاسمع إلى نبـيك ﷺ وهو يقول: **«الحيـاء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»** [٢].

---

(١) صحيح:رواه البخارى (٣٤٨٣) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) صحيح:رواه الترمذى (٢٠٠٩) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٤)، وأحمد (١٠١٣٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

واعلم أن الصاحب إذا كان مُتخلقًا بخلق الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، فالحياء زمام عن الحرام، ولجام عن الآثام كما قيل:

ورُب قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها إلا الحياءُ
فكان هو الدواء لها ولكن
إذا ذهب الحياء فلا دواءُ

(٩) التواضع:

صاحب المتواضع من الناس؛ فإنه رفيع القدر، قريب من كل خير وبِرٍّ، والتواضع من صفات أولياء الله المتقين الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [١].

قال ابن سعدى رحمه الله: «ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض هونًا، أى ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده»[٢].

(١٠) علو الهمة:

لا تصاحب إلا عالى الهمة؛ لأن عالى الهمة يستخف بالمرتبة السفلى أو المرتبة الوسطى من معالى الأمور؛ فلا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار إلا حين يضع نفسه فى أسمى منزلة وأقصى غاية[٣].

* * *

---

(١) سورة الفرقان. الآية: (٦٣).

(٢) «تفسير ابن سعدى» (٥/ ٥٩٣).

(٣) انظر «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٦ - ٨٨).

من صفات الصاحب الطالح

وها هى بعض صفات الصاحب الطالح (صاحب السوء) لكى تحذر من صُحبته:

(١) اللؤم:

اللؤم ضد الكرم[١] فهو اسم للأخلاق والأفعال المذمومة التى تظهر من اللئيم، وكل خبث فى بابه فهو لؤم، كما أن كل شىء شرف فى بابه فهو كرم[٢].

فالكرم صفة ملازمة للمؤمن... والفجور خِلةٌ طُبع عليها اللئيم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم»**[٣].

واللئيم ليس له عهد ولا أمانة ولا دين ولا حرمة خبيث الطبع تخاله حقودًا، حسودًا، شامتًا، باغيًا، ساهيًا، فاجرًا، فخورًا، كاذبًا، ملولاً، صفات لا تراها مجتمعات؛ فاعلم أن لها أخوات.

لو شئت لقلت لك كلمة واحدة: «الزم الكريم، وتجافى عن اللئيم تنفرد بالراحة»[٤].

لأن الكرم اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التى يتصف بها الصاحب الصالح، واللؤم الذى يتصف به دُخلاء السوء بالضد من ذلك.

ومن غُرَر الحِكَم: «قد تُكتسب الأخلاق من معاشرة الكرام، وفسادها من مخالطة اللئام، ورُب طبع كريم أفسدته معاشرة الأشرار، وطبع لئيم

(١) «مقاييس اللغة» (٥/ ٢٢٦).

(٢) «مفردات اللغة» للراغب (ص ٤٢٩).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٧٩٠) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٦٤) كتاب البر والصلة. وأحمد (٨٨٧٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٥٣).

(٤) أى: أنى لو شئت اكتفيت بتلك الكلمات عن كتابة هذه الرسالة.

أصلحته مصاحبة الأخيار»[١].

صحبة اللئام محنة الكرام:

التاريخ حافل بذكر محنة الكرماء حين يقترن أحدهم برجل من هذا الصنف، وما ذاك إلا لأنهم قدموا الصحبة قبل التجربة فلو أنهم قدموا ما أخَّروا لكانوا فى ذمة الحمد والسلامة.

فهذا أحمد بن يوسف كتب لصديق له - بعد أن لاح له من لائحة من لؤم: «أما بعد، فإنى لا أعرف للمعروف طريقًا أوعر من طريقه إليك؛ فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك فى المعروف أن تحقره وفى وليه أن تكفُرَه»[٢].

(٢) ترك الصلاة:

إذا رأيت الرجل يتهاون بالصلاة، ولو صلاة واحدة فاغسل يديك منه، ولا تعد إليه؛ فالصلاة صلة بين العبد وربه، فإذا كان هذا حاله مع ربه وخالقه ورازقه من الجحود ونُكران الجميل، أفترجو أن يكون حاله معك على أحسن الأحوال وأتمها ؟!

* وليس معنى ذلك أن نتركه فلا ندعوه بل علينا أن ندعوه بكل رحمة ورأفة عسى الله أن يفتح قلبه للصلاة.

(٣) الحرص على الدنيا:

لا تصاحب حريصًا على الدنيا، ولا يكون همُّك مجالسة أهلها؛ فإن ذلك يدعوك للتطلع إلى ما هم عليه، . . . والله سبحانه وتعالى قد أمر بالإعراض عمن هذا حاله، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٣] والنبى ﷺ كره لأمته النظر إلى أهل الدنيا، وما هم فيه

---

(١) «حكم وأخلاق عربية» لمحمد المكى بن الحسين (ص ٤٠، ٤١).

(٢) «العقد الفريد» (٤/ ٣١٩).

(٣) سورة النجم: الآية: (٢٩).

من النعم، ولا سيما متى خشى المرء أن يزدرى نعمة الله عليه، فالصحبة أولَى بتركها.

ففى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ : «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه فى المال، والخَلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه»، وزاد مسلم: «فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[١].

فإذا علمت ذلك فاصحب من هو فوقك فى العلم والدين، ومن هو دونك فى الدنيا.

فقد قيل: «إذا علمت فلا تفكر فى كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء»[٢].

وقال ابن العميد:

من شاء عيشًا هنيئًا يستفيد به
فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرنَّ إلى مَن فوقه أدبًا
ولينظرن إلى من دونه مالا[٣]

(٤) النميمة:

النمام لا يكون لك صاحبًا، وكذلك المغتاب؛ فإنه لا يزال يقع فى أعراض الناس ويُسمعك ما تكره، ولا يزال هذا دأبه حتى تصبح الغيبة والنميمة عندك كالعسل بعد أن كانت مُرة كالعلقم.

وقد قيل: «إياك ومجالسة الشرير؛ فإن طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدرى»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٩٠) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٧١)

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٧١).

(٤) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصبهانى (ص ١٩٣).

فأعرض عمن هذا حاله، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [1].

ويقول: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [2].

فمن هذه النصوص وغيرها تعلم أن التفات الفؤاد والسمع للغيبة مسؤولية تُحاسَب عليها يوم القيامة.

ونفهم منها أيضًا تحريم الجلوس إلى المغتابين، وأن الإعراض عن الاستماع إلى الغيبة والنميمة ونحوهما من صفات المؤمنين.

ومتى وافقته على قوله وأعرته سمعك فأنت لا شك شريكه في الإثم كما قيل:

وسمعَك صُنْ عن سماع القبيح
كصون اللسان عن النطق بهْ

فإنك عند سماع القبيح
شَريكٌ لقائله فانتبهْ

(٥) التلون:

ذو الوجهين لا يكون لك صاحب، وحقيقة ذي الوجهين هو الذي يأتي كل إنسان بما يرضيه ويلبس لكل حالات لبوسها كما قيل:

يدور مع الزجاجة حيث دارت
ويلبس للسياسة ألفَ لِبس

فعند المسلمين يُعَدُّ منهم
ويأخذ سهمه من كل خمس

وعند الملحدين يُعَدُّ منهم
وعن ماركس يحفظُ كل درس

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦٨).

وعند الإنجليـــز يعـــد منهـم

وفى باريس محــسوب فـرنس

وذو الوجهين يأتيك يحلف لك أنه معك، وعلى رأيك ويأتى غيرك فيُظهر له أنه مخالف لك.

وقد يذمك عنده ويذم غيرك عندك، وهذا غاية السقوط.

والنبى ﷺ حذر من هذا الصنف من الناس وبيَّن حاله؛ ليحذره الناس وليحذروا من عمله.

ففى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»**[1].

وكان السلف أشد نفوراً ممن عُرف بهذه الصفة من الناس.

قال سعيد بن عروة رحمه الله: «لأن يكون لى نصف وجه، ونصف لسان على ما فيهما من قُبح المنظر، وعَجز المَخبر، أحب إلىَّ من أكون ذا وجهين وذا لسانين، وذا قولين مختلفين»[2].

(٦) الحسد:

الحاسد لا يكون لك صاحب، فهو يتملق عند حضورك، ويغتابك فى غيبتك، ويشمت عند مصيبتك... ثلاث خصال اعرفه بها، ودليل ما فى قلبه مكمن على وجهه.

واعلم أنه ليس لك إليه ذنب إلا دوام نعم الله عليك.

وقال البحترى:

وإذا أراد الله نشــر فـضـيلة

طُويت أتاح لها لسان حسود

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٩٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٢٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (٢٦٧).

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيب عَرْفِ العودِ
لولا التخوُّف للعواقب لم تزل
للحاسد النُّعمَى على المحسودِ

وكل الناس قد تُرجى مودتهم إلا الحاسد فإنه لا يرضى عنك حتى تزول نعم الله عليك؛ فإياك وإياه فإن الذى يؤذيك من نفسه وعينه ليس كالذى يؤذيك بيده ولسانه.

لا يجتمع الإيمان والحسد:

والحسد متى حَلَّ فى قلب عبدٍ ارتحل عنه الإيمان، وأى عبد ارتحل عن قلبه الإيمان لا يُرجَى خيره ولا يُؤمَن شره، وعبدٌ هذا حاله لا يستحق أن يُصاحَب.

ففى «سنن النسائى» من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يجتمعان فى قلب عبد: الإيمان والحسد»**[1].

ومن درر العلامة ابن الجوزى رحمه الله قوله: «العزلة عن الخلق سبب طِيب العيش، ولابد من مخالطة بمقدار، فدارِ العدو واستمله فربما كادك فأهلكك وأحسِن على من أساء إليك، واستعِن على أمورك بالكتمان، ولتكن الناس عندك معارف، فأما أصدقاء فلا؛ لأن أعز الأشياء وجود صديق، ذاك أن الصديق ينبغى أن يكون فى مرتبة مماثل.

فإن صادفته عاميًا لم تنتفع به؛ لسوء أخلاقه، وقلة علمه وأدبه، وإن صادفت مماثلاً أو مقاربًا حسدك.

وإذا كان لك يقظة تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسدك ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[2].

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٠١٩) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٢٠).

(٢) سورة محمد: الآية: (٣٠).

وإذا أردت تأكيد ذلك فضع عليه من يضعك عنده، فلا يخرج إليه إلا بما في قلبه.

فإن أردت العيش فابعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها بالعين.

فإن اضطررت إلى مخالطته فلا تُفشِ إليه سرك ولا تشاوره، ولا يغرنك تملقه لك، ولا ما يُظهره من الدين والتعبُّد؛ فإن الحسد يغلب الدين.

وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل، وأن إخوة يوسف باعوه بثمنٍ بخس.

وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبد الله بن أُبي من الرؤساء، أخرجهما حسد رسول الله ﷺ إلى النفاق، وترك الصواب.

ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه؛ فإنه في أمرٍ عظيم متصل لا يُرضيه إلا زوال نعمتك.

وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له، ولا ما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نُزع الحسد والغل من صدورهم.

ولولا أنه نُزع تحاسدوا وتنغَّص عيشهم»[1].

وما أجمل قول ابن الجوزى رحمه الله فيما نحن ندندن حوله: «رأيت كلاب الصيد إذا مرت بكلاب المحلة نبحتها، وبالغت وأسرعت خلفها وكأنها تراها مُكرَّمة مجللة فتحسدها على ذلك.

ورأيت كلاب الصيد حينئذٍ لا تلتفت إليها، ولا تعيرها الطرف ولا تُعِدُّ نباحها شيئًا، فرأيت أن كلابَ الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب؛ لأن تلك غليظة البدن كَثِفة الأعضاء لا أمانة لها، وهذه لطيفة دقيقة الخلقة، ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة، وإنها تحبس الصيد على مالكها خوفًا

(١) صيد الخاطر (٣٦٧).

من عقابه، أو مـراعاة شكر نعمتـه عليها؛ فرأيت أن الأدب وحـسـن العشرة تتبع لطافة البدن وصفـاء الروح، وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعده شـيئـا إذ هو فى وادٍ وذاك فى واد. . . . ذاك يحسده عـلى الدنيا، وهذا همته الآخرة فيا بُعد ما بين الواديين»[١].

(٧) الكذب:

الكذاب لا يكون لك صاحبًا، وكـيف تصاحب مَن مَلَّهُ العُقلاء، وزهد فيه كل ذى لُبٍّ وقَلَّهُ حتى أقرب الناس إليه؛ لأن من استحلى رضاع الكذب عَسُرَ فطامه»[٢].

والنبى ﷺ يقول: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهـدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»[٣].

ومن كان هذا حـاله فقد هانت عليـه نفسه؛ لأنه قـد قيل: «إنما يكذب الكاذب من مهانة نفس»[٤].

(٨) الرغبة فيما لا يملك:

المرتغب هو الراغب إلى غـير مـا عنده، وهو هنا مَن قَصَـرَ همتـه على ملاحقات النساء، فهذا ليس له حرمة ولا مروءة ولا أدب، فهو ساقط القدر دنىء الهمة، رقيق الدين، لا يقنع بما عنـده ولا يطيب عيشه إلا بالتطلع إلى ما فى رحال غيره.

(٩) دنو الهمة:

دنىء الهمة لا يُصاحَب ولا يُسايَر، ولا يُسارَر، وكيف يُصاحَب من تحوم نفـسه حـول الدناءات، والإخلاد إلـى الأرض، والميل إلى الراحة والدعـة،

---

(١) صيد الخاطر (٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٩٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٧٨).

ومحقرات الأمور، فليس لهم هَمٌّ سوى ملاحقات النساء فى الأسواق والطرقات ومتابعة الموضة ومجالسة الساقطين، فلو أعرته سمعك لقلت هذا حيوان فى صورة إنسان، وليس للجرح الميت إيلام، ولعلك قد رأيت أُناسًا كانوا نابهين ولهم حسب تُحسب لهم، لكن لما صاحبوا الساقطين سقطوا وهانت عليهم أنفسهم، فهانوا على أهليهم ألا قبَّح الله همةً هذا حالها.

(١٠) الكسل:

الكسول لا يُصاحَب؛ لأن صحبته طريق إلى موت الهمم، وسقوط المنزلة، وضعف الشخصية.

ويُعرف الكسول بأنه الذى يتغافل عما لا ينبغى التغافل عنه[١]، ويتثاقل عما لا ينبغى التثاقل عنه، ويقعد عن إتمامه[٢]؛ ولهذا عُدَّ من الحيوانية، وصار من جنس الموتى، ومن تعود الكسل ومال إلى الراحة فَقَدَ الراحة[٣].

فهو صفة من صفات المنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كُسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون وإذا دُعوا إلى الجهاد خلتهم جثثًا هامدة أتى على موتها سنين.

فهو شرٌّ استعاذ منه النبى ﷺ [٤]؛ فاستعذ بالله مما استعاذ منه نبيك، وفِرَّ من الكسول فرارك من الأسد.

لا تصحب الكسلان فى حالاته
كم صالحٍ بفساد آخر يفسدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ
والجمر يُوضع فى الرماد فيخمُدُ[٥]

---

(١) «التوقيف على مهمات التعريف» (ص ٢٨١).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/ ١٧٨).

(٣) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص ٣٨٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) البيتان لأبى بكر الخوارزمى كما فى «يتيمة الدهر» (٤/ ٢٤٠).

فضائل الأخوة فى الله

إن فضائل الأخوة فى الله كثيرة جداً وسأكتفى بذكر بعضها:

(١) أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان؛ فليُحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذَف فى النار»[٢].

(٢) محبة الأخ لأخيه من أوثق عُرى الإيمان:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عُرى الإيمان: الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحب فى الله، والبغض فى الله»[٣].

(٣) أن الاجتماع قوة:

أن الاجتماع قوة ومجالس أهل التقوى يهابها شياطين الجن والإنس، أما إذا اعتزل المؤمن إخوانه الصالحين، فإنه يصبح عُرضة للوساوس والأفكار ولذلك قال ﷺ: «عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية»[٤].

(٤) أن رؤيتك لأهل الاستقامة تجعلك تجتهد فى طاعة الله جل وعلا . .

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٠٣٦٠) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٨٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (١١/ ٢١٥، رقم ١١٥٣٧)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٧٠، رقم ٩٥١٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (٨٤٧) كتاب الإمامة، وأحمد (٢٦٩٦٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠١).

قال ﷺ : «أولياء الله تعالى الـذين إذا رُؤوا ذُكر الله تعالى»[١] فإن كان هذا الخير يحصل لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم.

ولهذا قال سفيان: لربما لقيت الأخ من إخوانى فأقيم شهرًا عاقلاً بلقائه.

(٥) أن مجالسة أهل التقوى تجعلك تعرف من خلالهم أناسًا آخرين من أهل الخير فيكونون لك ذخرًا فى الدنيا والآخرة.

(٦) أنهم يجعلونك فى زيادة دائمة فى العلم والعبادة: وذلك لأنهم يتسابقون دائمًا إلى الخير... فتكون كل يوم فى زيادة ... ولهذا قال الحسن البصرى: من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره.

وقال عثمان بن الحكيم: اصحب من هو فوقك فى الدين ودونك فى الدنيا.

(٧) أنهم يأخذون بيديك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات والتزود من النوافل والسعى إلى مرضاة الله جل وعلا.

(٨) أنهم يحفظون غيبتك فلا يفشوا لك سرًّا، ولا ينتهكوا لك حُرمة بل يدافعون عنك فى كل زمان ومكان.

(٩) أنهم مرآة لك تتعرف من خلالهم على أخطائك وعيوبك وتسعى لإصلاحها.

قال الحسن البصرى: قد كان من قبلكم من السلف الصالح يلقى الرجل الرجل فيقول: يا أخى ما كل ذنوبى أبصر، ولا كل عيوبى أعرف فإذا رأيت خيرًا فمُرنى، وإذا رأيت شرًّا فانهنى وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأً أهدى إلينا مساوينا، ...... وكان أحدهم يَقبل موعظة أخيه فينتفع بها[٢].

(١٠) أن مجالسة أهل الصلاح اغتنام للأوقات فى العلم والتعلم والذكر وغيره.

(١١) أنك تأنس بهم فى الرخاء، وكذلك فهم عُدة فى البلاء.... يمدون

---

(١) صحيح: رواه ابن المبارك (١/ ٧٢ ، رقم ٢١٨)، وذكره الحكيم (٤/ ٨٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٨٧).

(٢) الزهد/ للحسن البصرى (ص ١٤٣).

لك يد العون لتخفيف همك وغمك ويقدمون لك النصائح الغالية.

قال عمر بن الخطاب: «عليك بإخوان الصدق، فعش فى أكنافهم، فإنهم زين فى الرخاء، وعدة فى البلاء».

وقال رجل لداود الطائى: أوصنى. قال: «اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة».

(١٢) أن مجالسهم هى مجالس المغفرة والرحمة.... كما قال ﷺ: **«ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات»**[١].

(١٣) أن من يجالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغهم.

كما دل على ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة.... وفى آخره: **«قال: فيقول الله: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة»** وفى لفظ: **«فيهم فلان عبد خطَّاء إنما مر فجلس معهم، فيقول: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»** وفى لفظ: **«فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»**[٢].

قال أبو الفضلة الجوهرى: إن مَن أحب أهل الخير نال من بركتهم فهذا كلب أحب أهل الفضل وصحبهم فذكره الله فى محكم تنزيله.... ويعنى بالكلب: كلب أهل الكهف المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٣].

قال القرطبى فى تفسيره بعد إيراده لكلام الجوهرى: قلت: إذا كان بعض

(١) صحيح: رواه الطبرانى (٦/ ٢١٢، رقم ٦٠٣٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٤٥٤، رقم ٦٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٨).

الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء، حتى أخبر الله بذلك فى كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين[1].

(١٤) ومنها أن المرء مجبول على الاقتداء بجليسه والتأثر بعلمه وعمله وسلوكه ومنهجه فمُجالس أهل الخير يتأثر بهم.

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى فرعون معه هامان..... انظروا إلى الحجَّاج معه يزيد بن أبى أسلم شرٌّ منه.... انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقوَّمه وسدَّده[2].

وقال ابن مسعود: ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب[3].

وقال مالك: الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله[4].

وقال عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

(١٥) أن جليسك الصالح يكفُّك عن المعاصى لحيائك منه وبذلك تعتاد ترك المعاصى لكثرة مجالسة أهل الصلاح.

(١٦) أنك تنتفع بدعائهم لك فى الحياة الدنيا - بظهر الغيب- وبعد مماتك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٧٢) فى تفسير سورة الكهف.

(٢) كتاب العزلة (ص ١٤١).

(٣) أدب الدنيا والدين/ للماوردى (ص ١٦٧).

(٤) روضة العقلاء/ لابن حبان (ص ١٠٩).

قال عليه الصلاة والسلام: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[١].

قال عبيد الله بن الحسن لرجل: استكثر من الصديق -يعني: الصالح- فإن أيسر ما تصيبه أن يبلغه موتك فيدعو لك[٢].

(١٧) إن الله أوجب محبته للمتحابين فيه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله سبحانه وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد[٤] الله سبحانه وتعالى على مدرجته[٥] ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه نعمة تربُّها[٦] عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه»[٧].

* وقال تعالى: «حُقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ .... المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانتهم النبيون والصديقون والشهداء»[٨].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) كتاب الإخوان (ص ١١٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٢٥) مسند الأنصار رضي الله عنهم، ومالك في الموطأ (١٧٧٩) كتاب الجامع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٤) أرصده لكذا: أعده له، ووكله بحفظه.

(٥) المدرجة: الطريق، سُميت بذلك؛ لأن الناس يمرون عليها.

(٦) يربُّها: أي يقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٨) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٧٥) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٢١).

(١٨) أن المحبة فى الله من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصولها:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(١).

قال النووى - رحمه الله -:

وأما معنى الحديث: فقوله ﷺ: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» معناه: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم فى الإيمان إلا بالتحابّ»(٢).

(١٩) أن الحب فى الله والبغض فى الله دليل على كمال إيمان العبد.

قال رسول الله ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»(٣).

(٢٠) ومن فوائد المحبة فى الله أن الله يكرم من أحب عبدًا لله.

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.

عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب عبدٌ عبدًا لله إلا أكرمه الله»(٤).

(٢١) أن أعظم الأصحاب عند الله منزلة أشدهما حبًا لصاحبه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحابَّ اثنان فى الله -سبحانه وتعالى- إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٢/ ٣٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨١) كتاب السنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٧٢٦) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥١٦).

(٥) صحيح: البخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٩١، رقم ٥٤٤)، وأبو يعلى (٦/ ١٤٣، رقم ٣٤١٩)، وابن حبان (٢/ ٣٢٥، رقم ٥٦٦)، والحاكم (٤/ ١٨٩، رقم ٧٣٢٣)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ ١٩٢، رقم ٢٨٩٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٤٩٩، رقم ٩٠٤٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٩٤).

وعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه»(١).

(٢٢) أن المرء يُحشر مع من أحب:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ : «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبى ﷺ : «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم(٢).

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال ﷺ : «المرء مع من أحب»(٣).

(٢٣) المتحابون فى الله يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله -سبحانه وتعالى- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»(٤).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، -وذكر منهم- ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، والدارمى (٢٤٣٧) كتاب السير، وأحمد (٦٥٣٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٧٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢٤) أن المتحابين فى الله لهم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله -سبحانه وتعالى-: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور، يغبطهم[1] النبيون والشهداء»[2].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله سبحانه وتعالى: حقت[3] محبتى للمتحابين فىَّ، وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم النبيون والصديقون، والشهداء»[4].

(٢٥) أنك تنتفع بشفاعتهم لك يوم القيامة:

إن صحبة أهل الإيمان تثمر لك الخير كله فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا: فإنه يُذكرك بالله ويعينك على طاعته وينصرك إذا كنت فى حاجة إلى النصرة ويبذل لك كل ما يستطيع من أجل أن يُدخل عليك السرور والسعادة.

وفى الآخرة يشفع لك عند الله (عز وجل).

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[5] ولذلك فعلينا أن نتعاهد مَن الآن على أنه من أذن الله له بالشفاعة يوم القيامة أن يشفع لإخوانه المؤمنين.

---

(١) الغبطة - بكسر الغين: تمنى مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمنى زوالها عنه، وليست بحسد، والفعل غبط من باب ضرب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٣) حقت: وجبت.

(٤) صحيح، وقد تقدم.

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

قال ﷺ موضحًا هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة - عندما يشفع المؤمنون لإخوانهم-: «...ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم». قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مَزِلَّةٌ، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة تكون بنجد، فيها شويكة، يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مُسلَّم، ومخدوشٌ مُرسَل، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَن عرفتم، فتحرَّمُ صورهم على النار، فيُخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول الله عز وجل: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيِّرًا»(١).

(٢٦) أنك بمحبتك للصالحين وزيارتك لهم تقترب من الجنة شيئًا فشيئًا . . .

قال ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «النبي في الجنة، والصدِّيق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٢) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٩٤، رقم ٩٠٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٣)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٠٤).

أسباب تقوية الأخوة والمحبة

(١) إخبار من تحبه بأنك تحبه فى الله:

قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه أنه يحبه»[١]، وفى رواية: «إذا أحب أحدكم أخاه فى الله فليُعلمه فإنه أبقى فى الألفة وأثبت فى المودة»[٢].

وكما حدث بين أبى إدريس الخولانى عندما قال لمعاذ بن جبل: والله لأحبك لله .. ولك أن تتخيل معى أن أخاك المسلم أقبل عليك وقال لك: إنى أحبك فى الله .. ألا تتحرك عاطفة المحبة فى قلبك لأخيك وتشعر وقتها بأن لكِ مكانة فى قلب إخوانك المؤمنين فتزداد حبًّا لهم؟!!

(٢) القصد فى الحب والبغض:

وهو ألا تبالغ فى محبتك لإخوانك فوق المقصود أو تبالغ فى كراهيتك لأعدائك .. لأنه قد ينقلب الحال فيصبح الصديق أعلم بالمضرة. ولذا قال على ﷺ: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[٣].

(٣) قضاء حوائج إخوانك وإدخال السرور عليهم:

قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دَينًا أو تطرد عنه جوعًا ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٢٤) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٢) كتاب الزهد، وأحمد (١٦٧١٩) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٩).

(٢) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان (ص١٢٠ ، رقم ٦٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٠).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

شهراً ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسلَ»[١].

(٤) إفشاء السلام:

لقول النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢].

(٥) كثرة الهدايا بين الإخوة:

لقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا»[٣] فالهدية لها أثر عظيم ووقع جميل فى قلوب الناس .. فالإنسان مجبول على محبة ما يُهدى إليه وعلى محبة صاحب الهدية ولذلك فالهدية مطلوبة لإيجاد المحبة بين المؤمنين وكذلك لدعوة الناس إلى دين الله جل وعلا.

(٦) حسن الظن بإخوانك:

وذلك لأن سوء الظن يوجد البغضاء بينهم .. وحسن الظن يجعل المؤمن يَشعر بمحبة أخيه له وبقيمته وقدره عنده وتلك أمور تجلب المحبة بينهم.

(٧) تخول الزيارة:

لقوله ﷺ: «زُر غِبًا تزدد حُبًا»[٤] وذلك لأن كثرة الزيارة قد توجد فى

---

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١/٢٠٨ ، رقم ٥٩٤) . وأبو يعلى (١١/٩ ، رقم ٦١٤٨)، والبيهقى (٦/١٦٩ ، رقم ١١٧٢٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (٤/٢١ ، رقم ٣٥٣٥) ، والحاكم (٣/ ٣٩٠ ، رقم ٥٤٧٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٦٨).

القلب شيئًا . . وأما قلة الزيارة تجعل الإنسان فى شوق شديد لرؤية ذلك الإنسان . . كما قال النبى ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1] إلى آخر الآية[2].

(٨) الحرص على الطاعة وترك المعصية:

فالطاعة هى التى تجمع بين المؤمنين. . . والمعصية هى التى تفرق بينهم كما قال النبى ﷺ : «ما تواد اثنان فى الله فيُفَرَّق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما»[3].

وقال فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله: «ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه»[4].

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[5].

قال ابن كثير رحمه الله[6]: يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وهى الأعمال التى تُرضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم فى قلوب عباده محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . . ثم أورد حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله

---

(١) سورة مريم: الآية: (٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٧٣١) كتاب تفسير القرآن.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٣٣٤) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٠٣).

(٤) متفق عليه، وقد سبق.

(٥) سورة مريم: الآية: (٩٦).

(٦) تفسير ابن كثير (١٢٨/٣) دار الريان.

العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»[1].

كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد: سلام عليك أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبَّبه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بغَّضه إلى عباده[2].

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) إنما المؤمنون إخوة للمصنف (٨- ١١).



صراع مع الفـراغ

صراع مع الفراغ

* وها هى جولة جـديدة نخوضهـا ضد الشيطان الرجـيم الذى استطاع بكل أسف أن يوسـوس لكثيـر من المسلمـين من أجل أن يقـتلوا أوقـاتهم وأعمارهم فيما لا يعود عليهم بالنفع فى دينهم ودنياهم وآخرتهم.

* وها نحن نخـوض تلك الجـولة من أجل أن نُذكِّر إخـواننا وأخـواتنا بقيمـة الوقت وشرف الزمان لكى يغتنمـوا كل لحظة فى حياتهم فيـما يعود عليهم بالنفع فى دينهم ودنياهم وآخرتهم... وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان الرجيم فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس

اعلم - أخى الحبيب - أن الناس فى هذا العـالم على سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنُوهُ مراحلـه، وشهوره فـراسخـه، وأيامه أمـياله، وأنفـاسه خطواته، وطاعـته بضاعـته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشـهواته وأغراضه قُطَّاع طريقـه، وربحه الفـوز بلقـاء الله تعـالى فى دار السـلام مـع الملك الكبـير والنعـيم المقـيم، وخُسرانـه البعد عن الله مع الأنكال والأغلال، والعـذاب الأليم فى دركات الجحيم، فالغافل فى نَفَسٍ من أنفاسه حـتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زُلفى، متـعرض فى يوم التغـابن لغبينة وحسـرة ما لها منتـهى، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل، شمَّر الموفقون عن ساق الجد، وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر»[1].

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٩١).

قال ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[١].

وقال عمر ﷺ: «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة».

وقال ﷺ : «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة»[٢].

بل يوضح النبى ﷺ أن الإنسان سيُسأل عن سنوات عمره كلها بين يدى الله - جل وعلا - .... قال ﷺ : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وفى رواية: لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع - عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»[٣].

ومن هنا كان السلف الصالح الذين تربوا بين يدى المربى الأول الذى رباه الله (جل وعلا) ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان يعرفون قدر الوقت وقيمة العمر، فكانوا يحرصون كل الحرص على كل لحظة من العمر ألا تمر إلا فى طاعة الله فهم يعلمون أن من عقوق الزمن أن تمضى الساعات بلا فائدة فى دينهم أو دنياهم.

قال ابن مسعود: ما ندمت على شىء كندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى.

إذا مـــــــــــــر بـى يـوم ولـم أقـــــتـــــبس هـدى

ولم أســـتـــفـــد علمًـــا فـــمـــا ذاك من عــمــرى

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (١/ ٣٩٢، رقم ٥١١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٠).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

هكذا كانت حياتهم لا تكاد تمر عليهم ساعة إلا فى طاعة الله (جل وعلا) لأنهم علموا وأيقنوا أن الوقت هو الحياة، وأن العمر هو الساعات، وأن الإنسان (أيام) فإذا ذهب يومه ذهب بعضه.

قيمة الوقت فى الكتاب والسنة

ولقد اعتنى القرآن الكريم والسنة المطهرة بقيمة الوقت فى حياة المسلم.

ولبيان أهمية الوقت أقسم الله (عز وجل) بالوقت فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (٣).

بل ولعظيم قدر الوقت ذكره الله (عز وجل) فى معرض الامتنان على عباده فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٤).

أى: جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل... فمن فاته عمل فى أحدهما فإنه يستطيع أن يتداركه فى الآخر.

ولذلك فإن من عقوق الزمان أن تمضى ساعة واحدة فى غير عمل يجلب للعبد الخير فى الدنيا أو الآخرة؛ لأن وقت المؤمن أغلى عنده من كنوز الدنيا وزهرتها الفانية.

* * *

(١) سورة العصر: الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة الليل: الآيتان: (١، ٢).

(٣) سورة الضحى: الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

اعرف قيمة الوقت وشرف الزمان

يقول الإمام ابن الجوزى رحمه الله: «ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة فى غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته فى الخير قائمة - من غير فتور - بما يعجز عنه البدن من العمل.

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات: فنُقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له: كلمنى. فقال له: أمسك الشمس.

ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلى، فقيل له: تصلى وأنت فى هذه الحال؟ فقال: الآن تُطوى صحيفتى.

فإذا علم - وإن بالغ فى الجد - أن الموت يقطعه عن العمل، عَمِل فى حياته ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شىء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى فى تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المُخلَّد؛ وأن يكون عاملاً بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به، فذلك الذى لم يمت.

«قد مات قوم وهم فى الناس أحياء»[1].

وكان داود الطائى يستف الفتيت ويقول: بين سفّ الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

* * *

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠، ٢١) بتصرف.

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

قال ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله»(١).

فطول العمر نعمة جليلة إذا استعملها العبد فى طاعة الله ونصرة دين الله (جل وعلا).

ولا بد أن نعلم أن العمر الحقيقى للإنسان لا يقاس بالسنوات التى قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته وإنما يقاس عمره الحقيقى بقدر ما قدم للإسلام من عظائم الأعمال الخيِّرات الصالحات.

نبينا ﷺ .. صاحب العمر المبارك

فها هو الحبيب ﷺ يبعثه الله (جل وعلا) فى بيئة شركية تموج بالكفر موجًا .. وإذا به ﷺ يستطيع - بإذن الله - أن يقيم للإسلام دولة تملأ سمع وبصر التاريخ فى سنوات لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا.

ويأتى النبى ﷺ يوم القيامة وأمته هى أكثر الأمم.

قال ﷺ: «إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»(٢).

وقال ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»(٣) .. كل هؤلاء فى ميزان حسنات النبى ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٠) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٩٠٢) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٠٠١) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٨٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٢٨٩) كتاب الزهد، والدارمى (٢٨٣٥) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٢٤٣١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

صدّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه

وها هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله وأهله لنصرة دين الله (جل وعلا) .. وبعد موت النبى صلى الله عليه وسلم تولى أبو بكر الخلافة واستطاع - بإذن الله - فى عامين ونصف أن يُحول تلك المحن التى أصابت الأمة إلى منحٍ فقضى على فتنة الردة وأنفذ بعث أسامة بن زيد وجَمَعَ القرآن وردَّ الأمة إلى منهج الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحق من النبى صلى الله عليه وسلم أن يبشره بأن أبواب الجنة الثمانية كلها ستنادى عليه يوم القيامة.

فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

وها هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه الذى استطاع - بإذن الله - فى عشر سنوات وستة أشهر أن يقدم للدنيا كلها قدوة لا تَبلى.

قدوة تتمثل فى عاهل قد بركت الدنيا على عتبة داره مُثقلة بالغنائم والطيبات فسرَّحها سراحًا جميلاً، وساقها إلى الناس سَوقًا كريمًا .. يقدم إليهم طيباتها، ويدرأ عنهم مُضلاتها.

إنه عمر الذى أرهب الملوك والحكام وجاءت تحت قدميه مفاتيح أكبر إمبراطوريتين (فارس والروم) وانتشر الإسلام فى عهده شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ورفرفت راية الإسلام على شتَّى بقاع الأرض فى فترة لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا وهذا كله من بركة الأعمار المباركة من الله (جل وعلا).

❋ ❋ ❋

أبو هريرة رضي الله عنه

وهذا هو الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه الذى قدم للإسلام الكثير والكثير فعلى الرغم من أنه لم يصحب النبى ﷺ إلا أربع سنوات إلا أنه أصبح من أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية لحديث رسول الله ﷺ حتى إنه حدَّث عنه خلقٌ كثير من الصحابة والتابعين فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو **فإنه كان يكتب ولا أكتب**[1].

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وانظر إلى رجل مثل عمر بن عبد العزيز الذى عزم على أن يعود بالخلافة إلى رشدها، ويرد الحقوق والمظالم إلى أصحابها، ويؤدى الأمانات إلى أهلها، لا تأخذه فى الله لومة لائم، فلم تمضِ سنتان ونصف السنة (هى كل مدة خلافته) حتى ملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

سلفنا الصالح .. وقيمة الوقت

لقد علم سلفنا الصالح (رحمهم الله) قيمة الوقت وشرف الزمان فكانوا أحرص على الدقيقة الواحدة من حرصنا على أموالنا ودنيانا كلها.

فتعالوا بنا لنطوف فى بساتين سلفنا الصالح لنرى حرصهم على كل لحظة من لحظات العمر.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١١٣) كتاب العلم.

حماد بن سلمة (رحمه الله)

وانظر إلى سادات الرجال وحفظهم لأوقاتهم:

فهذا حماد بن سلمة، يقول عنه تلميذه عبد الرحمن بن مهدى: «لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد فى العمل شيئًا».

عبيد بن يعيش (رحمه الله)

وهذا الإمام الحافظ عبيد بن يعيش شيخ البخارى ومسلم، روى عنه عمار بن رجاء قال: «سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدى بالليل، كانت أختى تلقمنى وأنا أكتب الحديث»[1].

ابن عقيل (رحمه الله)

وانظر - رحمك الله - إلى الإمام أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى وحفظه لوقته، ومعرفته بنفاسته.

هذا الإمام الذى يقول عنه ابن الجوزى: «كان الإمام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم، وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى بـ«الفنون» مناطًا لخواطره وواقعاته، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وأكبر تصانيفه: «الفنون» وهو كتاب كبير جداً، فيه فوائد كثيرة جليلة فى الوعظ، والتفسير، والفقه وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو، واللغة والشعر، والتاريخ».

قال الذهبى: «لم يُصَنَّف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب، حدثنى من

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع - الخطيب (٢/ ١٧٨).

رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعمـائة، قال ابن رجب: وقال بعضهم: هو ثمانمائة مجلدة».

سليم الرازى (رحمه الله)

وهذا الإمام سليم الرازى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة (٤٤٧هـ).

قال عنه التاج السبكى: «كان - رحمه الله - من الورع على جانب قوى، يحاسب نفسه على الأوقات، لا يدع وقتًا يمضى بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ».

ابن جرير الطبرى (رحمه الله)

وقال الخطيب البغدادى: سمعت السمسمى يحكى أن ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة.

ابن الجوزى (رحمه الله)

وانظر إلى الإمام العظيم ابن الجوزى.

قال ابن رجب فى ترجمة ابن الجوزى: «لم يترك فنًّا من الفنون إلا وله فيه مصنف، ... وسُئل عن عدد تآليفه، قال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا، ومنها ما هو كراس واحد.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: سمعت جدى يقول على المنبر فى آخر عمره: كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلد»[1].

* * *

(١) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٤)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠١).

شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كان لا يُفوِّت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها للمتتبعين، حتى ولا للشيخ نفسه رحمه الله.

قال ابن شاكر الكتبي: «إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد».

قال الذهبي: «وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد»[1].

قال ابن القيم: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة أو أكثر»[2].

النووي (رحمه الله)

قال ابن العطار تلميذ النووي: «ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتًا، لا في ليل ولا في نهار، إلا في الاشتغال بالعلم حتى في الطريق يكرر أو يطالع، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ويشرب شربة واحدة عند السَّحَر، ويمتنع عن أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب لي النوم».

* * *

(١) فوات الوفيات (١/ ٣٨، ٤٢).

(٢) الوابل الصيب (ص ١٠٨).

الدقيقة من عمرك كيف تستثمرها؟

وجدت أن الدقيقة من الزمن يمكن أن يُفعل فيها خير كثير، إما قراءة آيات، كل آية فيها عشرات الحروف، كل حرف بعشر حسنات، فتصبح مئات الحسنات.

أخي المسلم: اعلم أن معظم هذه المشاريع لا تكلف شيئًا أو تعب أو بذل جهد، بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكبًا أو واقفًا أو جالسًا، وهذه المشاريع كالآتي:

١- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات فتحصل على أكثر من (٧٠٠) حسنة.

٢- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.

٣- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (٢٠) مرة وأجرها كعتق (٨) رقاب في سبيل الله من ولد إسماعيل.

٤- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك في يوم غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زَبَد البحر.

٥- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من (٤٠) مرة، وهي كنز من كنوز الجنة.

٦- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، أكثر من (١٠) مرات، وهي كلمات تعادل أضعاف مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.

٧- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة، ودخول الجنة، وللمتاع الحسن وزيادة القوة،

ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.

٨- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تصلى على النبى ﷺ (٢٠) مرة فيصلى الله عليك مقابلها (٢٠٠) مرة.

٩- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهى كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن.

١٠- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.

١١- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريبًا.

١٢- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.

١٣- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أو تقدم نصيحة لأخ أو تشفع شفاعة حسنة، أو تواسى مهمومًا أو تميط الأذى عن الطريق أو تصافح عددًا من الأشخاص.

دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد فى عمرك، فى عطائك، فى فكرك، فى فهمك، فى حفظك، فى حسناتك.

دقيقة واحدة تُكتب فى صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها، وتحافظ عليها، فانظر كم من دقيقة؛ بل من ساعة، بل من يوم، بل من شهر، بل من سنة ذهب منا هدرًا، وضاع منا لغوًا وعبثًا، وطار هباءً منثورًا؟! وليت من ضيَّعها ينجو رأسًا لا له ولا عليه، بل تجد خلاف ذلك من ذنوب وخطايا وسيئات، . . . والله المستعان.

ويستطيع من صلى ركعتين خفيفتين يقتصر فيهما على الواجبات فقط كقراءة الفاتحة، وثلاثة تسبيحات فى الركوع والسجود.

أقول: يستطيع أن يصليهما فيما يقارب الدقيقة، فمن صلى كل يوم ركعتين ضحى نافلة صلى فى السنة أكثر من سبعمائة ركعة، وكل ركعة فيها سجدتان، أى: يسجد فى السنة فى صلاة الضحى أكثر من ألف وأربعمائة سجدة.

وفى الحديث الصحيح: «إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحَطَّ عنك بها خطيئة»[١].

فى الدقيقة الواحدة تستطيع أن تُرضى الرب، وتمحو الذنب، وأن تكتب لك عند الله بها أجرًا، وتمحو بها وزرًا، وتجعلها لك عنده ذخرًا.

وتستطيع فى الدقيقة مع الدقيقة أن تؤلف، وأن تكتب، وأن تحفظ، وأن تنمى موهبتك وأن تُجود ذاكرتك، وأن تزيد من علمك، وأن تحافظ على وِردك وأن تعمق ثقافتك، وتوسع معارفك، وتنوع مواهبك، لكن الأمر يحتاج يا أخى إلى همة، أعوذ بالله من موت الهمم، وبرود العزائم وخسة الطبع[٢].

أسباب ضياع الوقت

هناك أسباب كثيرة تؤدى إلى ضياع الوقت وهدره فمن ذلك:

١- الجهل بقيمة الوقت: فالإنسان عدو ما يجهل، فإذا جهل الإنسان قيمة وقته أضاعه وبدَّده، ولم يعرف كيف يستثمره.

٢- الكسل: والكسل آفة خطيرة تقتل كل إبداع، وتجابه كل عمل مثمر وفكرٍ وقَّاد، وتنهى عن كل تغيير يدعو إلى النهوض من رقدة الغافلين.

٣- عدم التركيز: وهذا السبب يؤدى إلى إهدار أوقات كثيرة فى عمل لا يستحق كل هذه الأوقات، ولو كان هناك تركيز وانتباه لتوفرت كثير من الأوقات.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٦٣٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٦٩).

(٢) حدائق ذات بهجة / الشيخ عائض القرنى (ص: ٥ - ٧) بتصرف.

٤- الغفلة: من أهم صفات أهل الغفلة هى التفريط، كـما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(١)، وأعظم تفريط كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله هو التفريط فى الوقت وإضاعته.

٥- ضياع الهدف: وأعنى الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يسعى إليه كل مسلم، وهو رضا الله عز وجل والفوز بكرامته، وإلا فـهناك أهداف أخرى تتنوع بتنوع الأشخـاص واختلاف مشاربهـم، . . . قال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾(٢) واختـلاف الأوقات فى هذه الأهداف الدنيـوية الزائلة يؤدى إلى ضياع الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يستحوذ على جُل وقت الإنسان.

٦- سوء التنظيم: ومن سوء التنـظيم عدم البدء بالأهم فـالمهم وهكذا، مثال ذلك: أن يبذل أوقاته فى تعلُّم الـسنن قبل الفرائض، وأن يضيع أوقاته فى إحكام الفروع، بينما يظهر الخلل واضحًـا عنده فى الأصول، فهذا أيضًا نوع من أنواع تضييع الأوقات.

٧- صحبة البطالين: فمن المعلوم أن الطبع يتأثر بخصال المخالطين، فإذا خالط الإنسان مَن عُرفوا بإهمال الوقـت وإضاعة العمر تأثر بهم، ومع مرور الأيام يصير مثلهم؛ ولذلك قال النبى ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(٣).

٨- التـعلق بالدنيا ونسـيان الآخـرة: فحب الدنيـا حائل بين العـبد وبين الاستعـداد للآخرة واغتنام كل لحظات العمـر فى طاعة الله (جل وعلا) . . قال على رضي الله عنه: من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا؛ أولها مـن عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فـعصاه، وعرف الحق

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الليل: الآية: (٤).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتـاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كـتاب الزهد، وأحـمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

٩- طول الأمل: جميل أن نحمل في قلوبنا أملاً لكي نعمِّر الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حب الحياة. لكن لا بد أن نحذر من أن يَحول طول الأمل بيننا وبين طاعة الله عز وجل.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك [(١)].

زاد أحمد والترمذي: «وعُدَّ نفسك من أهل القبور»[(٢)].

١٠- التسويف: ومن أعظم أسباب ضياع الوقت (التسويف) فإن العبد يظن أنه سيعيش ألف سنة فيقول: سوف أصلي .. سوف أتوب .. إلى أن ينقضي العمر كله بلا توبة ولا عمل صالح، ولذا جاءت وصية الحبيب ﷺ حيث قال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[(٣)].

١١- الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام:

فكما قيل: مَن أكل كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا وخسر أجرًا كبيرًا. فكثرة الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة تضيع الوقت الذي هو كنزك الحقيقي.

قال ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، وبحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه»[(٤)].

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٣٣) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٤) كتاب الزهد، وأحمد (٤٩٨٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٩).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة، وأحمد (١٦٧٣٥) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٧٤).

١٢- اتباع الهوى: فالهوى ملكٌ غَشوم جَهول يهوى بصاحبه إلى كل شر في الدنيا، والهلاك في الآخرة.

أخي الحبيب: اعلم أن الهوى يحول بينك وبين الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ فقد قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

فما عليك إلا أن ترفع شعار «سمعنا وأطعنا» كما رفعه أصحاب النبي ﷺ فرفع الله قدرهم في الدنيا وادَّخر لهم النعيم المقيم في الجنة.

١٣- الفراغ: قال ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[2].

قال الحافظ ابن حجر: فمن استعمل صحته وفراغه في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعمل صحته وفراغه في معصية الله فهو المغبون.

واجب المسلم نحو الوقت

فإذا علمت أيها الأخ الحبيب قيمة الوقت، وتيقنت بأن الوقت هو الحياة فما بقي إلا أن تتعرف على واجبك نحو الوقت وأن تعرف الأسباب التي تعينك على اغتنام كل لحظة من لحظات العمر.

١- الحرص على الدقائق قبل الساعات:

فيجب على المسلم أن يحافظ على وقته وأن يغتنم الدقائق قبل الساعات في كل ما يعود بالخير عليه وعلى أمته المسلمة.

---

(١) سورة القصص: الآية: (٥٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

وقد كـان السلف ﷺ أحرص مـا يكونون على أوقاتهم؛ لأنـهم كانوا أعرف الناس بقيمتها.

يقـول الحسـن البصـرى: أدركت أقـوامًا كـانوا على أوقاتهم أشـد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم.

٢- اطرد الفراغ بالعمل:

كان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكـون فارغًا، لا هو فى أمر دينه، ولا هو فى أمر دنياه، وهنا تنقلب نـعمة الفراغ نقمة على صـاحبها، رجلاً كان أو امرأة.

يقـول الشيـخ عائض القـرنى (حـفظه الله): إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبـه من العمل فيبقى كالسيارة المسـرعة فى انحدار بلا سائق تجنح ذات اليمين وذات الشمال.

- يوم تجد فى حـياتك فـراغًا فتـهيـأ حينها للهم والـغم والفزع؛ لأن هذا الفراغ يسحب لك كل ملفـات الماضى والحاضر والمستقـبل من أدراج الحياة، فيجعلك فى أمرٍ مَريج، ونصيحتى لك ولنفسى أن تقوم بأعمال مثمرة، بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل؛ لأنه وأدٌ خَفى، وانتحار بكبسول مُسكِّن.

إن الفراغ أشبه بالتعذيب البطىء الذى يمارَس فى سجون الصين، بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيـقة قطرة، وفى فترات انتظار هذه القطرات يصاب السجين بالجنون.

الراحة غـفلة، والفراغ لص مـحتـرف، وعقلك هو فـريسة ممزقـة لهذه الحروب الوهمية.

إذًا قُم الآن صَلِّ أو اقرأ، أو سبِّح، أو طالع، أو اكـتب، أو رتِّب مكتبتك، أو أصلح بيتك، أو انفع غيرك حتى تقضى على الفراغ وإنى لك من الناصحين.

اذبح الفراغ بسكين العمل، يضمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة مقابل هذا

الإجـراء الطارئ فحـسـب، . . . انظر إلى الفـلاحـين، والخبـازين والبنائين يغـردون بالأناشيد كالعصافير فى سعادة وراحة وأنت على فراشك تمسح دموعك وتضطرب[١].

٢- تحرى الأوقات الفاضلة:

فكمـا أن اللـه (عـز وجل) فـضَّل بعض الأمـاكن علـى بعض وبعض الأشخاص على بعض فإنه فضل أيضًا بعض الأزمنة على بعض.

فلقد فضل الله (عز وجل) من الشهور شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين.

وفـضَّل الله (جل وعـلا) من أيام العـام: أيام العـشـر من ذى الحـجـة وأفضلها يوم عرفة.

وفضَّل الله (عز وجـل) من أيام الأسبوع: يوم الجمعة وهو عـيد المسلمين وفيه فريضة صلاة الجمعة.

وفضَّل الله (عز وجل) من الساعات ساعات السَّحَر، وهى الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الحق (جل وعلا) إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله.

فينبغى للمـسلم أن يتعرض لتلك النفحات، وأن يتـحرى تلك الأوقات ليفوز بالمغفرة والرحمة من رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

٤- تنظيم الأوقات:

وينبغى للإنسـان المؤمن أن ينـظم وقته بين الواجبات والأعمـال المختلفة، دينية كـانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعـضها على بعض، ولا يطغى غـير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يبـادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يُعمل فى وقته.

ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٢٢، ١٢٣).

الجد، والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح، كما قال علي رضي الله عنه: روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أُكره عمي.

ولهذا لما سمع الرسول ﷺ حنظلة (أحد أصحابه) وقد اتهم نفسه بالنفاق، لتغير حاله في بيته ومع أهله وولده عن حاله عند رسول الله ﷺ قال له: «يا حنظلة، لو بقيتم على الحال التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[1][2].

هذا هو عمرك الثاني

وتستطيع أيها الأخ الحبيب أن تطيل عمرك فتكون بمثابة الأحياء وأنت ميت وتؤدي رسالة الأحياء وأنت مقبور. وذلك إذا تركت وراءك ما ينتفع به الناس من علم نافع أو عملٍ صالح، أو ذرية مباركة لتكون امتدادًا لحياتك، ولذا قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٌ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[3].

وقال ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»[4].

وأخيرًا .. يومك يومك

وفي ختام هذه الرسالة القصيرة أقول لك أيها الأخ الحبيب: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء .. ومن أجل ذلك فعليك أن تعيش يومك فتقدم فيه كل ما

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

(٢) الوقت في حياة المسلم (ص: ٢٣، ٢٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٢) في مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣١).

تستطيع لتجنى ثماره فى الآخرة . . فقدِّم صلاة خاشعة وتلاوة بتدبر واطِّلاعًا بتأمل، وذكرًا بحضور، واتزانًا فى الأمور، وحُسنًا فى خُلق، ورضًا بالمقسوم، واهتمامًا بالمظهر، واعتناءً بالجسم، ونفعًا للآخرين.

لليوم هذا الذى أنت فيه فتُقسِّم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهور، تزرع فيه الخير، تُسدى فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الرب، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، وأمنًا وسكينة، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [1]، تعيش هذا اليوم بلا حزن، ولا انزعاج، ولا سخط، ولا حقد، ولا حسد.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضًا على مكتبك تقول العبارة: يومك يومك[2].

أخى الحبيب .. أختى الفاضلة: أوصيكم مرة ثانية بأن تحددوا هدفًا نبيلاً يجلب لكم السعادة فى الدارين ويعود بالخير على الأمة الإسلامية وبالنفع على بلادكم ليكون ذلك كله فى ميزان حسناتكم . . فليجلس الآن كل واحد منكم مع نفسه ويحدد هدفه من الآن ويسعى لتحقيقه عسى الله أن ينفع به الكون كله.

وإن لم تستطع أن تفعل شيئًا فعليك أن تدل الناس على الخير فـ«الدال على الخير كفاعله»[3] . . . . فأسأل الله (جل وعلا) أن يستعملنى وإياكم فى طاعته وفى الدعوة إليه وأن يجعل أيامنا عامرة بالطاعة والعطاء للإسلام: إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

(٢) حدائق ذات بهجة (ص: ٢١٠، ٢١١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٧٠) كتاب العلم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٥).



صراع مع اللقمة الحرام

صراع مع اللقمة الحرام

* وهنا نحن نخوض جولة جديدة ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس أكل الحرام والبعد عن الحلال الطيب... وانتشر أكل الحرام بين كثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* وهنا نحن نخوض تلك الجولة لنُحذر المسلمين من أكل الحرام ولنحضهم على الحلال الطيب.. وبذلك نكون قد انتصرنا فى هذه الجولة على الشيطان بالضربة القاضية.

ما هو الرزق؟

وقبل أن نتكلم عن اللقمة الحلال أو اللقمة الحرام نريد أن نعرف أولاً ما هو الرزق؟

هل الرزق هو المال فقط ؟

والجواب: أن الرزق ليس هو المال فقط.. بل قد يكون المال هو آخر أنواع الرزق... فالإسلام رزق.. وحفظ القرآن رزق.. وحسن الخلق رزق.. وسلامة الصدر رزق.. والصحة رزق.. وراحة البال رزق.. وحب الناس رزق... والعلم رزق.. والصبر رزق.

قال ﷺ: «.. وما أُعطى أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر» [1].

* فما قيمة المال إذا كان الإنسان يعيش على غير ملة الإسلام وما قيمة المال إذا كان الإنسان يعيش بلا خُلق ولا علم وقد حُرم من نعمة الصحة وراحة البال.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

* فالمال وإن كان ضروريًّا فى هذا الزمان إلا أنه لا يجلب السعادة أبدًا.. بل قد يكون المال أحيانًا نقمة على صاحبه.

تحرى الحلال أمانة واجبة

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سُبل الحلال وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يُدخل بيته إلا الحلال...

قال ﷺ: **«يأتى على الناس زمان ما يُبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام»**[(١)].

وقال ﷺ: **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وذكر منهم - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»**[(٢)].

* يقول الإمام ابن القيم:

ما أخذ العبد ما حُرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربِّه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك، وأن مَنْ ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلب شهوتُه صبرَه وهواهُ عقلَه.

فالأول من ضعف علمه، والثانى من ضعف عقله وبصيرته[(٣)].

* * *

(١) صحيح: رواه النسائى (٤٤٥٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٧٣).

المال الحرام يحول بينك وبين قبول العبادة ورفع الدعاء

ففي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك»[1]...

ورُوي: «أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أي باب أدخله النار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم في فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حرامًا».

وقد رُوي عن يوسف بن أسباط - رحمه الله - قال: «إن الشاب إذا تعبَّد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال دعوه يتعب ويجتهد، فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أردَّ درهمًا من شُبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف... حتى عدَّ ستمائة ألف».

وقال وهيب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله - تعالى - منه».

وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

أسباب الرزق الحلال [١]

وإذا كنا نُحذر إخواننا المسلمين من أكل الحرام فلابد أن نذكر لهم أسباب الرزق الحلال.

ولابد أن نعلم أولاً أن الحصول على الرزق الحلال يحتاج إلى إعانة وتوفيق من الله (جل وعلا).

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأسباب التى جعلها الله سببًا للحصول على الرزق الحلال، بل ولزيادة الرزق الحلال، بل وللبركة فى هذا الرزق.

١- الإيمان والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

- **قال الإمام الرازى:** بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشى والأنعام وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجرى مجرى الأب، والأرض تجرى مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره» [٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤]

قال الحافظ ابن كثير: «أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من جهة لا تخطر بباله» [٥].

---

(١) بتصرف من كتابى (أسباب الرزق الحلال).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) التفسير الكبير (١٢/ ١٨٥) - تفسير الخازن (٢/ ٢٦٦).

(٤) سورة الطلاق: الآيتان: (٢-٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٠).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أكبر آية فى القرآن فرجًا ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[1].

٢- إقامة شرع الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

فإقامة شرع الله فى أرضه سبب للرخاء وسعة الرزق.

ولذا فإنى أقول لك أيها الأخ الكريم: حكِّم شرع الله فى نفسك وفى بيتك وستجد رزقك تحت رجليك يأتيك فى يُسرٍ وسهولة.

٣- التفرغ لعبادة الله - جل وعلا -:

وليس معنى التفرغ للعبادة أن يترك الإنسان السعى على العمل ويجلس للعبادة ويقول: إن الله سيبعث الرزق إلىَّ!!!

ولكن المقصود أن يسعى الإنسان على الرزق، ولكن قلبه يكون متعلقًا بربه فى كل لحظة من عمره.. وإذا كان فى العبادة فلابد أن يكون خاضعًا وخاشعًا لله تعالى، بل ومستحضرًا لعظمة الرب - جل جلاله - ممتثلاً قول النبى ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[3].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك»[4].

*** ولذا قال الإمام ابن القيم:**

فرِّغ خاطرَك للهمِّ بما أُمِرْتَ به، ولا تشغله بما ضُمِنَ لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سَدَّ

---

(١) تفسير ابن مسعود (٢/ ٦٥١).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩١٤).

عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمَّل حـال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم من طريق واحد وهو السُّرَّة، فلمّا خرج من بطن الأم وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فـيهـما رزقـا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًـا سائغًـا. فإذا تمَّـت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًـا أربعًا أكـمل منها: طعـامان وشرابان، فالطعامان مـن الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهمـا من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبـحانه فتـح له - إن كان سعـيدًا - طرقًا ثمـانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سـبحانه، لا يمنع عبـده المؤمن شيئًـا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفـضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغـيـر المؤمن. فـإنـه يمنعـه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمـته ولطفه، لا يعرف التفـاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخِر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنَّى له بذلك؟! لَعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعـه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضلـه عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [١] ﴿أَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [٢] والله المستعان [٣].

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٨٧ : ٨٨) ط. دار الخانى.

٤- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[١].

فمن استقام على الطاعة فإن الله ييسر له أسباب الرزق ويملأ قلبه رضًا بما يأتيه من الرزق، سواءً كان قليلاً أم كثيراً.

٥- التوكل:

التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٢].

وقال ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[٣].

ففى هذا الحديث لطيفة: أن كل الحيوانات والهوام يدخرون الطعام إلا الطيور، فهى لا تدخر شيئًا، فإذا أصبحت سبَّحت بحمد ربها وخرجت متوكلة عليه ثم ترجع برزقها ورزق أولادها.

٦- الاستغفار والتوبة:

ولقد شرع الله لنا الاستغفار هنا؛ لأننا إذا قصَّرنا فى أسباب الرزق؛ فإن الاستغفار يجبر هذا التقصير. قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[٤].

قال الشعبى: خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع

---

(١) سورة الجن: الآية: (١٦).

(٢) سورة الطلاق: الآية (٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٤) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُستنزل بها المطر؛ ثم قرأ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

٧- صلة الرحم :

قال ﷺ : «من أحب أن يُبسَط له فى رزقه، وأن يُنسأ له فى أثره فليصل رحمه»[1].

وفى رواية: «من سره أن يُعظم الله رزقه، وأن يمدَّ فى أجله فليصل رحمه»[2].

بل لقد بلغت بركة صلة الرحم فى تكثير الأموال ونمائها وزيادتها حتى وإن كان أصحاب البيت فُجَّارًا لا يطيعون ربهم (ولكنهم يصلون الرحم).

قال ﷺ : «إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم حتى إن أهل بيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون»[3].

٨- الصلاة :

قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[4].

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[5].

وإذا كان الله عز وجل يرزق أهل الفساد والمعاصى، فهل يمنع رزقه عن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢١٧٨) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩١).

(٣) حسن لغيره: رواه ابن حبان (٢/ ١٨٢ ، رقم ٤٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٧)، وقال: حسن لغيره.

(٤) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٣٧).

أهل الإيمان والتقوى الذين يسجدون لله ليلاً ونهارًا؟

٩- الشكر :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١).

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة :

قال ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خَبثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»(٢).

يقول الشيخ أبو الحسن السندي : «اجعلوا أحدهما تابعًا للآخر واقعًا على عقبه، أي إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا فإنهما متابعان» (٣).

وقال الإمام الطيبي في شرح قوله ﷺ : «فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»: إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال.

١١- الهجرة في سبيل الله :

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾(٥).

فإن كان النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية...» (٦).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٨١٠) كتاب الحج، والنسائي (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/ ٢٢٥) - حاشية السندي على سنن النسائي (٥/ ١١٥).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٥) سورة الحج: الآيتان: (٥٨-٥٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الحج.

إلا أن هناك هجرة أخرى شرعها الله لمن كان يعيش فى مجتمع فاسد يبارز الله بالذنوب والمعاصى.. وهذا هو الذى فعله الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا، بل ويفعله كل مؤمن لا يتمكن من عبادة ربه - عز وجل - فعليه أن يترك أرضه ويعيش فى مكان يستطيع أن يعبد ربه فيه ويأمن على نفسه فيه من الفتن.

* **وهناك هجرة ثالثة لا تنتهى أبدًا إلى قيام الساعة:** وهى هجرة الذنوب والمعاصى... فقد قال النبى ﷺ: «.... **والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1].

١٢- الجهاد فى سبيل الله:

إن الله تعالى حرَّم الغنائم على الأمم من قبلنا ثم أحلها لنا فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال ﷺ: «**ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم -: المجاهد فى سبيل الله....**»[3].

وقال ﷺ: «**جُعل رزقى تحت ظل رمحى وجُعل الذلة والصَّغار على من خالف أمرى**»[4].

١٣- الزواج:

إن الزواج سبب عظيم من أسباب الرزق، وذلك لأن الله حرّم الفواحش وحضَّ على المكارم... ولذلك فإنه حرَّم الزنا وأحلَّ النكاح.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٠) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦٩).

(٣) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٣١).

فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

ولذا قال ﷺ : «ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف»[٢].

١٤- الدعاء:

إن الدعاء من أهم أسباب الرزق؛ لأن المؤمن عندما يدعو ربه أن يرزقه فهو ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣].

وقال ﷺ : «إن ربى حَيِىٌّ كريم يستحى أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفرًا»[٤].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «... يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم....»[٥].

فتوجه إلى الله واسأله سبحانه وتعالى أن يرزقك وأن يوسع عليك بما ينفعك فى دينك ودنياك.

١٥- الصدقة:

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[٦].

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٢) حسن: وقد تقدم.

(٣) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) سورة الليل: الآيات: (٥:٧).

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا» (١).

وقال ﷺ: «ثلاثٌ أقسمُ عليهنَّ: ما نقصَ مالُ عبد من صدقة...» (٢).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك» (٣)

١٦- الإنفاق على طلبة العلم الشرعى:

لقد ذكر الله - عز وجل - المصارف الشرعية للزكاة فى سورة التوبة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤)، فكان من أولهم (الفقراء)... فإذا كان الفقير طالب علم مجتهد، فهذا أحقّ الناس بالصدقة؛ لأنه واقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام.

- ومما يدل على أن الإنفاق على طلبة العلم من أسباب الرزق أنه: «كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ - أى لطلب العلم - والآخر يحترف - يشتغل بحرفة - فشكا المحترف أخاه إلى النبى ﷺ فقال: «لعلك تُرزق به» (٥).

- فيوضح له النبى ﷺ أنه لا ينبغى له أن يَمُنَّ على أخيه، فلربما يأتيه الرزق بسبب إنفاقه على أخيه الذى تفرغ لطلب العلم الشرعى.

١٧- الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ موضحًا أن الإحسان إلى الضعفاء من أسباب الرزق: «هل

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٨٤).

تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟» [(١)].

وفي رواية : «هل تُنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم» [(٢)].

ومن بين الضعفاء الذين يكرمنا الله ويرزقنا إذا أحسنًا إليهم: اليتامى والنساء.

فقد قال ﷺ : «إني أحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» [(٣)].

١٨ - السعي والأخذ بالأسباب :

إننا إذا كنا نتحدث عن أسباب الرزق فليس معنى ذلك أن نترك السعي والأخذ بالأسباب.. فالأصل أننا نجمع بين هذين الأمرين... السعي والأخذ بأسباب الرزق.

ولذا قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[(٤)].

وقال ﷺ : «إن داود النبي كان لا يأكل إلا من عمل يده» [(٥)].

وكان الحبيب ﷺ يرعى الغنم قبل البعثة، بل وكان يخرج في تجارة خديجة ﵂.. وهكذا فالأصل هو السعي والأخذ بالأسباب شريطة أن يكون القلب متعلقًا بالله جل وعلا.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠٣٤).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٤٧).

(٤) سورة الملك: الآية: (١٥).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٠٧٣) كتاب البيوع.



صراع مع التشاؤم

صراع مع التشاؤم

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان بعد أن استطاع أن يوقع كثيراً من الناس فى مصيدة التطير والتشاؤم.

والآن سنخوض هذه الجولة بكل بسالة لنقضى على التطير والتشاؤم ونفوز على الشيطان بالضربة القاضية.

ما معنى التطير

تعالوا بنا لنتعرف أولاً على معنى التطير لغة واصطلاحًا...

* التطير فى اللغة:

التطير مصدر قولهم: تطير من الشىء، وهو مأخوذ من مادة (ط ى ر).

والطيرة: بكسرٍ ففتحٍ - ما يتشاءم به من الفأل الردئ، وفى الحديث «أنه كان يحب الفأل، ويكره الطيرة» وفى آخر: **«ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة، والحسد، والظن، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامضِ، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تُصحّح»**.

ويقول ابن الأثير: وأصله - فيما يقال - التطير بالسوانح والبوارح من الظباء والطير وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه[١].

* التطير اصطلاحًا:

التطير هو التشاؤم بما يرى من مجيء الطير والظباء ونحو ذلك ناحية الشمال أو بما يسمع من صوت طائر، كائنًا ما كان وعلى أى حال كان.

هذا هو التطير عند العرب.

---

(١) النهاية (٣/ ١٥٢).

أما تطير الأعاجم وتشاؤمهم فهو عندما يرون صبيًا يذهب به إلى المعلم بالغداة، أو برؤية السَّقَّاء على ظهره قربة مملوءة مشدودة، أو بالحمال المثقل بالحمل، والدابة الموقرة (أى التى عليها حمل شديد) [١].

أصل التطير:

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى-: إنهم كانوا فى الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يُهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهى عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح ويتيمنون به إذا ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس من ذلك، وليس فى شىء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضى ما اعتقدوه، وإنما هو تكلُّف بتعاطى مالا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مكانه جهل من فاعله[٢].

التطير شقاء فى الدنيا وعذاب فى الآخرة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئًا لم يضره ألبته، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك. وذلك لأن الطيرة باب من أبواب الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته وهذا يعظم شأنه إلى من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها فتكون إليه أسرع من السيل إلى منحدره وتفتَّحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويُعطاه فيفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة فى اللفظ والمعنى ما يفسد عليه

---

(١) تفسير القرطبى (٧/ ١٦٩).

(٢) الفتح (١٠/ ٢١٢ - ٢١٣) بتصرف يسير.

دينه وينكد عليه عيشه فإذا سمع كلمة سفرجل، أو أهدى إليه أو سمع اسمه تطير به وقال سَفَرٌ وجلاء. . وإذا رأى ياسمينًا أو أُهدى إليه أو سمع اسمه تطيَّر به وقال: يأسٌ ومَينٌ، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشلٌ أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه، وعلى هذا فإن المتطير مُتعَب القلب، مُنكَّد الصدر، كاسف البال سيىء الخلق يتخوف من كل ما يراه ويسمعه فيصير أشد الناس وجلاً وأنكدهم عيشًا وأضيقهم صدرًا، وأحزنهم قلبًا، وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ومنعها من رزق وقطع عليها من فائدة وأما من لم يلتفت إليها ولم يُلق إليها باله، ولم يشغل نفسه بها ولا فكره فإن ذلك يذهب عنه ويضمحل. وقد شفى النبى ﷺ أمته فى الطيرة حيث سُئل عنها فقال: «ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدَّنَّه»[1].

*** حكم التطير:**

عدَّ ابن حجر ترك السفر بسبب التطير من الكبائر.

وعن ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «الطيرة شرك الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل»[2].

وقال الحافظ أبو القاسم الأصفهانى وغيره فى الحديث إضمار والتقدير: ما منا إلا وقد وقع فى قلبه شيء من ذلك يعنى قلوب أمته، ولكن الله تعالى يذهب ذلك عن قلب كل من يتوكل على الله ولا يثبت على ذلك. انتهى.

اعترضه الحافظ المنذرى بأن الصواب ما ذكره البخارى وغيره أن قوله وما منا. . . إلخ من كلام ابن مسعود مدرج غير مرفوع[3] ونقل البخارى عن سليمان ابن حرب أنه كان ينكر رفع ذلك ويقول: كأنه من قول ابن مسعود وروى أبوداود

(١) انتهى بتصرف من مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٠ - ٢٣٤) وقوله «فلا يصدنه» أى يصرفنه عن حاجته.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٩١٠) كتاب الطب، والترمذى (١٦١٤) كتاب السير، وابن ماجه (٣٥٣٨) كتاب الطب، وأحمد (٣٦٧٩) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٩).

(٣) أى ليس من قوله ﷺ وإنما من كلام ابن مسعود.

والنسائى وابن حبان فى صحيحه «العيافة - أى الخط - والطيرة والطرق أى الزجر من الخبث»[١] ، وروى الطبرانى بسند صحيح والبيهقى «لن ينال الدرجات العلا من تكهَّن، أو استقسم، أو رجع من سفر تطيرًا»، وقال: هذا هو ظاهر الحديث الأول والثانى، وينبغى حمله على ما إذا كان معتقدًا حدوث تأثير للتطير[٢] .

التطير وكفارته

قال الماوردي: اعلم أنه ليس شيء أضر بالرأى، ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدورًا فقد جهل[٣] ، وقد أجمل القرطبى حكم التطير وكفارته إن وقع فنقل عن عكرمة قوله: «كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر، قال علماؤنا: وأما أقوال الطير فلا تعلق لها بما يجعل دلالة عليه، ولا لها علم بكائن فضلاً عن مستقبل تتخبر به ولا فى الناس من يعلم منطق الطير؛ إلا ما كان الله تعالى خَصَّ به سليمان ﷺ من ذلك، فالتحق التطير بجملة الباطل. والله أعلم. وقال ﷺ : «ليس منا من تسحَّر أو تكهن أو ردَّه عن سفره تطيُّر»[٤].

وروى أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: «الطيرة شرك - ثلاثًا- وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل»[٥] وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قيل: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا

---

(١) هكذا فى الزواجر والذى أورده أبو داود وغيره «الجبت» (وهو كل ما عُبِد من دون الله).

(٢) انظر الزواجر لابن حجر (١٩٧).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردى (٣٠٣).

(٤) صحيح. رواه الطبرانى (١٨/ ١٦٢، رقم ٣٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٣٥).

(٥) صحيح. وقد تقدم.

طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته»[١] وفى خبر آخر: «إذا وجد ذلك أحدكم فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بك»[٢] ثم يذهب متوكلاً على الله؛ فإن الله يكفيه ما وجد فى نفسه من ذلك، وكفاه الله تعالى ما يهمه[٣].

علاج التطير:

ينبغى لمن مُنى بالتطير أن يصرف عن نفسه دواعى الخيبة وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطانًا فى نقض عزائمه ومعارضة خالقه، ويعلم أن قضاء - الله تعالى - عليه غالب، وأن رزقه له طالب إلا أن الحركة سبب، فلا يثنيه عنها مالا يضير مخلوقًا ولا يدفع مقدورًا، وليمض فى عزائمه واثقًا بالله تعالى إن أعطى وراضيًا به وإن منع[٤].

الآيات الواردة فى «التطير»

١ - ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

٢ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾[٦].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٠٠٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٤)، وفى تخريجه لأحاديث كتاب إصلاح المساجد (ص١١٦).

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦٤).

(٣) تفسير القرطبى (٧/ ١٧٠).

(٤) أدب الدنيا والدين (٣٠٢) للماوردى.

(٥) سورة الأعراف: الآيات: (١٣٠- ١٣٢).

(٦) سورة النمل: الآيات: (٤٥- ٤٧).

٣- ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[١].

الأحاديث الواردة فى ذم التطير

* **عن بريدة** رضي الله عنه **أنه قال:** إن النبى ﷺ كان لا يتطير من شىء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤى بِشْرُ ذلك فى وجهه، وإن كره اسمه رؤى كراهية ذلك فى وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها: فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورؤى بشر ذلك فى وجهه، وإن كره اسمها، رؤى كراهية ذلك فى وجهه)[٢].

* **عن ابن عباس** رضي الله عنهما **أنه قال:** قال رسول الله ﷺ : «عُرضت علىَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط[٣]، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى ليس معه أحد. إذ رُفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا

(١) سورة يس: الآيات: (١٣ - ١٩).

(٢) أبو داود ([illegible]) واللفظ له، وذكره ابن الأثير فى جامع الأصول وقال محققه: إسناده صحيح (٦/ ٦٢٩) وأحمد فى المسند (٥/ ٣٤٧).

(٣) الرهيط: تصغير رهط وهم الجماعة دون العشرة.

رسـول الله ﷺ وقـال بعـضهم: فـلعلهم الذين وُلدوا فى الإسـلام ولم يشركـوا بالله. وذكروا أشياء فـخرج عليهم رسول الله ﷺ فـقال: «ما الذى تخوضون فيه» فأخبروه. فقال: «هم الذين لايسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربـهم يتوكلون» فقـام عكاشة بن محصن فـقال: ادع الله أن يجـعلنى منهم. فقـال: «أنت منهم» ثم قام رجـل آخر فقـال: ادع الله أن يجعلنى منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة»[1].

* **عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:** قال رسول ﷺ: «الطيرة شرك (ثلاثًا) وما منا إلا [2]، ولكن الله يذهبه بالتوكل[3]»[4].

* **عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «من ردَّته الطيرة من حاجـة فقد أشرك» قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقـول أحـدهم: اللهم لا خـيـر إلا خيـرك ولا طيـر إلا طيـرك ولا إله غيرك»[5].

* **عن ابن عـمر رضي الله عنهما أنه قـال:** قال رسـول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم فى ثلاث: فى المرأة، والدار، والدابة»[6].

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قـال:** قال رسـول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٢) وما منا إلا: هـكذا ورد بدون ذكر المستثنى أى: إلا وقد يعـتريه التطيـر، وتسبق إلى قلبـه الكراهة فحُذف اختصارًا واعـتمادًا على فـهم السامع. وقيل: إن قولـه: «وما منا إلا» من قول ابن مسـعود أدرجه فى الحديث، وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم اعـتقدوا أنها تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبها.

(٣) ولكن الله يذهبه بالتوكل: أى إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفر الله له ولم يؤاخذه به.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) **صحيح:** وقد تقدم.

(٦) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٧٥٣) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٢٥) كتاب السلام.

هامة[١] ولا نوء[٢] ولا صفر[٣]» [٤].

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا طيرة، وخيرها الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» [٥].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة فى ذم التطير

* (قال لبيد الشاعر:

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع)[٦]

* قال عكرمة - رحمه الله تعالى -: «كنا جلوسًا عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر» مبادرة منه بالإنكار عليه لئلا يعتقد أن له تأثيرًا فى الخير أو الشر» [٧].

* وقيل لكعب الأحبار: هل تتطير؟ قال: نعم، فقيل له: كيف تقول إذا تطيرت؟ قال: أقول: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك ولا قوة إلا بك» [٨].

---

(١) الهامة: واحدة الهوام، وهى ذوات السموم، وقيل: دواب الأرض التى تهم بأذى الناس وقيل: إن العرب كانت تقول فى الجاهلية: إذا قُتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة فتدور حول قبره فتقول: اسقونى اسقونى، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت.

(٢) ولا نوء: أى لا تقولوا: مُطرنا بنوء كذا، ولا تعتقدوه.

(٣) والصفر: دواب فى البطن وهى دودة وكانوا يعتقدون أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها - وقيل: كانوا يتشاءمون بدخول شهر صفر.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٥٧) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٢٠) كتاب السلام.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٥٤) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٢٣) كتاب السلام.

(٦) [illegible] (٣٠٤).

(٧) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٥).

(٨) المرجع السابق نفسه.

* (خرج طاوس مع صاحب له فى سفر فصاح غراب فقال الرجل: خير فقال طاوس: «وأى خير عنده والله لا تصحبنى»)[١].

* (قال ابن عبد الحكيم: لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، قال مزاحم: فنظرت فإذا القمر فى الدبران[٢] فكرهت أن أقول له. فقلت: ألا تنظر إلى القمر؟ ما أحسن استواءه فى هذه الليلة! قال: فنظر عمر فإذا هو فى الدبران فقال: «كأنك أردت أن تعلمنى أن القمر فى الدبران يا مزاحم، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار»)[٣].

* (قال الشاعر فى إنكار التطير:

ولقد غدوت وكنت لا
أغدو على واقٍ وحاتمْ

فإذا الأشائم كالأيامن
والأيامن كالأشائمْ)

* (وقال آخر:

تخيَّر طِيرةً فيها زيادٌ
لتخبره، وما فيها خبيرُ

تعلَّم انه لا طير إلا
على متطير وهو الثبورُ

بل شىء يوافق بعض شىء
أحايينًا وباطله كثيرُ)[٤]

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٥٣٥).

(٢) الدبران: منزل من منازل القمر سمى دبرانا؛ لأنه يدبر الثريا أى يتبعها. وهو نجم عملاق أحمر استهدى به قديما.

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٥).

(٤) كله من الفتح (١٠/ ٢٢٣، ٢٢٤).

من مضار «التطير»

(١) ينافى الإيمان، ويضاد التوكل.
(٢) لا يدفع مكروها ولا يجلب محبوبًا.
(٣) دليل قلة العقل وذهاب الحلم.
(٤) اضطراب النفس وبلبلة الفكر.
(٥) الفشل فى الحياة.
(٦) دعوة إلى تعطيل المصالح وترك السعى.
(٧) صفة من صفات الجاهلية، وعادة مذمومة من عادتهم.
(٨) دعوة صريحة للكفر بالقضاء والقدر.
(٩) تجعل الإنسان عبدًا للخُزعبلات والدجل.
(١٠) فيها مخالفة صريحة لأمر الرسول ﷺ[1].

صور من التشاؤم والتطير

* وصور التشاؤم والتطير كثيرة ومن بين تلك الصور:

قول بعضهم: ربنا يستر لأن عينى الشمال بترف.... وأذنى بتصفر... ورأيت فى الصباح قطة سوداء.... والنهارده (الجمعة ١٣) إلى غير ذلك من صور التشاؤم التى نهى عنها الإسلام.

* بل وهناك صور أخرى أذكر بعضها فى عجالة سريعة.

● **التشاؤم من كثرة الضحك:**

فمن الناس من إذا ضحك كثيراً يتشاءم ويقول: «خير اللهم اجعله خيرًا» فيظن بل ويعتقد أن كثرة الضحك لابد أن يعقبها الغم والهم والأحزان.

وهذا اعتقاد باطل؛ لأنه لا شىء يحدث إلا بتقدير الله - جل وعلا.

ولكن فى المقابل فلابد أن نعلم أن النبى ﷺ نهى عن كثرة الضحك

---

(١) نضرة النعيم (٩/ ٤١٩٠ - ٤١٩٩) بتصرف شديد.

ولكنه لم ينه عن الضحك بل نهى عن كثرته. فقال ﷺ: «لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[١].

• التشاؤم من شخص بعينه:

ومن الناس من إذا خرج من بيته فرأى رجلاً فسلم عليه فحدث له حادث في ذلك اليوم فإنه يربط بين الحادث وبين رؤية هذا الرجل فيقول: «أنا اصطبحت بوش مين النهارده» أو يقول: «وشك نحس» ... إلى غير ذلك.

* وهذا كله لا يجوز لأننا على يقين من أنه لا شيء يحدث في الكون إلا بتقدير الله - جل وعلا-.

• التشاؤم إذا انقطع التيار الكهربائي عند قدوم الضيف:

بل ومن الناس من يتشاءم إذا قدم عليه ضيف فانقطع التيار الكهربائي بمجرد دخوله إلى المنزل... فيقول في نفسه: «شرارة» أو «وشه يقطع الخميرة من البيت» أو «ده راجل شؤم» إلى آخره.

* وهذا أيضًا لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ نهانا عن التشاؤم فقال ﷺ فيما رواه مسلم: «لا طيرة» أي: لا تشاؤم.

• التشاؤم عند سماع صوت الغراب أو البومة أو الحدأة:

ومنهم من يتشاءم عند سماع صوت البومة أو الغراب أو الحدأة ويقول: يا ترى من الذي سيموت اليوم؟ أو يا ترى ها يحصل لنا إيه.

وهذا كله لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ نهانا عن التشاؤم والتطير فقال ﷺ: «الطيرة شرك»[٢] ..... فإنه لا يحدث شيء في الكون كله إلا بتقدير الله - جل وعلا -[٣].

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٣٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٩١٠) كتاب الطب، والترمذي (١٦١٤) كتاب السير، وابن ماجه (٣٥٣٨) كتاب الطب، وأحمد (٣٦٧٩) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٩).

(٣) تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد/ للمصنف (ص: ٨١ -٨٢).



صراع مع الأخلاق السيئة

صراع مع الأخلاق السيئة

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس أن يتخلقوا بالأخلاق السيئة فكان ذلك سببًا فى ضياع الكثير من الأخلاقيات الحسنة التى دعانا إليها رسول الله ﷺ.

* وها نحن نخوض هذه الجولة لنُحذر إخواننا وأخواتنا من سوء الخلق ونحضهم على التحلى بمحاسن الأخلاق التى دعانا إليها رسول الله ﷺ وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان مرة أخرى بالضربة القاضية - بإذن الله -.

معنى سوء الخلق لغة واصطلاحًا

• سوء الخلق لغة:

السوء اسم من ساءه سوءًا، بالفتح، ومَساءة، ومسائية نقيض سره، ويقال: ساء ما فعل فلان، أى قبح صنيعه صنيعًا... والسوء: الفجور والمنكر، وسؤت له وجهة قبَّحته، ويقال: أسأت به، وإليه وعليه وله.

• سوء الخلق اصطلاحًا:

سوء الخلق: عبارة عن هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال القبيحة بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فكر ورويّة[1].

ويرى ابن تيمية فى نظرته الخلقية، أن مفهوم الأخلاق يرتبط بالإيمان، وما ينشق عنه، ومن ثم يقوم هذا المفهوم عنده على عدة عناصر وهى:

١ - الإيمان بالله وحده خالقًا ورازقًا بيده الملك.

---

(١) التعريفات للجرجانى (١٠٦).

٢- معرفة الله - سبحانه وتعالى - معرفة تقوم على أنه وحده - سبحانه - المستحق للعبادة.

٣- حب الله - سبحانه وتعالى - حبًّا يستولى على مشاعر الإنسان بحيث لا يكون ثمة محبوب مراد سواه سبحانه.

٤- وهذا الحب يستلزم أن تتوحد إرادة الخالق والمخلوق فى اتجاه واحد هو تحقيق رضا الله - سبحانه وتعالى - والالتزام بتحقيق هذا الرضا فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة.

٥- وهذا يستلزم من الإنسان سموًّا فى أخلاقه، وترفُّعًا عن الأنانية وعن الأهواء وعن المآرب فى الدنيا.

٦- ويأتى العمل بعد ذلك مُحققًّا أو فى طريق بلوغ الكمال الإنسانى[١].

والأمر كذلك فإنه إذا لم تتحقق هذه الشروط الموضوعية فإن الناتج عن الإنسان يكون خُلقًا سيئًا؛ لأنه تعبير عن الإيمان بالله وتعبير عن الرؤية الموضوعية للأشياء والحقائق، وعلى هذا يكون الخلق السيىء فعلا إنسانيًّا لا ترتبط فيه الأفعال بالطاعة، أى أنه فعل تنفصل فيه الطاعة عن الأخلاق، ويصبح الفعل شكليًّا أو مظهريًّا كما أنه فعل لا يدرك الغائية الخلقية، من حيث إنها تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والحياة الآخرة، الأمر الذى يجعل العمل الذى يقوم به الإنسان فاقدًا لقيمته الخلقية ودلالته الإنسانية، كما أن هذا الفعل فاقد للتمحيص والتدقيق اللازمين كى يكون موافقًا لما أمر الله سبحانه وندب إليه فى وقته الملائم والمناسب وفى هذا الوضع يكون هذا العمل استجابة لا خُلقية، وبذا يكون صاحبه متصفًا بسوء الخلق[٢].

---

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية - محمد عبد الله عفيفى(٥٨).

(٢) المرجع السابق (٥٩، ٦٠) بتصرف.

فالخلق السيئ، خلق فاسد متصف بالشر، لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، ولا يتفق مع ما شرع الله أمرًا، ونهيًا، وهو فعل منكر وسلوك غير صالح[1]، وهذا ناتج عن مرض القلب.

ما هى أركان سوء الخلق؟

قال ابن القيم رحمه الله: ومنشأ جميع الأخلاق السافلة، وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

فالجهل: يُريه الحسن فى صورة القبيح، والقبيح فى صورة الحسن، والكمال نقصًا والنقص كمالاً.

والظلم: يحمله على وضع الشىء فى غير موضعه، فيغضب فى موضع الرضا ويرضى فى موضع الغضب ويجهل فى موضع الأناة، ويبخل فى موضع البذل، ويبذل فى موضع البخل ويحجم فى موضع الإقدام، ويُقدِم فى موضع الإحجام، ويلين فى موضع الشدة ويشتد فى موضع اللين، ويتواضع فى موضع العزة، ويتكبر فى موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص، والشح، والبخل، وعدم العفة، والنهمة، والجشع، والذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر، والحقد، والحسد، والعدوان، والسفه.

ويتركب من بين كل خُلقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة.

وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس فى الضعف، وإفراطها فى القوة.

فيتولد من إفراطها فى الضعف: المهانة والبخل، والخسة واللؤم، والذل والحرص، والشح وسفاسف الأمور والأخلاق.

(١) المرجع السابق (٤٨٤) - من نضرة النعيم (١٠/ ٤٦٤٣).

ويتولد من إفراطها فى القوة: الظلم والغضب والحدة، والفحش والطيش.

ويتولد من تزوج أحد الخلقين بالآخر: أولاد غية [١] كثيرون فإن النفس قد تجمع قوة وضعفًا فيكون صاحبها أجبر الناس إذا قدر، وأذلهم إذا قُهر، ظالم عنوف جبار. فإذا قُهر صار أذل من امرأة... جبان عن القَوِى، جرىء على الضعيف.

فالأخلاق الذميمة: يولد بعضها بعضًا، كما أن الأخلاق الحميدة: يولد بعضها بعضًا [٢].

هل يمكن تغيير الخلق السيئ إلى خلق حسن؟

يقول الجاحظ ما خلاصته: إن الأخلاق المذمومة موجودة فى كثير من الناس، غالبة عليهم، مالكة لهم، بل قلما يوجد فيهم من يخلو من خُلق سيئ أو مكروه، ويَسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاضلون فى ذلك، وكذلك فى الأخلاق المحمودة قد يختلف الناس ويتفاضلون، إلا أن المجبولين على الأخلاق الحسنة قليلون جداً، وأما المجبولون على الأخلاق السيئة فأكثر الناس وما ذلك إلا لأن الإنسان إذا استرسل مع طبعه، ولم يستعمل الفكر ولا التمييز، ولا الحياء ولا التحفظ، كان الغالب عليه أخلاق البهائم، لأن الإنسان إنما يتميز على البهائم بالفكر والتميز، فإذا لم يستعملها كان مشاركًا للبهائم فى عاداتها، ولما كان الناس مطبوعين على الأخلاق السيئة منقادين للشهوات الرديئة، وقع الافتقار إلى الشرائع والسنن، والسياسات المحمودة[٣] ولكن هل يمكن للإنسان أن يغير خُلقه؟.

على هذا التساؤل أجاب الإمام الراغب فقال: اختلف الناس فى الخلق فقال بعضهم: هو من جنس الخلقة، ولا يستطيع أحد تغييره عما جُبل عليه

---

(١) غية: جمع غاوى وهو الضال.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (١٢٠).

إن خيرًا وإن شرًا كما قيل:

ومــا هذه الأخــلاق إلا غــرائزٌ
فــمنهن مــحــمــود ومنهن مُــذممُ
ولن يستــطيع الدهر تغــيــر خلقــة
بنصح ولا يــستطــيعــه مــتكرمُ[١]

وقال بعضهم: يمكن ذلك، واستدل بما روى: «حسِّنوا أخلاقكم» ولو لم يمكن لما أمر به، وقال أصحاب هذا الرأى: إن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين:

أحدهما: بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عــملاً، كالسماء والأرض والهيئة والشكل.

والآخر: خلقه خلقة ما، وجعل فيه قــوة ورشّح الإنسان لإكماله وتغيير حاله وإن لم يرشحه لتغيير ذاته، والخُلق من الإنسان يجرى هذا المجرى فى أنه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوة التى هى السجية، وجعل له سبيلاً إلى إسلاسها، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٢]، ولو لم يكن الأمر كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصــايا، والوعد والوعيد، والأمر والنهى، ولما جوز العــقل أن يقال للعــبد: لِمَ فــعلت؟ ولِمَ تركت؟ وكيف يكون هذا فى الإنســان ممتنعًا، وقد وجدناه في بعض البــهائم ممكنًا، فــالوحش قــد يُنقل بــالعــادة (والتــدرُّب) إلى التــأنُّس ومن الجــمــوح إلى السلاسة[٣].

(١) هذا الرأى واضح البطلان لأن إرسال الرسل وتشريع الشرائع إنما يستهدف فى المقام الأول تغيير الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحميدة، وإذا كان الدهر هو الذى لا يستطيع ذلك فهو صحيح، ولكن من قال بذلك؟ إن الذى يستطيعه فعلا هو الأخذ بمنهج الله والسير على سيرة المصطفى ﷺ، أو ليس الحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر؟!

(٢) سورة الشمس: الآيتان: (٩-١٠).

(٣) الذريعة (١١٥، ١١٦) (بتصرف).

هل يتغير حسن الخلق إلى خلق سيئ؟

إذا كان الخلق السيئ قد يتحول إلى خُلق حسن باتباع الشرع والتدرب على الأخلاق الحميدة والمثابرة عليها فهل يتغير الخلق الحسن إلى سيئ؟

على هذا السؤال أجاب الماوردى فقال: "ربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غِلظة والطلاقة عُبوسًا، فمن أسباب ذلك:

- الولاية التى تُحدث فى الأخلاق تغيرًا، وعلى الخلطاء تنكرًا، إما من لؤم طبع، وإما من ضيق صدر.

- ومنها العزل فقد يسوء منه الخلق، ويضيق به الصدر، إما لشدة أسف أو لقلة صبر. . . ومنها الغِنَى، فقد تتغير به أخلاق اللئيم بطرًا، وتسوء طرائقه أشرًا، وقد قيل: من نال استطال. . . . ومنها الفقر، فقد يتغير به الخلق، إما أنفة من ذل الاستكانة، أو أسفًا على فائت الغنى.

- ومنها الهموم التى تُذهل اللُّب، وتشغل القلب، فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر، وقد قِيلَ: الهم كالسم. وقال بعض الأدباء: الحزن كالداء المخزون فى فؤاد المحزون.

- ومنها الأمراض التى يتغير بها الطبع، كما يتغير بها الجسم، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على احتمال.

- ومنها علو السن وحدوث الهرم لتأثيره فى آلة الجسد كذلك يكون تأثيره فى أخلاق النفس، فكما يضعف الجسد على احتمال ما كان يطيقه من أثقال كذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق، وضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه".

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عامًا، وههنا سبب خاص يُحدث سوء خلقٍ خاص، وهو البُغض الذى تنفر منه النفس، فتُحدث نفورًا

عن المبغض، فيؤول إلى سوء خلق يخصه دون غيره، فإذا كان سوء الخلق حادثًا بسبب، كان زواله مقرونًا بزوال ذلك السبب، ثم بالضد[١].

النبى ﷺ يحذر الأمة من سوء الخُلق

لقد كان النبى ﷺ يحذر أصحابه والأمة من بعدهم من سوء الخلق:

* **عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»**[٢].

* **عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة الجواظ[٣]، ولا الجعظرى[٤]»**[٥].

* **عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حَسن، وإن الله يبغض الفاحش البذىء»**[٦].

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تُكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: **«هى فى النار»**، قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها، قال: **«هى فى الجنة»**[٧].

* **عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يدعون فلا يُستجاب لهم: رجل عنده امرأة سيئة الخلق فلا يطلقها ورجل دفع**

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٣٨ - ٢٥٤) بتصرف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٦٤) كتب الإيمان.

(٣) الجواظ: الجموع المنوع المختال فى مشيته.

(٤) الجعظرى: الفظ الغليظ المتكبر الذى يتمدح بما ليس فيه.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠١) كتاب الأدب، وأحمد (١٨٢٥٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٦٩).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٩) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٠٣) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٧١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٣٢).

(٧) صحيح: رواه أحمد (٩٣٨٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦٠).

ماله إلى سفيه، وقد قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ (١) ورجل باع ولم يُشهد»(٢).

* بل لقد أخبر النبى ﷺ بأن من اتصف بسوء الخلق فسوف يكون أبعد الناس عن رسول الله ﷺ يوم القيامة.

قال ﷺ: «إن من أحبكم إلىَّ، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»(٣).

* بل ستعجب عندما تعلم أن سيد ولد آدم ﷺ الذى قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤) كان يستعيذ بالله من سوء الخُلق.

* عن على بن أبى طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهى (٥) للذى فطر السماوات والأرض حنيفًا (٦) وما أنا من المشركين (٧) إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى (٨) لله رب

---

(١) سورة النساء: الآية: (٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٣٣١ ، رقم ٣١٨١)، والبيهقى (١٠/ ١٤٦ ، رقم ٢٠٣٠٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٧٥).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٤) سورة القلم: الآية: (٤).

(٥) وجهت وجهى: قصدت بعبادتى الذى فطر السماوات والأرض أى ابتدأ خلقها.

(٦) حنيفًا: قال الأكثرون: معناه مائلا إلى الدين الحق وهو الإسلام، وأصل الحنف الميل ويكون فى الخير والشر وينصرف إلى ما تقتضيه القرينة: وقيل: المراد بالحنيف هنا المستقيم قاله الأزهرى وآخرون، وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام: وانتصب حنيفًا على الحال. أى وجهت وجهى فى حال حنيفتى.

(٧) وما أنا من المشركين: بيان للحنيف وإيضاح لمعناه: والمشرك يطلق عل كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودى ونصرانى ومجوسى ومرتد وزنديق وغيرهم.

(٨) ومحياى ومماتى: أى حياتى وموتى، ويجوز فتح الياء فيهما وإسكانهما والأكثرون على فتح ياء محياى وإسكان مماتى.

العالمين[1] لا شريك لـه وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربى وأنا عـبدك ظـلمت نفسي واعـترفت بذنبي فـاغفـر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفـر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسـن الأخلاق[2]، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[3] .

خوف سلفنا الصالح من سوء الخلق

* روى الإمام مـالك عن يحيى بن سعـيد: أن عيـسى ابن مريم عليهـما السلام لقي خنزيرًا بالطريق فقال له انفُذ بسلام، فقيل له: تقول هذا الخنزير؟ فقال عيسى ابن مريم: «إني أخاف أن أعود لساني المنطق بالسوء»[4] .

* قال وهب بن منبه: «مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا تُرقَّع ولا تُعاد طينًا»[5] .

* عن عطاء في قـوله تعـالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾[6] قال: «كـان في خلقـهـا سوء، وكـان في لسـانهـا طول، وهؤلاء بذاء، فـأصلح الله ذلك منها»[7] .

* عن أبي حازم رحمـه الله قال: السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه، ثم

---

(١) رب العالمين: في معنى رب أربعة أقوال: حكاها الماوردي وغـيره: الملك والسـيد والمدبر والمربي، فإن وصف الله تعالى برب، لأنه مالك أو سـيد، فهو من صـفـات الذات وإن وصف به لأنه مدبر خلقه ومربيهم فهـو من صفات فعله. ومتى دخلته الألف واللام، فقـبل الرب، اختص بالله تعالى، وإذا حذفت جاز إطلاقه علـى غيره، فيقال: رب المال ورب الدار ونحو ذلك - والعـالمين: جمع عالم، وليـس للعالم واحد من لفظه.

(٢) واهدني لأحسن الأخلاق: أي أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق بها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) تنوير الحوالك (٣/ ١٤٨).

(٥) الإحياء (٣/ ٥٧).

(٦) سورة الأنبياء: الآية: (٩٠) .

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٣).

زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفى سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فَـرَقًا منه، وحتى إن دابته لتحـيد مما يرميها بالحـجارة وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتى إن قطه ليفر منه»[(١)].

* **قال الفضيل بن عياض:** «لا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر»[(٢)].

* **وقال أيضًا:** «لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلىَّ من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق»[(٣)].

* صَحِب ابن المبارك رجلاً سيئ الخلق فى سفر فكان يحتمل منه، ويداريه، فلما فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال: بكيته رحمة له، فارقته وخُلُقه معه لم يفارقه»[(٤)].

* **قال يحيى بن معاذ:** «سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحُسن الخلق حَسنة لا تضر معها كثرة السيئات».

* **قال الحسن:** «من ساء خُلُقه عذَّب نفسه»[(٥)].

* **قال الإمام الغزالى رحمه الله:** الأخلاق السيئة هى السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازى الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التى تطلع على الأفئدة».

* **وقال أيضًا:** «الأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس، إنها

---

(١) مساوئ الأخلاق ومذمومها (٢٦) وقال محققه: اورده الذهبى (٦/ ٩٩) فى سير أعلام النبلاء عن أبى حازم.

(٢) مساوئ الأخلاق ومذمومها (٢٤).

(٣) الإحياء (٣/ ٥٧).

(٤) الإحياء (٣/ ٥٧).

(٥) الإحياء (٣/ ٥٧).

أمراض تُفوِّت على صاحبها حياة الأبد»[(١)].

* جمع بعضهم علامات سوء الخلق فقال: «أن يكون قليل الحياء كثير الأذى، قليل الصلاح، كذوب اللسان، كثير الكلام، قليل العمل، كثير الزلل، كثير الفضول، لا بَرًّا ولا وَصولاً ولا وقورًا، ولا صبورًا، ولا شكورًا، غير راض، ولا حليمًا ولا رفيقًا، ولا عفيفًا، ولا شفيقًا، لعَّانًا، سبَّابًا، نمامًا، مغتابًا، عَجولاً، حقودًا، بخيلاً، حسودًا، غضوبًا، نكدًا، يحب في شهواته ويبغض فيها، فهذا هو سوء الخلق» [(٢)].

النبى ﷺ يحض الأمة على حُسن الخلق

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخُلق الرفيع يحض الأمة على أن تتحلى بحسن الخلق.

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[(٣)].

وقال ﷺ: «أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن»[(٤)].

وقال ﷺ: «أثقل شيء في ميزان المؤمن خلُق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البَذي»[(٥)].

وقال ﷺ: «أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا»[(٦)].

---

(١) الإحياء (٣/ ٥٣).

(٢) الإحياء (٣/ ٧٦ -٧٧) بتصرف.

(٣) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٦٩٥٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٤).

(٣) صحيح: رواه البيهقي (١٠/ ١٩٣ ، رقم ٢٠٥٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٥).

(٤) صحيح: رواه الطبراني (١/ ١٨١ ، رقم ٤٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٩).

وقال ﷺ : «استقم وليحسن خُلقك للناس»[1].

وقال رسول الله ﷺ : «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا»[2].

وقال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فى مَنْ لا يألف ولا يؤلف»[3].

وقال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[4].

وقال ﷺ : «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار»[5].

* وسئل النبى ﷺ فقيل له: يا رسول الله ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: «حسن الخلق»[6].

*وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة ﵂ أن النبى ﷺ قال لها: «إنه من أُعطى حظه من الرِّفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار»[7].

وبيَّن النبى ﷺ أن الخيرية تكمن - بعد تقوى الله - فى حسن الخلق

---

(١) حسن: رواه الطبرانى (٢٠/ ٣٩ ، رقم ٥٨) ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (٢٨ ، رقم ٦) ، والحاكم (١/ ١٢١ ، رقم ١٧٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٥١).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٢٨).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٣٥٦ ، رقم ٤٤٢٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣١).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١١٦٢) كتاب الرضاع، وأحمد (٧٣٥٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٨٣٤) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٠).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٧) صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٦٧).

قال عليه الصلاة والسلام: «إن خياركم أحسنكم أخلاقًا»(١).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليُدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى جميلٌ يحب الجمال، ويحبُّ معالى الأخلاق، ويكره سفاسفها»(٣).

وقال ﷺ: «إن المسلم المُسدَّد(٤) ليدرك درجة الصَّوام القوام بآيات الله، بحسن خلقه وكرم ضريبته(٥)»(٦).

وقال ﷺ: «إن الناس لم يُعطوا شيئًا خيرًا من خلق حسن»(٧).

وقال ﷺ: «إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينُها وأرقها»(٨).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»(٩).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل.

(٢) حسن: رواه الطبرانى (٨/١٦٩، رقم ٧٧٠٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢١).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/٧٨ رقم ٦٩٠٦)، وابن عساكر (٣٨/٣٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٤٣).

(٤) المسدد: أى المستقيم على أمر الله.

(٥) كرَمَ ضريبته: أى حُسن طبيعته وسجيته.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٧٠١٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٤٩).

(٧) صحيح: رواه الطبرانى (١/١٧٩، رقم ٤٦٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٧٧).

(٨) حسن: رواه الطبرانى فى الشاميين (٢/١٩، رقم ٨٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٣).

(٩) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٤٧) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

وقال ﷺ : «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة: الثرثارون[1]، والمتشدِّقون[2]، والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[3].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أحبكم إلىَّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلىَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرءَاء العنت»[4].

وقال ﷺ : «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما»[5].

وقال ﷺ : «ليس شىء أثقل فى الميزان من الخُلق الحسن»[6].

وقال ﷺ : «ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإن الله تعالى يُبغض الفاحش البذى»[7].

* * *

---

(١) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا.

(٢) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.

(٣) حسن، وقد تقدم.

(٤) رواه الطبرانى فى الصغير (١٧٢)، وقال الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٥١): الحديث له شواهد كثيرة يرقى بها إلى درجة الحسن.

(٥) حسن: رواه أبو يعلى فى مسنده (٦/ ٥٣، رقم ٣٢٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٤٨).

(٦) صحيح: وقد تقدم.

(٧) صحيح: وقد تقدم.

فوائد وثمرات حُسن الخلق

والأخلاق الحسنة لها فوائد وثمرات كثيرة وسأكتفى بذكر بعضها:

- **حُسن الخلق من أفضل ما يُقرب العبد إلى الله،**

وذلك لأن الله - عز وجل - أمرنا بحسن الخلق فإذا تحلَّى العبد بحسن الخلق فقد امتثل أمر الله - جل وعلا -.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[2].

- **أنه طاعة لرسول الله ﷺ،**

فقد قال ﷺ: **«... وخالق الناس بخلق حسن»[3].**

- **أنه سبب لمحو السيئات،**

فقد قال ﷺ: **«... وأتبع السيئة الحسنة تمحها...»[4].**

ولا شيء أفضل من حُسن الخلق.

- **أنه سبب لعفو الله وجالبٌ لغفرانه،**

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«أُتي بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال: له ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال: يا رب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلُقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر وأُنظر المُعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»[5].**

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٤٤) كتاب تفسير القرآن.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

(٤) جزء من الحديث السابق.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٧٧) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

• أنه سبب للفوز بمحبة الله - جل وعلا -:

وذلك لقول النبي ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا»(١).

• أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»(٢).

• أنه من خير أعمال العباد:

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، ما خير ما أُعطيَ الإنسان؟ قال: «خلق حسن»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين، هما أخفُّ على الظَّهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفس محمد بيده، ما عمل الخلائق بمثلهما»(٤).

• أن صاحبه يوصف بالخيرية:

قال ﷺ: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا»(٥).

• أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «صلة الرحم، وحسن

---

(١) صحيح: رواه الطبراني (١/ ١٨١، رقم ٤٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٤) حسن: رواه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٥٣، رقم ٣٢٩٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٠٤٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل.

الخُلق، وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار»[1].

● **صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس:**

فإن قلوب العباد تميل دائمًا إلى صاحب الخلق الحسن وتبغض الإنسان صاحب الخلق السيئ ولذا قال ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[2].

● **حُسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس:**

قال ابن القيم - رحمه الله -: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خَلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»[3].

● **بالخلق الحسن يكثر الأحباب ويقل الأعداء:**

قال الماوردي - رحمه الله -: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقل مُعادوه، فتسهلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغضاب»[4].

● **حسن الخلق يحول العدو إلى صديق:**

لقد قال - جل وعلا -: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[5].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣١) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٦٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٩٤٥) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٦٦١).

(٣) الفوائد (٧٥).

(٤) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).

(٥) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

● أنه دليل على كمال إيمان العبد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»[(١)].

ويقول ابن القيم - يرحمه الله -: «الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين»[(٢)].

● أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده:

فلقد وصفت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي، وقال: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت: «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا» - ثم ذكرت سبب ذلك بقولها -: «والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»)[(٣)].

*** قال النووي - رحمه الله -:**

«قال العلماء رضي الله عنهم: معنى كلام خديجة رضي الله عنها أنك لا يُصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا[(٤)] من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء»[(٥)].

إن البرية يوم مبعث أحمد

نظر الإله لها فبدَّل حالها

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٢٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٤) «ضروبًا»: أنواعًا، والمفرد: ضَرْبٌ.

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٢).

بل كـرَّم الإنسـان حين اختـار من

خـيـر البـريـة نجـمـهـا وهلالهـا

* ووصف ابن الدَّغنة أبا بكر الصديق بمثل ما وصفت به خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟»

فقال أبو بكر: «أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض، وأعبد ربى».

قال ابن الدغنة: «إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جار[1]، ارجع واعبد ربك ببلدك» فرجع[2].

* قال الحافظ ابن حجر - يرحمه الله -:

«وفى موافقة وصف ابن الدَّغنة لأبى بكر بمثل ما وصفت به خديجة رضي الله عنها النبى ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبى بكر، واتِّصافه بالصِّفات البالغة فى أنواع الكمال»[3].

وقال أيضًا:

«ومن أعظم مناقبه - أى أبى بكر رضي الله عنه - أن ابن الدَّغنة سيد القارة وصفه بنظير ما وصفت به خديجة النبى ﷺ لَمَّا بُعث، فتوارد على نعت واحد من غير أن يتواطآ على ذلك، وهذا غايةٌ فى مدحه؛ لأن النبى ﷺ منذ نشأ كانت صفاته أكمل الصِّفات»[4].

أبو بكر والشـدو الجـمـيل بـك ابتُـكر

وذكـراك طافت على البـدو والحضـر

---

(١) جارٌ: أى مُجير، أمنع من يؤذيك.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٢٩٨) كتاب الحوالات.

(٣) «الفتح» (٧/ ٢٤٠).

(٤) «الإصابة» (٤/ ١٠٤).

هُمام(١) كأن الشمس أصغت لفضله
وحنَّت له الجوزاء (٢) وشيعه القمر
تفرد بالعليا عن كل فاضل
مناقبه زانت ربيعة(٣) أو مضر(٤)(٥)

• سبب لتحريم جسد العبد على النار:

فقد قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرُم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هينٍ سهل»(٦).

• حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق»(٧).

• من أسباب دخول الجنة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»(٨).

---

(١) الهُمام: السَّيِّدُ الشُّجاع، أو الملك العظيم الهمة.

(٢) الجوزاء: برج في السماء.

(٣) ربيعة: قبيلة عربية، كانت مع قبيلة مُضر من أقوى القبائل في الجاهلية، رحلت من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية، ثم إلى شمال بلاد الفرات.

(٤) مُضر: قبيلة عربية، كانت ديارهم فيما بين النَّهرين على الفُرات، كان رسول الله ﷺ منها من بني النضر بن كنانة.

(٥) الأخلاق بين الطبع والتطبع/ الحاشدي (ص: ١٧، ١٨).

(٦) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٣٩٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٠٩).

(٧) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٩) كتاب الأدب، والترمذي (٢٠٠٣) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٣٢).

(٨) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في سنن الترمذي (١٦٣٠).

• من أسباب الارتقاء في درجات الجنة:

فيبلغ العبد بحسن الخلق أعلى درجات الجنة مع عباد الله المخلصين الذين لا يفتُرون عن الصيام والقيام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»**[١].

• النبي ﷺ يضمن له بيتًا في أعلى الجنة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم[٢] ببيت في ربض[٣] الجنة لمن ترك المراء[٤] وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[٥].

• أن صاحبه يكون قريبًا من النبي ﷺ في الجنة:

لقول النبي ﷺ: **«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا...»**[٦].

فهذه بعض الثمرات التي يجنيها العبد من وراء حسن الخلق ولو لم يكن هناك ثمرة لحسن الخلق إلا أن صاحبه يفوز بمحبة الله وصحبة رسول الله ﷺ والقرب من النبي ﷺ في الجنة لكفى.

فأسأل الله - جل وعلا - أن يرزقني وإياكم حسن الخلق.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٨٣٤) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٠)، (١٩٣٢).

(٢) زعيم: ضامنٌ.

(٣) ربض الجنة: أدناها، وربض المدينة: ما حولها، وجمع ربض: أرباضٌ.

(٤) المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، وهو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو جدال.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٦) حسن: رواه الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٠١).



صراع مع اليأس

صراع مع اليأس

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يجعل اليأس والقنوط يدب فى قلوب كثيرٍ من الناس فعاشوا بلا أمل وغرقوا في بحار اليأس.

* وها نحن نخـوض تلك الجـولـة من أجل أن نجـدد الأمل فى قلوب المسلمين ونقضى على اليأس والقنوط - بإذن الله جلَّ وعلا - وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة أيضًا بالضربة القاضية.

لماذا اليأس والقنوط؟

إن المسلم لا ينبغى له أن ييأس أبدًا؛ وذلك لأن حياة المسلم كلها خير ما دام فى طاعة الله (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»(١).

* فمَن ضـاق عليه رزقه فـعليه أن يتذكـر قول النبى ﷺ: «إن الله تعالى ليحمى عبده المؤمن من الدنيـا، وهو يحبـه، كمـا تحمـون مريضكم من الطـعام والشراب تخافون عليه»(٢).

- وعليه أن يأخذ بالأسباب المشروعة ليفوز بالرزق الحلال.

قال ﷺ: «إن روح القُدُس نفث فى روعى، أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣١١١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨١٤).

أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»(١).

* ومن كان مريضًا فعليه أن يرفع شعار: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(٢)، ولا بُدَّ أن يكون على يقين من أن الفرج قريب... وأن هذا المرض قد يكون هو عين الرحمة... فقد يكون سببًا فى تكفير السيئات ورفع الدرجات.

قال ﷺ: «إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمله فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلِّغه إياها»(٣).

* ومن حُرم من لذة النجاح أقول له: لا تيأس ولا تقنط.. وحاول مرة بعد مرة وسوف تنجح إن شاء الله (جلّ وعلا).. وإن لم تنجح فاعلم أن شرف التجربة يكفيك.

* ومن أراد الزواج ولم يستطع أقول له: لا تيأس ولا تقنط وما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب وسوف ييسر الله لك الزواج.

قال ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم: المجاهد فى سبيل الله والمُكاتَب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف»(٤).

وفى رواية: «حقٌّ على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله»(٥).

والله إنها لبشرى تسكب الود والطمأنينة على صفحات القلوب.. فأبشر أيها الشاب.. أبشر يا من تريد العفاف فإن الذى سيعينك على أمرك هو الخالق ـ جل وعلا ـ الذى أخذ هذا الحق على نفسه أن يعينك على هذا

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٨٠).

(٣) حسن: رواه ابن حبان (٧/١٦٩، رقم ٢٩٠٨)، والحاكم (١/٤٩٥، رقم ١٢٧٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٤) رواه الترمذى والنسائى وأحمد وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٥) حسن: رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٢/١٣٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٥٢).

الأمر العظيم، ألا وهو النكاح .. فما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب وتُسرع الخُطا لإعفاف نفسك وسوف تتنزل المعونة عليك من السماء كما أخبر بذلك النبى ﷺ حيث قال: «تنزل المعونة من السماء على قدر المؤنة، وينزل الصبر على قدر المصيبة»[1][2].

* ومن كانت تعيش فى معاناة مع زوجها الذى يعاملها بكل قسوة ولا يحنو عليها أبدًا... أقول لها: لا تيأسى ولا تقنطى وعليك بالدعاء - وبخاصة فى جوف الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وكماله - فاسألى الله (جلَّ وعلا) أن يجعل قلب زوجك رحيمًا بك... واعلمى أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء.

* وكذلك من كان يعيش فى معاناة مع زوجته أقول له: عليك بالدعاء.

* ومن كان فقيرًا لا يجد ما يكفيه.. أقول له: أما تذكر حبيبك ﷺ الذى كان يربط على بطنه حجرًا من الجوع... ومات ودرعه مرهونة عند رجل يهودى على ثلاثين صاعًا من شعير.. وكان أكثر دعائه: اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتًا.. ومع كل هذا عليك أن تأخذ بالأسباب فإن لم يتيسر لك الحال فى الدنيا فاعلم أن الله سيعوضك فى الآخرة.. وأنك ستنسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

قال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغةً، فيُقال له: يا ابن آدم! هل رأيتَ بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟

---

(١) صحيح: رواه ابن عساكر من طريق الحسن بن سفيان (١٥/ ٤٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠١).

(٢) السلسلة الذهبية/ للمصنف (ص: ١٠٠).

فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط»[(١)].

* ومن حُرم من الذرية أقول له: لا تيأس ولا تقنط وارضَ بقضاء الله (جلَّ وعلا)... وخذ بالأسباب ولكن اعلم أن الأسباب وحدها لا تنفع إلا بأمر مُسبِّب الأسباب (جلَّ وعلا).

فعليك بالدعاء وبخاصة دعاء نبي الله زكريا (عليه السلام): ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[(٢)].

وعليك بالاستغفار فقد قال تعالى حاكيًا عن نبيه نوح (عليه السلام) أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[(٣)].

ولا مانع من أن تأخذ بالأسباب الطبية... وقبل ذلك كله عليك بحُسن الظن بالله (جلَّ وعلا).

* ومن كان عنده ابتلاء شديد أقول له: تذكَّر قول الله (جلَّ وعلا): ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[(٤)]، وقوله (جلَّ وعلا): ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[(٥)].

وكُن راضيًا بقضاء الله (جلَّ وعلا).

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(٦)].

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٩).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٣).

(٤) سورة الشرح: الآيتان: (٥-٦).

(٥) سورة الطلاق: الآية: (٧).

(٦) سورة الحديد: الآية: (٢٢).

إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»[١].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة»[٤].

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[٥].

* ويا من فقدت أموالك لا تيأس ولا تقنط.

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوض، ولذلك حين خُيِّر يوسف - عليه السلام - بين أن يصاب في دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يصاب في دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين، كما قالت امرأة العزيز للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٦].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٨).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وأحمد (٧٧٩٩) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٦) سورة يوسف: الآية: (٣٢).

حين خُيِّر يوسف (عليه السلام) بين الأمرين كان لا بُدَّ أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1].

وكان مما علَّمه نبى الإسلام لأمته أن يقولوا: «اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»[2].

* فلا داعى لأن تحزن على فوات شيء من الدنيا فالدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء.

* لا تحزن لو فقدت الدنيا بأسرها ما دمت موحداً لله متمسكًا بسنة رسول الله ﷺ.

* ولا تحزن ما دمت آمنًا فى سربك معافًى فى بدنك عندك قوت يومك فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

* لا تحزن فإنه لا ينفعك مع الحزن المال الكثير ولا الزوجة الحسناء ولا كثرة الأولاد ولا المنصب ولا الجاه ولا الدور والقصور.

* وأقول لمن مات أحبابه: لا تيأس وكن راضيًا بقضاء الله (جلَّ وعلا) لتفوز بالأجر العظيم.

روى البخارى أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[3].

وقال ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ - وهو أعلم - فيقولون: حَمِدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدى بيتًا

---

(١) سور يوسف: الآية: (٣٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

في الجنة وسمُّوه بيت الحمد»(١).

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيرًا؛ قال: فمات. فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهى موتَ ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب - أصبح نجيبًا - ولقَّنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قِلالٌ فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىّ. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

* وأقول لمن ظُلم: لا تيأس ولا تقنط فسوف ينصرك الله فى الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»(٢).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحملُ على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنَّك ولو بعد حين»(٣).

* وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعدُ إلى السماء كأنها شرارة»(٤).

* وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجابٌ»(٥).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٤/ ٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧).

(٤) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٨٣ ، رقم ٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨).

(٥) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٧).

- بل وفوق ذلك فإنك ستأخذ من حسنات من ظلمك يوم القيامة.

ففي الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال يومًا لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. فقال ﷺ: «إن المفلسَ من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»[١].

حُكم اليأس

عَدَّ ابن حجر اليأس من رحمته تعالى من الكبائر مستدلاً بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢] وبعد أن ذكر عددًا من الأحاديث المبشرة بسعة رحمته - عزَّ وجلَّ - قال: عَدُّ هذا كبيرة هو ما أطبقوا عليه، وهو ظاهرٌ لما فيه من الوعيد الشديد[٣].

الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة

قال أبو هلال العسكرى:

الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة: أن القنوط أشد مبالغة من اليأس، وأما الخيبة فلا تكون إلا بعد الأمل إذ هى امتناع نيل ما أُمِّلَ، وأما اليأس فقد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده، والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان تعاقب الخيبة والظفر[٤] ويستفاد مما ذكره ابن حجر: أن اليأس ألا يأمل فى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة يوسف الآية: (٨٧).

(٣) الزواجر (ص١١٤).

(٤) الفروق اللغوية (٢٤٠).

وقوع شيء من الرحمة وأن القنوط تصميم على عدم وقوعها [١].

النبى ﷺ يحذر الأمة من اليأس والقنوط

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به. فإن كان لا بُدَّ متمنيًا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى»[٢].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة. وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[٣].

* وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متُّ فاجمعوا لى حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت[٤] فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا[٥] فاذْروه فى اليم، ففعلوا. فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له»[٦].

* * *

(١) انظر الزواجر (١١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٥١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٤) فامتحشت: أى احترقت.

(٥) يومًا راحًا: أى شديد الريح.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٣٤٨١) كتاب التوبة.

لا تحزن... فقد تأتيك المنافع من المصائب

قد تنزل المصيبة بالعبد فـينشغل بها ولا يرى ما خلَّفته من المنح والعطايا التى جاءت من عند الخالق - جل وعلا -.

* فقد تفقد مـالك كله، وإذا بك تجد صديقًا وفيًا يقول لك: هذا مالى بين يديك يا أخى.. فخذ ما شئت و دَعْ ما شئت.

* وقد تذهب صحـتك بمرضٍ شديد فترى ينابيع الوفاء تتـفجر من قلب زوجتك فترى شيئًا ما كان لك أن تراه إلا إذا وقع مثل هذا البلاء.

* وقد يتسلط عليك ظالم وإذا بك تجد إخـوانك يدافعون عنك ويبذلون الغالى والنفيس لنصرتك.

* وهكذا فإن الله لطيفٌ بعباده لا يبتلى أحدًا من عباده بمصيبة إلا ليغفر ذنوبه، أو ليرفع درجته فى الجنة أو ليهدى إليه منحة فى ثوب محنة... فلا تحزن وكن راضـيًا عن الله ولا تنشغل بالمحنة بل انـظر ماذا خلَّفت من المنح والعطايا (١).

كُن راضيًا عن الله

احرص على أن تكون دائمًا وأبدًا راضيًا عن الله.. راضيًا بقضائه وقدره.. واعلم علم اليقين أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما يبتليك ليطهرك ويُقربك.

ومن هنا كان بعض السلف لا يحزن إذا نزلت به مصـيبة؛ لأنه يعلم ما وراءها من الأجر فهو يعدُّها نعمة من نعم الله تعالى عليه.

- عن عقـبة أنه مات ابنٌ له يُقال له يـحيى، فلما نزل فى قبـره قال له رجل: والله إن كان لسـيد الجيش فـاحتسبه. فقـال عقبـة: وما يمنعنى أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

(١) لا تحزن وابتسم للحياة / للمصنف (ص: ٨٣-٨٤).

- وعن سهيل بن الحنظلية الأنصارى - وكان لا يولد له - قال: لأن يولد لى ولد سقط فأحتسبه أحبّ إلىّ من أن يكون لى الدنيا بأجمعها، وكان ابن الحنظلية ممن بايع تحت الشجرة.

- وعن ثابت البنانى أن صلة بن أشيم كان فى غزاة له ومعه ابن له، فقال لابنه: أىْ بُنىَّ تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل، فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية فقالت للنساء: مرحبًا؛ إن كنتن جئتنَّ لتُهنّئننى مرحبًا بكنّ، وإن كنتنّ جئتُنَّ لغير ذلك فارجعن[1].

فالرضا بالقضاء والقدر هو بلسم الجراحات.

روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[2].

المؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه... **يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشىء فلن ينفعوه إلا بشىء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن يضروه بشىء فلن يضروه إلا بشىء قد كتبه الله عليه رُفعت الأقلام وجفت الصحف... فلماذا الاعتراض والتسخُّط على أقدار الله - جلَّ وعلا -؟!**

سأل أحد المرضى بالهواجس والهموم طبيبَ القلق والاضطراب، فقال له الطبيب المسلم: اعلم أن العالم قد فُرغ من خلقه وتدبيره، ولا يقع فيه حركة ولا همس إلا بإذن الله، فلِمَ الهمُّ والغمُّ؟! «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة»[3].

---

(١) لا تحزن وابتسم للحياة / للمصنف (ص ١١٧-١١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

* قال أبو حاتم السجستاني منشداً:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ
وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطأت المكارهُ واطمأنت
وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضُّرِّ وجهًا
ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ
يَمُنُّ به اللطيف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت
فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ[١]

لا تحزن.. وأحسنِ الظن بالله

إن من أعظم النعم أن يحسن العبد ظنه بالله - جلَّ وعلا-.

* ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي[٢]، وأنا معه إذا ذكرني[٣]، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم. وإن تقرب إليَّ شبراً، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا[٤]، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً»** [٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٦).

(٢) معنى قوله: «أنا عند ظن عبدي بي»: المراد بالظن هنا: العلم. قاله ابن أبي جمرة، وقال القرطبي معنى: «ظن عبدي بي»: ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار.

(٣) وقوله: «وأنا معه إذا ذكرني» قال الحافظ ابن حجر: بعلمي.

(٤) والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أن الله - عزَّ وجلَّ- قال: «أنا عند ظن عبدى بى، إنْ ظن بى خيراً فله، وإن ظن شراً فله»[١].

* وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتنَّ أحدُكُم إلاَّ وهو يُحسن الظَّنَّ بالله -عزَّ وجلَّ-»[٢].

* ولذلك كان حسن ظن النبى ﷺ بالله - جلَّ وعلا- لا يستطيع أحد أن يصفه مهما أُوتى من جوامع الكلم... وحسبه أنه لما كان فى الغار قال له أبو بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثُهُمَا»[٣].

* ذكر ابن الوزير فى كتابه «العواصم والقواصم»: «إن الرجاء فى رحمة الله - عزَّ وجلَّ- يفتح الأمل للعبد، ويقوِّيه على الطاعة، ويجعله نشيطًا فى النوافل سابقًا إلى الخيرات».

* وعن سهل القطعى، قال: «رأيت مالك بن دينار - رحمه الله - فى منامى، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعرى، ماذا قَدِمت به على الله - عزَّ وجلَّ-؟ قال: قَدِمت بذنوب كثيرة فمحاها عنى حُسن الظنِّ بالله»[٤].

وأنشد محمود الورَّاق:

حُسن ظنِّى بحسن عفوك يا ... ربِّ جميل وأنت مالكُ أمرى

صُنت سرى عن القرابة والأهـ ... ـل جميعًا وكنت موضع سرى

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٨٣٣)، وصححه العلاَّمة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الجامع» (٤٣١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) حُسن الظن بالله (ص ٩٦).

ثقـــة بالـذى لديك مـن الســـتـ

ـر فـــلا تُخـــزنـى يوم نشـــرى

يوم هتك الـستور عـن حجب الغيـ

ـب فـلا تهـتكنَّ للنـاس ستـرى

لقـنىَّ حُـــجـــتـى وإن لم تكـن يا

ربِّ لى حـجـة ولا وجه عـذرِ[1]

* وقال أحمد بن العباس النمرى:

وإنى لأرجــو الله حـــتى كــأنـنى

أرى بجــميل الـظنِّ مـا الله صــانعُ

* أسأل الله (جل وعـلا) أن يحفظنا من اليـأس والقنوط.. وأن يرزقنا حُسن الظن به حتى آخر لحظة فى حياتنا.

* * *

(١) حُسن الظن بالله (ص١١٦).



صراع مع اللســان

صراع مع اللسان

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يُغوى كثيرًا من الناس لكى يطلقوا العنان لألسنتهم فى السب والقذف والكذب والغيبة والنميمة وسائر آفات اللسان.

* وها نحن نخوض هذه الجولة لنحذر المسلمين من آفات اللسان وليستعملوا ألسنتهم فيما يُرضى الله (جل وعلا) وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان بالضربة القاضية.

فضيلة الصمت

اعلم: أن الصمت يجمع الهمة ويفرغ الفكر.

وفى الحديث، أن النبى ﷺ قال: «من يضمن لى ما بين لحييه،وما بين رجليه أضمن له الجنة»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما»[2].

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أى المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[4].

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٢) حسن: رواه أبو يعلى (٦/ ٥٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٢٤٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٢) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها». قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «أن يسلم المسلمون من لسانك»[١].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، علمنى عملاً يُدخلنى الجنة. قال: «إن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة؛ أعتق النسمة، وفك الرقبة، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف،وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فَكُفَّ لسانك إلا عن خير»[٢].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٣].

وعن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»[٤].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمت كُتب لك أو عليك»[٥].

وعن معاذ ﷺ قال: يا رسول الله، أوصنى. قال: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسكَ فى الموتى، وإن شئت، أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله». قال: «هذا». وأشار بيده إلى لسانه[٦].

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٤/٢٣٨)، والطبرانى (١٠/١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٨٥٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨١٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٣٨٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٠٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٨٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٢٦٣٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٤١).

(٥) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٤/١٣)، والطبرانى (٢٠/١٤٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٨٦٦).

(٦) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (برقم ٢٢، ص ٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٨٧٠).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفِّر اللسانَ؛ فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[1].

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه[2] وما بين رجليه، أضمن له الجنة؟»[3].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذَرَبَ اللسان[4] على حدته»[5].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صمت نجا»[6].

وصح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «والذي لا إله غيره؛ ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

وعن أسلم؛ أن عمر رضي الله عنه دخل يومًا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذُ لسانه، فقال عمر: مَه، غفر الله لك. فقال له أبو بكر: إن هذا أوردني بشرِّ الموارد.

أقسام الكلام

«ويدلك على فضل الصمت أمرٌ، وهو أن الكلام أربعة أقسام:

١- قسم هو ضررٌ محض.

٢- وقسم هو نفعٌ محض.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٤٠٧) كتاب الزهد، وأحمد (١١٤٩٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥١). - تكفر: أي: تخضع وتذل-.

(٢) هو اللسان. واللَّحيان: العظمَان اللذان ينبت عليهما الأسنان، وما بين رجليه: أي الفرج.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٤) ذرب اللسان: حدته، يقال: ذرب لسان الرجل يذرب إذا فسد، وقيل: الذرب اللسان: هو الحاد اللسان.

(٥) وفي رواية: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته». رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة رقم (٥٣٥).

(٦) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٠١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٦٤٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٣٦).

٣- وقسم هو ضرر ومنفعة.

٤- وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أمَّا الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفى بالضرر.

وأمَّا ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع؛ فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع، وهذا الربع فيه خطر؛ إذ يمتزج بما فيه إثم؛ من دقيق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس، وفضول الكلام، امتزاجًا يخفى دركه، فيكون الإنسان به مخاطرًا، ومن عرف دقائق آفات اللسان، علم قطعًا أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب؛ حيث قال: «من صمت نجا». فلقد أوتى - والله - جواهر الحكم، وجوامع الكلم، ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعانى إلا خواص العلماء»[1].

أطايب الكلام تورث سُكنى أعالى الجنان

عن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام»[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطِب الكلام، وأفش السلام، وصِل الأرحام، وصلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنَة بسلام»[3].

وقال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما كان يظن أن

---

(١) الإحياء (٣/ ١٢١).

(٢) حسن: رواه أحمد (٢٢٣٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٣) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٩).

تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»[١].

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله!، حدثني بأمر أعتصم به قال: «قل: ربي الله، ثم استقم». قلت: يا رسول الله!، ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»[٢].

آفات اللسان

*** الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٣].

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أما بعد؛ فإن مَن أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومن عَدَّ كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه».

وعن زيد بن أسلم قال: دُخل على ابن أبي دجانة وهو مريض، ووجهه يتهلل، فقال: ما من عملي شيءٌ أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا»[٤].

*** الآفة الثانية: فضول الكلام:**

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣١٩) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٩٦٩) كتاب الفتن، وأحمد (١٥٤٢٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٨٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٨٦٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣١٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٩٧٦) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩١١).

(٤) الصمت وحفظ اللسان (ص ٧٥، ٧٧).

إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ....﴾[١].

وفضول الكلام مذموم، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة، فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر، ومهما تأدَّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول، أى فضل عن الحاجة، وهو أيضًا مذموم، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر.

وعن الحسن قال: «يا ابن آدم!، بُسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك ملكان كريمان يكتبان عملك، فأكثِر ما شئت أو أقِلَّ».

وكان رحمه الله يقول: «من كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه كثر كذبه، ومن ساء خُلقه عذَّب نفسه».

وكان الربيع بن خثيم يقول: لا خير فى الكلام إلا فى تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك من الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك للقرآن.

*** الآفة الثالثة: الخوض فى الباطل:**

«والخوض فى الباطل هو الكلام فى المعاصى؛ كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق؛ فإن كل ذلك مما لا يحل الكلام فيه وهو حرام. وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها، وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها. ويدخل فيه الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة، وما جرى من قتال الصحابة، على وجه يوهم الطعن فى بعضهم»[٢].

قال الله تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١١٤).

(٢) الإحياء (٣/ ١٢٥).

(٣) سورة المدثر: الآية: (٤٥).

وقال تعالى: ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ...﴾(١) الآية.

وقال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا، يهوى بها سبعين خريفًا في النار»(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل»(٤).

*** الآفة الرابعة: المراء والجدال:**

والمراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ، وإما في المعنى.

والجدال: هو قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه.

فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول، ويبين الصواب، فإن قُبِل منه وإلا ترك المماراة، وهذا إذا كان الأمر متعلقًا بالدين، فأما إذا كان في أمور الدنيا، فلا وجه للمجادلة فيه، وعلاج هذه الآفة بكسر الباعث على إظهار الفضل، وأعظم من المراء الخصومة، فإنها أمر زائد على المراء.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلقه»(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٢) رواه أحمد (٨٩٦٧)، وقال شعيب الأرناؤط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف الزبير بن سعيد.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٧٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح، كما قال العراقي في تخريج الإحياء.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٦٤٨).

وقال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»[(١)].

*** الآفة الخامسة: الخصومة:**

قال الغزالي - رحمه الله - : فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدل، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جداً. اهـ[(٢)].

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ»[(٣)].

وقال أبو جعفر محمد بن علي: إياكم والخصومة؛ فإنها تمحق الدين.

* ومن أجل ذلك شُرِع لنا أن نُصلح بين المتخاصمين من أجل أن تسود المحبة بين أفراد المجتمع المسلم.

قال الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[(٧)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة»[(٨)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٥٣) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٨) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٨٠).

(٢) الإحياء (٣/ ١٥٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٥٧) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٦٦٨) كتاب العلم.

(٤) سورة النساء: الآية: (١١٤).

(٥) سورة النساء: الآية: (١٢٨).

(٦) سورة الأنفال: الآية: (١).

(٧) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٨٩) كتاب الجهاد، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

* وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً، أو يقول خيراً»[١].

وفى رواية مسلم زيادة قالت: ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث، تعنى: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

*** الآفة السادسة: التقعر فى الكلام والتشدق فيه:**

لقد ذم النبى ﷺ التشدق والتقعر وتكلف السجع والفصاحة فقال ﷺ: **«إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»** قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٢] والثرثار هو كثير الكلام تكليفًا، والمتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفصُّحًا وتعظيمًا لكلامه. والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذى يملأ فيه بالكلام، ويتوسع فيه تكبراً وارتفاعًا وإظهاراً للفضيلة على غيره.

عن ابن مسعود ﵁ أن النبى ﷺ قال: **«هلك المتنطعون»**. قالها ثلاثًا[٣].

*** الآفة السابعة: الفحش وبذاءة اللسان:**

* عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذىّ»**[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٢) كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٩١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٠) كتاب العلم.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٣٨٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٠).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «ما مسست ديباجًا ولا حريرًا، ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط، أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أفٍّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لِمَ أفعله: ألا فعلت كذا!!»[٢].

وعن أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[٣].

* **الآفة الثامنة: السب:**

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤].

وفي الحديث: «... وإن امرؤ سبَّك بما يعلم فيك، فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن أجره لك، ووباله على من قاله»[٥].

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربى الربا: شتم الأعراض»[٦].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٧٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٢٧٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٦٣٥).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٠١٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل (٢٩٨)، المشكاة (٥٨٢٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٦٤) كتاب الإيمان.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٠١١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٥٢).

(٦) صحيح: رواه عبد الرزاق عن معمر في الجامع (١١/١٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٣٣).

وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان الرجل أمَّه، وإنَّ أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه»[1].

* **الآفة التاسعة: اللعن:**

فقد قال رسول الله ﷺ: «إنى لم أُبعث لعانًا»[2].

وقال ﷺ: «إنى لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة»[3].

وقال ﷺ: «لا يكون المؤمن لعانًا»[4].

وقال ﷺ: «أوصيك أن لا تكون لعانًا»[5].

وقال ﷺ: «لعن المؤمن كقتله»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغى لصدِّيقٍ أن يكون لعانًا»[7].

* **الآفة العاشرة: كثرة المزاح:**

قال عمر رضي الله عنه: مَن كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح استخُف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قَلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه.

وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بنى لا تمازح الشريف، فيحقد عليك، ولا الدنىء فيجترئ عليك.

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (١ / ١٤٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٧١).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١٩/ ١٨٩)، قال الهيثمى (٨/ ٧٢): فيه من لم أعرفهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٩) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٧٨٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٠١٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٥) كتاب الأدب، ومسلم (١١٠) كتاب الإيمان.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٧) كتاب البر والصلة والآداب.

وكثرة المزاح والإفـراط فيه تؤدى إلى كثرة الضـحك، وقد قال ﷺ : «لا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»(١) .

فإن قلت: قد نُقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فكيف يُنهى عنه؟

فأقول: إن قدرت على ما قدر عليـه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقًّا، ولا تؤذى قلبًا، ولا تفـرط فيه، وتقتصـر فيه أحيانًا على الندور فلا حرج عليك.

*** الآفة الحادية عشرة: رمى المؤمن بالكفر:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»(٢).

وعن ثابت بن الضـحاك رضي الله عنه أن رسول الـله ﷺ قال: «من قذف مـؤمنًا بكفر فهو كقتله»(٣).

*** الآفة الثانية عشرة: السخرية والمزاح:**

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾(٤).

والسـخرية هى النـظر إلى المسخـور منه بعـين النقص، والاسـتهـانة، والتحـقير، والتنبـيه على العيـوب والنقائص على وجه يضـحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء(٥).

ولمَ الاستـهزاء من المؤمنين؟! وقـد قال النبى ﷺ :«رُب أشعث أغبر ذو

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كـتاب الزهد، وصححـه العلامة الألبانى رحـمه الله فى السـلسلة الصحيحة (٥٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٤) كتاب الأدب، ومسـلم (٦٠) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٤٧) كتاب الأدب.

(٤) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٥) انظر: كتاب آفات اللسـان (٥).

طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه»(١).

والنبي ﷺ يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٢).

والباعث على الاستهزاء هو الكِبر كما قال النبي ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٣).

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»(٤).

وقال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٥).

*** الآفة الثالثة عشرة: الكذب:**

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذابًا»(٦).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحًا»(٧).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»(٨).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢) كتاب البر والصلة والآداب، بنحوه.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب.
(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.
(٧) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٣).
(٨) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٨١٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أربعٌ من كُن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر»(٢).

ومن الناس من يكذب ليُضحك الناس، وإذا نهيته عن ذلك قال لك: إنى أمزح، فهذا أو أمثاله قال فيهم رسول الله ﷺ: «ويل للذى يحدث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب ويلٌ له، ويلٌ له»(٣).

وأعظم الكذابين إثمًا، وأكبرهم جرمًا أولئك الذى يكذبون على الله ورسوله، وأما الكذب على الله كتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾(٤).

ويدخل فى ذلك أيضًا أولئك الذين يتجرؤون على الفتوى بدون علم، فتجد أحدهم يفتى فى مسألة ما، فإذا سألته عن الدليل من آية أو حديث تحيَّر وتوقف.

* ووصف الله حال هؤلاء يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٢٩٤٤).

(٤) سورة النحل: الآية: (١١٦).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

أما الكذب على رسول الله ﷺ فقد ثبتت أحاديث كثيرة تبين جزاءه.

فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه في باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ عدة أحاديث، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(١).

* **الآفة الرابعة عشرة: الغيبة:**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٤).

اعلم أنه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

* وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع: «إن دماءكم، وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت»(٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٠) كتاب العلم، ومسلم (٣) في المقدمة.

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٤) سورة ق: الآية: (١٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٥٠) كتاب الأضاحي، ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه في جوف بيته»(١).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»(٢).

ما هي الغيبة؟

لقد عرَّفها النبي ﷺ بقوله: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه»(٣).

قال الغزالي - رحمه الله -: اعلم أن حدَّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خُلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتى في ثوبه، وداره، ودابته.

أما في البدن: فذكرك العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف بما يكرهه كيفما كان.

وأما النسب: فبأن يقول: أبوه نبطي، أو هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو زبّال، أو شيء مما يكرهه كيف كان.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/٤٨٧٨) كتاب الأدب، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢١٣) والصحيحة (٥٣٣) و«صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

وأما الخلق: فبأن تقول: سيئ الخلق، أو بخيل، أو متكبر، أو شديد الغضب، أو جبان عاجز، أو ضعيف القلب، أو متهور، وما يجرى مجراه.

وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين: فكقولك هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع أو السجود، أو لا يحترز من النجاسات، أو ليس بارًا بوالديه، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يصون صومه عن الرفث، والغيبة، والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا: فكقولك: إنه قليل الأدب متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًّا، أو يرى لنفسه الحق على الناس، وإنه كثير الكلام، كثير الأكل، نؤوم، ينام فى غير وقت النوم، ويجلس فى غير موضعه.

وأما فى ثوبه: فكقولك إنه واسعُ الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب. اهـ[1].

وينبغى إذا عرضت له الغيبة أن يفكر فى عيوب نفسه، ويشتغل بإصلاحها، ويستحى أن يعيب وهو معيب، كما قال بعضهم:

فإن عبت قومًا بالذى فيك مثله
فكيف يعيب الناس من هو أعورُ
وإن عبت قومًا بالذى ليس فيهم
فذلك عند الله والناس أكبرُ

وإن ظن أنه سليم من العيوب، فليتشاغل بالشكر على نعم الله عليه، ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة، وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له، فينبغى أن لا يرضاها لغيره من نفسه.

فلينظر فى السبب الباعث على الغيبة، فيجتهد على قطعه، فإن علاج

---

(١) الإحياء (١٦٠٠).

العلة يكون بقطع سببها، وقد ذكرنا بعض أسبابها، فيعالج الغضب بما سيأتى فى علاج الغضب، ويعالج موافقة الجلاس بأن يعلم أن الله تعالى يغضب على من طلب رضا المخلوقين بسخطه، بل ينبغى أن يغضب على رفقائه، وعلى هذا معالجة البواقى.

وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظن بالمسلمين.

والظن ما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب، فليس لك أن تظن بالمسلم شرًا إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل، فإن أخبرك بذلك عدل، فمال قلبك إلى تصديقه كنت معذورًا، لأنك لو كذبته قد أسأت الظن بالمخبر، فلا ينبغى أن تحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغى أن تبحث، هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذٍ بسبب ذلك، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغى أن تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقى إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة.

وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه فى السر.

واعلم: أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهى عنه؛ لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم[1].

المغتاب والمستمع للغيبة وزرهما سواء

واعلم أيها الأخ الحبيب أن الذى يستمع للغيبة مشارك للمغتاب فى الوزر... والدليل على ذلك أنه فى قصة توبة ماعز الأسلمى رضي الله عنه جاء فى بعض الروايات أنه لما رجم رسول الله ﷺ «ماعزًا» فى الزنا قال رجل

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢١٣-٢١٥).

لصاحبه: هذا رُجم رَجم الكلب فمر رسول الله ﷺ وهما معه بجيفة فقال: «انهشا منها» فقالا: ننهش جيفة؟! فقال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[١].

* والشاهد هو قول النبى ﷺ: «ما أصبتما» فحكم على المستمع أنه إن لم يدفع الغيبة عن أخيه فهو والمغتاب فى الوزر سواء.

رُد عن عِرض أخيك المسلم

ومن أجل ذلك حضّنا النبى ﷺ على أن نردّ الغيبة عن إخواننا.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٣].

* وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه فى حديثه الطويل المشهور قال: قام النبى ﷺ يصلى فقال: «أين مالك بن الدخشم؟» فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال النبى ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»[٤].

* وعن كعب بن مالك رضي الله عنه فى حديثه الطويل فى قصة توبته.

قال: قال النبى ﷺ وهو جالس فى القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٤/١٤٨)، والنسائى بسند جيد وأصله فى صحيح مسلم.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٤/١٩٣١) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٢) و«صحيح سنن الترمذى» (١٥٧٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١١٨٦) كتاب التهجد، ومسلم (٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

مالك؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرداه، والنظر في عِطفيه. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

مباحات الغيبة

* قال الإمام النووي - رحمه الله -:

اعلم أن الغيبة تُباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو بستة أسباب:

الأول: التظلُّم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردِّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا؛ فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٥٧) كتاب المغازي، ومسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

* بُرداه: البُرد: رداء يُلبس فوق الثياب أو كساء مخطط. عطفيه: جانبيه، والمراد به إعجاب بنفسه ولباسه.

منهـا: جـرح المجروحـين من الرواة والشـهـود، وذلك جائـز بإجمـاع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنهـا: المشـاورة فى مصـاهرة إنسـان، أو مشـاركـته، أو إيداعـه، أو معـاملتـه، أو غيـر ذلك، أو مجـاورته، ويجب على المشاور أن لا يخـفى حاله، بل يذكر المساوئ التى فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متـفقهًـا يتردد إلى مبـتدع، أو فاسق يأخـذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصـيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيـحة، وهذا مما يُغلَط فـيه، وقد يـحمل المتكلم بذلك الحـسد، ويُلبِّس الشيطان عليه ذلك، ويُخيل إليه أنه نصيحة فليتُفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهـها: إما بألا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فـاسقًا، أو مغفلاً، ونحو ذلك، فـيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولى من يصلـح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسـعى فى أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجـاهرًا بفسقـه أو بدعته كـالمجاهر بشرب الخـمر، ومـصادرة الناس، وأخـذ المكس، وجـبـاية الأموال ظلـمًا، وتولى الأمـور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهـر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناهُ.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهما جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهـذه ستة أسـباب ذكرها العلمـاء وأكثرها مُـجمع عليـه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة، فمن ذلك: [1]

---

(١) رياض الصالحين (ص: ٤٤١، ٤٤٢).

* عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبى ﷺ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة؟»[1].

احتج به البخارى فى جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب.

* وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ، فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطبانى؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية، فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عانقه»[2].

وفى رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضرَّابٌ للنساء» وهو تفسير لرواية: «لا يضع العصا عن عاتقه» وقيل: معناه: كثير الأسفار.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبى سفيان للنبى ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم؟ قال: «خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف»[3].

كفارة الغيبة

الواجب على صاحب الغيبة الندم، والتوبة، والإقلاع وترك الإصرار، واختلفوا:

هل من الواجب طلب الصفح ممن اغتابه أم لا؟

فقال الحسن - رحمه الله تعالى-: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال.

وقيل: بل عليه أن يستحل من اغتابه، فقد سُئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة، فقال:

«أن تمشى إلى صاحبك فتقول له: كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٤)، مسلم (٢٥٩١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٨٠) كتاب الطلاق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٦٤) كتاب النفقات، ومسلم (١٧١٤) كتاب الأقضية.

* قال الغزالي: وهذا هو الأصح.

قلت: وعلى أخيه أن يقبل عذره. قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [(١)].

فإن كانت المصارحة ستؤدى إلى ضرر أشد، أو تعذَّر اللقاء لأسباب، فالتوبة تكفى - إن شاء الله -.. مع ذكر محاسن من اغتابه، وكثرة الثناء عليه و﴿الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

*(فإن لم توجد ثمة عوائق فالواجب المصارحة وطلب العفو)[(٢)].

قال ﷺ: «من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرضٍ أو مالٍ، فَلْيَتَحلَّلْهُ اليوم، قبل أن يُؤخذَ منه يومَ لا دينارَ ولا درهمَ، فإن كان له عملٌ صالحٌ، أُخذ منه بقدر مظلَمته، وإن لم يكن له عملٌ، أُخذ من سيِّئات صاحبه فجُعلت عليه»[(٣)].

*** الآفة الخامسة عشرة: النميمة:**

والنميمة: هى نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

ولقد حذرنا الله من النمام فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[(٤)]، أى الذى يمشى بين الناس بالنميمة.

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة نمام»**[(٥)].

وعن ابن عباس ﷺ: أن النبى ﷺ مرَّ بقبرين يعذَّبان فقال: **«إنهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان فى كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يمشى بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**[(٦)].

* * *

(١) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٢) موسوعة الحقوق الإسلامية/ سعد أبو عزيز (ص: ٤١٢، ٤١٣) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٤) كتاب الرقاق.

(٤) سورة القلم: الآيتان: (١٠، ١١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

شؤم النميمة

روى أن رجلاً رأى غلامًا [١] يباع، وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسَرّى[٢].

وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك. فقالت فى نفسها: نعم.

واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها.

ثم جاء إلى زوجها. وقال: سيدى.

إن سيدتى قد اتخذت لها صديقًا ومُحبًّا غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به!!

وصدَّق سيده. فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه:

والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه. فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم.

*** الآفة السادسة عشرة: خصلة ذى اللسانين:**

وهو أشر من النمام؛ وذلك لأن النمام قد ينقل الكلام من جهة واحدة أما هذا فإنه الذى يتردد بين متخاصمين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه أو يعده أنه ينصره أو يثنى على الواحد فى وجهه ويذمه عند الآخر.

(١) أى غلامًا رقيقًا (عبدًا).

(٢) يعاشر جاريته (الرقيقة) معاشرة زوجته.

قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»(١).

وقال ﷺ: «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث»(٢).

وعن محمد بن زيد أن أناسًا قالوا لجده عبد الله بن عمر: إنا لندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده، فقال: كنا نعد ذلك نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ (٣).

واعلم: أن هذا فيمن لم يضطر إلى ذلك، فأما إذا اضطر إلى مداراة الأمراء جاز.

*** الآفة السابعة عشرة: قذف المحصنات:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟

قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٥).

ومعنى قذف المحصنات: أى سَبُّهُنَّ ورميهن بالزنا.

*** الآفة الثامنة عشرة: اليمين الغموس (الكذب):**

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٨١٨) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٧٨) كتاب الأحكام.

(٤) سورة النور: الآية: (٢٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

مسلم بغير حقه. لقى الله وهو عليه غضبان»[١].

وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «شاهداك أو يمينه» قلت: إذن يحلف ولا يبالى فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين صبر[٢] يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان»[٣].

* الآفة التاسعة عشرة: شهادة الزور:

قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٤].

وعن أبى بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» - ثلاثًا - قلنا: بلى يا رسول الله. قال «الإشراك بالله،وعقوق الوالدين» - وكان متكئًا فجلس - فقال: «ألا وقول الزور،وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٥].

* الآفة العشرون: إفشاء السر:

* لا شك أننا نعيش زمانًا قَلَّ أن تجد فيه أمينًا على أسرار الناس. فأكثر الناس - إلا من رحم الله - لا يحفظ سرًّا بل يذيعه وينشره... مع أن إفشاء الأسرار ضرب من ضروب الخيانة.

* وكم من رجل أذاع سر صاحبه فكان ذلك سببًا فى تحطيم حياته.

* ومن أجل ذلك جاء الحديث عن فضل حفظ أسرار الناس والحضِّ على الحفاظ عليها؛ لِيَسلم المجتمع من الكره والحقد والضغينة بل يسوده

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٥٧) كتاب المساقاة، ومسلم (١٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) صبر: جرأة وإقدام.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٥٧) كتاب المساقاة، ومسلم (١٣٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الحج: الآية: (٣٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥١٦) كتاب الرهن، ومسلم (١٣٨) كتاب الإيمان.

الحب والوئام ويعيش المسلمون فى سلام.

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[١].

وقال ﷺ: «إذا حدَّث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة»[٢].

*** الآفة الحادية والعشرون: الحلف بغير الله:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٣].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر -أو أشرك-»[٤].

وعن قتيلة بنت صيفى رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: «من حلف فليحلف برب الكعبة»[٤][٥].

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٦٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٥٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٤٣٧٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٧٩) كتاب الشهادات، ومسلم (١٦٤٦) كتاب الأيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٤٢).

(٥) بتصرف من (موسوعة الحقوق الإسلامية) / للمصنف.



صراع مع
الإشاعات

صراع مع الإشاعات

وها هى جولة أخرى نخوضها ضد الشيطان بعد أن استطاع أن يزين فى قلوب كثير من الناس الحب الشديد لنشر الإشاعات فكان ذلك سببًا فى تفتيت الصف الواحد ووقوع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع.

* وها نحن نخوض هذه الجولة عسى أن نوضح لإخواننا وأخواتنا خطورة الخوض فى أعراض الناس ونشر الإشاعات بين أفراد المجتمع... ولنفوز على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية - إن شاء الله -.

الإشاعة وأثرها السيئ على المجتمع الإسلامى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الإشاعة تُعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص، وللإشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأى الواحد، وتوزيعه وبعثرته، وأمتنا الإسلامية تواجه الإشاعة والتخطيط من إيجاد الثغرات وفتح الجبهات وتفريق الصف من قِبل أعدائها، وهذا المكر والكيد سنة ماضية وباقية من أول البعثة النبوية إلى ما شاء الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [1] ، إذن العداء والصراع بين الحق والباطل واضح ومستمر، وإن تنوعت الوسائل؛ لأن الهدف الذى يريدونه واحد، كما أخبر الله به: الردة عن الدين.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٧).

ومن ثم فلا غرابة فيما نرى ونسمع من التخطيط على المدى البعيد ومن التنفيذ المباشر كلما سنحت لهم الفرصة، مستميتين فى بثٍّ باطلهم بشتَّى الوسائل والسُّبل، وكل هذا ليس بغريب علينا، وإنما الغريب أن يساعد فى نشر أذاهم شريحة من المسلمين(١).

نعنى بذلك بعض الغيورين الذين خرجت عاطفتهم وحماستهم عن الحد الشرعى، فأعانوا على زيادة الجراح من تصديقٍ أو نشرٍ للإشاعة التى تسرى فى جسد الأمة سريان النار فى يابس الحطب، وتُفسد فى لحظات ما يفسد غيرها فى ساعات.

ولما كان للإشاعة سوق رائجة وبضاعة نافقة، أردت أن أقدم هذه النصيحة المتواضعة إلى إخواننا الدعاة خاصة، وإلى المسلمين عامة؛ سائلين الله تعالى الإخلاص فى القول والعمل.... اللهم آمين.

تعريف الإشاعة:

الإشاعة لغة: فى اللغة مأخوذة من شاع الشئ إذا انتشر وشاع الخبر، أى: ذاع. والإشاعة: الأخبار المنتشرة، ويقال رجل مشياع: أى مذياع لا يكتم سرًّا.

وفى الاصطلاح: بثُّ خبرٍ من مصدرٍ ما، فى ظرف معين، ولهدف ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين... وهى أيضًا الأحاديث والأقوال والأخبار والقصص التى يتناقلها الناس، ويروونها دون التثبت من صحتها، أو التحقق من صدقها،... وتُعرف الإشاعة أيضًا بأنها أخبار مشكوك فى حجتها.

*   *   *

---

(١) لا نعنى أولئك الذين هم محسوبون على الإسلام. فهذا النوع من الناس أدوات مسيَّرة مخلصة فى ولائها لأعداء الإسلام، فهم يهددون حصوننا من الداخل، وهم أسرع الناس إلى الفتنة، فنحن تاركون لهذا الصنف غير آسفين عليهم فهم ليسوا المعنيين بالحديث.

الإشاعة فى التاريخ

الإشاعة قديمة قِدم الإنسان ويُنتظر أن تعيش ما عاش الإنسان، ولا يكاد يخلو مجتمع منذ فجر التاريخ من إشاعة، لأن النفس الإنسانية فيها القابلية لهذا الأمر ما لم تتهذب بميزان الإسلام.... وتاريخ الأنبياء - عليهم السلام - يشهد لذلك، فهذا نوح - عليه السلام - اتُهم من قومه بأنه: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[1] أى يتزعم ويتأمر، وهود - عليه السلام - يواجه التقولات والتخرصات الشبيهة، وموسى - عليه السلام - يُتهم من قِبل فرعون بالسحر والتآمر فيشاع هذا الخبر بين الملإ، ويشيع عنه بنو إسرائيل أنه آدر، وقصة يوسف - عليه السلام - على رغم التكتم والتحفظ الإعلامى الشديد من قِبل قصر العزيز فإن إشاعتها قد تفشّت فى نساء مصر، وغيرها من القصص التى يرويها لنا القرآن من سيرة الأنبياء والصالحين.

أما نبينا ﷺ فقد واجه منذ بداية الدعوة حملات الإشاعة والتشكيك، ومنها ما قالوا عنه فى مكة من أكاذيب: كتهمة الجنون والسحر والكذب، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد وكان يُنزل على نبيه ﷺ من سبع سماوات آيات تكذبهم وتسفههم ويبرئ نبيه ﷺ من أكاذيبهم.

أما فى الفترة المدنية فقد استمرت الإشاعات بل ازدادت وتضاعفت، وصار يخلقها ويديرها أساطين الشر: اليهود، والمنافقون، ولولا تماسك البنية الاجتماعية الإسلامية لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكن التهذيب الإسلامى للمجتمع أو تأكيده على وحدة كلمة المؤمنين وطاعة الرسول ﷺ فوّت على أعداء الله أغراضهم، أما الإشاعة فى الميدان العسكرى من حياته ﷺ فكانت لا تنقص كثيرًا من حياته الدعوية.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٢٤).

*** مصادر الإشاعة:**

غالبًا ما تكون الإشاعة من شخص أو إعلام أو من رسالة أو شريط مسجل أو الإنترنت، فهذه الوسائل هى طرق تناقل الأخبار بين الناس ولذا على ناقل الخبر أن يتثبت فى كل ما يقال، وليحذر أن يبادر بالتصديق الفورى، فإن الأصل البراءة التامة، وتلك الإشاعة ناشئة طارئة، والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى تقوم الأدلة الوضحة على ذلك الخبر.

*** دوافع الإشاعة:**

للإشاعة دوافع كثيرة نذكر منها:

* حب الظهور والتصدر ممن يختلق الإفك.

* **الشماته**: ذلك بأن يكون الدافع والمحرك لنشر الإشاعة وترويجها بين الناس الشماتة بصاحبها والوقيعة فيه، والعياذ بالله.

* **الفضول**: وهذا حال أغلب من يروج للإشاعة، فإن إصغاء السامعين لحديثه وشخوصهم بأبصارهم إليه وتشوقهم لسماع كل ما يقول، دافع من أعظم الدوافع لنشر الإشاعة، هذا إن سلم من زيادة فى الكلام بغية تشويقهم وتعلقهم بما يقول.

* **قطع أوقات المجالس بذكرها**: من المعلوم المُشاهَد أن أغلب الحاضرين يريدون أن يدلوا بدلائهم، مشاركين بالمشاركة فى الكلام والنقاش، ويرون السكوت نقصًا فى حقهم، فنراهم يذكرون هذه الإشاعات بقصد المشاركة فى الحديث بغضِّ النظر عما يترتب على نقل ذلك.

*** أسباب رواج الإشاعة:**

* حب الفضول والدافع الغريزى من المستمعين.

* الشعور بالنشوة من ناقل الإشاعة عندما يرى إصغاء السامعين له وإعجابهم به.

* عدم تصور النتائج من الناقل والمنقول له فى حالة بطلان الإشاعة.
* ضعف الوازع الدينى عند ناقل الإشاعة.
* عدم محاسبة النفس وتفقدها.

ميزان الإسلام فى تقييم الإشاعة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١) .

وقال ﷺ : «كفى بالمرء كذبًا، أن يحدث بكل ما سمع»(٢) .

وفى رواية: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما يسمع»(٣) .

ويقول الإمام مالك -رحمه الله -: «اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع».

وقال المناوى: «أى إذا لم يتثبت؛ لأنه يسمع عادة الصدق والكذب؛ فإذا حدَّث بكل ما سمع لا محالة يكذب، والكذب الإخبار عن الشىء على غير ما هو عليه وإن لم يتعمد لكن التعمد شرط الإثم».

وقال ﷺ عن الذين ينقلون كل ما يسمعون: «بئس مطية الرجل زعموا»(٤)، لأن كلمة: (زعموا) مذمومة فى كثير من مواردها.

وقال الإمام البغوى - رحمه الله - فى «شرح السنة»: «إنما ذم هذه اللفظة؛ لأنها تُستعمل غالبًا فى حديث لا سند له، ولا ثبت فيه، وإنما هو شىء يُحكى على الألسن، فشبَّه النبى ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥) فى مقدمة صحيحه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٢) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٨٠).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٧٢) كتاب الأدب، وأحمد (١٦٦٢٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٤٦).

به إلى حاجته من قولهم: زعموا، بالمطية التى يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذى يؤمه، فأمر النبى ﷺ بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فلا يروى حديثًا حتى يكون مرويًا عن ثقة».

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدى: «لا يكون الرجل إمامًا يُقتدى به؛ حتى يمسك عن بعض ما سمع»(١).

ماذا يجب على ناقل الإشاعة؟

يجب عليه أن يتقى الله تعالى فى نفسه ويراقبه فى كل ما يقول ويفعل، وأن يتذكر أنه مُحاسَب على كل كلمة يقولها، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (٣)، وقال ﷺ: «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه: أضمن له الجنة»(٤).

وأن يقدم حسن الظن بأخيه المسلم، وأن يُنزل أخاه المسلم بمنزلته.

وأن يكون قصده سليمًا لا لوث فيه، كأن يستغل ذكر الإشاعة للتنفيس عن نفسه مما يجد فى صدره عن المنقول عنه، فليحذر المسلم من هذا المسلك المشين، . . . قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٥).

وأن يسارع أولاً فى استشارة أهل العلم والفصل فى أمر هذه الإشاعة، وعليه أن يأخذ بمشورتهم فإنهم أدرى بالمصلحة بحكم علمهم وتجربتهم.

وأن يكون مقصده من نقل الإشاعة التأكد من صحتها إلى المنقول عنه؛

(١) مقدمة مسلم.
(٢) سورة ق: الآية: (١٨).
(٣) سورة الانفطار: الآية: (١٠).
(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.
(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٣٥).

فعليه أن يبين هذا لمن يستمع إليه حتى يستنير بآرائهم حول هذا الخبر.

على ناقل الإشاعة أن يحثّ السامعين على التثبت والتروى والتأكد فى نقلهم عنه؛ لأنه المصدر الأصلى لهم، وكل كلام يخرج منهم مقيد عليه ومنسوب إليه، والأفضل نقل الكلام بنصِّه كاملاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وقديمًا قالوا: «وما آفة الأخبار إلا رواتها».

وأن يتروى ويتثبت فى كل ما يقول، وأن يحذر من الزيادة فى الكلام، وأن لا ينقل إلا ما كان متأكدًا منه أو من رؤيته حتى تبرأ ذمته.

وأن لا يتحدث بما سمعه ولا ينشره؛ فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت فى مهدها.

ويجب عليه الإعراض عما يقوله الكذابون والمنافقون والمغتابون وأصحاب القلوب المريضة، وعدم السماح لهم وعدم الرضى بذلك.

- والإشاعة إذا حوصرت بهذه الأمور فإنه يمكن أن نتفادى آثارها السيئة على المجتمع الإسلامى.

ماذا يجب على المسلم عند سماعه الإشاعة؟

أولاً: أن ينظر فى حال الناقل، هل هو عدل أم فاسق أو ما بين ذلك؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١).

ثانيًا: عليه أن يُذكِّر الناقل بالله تعالى وأنه مُحاسَب ومُؤاخَذ على كل كلمة يلفظ بها، وأن يحثه على التروى وعدم العجلة فى نقله.

ثالثًا: أن لا يبادر بتصديق الإشاعة فورًا، خاصة إذا لم تكن الأدلة والقرائن كافية، حتى لا ندخل فيمن عناهم الله بقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٦).

وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١).

رابعًا: إذا كانت الإشاعة عن شخص موسوم بالخير فينبغى أن يحمل على المحمل الحسن ويلتمس له العذر الشرعى، فإن لم يجد له مسوغًا فى ما نُسب إليه، فعلى المنقول له أن يُذكِّر الناقل بأن الواجب فى هذه الحالة النصح والتوجيه حتى يستقيم الخلل الذى سبب وجود الإشاعة.

أما المنقول عنه:

لا يخلو من نُسبت إليه الإشاعة فى الجملة من أمرين اثنين: إما أن يكون معلومًا أو مجهولاً: فإن كان معلومًا من الذين شُهد لهم بالخير والصلاح وخاصة العلماء أو من عامة المسلمين فعلى الإنسان أن يتقى الله ويمسك لسانه عن الخوض فى أعراضهم خاصة العلماء المشهود لهم بالخير والتمسك بالسنة وحسن المعتقد؛ لأنهم سادة الأمة وقادتها ونورها ولا خير فى قوم لا يعرفون لعلمائهم قدرهم. قال ﷺ : «**من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**»(٢) وإن كان من نُسبت إليه الإشاعة غير موسوم بالخير؛ فليحذر الناقل أن يزيد عليه حتى لو كان عدوًا له، فإن هذا من الظلم والكذب، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

أما إن كان الشخص مجهولاً فالحق أن يلحق بالذى قبله، ولا يُجوِّز ناقل الإشاعة لنفسه التقوُّل عليه بدون تثبت؛ فالجهالة لا تشفع للقول بلا علم؛ فقد يبلغ الخبر ذاك المجهول فيحمل على من تكلم فيه بغير حق.

---

(١) سورة النور: الآية: (١٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٢ ٢٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٤٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

طرق دحض الإشاعة

تذكير الناقل بالله تعالى، وتحذيره من مغبة القول بغير علم، وتذكيره بالعاقبة المتحصلة إذا كانت الإشاعة كذبًا أو مبالغًا فيها: ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1] .

- عدم التعجل فى تقبل الإشاعة دون استفهام أو اعتراض.

- عدم ترديد الإشاعة؛ لأن فى ترديدها زيادة انتشار، مع ما يضاف إليها من الكذب أو عدم ضبط النقل.

- اقتفاء خط سير الإشاعة وتتبع مسارها للوصول إلى جذورها ووضع اليد على مُطلقيها ومحاسبتهم بحزم.

- عدم المبالاة ولا إظهار التعجب والاهتمام عند سماعها.

- يجب التشكيك فى صحتها حتى يتناقلوا الإشاعة فيجعلهم يراجعون أنفسهم قبل بثَّها.

آثار الإشاعة على المجتمع الإسلامى

للإشاعة آثار سيئة جداً على المجتمع ملخصها ما يلى:

* اتهام البرىء بما ليس فيه.

* تلوث الذمم والألسنة نتيجة الخوض فى أمور بلا تثبت.

* انعدام الثقة المتبادلة فى المجتمع.

* شماتة الناس، وخاصة إذا كان منشأ الإشاعة من العاملين فى حقل الدعوة وشباب الصحوة، . . . ومن أراد أن يستزيد من الآثار الوخيمة للإشاعة فعليه مراجعة حادثة الإفك التى تُعتبر أم الشائعات.

(١) سورة الحجرات: الآية: (٦).

وختامًا: نجد للإشاعة دورًا كبيرًا فى هذا العصر؛ حيث استغلت ضد المسلمين استغلالاً كبيرًا؛ وأنشأت ثغرات وتمزقًا فى الصف، خاصة حين كان مصدر الشائعات من الداخل كانت الشائعات مصدرها من داخل الصف من أُناس جهلة أو لهم هوى خفى أو ظن مخطئ.

أما أعداء الإسلام فهم يستخدمون الشائعات ضد المسلمين وخاصة ضد علمائهم وقادتهم ودعاتهم من إنشاء وتلفيق الأكاذيب والاتهامات للعلماء والدعاة لزعزعة الثقة بهم والانصراف عنهم، فكم من العمماء والدعاة قيل عنهم إنهم عملاء وأصحاب مناصب ودنيا ! وكذلك يتصيدون الأخطاء العلمية والعملية وينشرونها بين الناس ويعطونها حجمًا كبيرًا، ويجعلون من الحبة قُبة.... والله المستعان.

اللهم ألّف بين قلوب المسلمين عامة وبين دعاتهم وشبابها خاصة، وأصلح ذات بينهم.

واجعلهم يدًا واحدة وكلمة واحدة وصفًا واحدًا، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

* * *



صراع مع التدخين

صراع مع التدخين

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس حب التدخين فوقع كثير من الناس فى ذلك الفخ وأنفقوا الأموال الكثيرة وفرطوا فى صحتهم وصحة مَن حولهم وأغضبوا ربهم بالوقوع فيما حرم الله عليهم.

* وها نحن نخوض هذه الجولة لنُحذر المسلمين من خطر التدخين ومغبته فى الدنيا والآخرة.. ليتوبوا إلى الله (جل وعلا) وليُقلعوا عن التدخين فنكون بذلك قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

التدخين بلاءٌ شديد

إنّ بلاء التدخين الذى انزلق فيه كثيرٌ من الناس بقدر وضوح أخطاره وأضراره بحيث لا يمترى بشأنه مَن كان عنده أدنى مسكة من عقل، إلا أن زحفه نحو الناس لا يزال مستمرًا، وأعداد المدخنين تتزايد يومًا بعد آخر.

وفى الصفحات التالية نطوف بين عدد من الحقائق والأبحاث والدراسات العلمية المقرونة بالأرقام الإحصائية، وذلك بغية إقامة الدليل الوجدانى وإيجاد الوازع القوى فى تخاطب المدخن مع نفسه.

ليكون القرار هو أن يترك التدخين، لا أن يتركه التدخين، فإنه إن ترك التدخين كان ذلك خيرٌ له فى الآخرة والأولى، أما إن تركه التدخين فمقتضى ذلك أن يلقى ربه ولا زال دمه وجسده ملوثًا بالنيكوتين والقطران

كما أن صحائفه مسودة بسواد خطيئة التدخين، إلا من رحم الله وتاب عليه[١].

حوار مع مُدخن

وفى هذه الجولة بالذات أريد أن أُجرى حواراً مع أخى المدخن لنأخذ بيديه إلى بَرِّ الأمان فيُقلع عن التدخين ونكون قد انتصرنا على الشيطان الرجيم. . . وأنا هنا سوف أتخيل حوارًا يدور بينى وبين أخى المدخن.

* أخى الحبيب: أريد أن أسألك أسئلة كثيرة جدًّا.
* وأريد منك إجابات مُقنعة:
* **أخى الحبيب: لماذا تدخن؟**

وستأتى الإجابة مختلفة... فمنهم من يقول: إنها عادة سيئة تعودت عليها. . ومنهم من يقول: اللى مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين. . . ومنهم من يقول: أنا لا أشربها بإرادتى ولكن لأنى مصاب بتوتر وضغط عصبى. . . ومنهم من يقول: المشكلة فى أصدقاء السوء والمجاملات. . ومنهم من يقول: لقد رأيت بطل الفيلم يشربها فشربتها. . وهكذا تعددت الإجابات، وليس فيها إجابة واحدة مُقنعة.

هل التدخين من الطيبات أم من الخبائث؟

بداية: ما من شك أن التدخين فعلٌ قبيح وعملٌ محرَّم، ولا يمترى فى ذلك أىُّ أحد، خاصة وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك ما تنطوى عليه السجائر من السموم القاتلة المسببة للأمراض البشعة، ولم يعد مكان لذلك الجدل العقيم الذى يعتذر به بعض المدخنين حين يقول إن التدخين ليس

(١) أخى المدخن إما التدخين أو . . / خالد بن عبد الرحمن الشايع (ص: ٥-٦).

محرمًا، أو يقول: إن التدخين مكروه وليس حرامًا، ونحو هذه الأعذار.

ولو قلنا لأي عاقل: في أي نوعى المطعومات أو الأشياء تصنف السجائر؟ في الطيبات أم في الخبائث.

لكان الجواب واحدًا، وهو أن السجائر من الخبائث في ذاتها وفي ريحها وطعمها وما يترتب عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[1].

ولا ريب أن شريعة الإسلام قد جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وإلغاء المفاسد وتقليلها، ولم يعد خافيًا أن التدخين طريق مؤدٍّ للهلاك الشنيع.

والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[3].

وضرر التدخين واضح جلي لا يرتاب فيه مرتاب، وقد قال النبي الكريم ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[4].

وكان من صفات نبينا الكريم ﷺ التي أثنى الله بها عليه في كتابه العظيم، أنه عليه الصلاة والسلام: ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[5].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٤) رواه أحمد وابن ماجة وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٧).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٦) سورة الأحزاب: الآية: (٥٨).

* فالتدخين فيه إيذاء لكل من حولك - وهو ما يُسمَّى بالتدخين السلبي-.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

فانظر كم من الوقت يضيع منك فى تدخين السيجارة.. وكان من الممكن أن تستثمر هذا الوقت فى طاعة الله (جل وعلا).

* وقال تعالى فى وصف طعام أهل النار: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[2].. فالسيجارة مثل هذا الطعام فهى لا تُسمن ولا تُغنى من جوع.

* فالدخان حرام ولا يستطيع إنسان عاقل أن ينكر ذلك أبداً.

ومن قال إنه مكروه نقول له: إن النبى ﷺ قال: «فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[3].

* وأما عن أدلة السنة على تحريم الدخان فسوف أكتفى بذكر دليلين اثنين فقط:

قال النبى ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[4].

وقال النبى ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[5].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٢) سورة الغاشية: الآيتان: (٦-٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٤١) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٨٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥١٧).

(٥) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[١].

* وهناك أدلة أخرى كثيرة ستراها فى سياق هذا الموضوع.

فتاوى علماء المسلمين

وسأذكر لحضراتكم بعض فتاوى علماء المسلمين لتوقنوا أن التدخين حرام:

* فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله-: شرب الدخان حرام، والاتجار به حرام، لما فيه من الضرر وقد روى فى الحديث: «لا ضرر ولا ضرار»... لأنه من الخبائث، وقد قال تعالى فى صفة النبى ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[٢].. وبالله التوفيق...

* فتوى مفتى الديار المصرية السابق نصر فريد واصل - حفظه الله-: التدخين حرام شرعًا ... أصدرت دار الإفتاء المصرية حكما شرعيًا بالحرمة القطعية للتدخين.. جاء فيها أن العلم قد قطع فى عصرنا الحالى بأضرار استخدامات التبغ على النفس.. لما فى التدخين من أضرار تصيب المدخن وغيره ممن يخالطونه.. ولما فيه من إسراف وتبذير نهى الله عنهما... والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٣]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]. وعليه فإن التدخين حرام بكل المقاييس الشرعية..

---

(١) صحيح: رواه الدارمى (٥٣٩) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٣) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

لو كنت حرًا فافعل ما شئت !!!

* أخى الحبيب: أريد أن أحكى لك قصة رائعة إنها قصة توبة العالم العابد بشر الحافى - رحمه الله -.

حُكى أن بِشرًا كان فى زمن لهوه فى داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطربون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدقَّ الباب. فخرجت إليه جارية فقال: صاحب هذه الدار حرّ أو عبد؟ فقالت: بل حرّ! فقال: صدقتِ، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافيًا حاسرًا وقد ولى الرجل فقال للجارية: ويحك! مَن كلَّمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقالت: أى ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: يا سيدى! أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد علىَّ الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبدٌ عبدٌ! ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عُرف بالحفاء. فقيل له: لِمَ لا تلبس نعلاً؟ قال: لأنى ما صالحنى مولاى إلا وأنا حاف. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات[1].

* **ولذا فأنا أريدك قبل أن تُشعل السيجارة أن تسأل نفسك: هل أنت عبدٌ أم حُرٌّ**.. فلو كنت عبدًا فاعلم أن الله قد حرَّم الدخان وإن كنت حرًّا فافعل ما شئت لكن تذكَّر قول الله (جل وعلا): ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[3].

---

(١) كتاب التوابين / لابن قدامة المقدسى (ص: ٢١٧).

(٢) سورة النور: الآية: (٥١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

هل هناك فوائد للتدخين ؟!!!

يزعم بعض الناس أن هناك فوائد للتدخين!!!

وسأرد عليهم بشيء من الفكاهة... ليس هناك أى فائدة فى ذلك التدخين الذى حرمه الله (عز وجل) ولكن إن كنت تظن أن فيه فوائد فسأذكر لك ثلاثة فوائد:

١- أن المدخن لا يصاب بالشيخوخة.

٢- ولا يسرق داره اللصوص.

٣- ولا تقترب منه الكلاب.

والسبب فى ذلك: لأنه لن يعيش حتى يصل لسن الشيخوخة، وسيقضى الليل يسعل فيظنه اللصوص مستيقظًا، وسيحمل العكاز مبكرًا فلا تقترب منه الكلاب.

الأمراض التى يسببها التدخين

أكد تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية أن التدخين لا زال الوباء الأكثر خطرًا والأشد ضررًا على الصحة والحياة.

وأوضح التقرير أن التدخين يتسبب حسب سجلات منظمة الصحة العالمية فى موت حوالى أربعة ملايين شخص سنويًا فى مختلف أنحاء العالم، أى حوالى عشرة آلاف وفاة يوميًا، يموت أغلبهم فى سن العطاء والعمل.

وجاء فى التقرير أن جميع أنواع السجائر والسيجار والأراجيل تحوى عددًا كبيرًا من المواد الكيماوية والسموم، أهمها القطران والنيكوتين وأول

أكسيد الكربون، بالإضافة إلى مادة الديوكسين، وهى المادة التى أدت إلى تلوث أعلاف الحيوانات فى بلجيكا التى تسببت فى ظهور مئات الحالات من الإصابة بالسرطان[1].

* والخلاصة أن التدخين يؤدى إلى الإصابة بأكثر من خمسة وعشرين مرضًا ما بين أمراضٍ مُزمنة وأمراضٍ قاتلة.. ومنها:

١- سرطان الفم والبلعوم.

٢- سرطان الحنجرة.

٣- سرطان المرىء.

٤- سرطان الرئة.

٥- سرطان البنكرياس.

٦- سرطان الكلى والحالب والمثانة.

٧- الصدمة الدماغية.

٨- مرض الشريان التاجى.

٩- تمدد الشريان الأورطى.

١٠- تصلب الشرايين.

١١- التمدد الرئوى المزمن.

وغيرها من الأمراض.

- أسأل الله أن يشفى جميع مرضى المسلمين... آمين.

* * *

(١) بثّت هذا التقرير وكالة الأنباء السعودية (واس) ونشرته جريدة الرياض فى عددها (١١٥٥٤) الصادر يوم الجمعة ٥/١١/١٤٢٠هـ (ص٣٥).

التدخين يصيب بالعجز الجنسى

توصل عدد من الباحثين الأمريكيين إلى أن التدخين يسبب أمراضًا فى الأوعية الدموية ونهايات الأعصاب بما يؤدى إلى مفاقمة العجز الجنسى عند المدخنين أكثر من غيرهم ستًّا وعشرين مرة.

العلاقة بين التدخين والعقم!!

أثبتت دراساتٌ طبيةٌ عديدةٌ العلاقة الشديدة والرئيسة بين العقم والتدخين، حيث إنه يؤثر على الرجال والنساء فى أجهزتهم التناسلية مؤديًا إلى العقم والعجز فى الإنجاب يشتريه المدخنون بأموالهم.

وفى دراستين لعالمين درسا تأثير التدخين على إنجاب الرجال والنساء أثبت الدكتور (بولمز) عام (١٩٩٧) والدكتور (كورنيا) عام (١٩٩٨) أن التأثير على الجهاز التناسلى خطير، فالتدخين يضر بإنتاج كمية ونوعية وكفاءة الحيوانات المنوية، بل ويعيق حركتها، وبذلك يصعب عليها أن تصل إلى منطقة الإخصاب، كما أنها ضعيفةٌ وغير قادرة على التلقيح.

أما بالنسبة للبويضة والمَبَايض عند المرأة فإنها تتأثر بشدة بالتدخين المباشر والتدخين السلبى نتيجة استنشاق دخان مَن تجالسهم المرأة، خصوصًا فى الأماكن المغلقة[1].



(١) بقلم: د. حسين بن عبد الله بن هاشم يمانى - استشارى أمراض الباطنية والقلب - جريدة الرياض العدد (١٢٠٩٨) الأربعاء ١٨/٥/١٤٢٢هـ.

التدخين يعجّل بالهرم والشيخوخة!!

مما اكتشف حديثًا من تأثيرات التدخين على المدخنين ما دلت عليه دراسة، حديثة قام بها فريق من الباحثين من جامعة (ناجويا) اليابانية أوردتها نشرة الملتقى الصحى، ومفادها أن التدخين يدمر مقدرة الجلد على تجديد نفسه بفاعلية، وبالتالى يسرع ظهور علامات الهرم عليه[1].

أضرار التدخين على المرأة الحامل

التدخين سيئ وقبيح من جميع الناس، ويكون أقبح وأسوأ حين تتعاطاه المرأة، لما فيه فوق مساوئه من مساوئ أخرى تُشوه أنوثتها من قبيل ما أشرتُ إليه آنفًا.

ويكون التدخين أقبح وأبشع فى حق المرأة إذا كانت حاملاً، ذلك أنها حين ذاك تكون إساءتها إلى روحين ونفسين مكرمتين، هى وجنينها.

وقد أظهرت الدراسات التأثير السلبى لفسيولوجية الحمل التى تنعكس سلبًا على الجنين وعلى أمه كذلك، وفيما يأتى قائمة مختصرة ببعض المشكلات المترتبة على تدخين المرأة الحامل[2]:

١- إذا كن حوامل يؤدى إلى إجهاض ٦٠٪ من حالات الحمل..

٢- زيادة ٤٠٪ فى نسب تشوهات الأطفال عن المرأة العادية...

٣- زيادة ٦٥٪ فى نسب إصابة الأطفال بأمراض الصدر والحساسية..

٤- زيادة أكثر من ٥٠٪ فى نسب وفاة الأطفال عقب الولادة مباشرة..

٥- عدم اكتمال فترة الحمل..

---

(١) بثه وكالة الأنباء السعودية (و. أ.س) ونشرته الصحف ومنها صحيفة الرياض فى عددها (١١٦٧٠) يوم الثلاثاء ٤/٣/١٤٢١هـ.

(٢) أخى المدخن (ص: ٦٢).

٦- ولادة الأطفال ناقصى الوزن. .

٧- عدم اكتمال نمو الرئتين. .

٨- الموت المفاجئ للطفل فى سن صغيرة بعد الولادة. .

٩- التهابات الجهاز التنفسى والأذن الوسطى. . يا إلهى. . هى يعقل أننا نكره أبناءنا إلى هذه الدرجة؟!. . . أين شراسة الأم التى تستبسل فى الدفاع عن أطفالها. . .

ماذا يحدث عند تدخين سيجارة واحدة؟

أخى الحبيب: هل فكرت وسألت نفسك: ماذا يحدث عند تدخين سيجارة واحدة؟

* **سيأتيك الجواب فوراً:**

١- يتحول اللُّعاب من قلوى إلى حِمضى فلا يهضم النشويات فتحدث قرحة المعدة.

٢- يرتفع ضغط الدم عشر درجات لمدة نصف ساعة.

٣- يحدث انخفاض فى درجة حرارة الدم فى الأطراف بسبب ضيق الأوعية الدموية لامتصاصها النيكوتين. . . ولذا تجد أصابع المدخن لونها أصفر.

٤- يحدث له رعشة فى يده لكنها غير ملحوظة.

٥- تزداد نبضات القلب فى الدقيقة الواحدة من ١٠ - ١٥ نبضة لمدة ربع ساعة وهذا يُعتبر جُهداً زائداً على القلب.

* مع العلم أن الدم الذى يضخه قلب غير المدخن يرجع بعد ٢٦ ثانية أما المدخن فيرجع بعد ٤٦ ثانية. . . وهذا يسبب ضيقًا فى الشرايين.

* * *

حقيقة وتأثير النيكوتين!!

* النيكوتين هو: مادة حامضية قلوية توجد فى التبغ، وتتسرب بسرعة عن طريق التدخين إلى الرئة، ومنها إلى بقية أعضاء البدن.
* ٩٠٪ من النيكوتين قابل للامتصاص.
* يصل النيكوتين إلى الدماغ خلال ٧ - ١٠ ثوان.
* يدخل إلى الدماغ على شكل هرمونات نخامية.
* يؤثر مباشرة فى الخلايا العصبية.
* يزيد معدلات ضربات القلب وضغط الدم.
* يخفض حرارة الجلد.

خدعة القطران والنيكوتين!!

مضى حينٌ من الدهر وشركات التبغ تستغفل المدخنين بين حين وآخر بأن نسبة القطران تبلغ كذا، ونسبة النيكوتين تبلغ كذا، وأنها نسبٌ متدنيةٌ، وأنها خفيفة، وأنها كذا وكذا، فأطاعها المدخنون ورضوا أن يدخنوا تلك السجائر ما دام النيكوتين والقطران متدنيًا... ولكن؟!!!كشفت الأبحاث العلمية أن المدخن يتضرر بتعاطيه أىٍّ نسبة من القطران والنيكوتين، ومن ثَم فلا قيمة لتقليل أو زيادة القطران والنيكوتين، حيث أن تلك النسبة سوف تتضاعف بعدد ما يدخنه المدخن من السجائر... حقيقةٌ علمية... ولكن سعت شركات التبغ لإخفائها، بل واستغفال المدخنين!!!

وها هو الاجتماع العالمى العلمى (NEWG) المنعقد عام (١٩٨٢) يؤكد: «أن تحديد مستويات للنيكوتين أمرٌ قليل النفع، إذ أن المدخنين سوف يحصلون على احتياجاتهم من النيكوتين من السجائر المنخفضة فى مستوى النيكوتين بتدخين مزيد من السجائر» [١].

---

(١) ينظر: «مجلة المجتمع» العدد (١٤٦٢) ١٥/٥/١٤٢٢هـ.

* والعجيب أن أكثر المسلمين لا يعلمون أن مادة النيكوتين مادة سامة وأنها كانت تُستخدم قبل ذلك كمبيدٍ حشرى.

* وإذا أردت أن تعرف تأثير النيكوتين فما عليك إلا أن تُحضر سيجارة وتنقعها فى الماء حتى الصباح . . . فلو شربت منه قطة لماتت فى التو والحال.

- فشركات الدخان تعطيك جرعات مخففة. . . أى أنه موتٌ بالبطىء.

وشهد شاهد من أهلها

* أخى المدخن: إن السيجارة تحتوى على ستة آلاف مُركَّب كيماوى كلها سموم. . فنحن بذلك ندعم أعداءنا ونقتل أنفسنا بأموالنا.

* ولعلنا نعرف أشهر رجل فى العالم فى تصوير أفلام الدعاية لشركات السجائر العالمية - مثل شركة مارلبورو - . . الذى كان يظهر فى صورة راعى البقر فى الإعلانات التى كانت تُعلق فى الشوارع وكان اسمه (جيرمين ماكلارين) هذا الرجل فقد حياته بسبب السيجارة بعد إصابته بسرطان الرئة وكانت آخر كلماته: السجائر تقتلكم. . وأنا الدليل.

لماذا يجنح المدخن إلى إدمان التدخين لأول وهلة؟

نعم، ما السر الذى يجعل مَن سقط فى براثن التدخين يجد صعوبة بالغة فى الإقلاع عنه، لقد بقى هذا الأمر طىَّ الكتمان لفترة من الزمن. . إن سر ذلك هو أن شركات التبغ (Tobacco) العالمية تضيف مواد كيميائية تزيد إدمان المدخن، وهذا ما أثبته تقرير حديث نُشِر فى لندن مؤخرًا [1].

(١) تم نشر هذا التقرير فى غرة شهر ربيع الثانى عام ١٤٢٠ هـ ونقلته وكالة رويترز للأنباء ونشرته جريدة الرياض العدد (١١٣٤٣) الخميس ٢/ ٤/ ١٤٢٠هـ (ص٣٥).

لا فرق بين الإدمان على النيكوتين والإدمان على الهيروين!!

فى تقرير حديث أعد عبر بحث متخصص فى كلية الطب الملكية فى العاصمة البريطانية طالب باعتبار التدخين مخدرًا خطيرًا لا يقارن بغيره من أنواع المخدرات المعروفة مثل الحشيش والهيروين والكوكايين.

وجاء فى التقرير: «إن الإدمان على النيكوتين (Nicotine) لا يختلف عن الإدمان على الهيروين أو الكوكايين».

واقترح التقرير على الجهات الرسمية «تصنيفه على أساس أنه مخدر مثله مثل الأنواع القاتلة من المخدرات».

وقد جاء فى الأرقام الرسمية البريطانية أن الذين توفوا عن أمراض ناجمة عن التدخين فى مقاطعتى انجلترا وويلز عام ١٩٩٧ بلغ عددهم ١٩٥ ألف (١٩٥٠٠٠) شخص، بينما بلغ عدد الذين ماتوا بسبب تناول جرعات إضافية من الهيروين فى العام نفسه ٢٥٥ شخصًا فقط[1].

السيجارة بداية لإدمان المخدرات

ولابد أن نعلم أنه ما من مدمن خمرٍ أو مخدرات إلا وكانت بدايته مع السيجارة... فالسيجارة هى البداية.

- واذهب لمستشفيات الأمراض الصدرية ستجد أن أكثر المرضى من مدمنى التدخين - أسأل الله لهم الشفاء العاجل - .

---

(١) نشر البحث بتاريخ ٣/١١/ ١٤٢٠هـ وأشارت إليه وكالة (يو . بى . اى) U.B.I. فى خبر من لندن. ونشرته جريدة الرياض فى عددها (١١٥٥٣) الصادر يوم الخميس ٤/١١/ ١٤٢٠هـ (ص٣٩).

هذا هو السر العجيب

* أخى المدخن: لابد أن تعلم يقينًا أن السيجارة من الخبائث وليست من الطيبات.. فقد قال الله تعالى فى وصف النبى ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١].

وقال النبى ﷺ: «كل مُسكرٍ خمر وكل مُسكرٍ حرام»[٢].

* والسيجارة لا يمكن أن تكون سيجارة إلا إذا نُقع التبغ - الذى يكون بداخلها - فى الخمر لمدة تتراوح ما بين ثلاثة شهور إلى ستة.

وهذا الذى يفسر لك سر اشتعال السيجارة ولو لم تشربها.

فلو أنك أحضرت ورقة وجعلتها ملفوفة مثل السيجارة ثم أشعلتها فإنها تنطفئ... أما السيجارة فإنك إذا أشعلتها ولم تشربها فإنها لا تنطفئ لأنها مُشبعة بالخمور.

الشيشة.. وما أدراك ما الشيشة!!!

وإذا كان كلامى عن السجائر فلابد أن نعلم أن الشيشة لا تقل ضررًا عن السجائر.

* ولقد كان المجتمع فيما سبق ينظر إلى الشيشة نظرة احتقار لكن بكل أسف فقد تغيرت نظرة المجتمع الآن إلى الشيشة فقد أصبح أكثر مُدمنيها من شباب وبنات الجامعات.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

* وذلك لأن شياطين الإنس خدعوهم وقالوا لهم: إن ضرر الشيشة أقل بكثير من ضرر السجائر لأن الدخان يتكرر بالمياه!!!

وهذا خطأ كبير لأن الذى يشرب الشيشة لو غيَّر تلك المياه فى كل مرة وغيَّر المبسم الذى يضعه فى فمه فإنه لا يأمن الخرطوم الذى قد امتلأ بالفيروسات والميكروبات... هذا بالإضافة لضرر الدخان الذى يدخل الصدر ويدمره.

* ونحن نعلم أن ضحايا التدخين كل عام أربعة ملايين منهم ٢ مليون بسبب الشيشة... فهل من معتبر؟!

يا شارب التُنباك

يا شارب التنباك ما أجراكا
من الذى فى شربه أفتاكا؟
أتظنُّ أن شرابه مستعذبٌ
أم هل تظنُّ أن فيه غذاكا
هل فيه نفعٌ ظاهر يا فتى؟
كلا فليس فيه سوى إيذاكا
مضرة تبدو وخبث روائح
مكروهة تؤذى بها جُلساكا
وفتور جسم وارتخاء مفاصل
مع ضيق أنفاس وضعف قواكا
وتلافُ مالٍ لا تجد عوضًا له
إلا دُخانًا قد حشى أحشاكا
ورضيت فيه بأن تكون مبذرًا
وأخو المبذر لم يكن يخفاكا
فإذا حضرت بمجلسٍ واستنشقوا
من فيك ريحًا يكرهون لقاكا

يكفيك ذمًّا فيه أن جميع من
قد كان يشربه يودُّ فكاكا
فارفق بنفسك واتّبع آثار من
أهداك لا من فيه قد أغواكا
إن كنت شهمًا فاجتنبه ولا تكن
فى شربه مستتبعًا لهواكا
إنى نصحتك فاستمع لنصيحتى
ونُهيت فاتبع قول من ينهاكا
وبذلتُ قولى ناصحًا لك يا فتى
فعساك تقبلُ ما أقول عساكا [(١)]

التدخين قد يُسبِّب سوء الخاتمة !!

سوء الخاتمة أمرٌ شنيع وعاقبةٌ سيئة، وذلك لأن الأعمال يكون الجزاء عليها بحسب الخاتمة، وتكون حال العبد يوم القيامة بحسب ما مات عليه من تعاطى الخير أو تعاطى ضده، وقد ثبت فى «صحيح مسلم» عن جابر قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»[(٢)].

أما كيف يتسبب التدخين فى سوء الختام؟ فبيان ذلك من جهتين:

١- أن المدخن فى الغالب يجاهر بالتدخين، ولا يستخفى به، بل يعتاد ذلك من نفسه ويعتاده منه الناس، وهذه مجاهرة بالمعصية، وقد قال المصطفى ﷺ : **«كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد**

---

(١) نقلاً من الموسوعة الذهبية فى إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية / د . احمد مصطفى متولى (ص: ١٠٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها.

بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»[١].

٢- أن المدخن يتكرر منه التدخين كل يوم، بل فى اليوم الواحد عدة مرات، وهذا استمرارٌ وإصرارٌ على المعصية، يجعل القلب يتعلق بها ولا يجد الأنس إلا باقترافها، ومثل هذه الحال قد تخون الشخص أحوج ما يكون إلى التثبيت وذلك عند خروج الروح ومفارقة الدنيا.

وقد نصَّ أهل العلم على أن مثل هذا النوع من المعاصى تخذل صاحبها عند الموت مع خُذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع فى سوء الخاتمة. . .، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[٢].

ولهذا وجب على مَن أراد سعادة نفسه والختام الحسن من إخواننا المدخنين، بل وعلى كل المكلفين أن يراجعوا أنفسهم وينظروا إلى عواقب الأمور، ويأخذوا لأنفسهم طريق السلامة والنجاة، جعلنا الله جميعًا من الناجين[٣].

من مقاصد الشريعة

نحن نعلم أن من مقاصد الشريعة خمسة أشياء:

حفظ الدين - حفظ النفس - حفظ العرض - حفظ المال - حفظ العقل.

*** فتعالوا بنا لنرى موقف التدخين من مقاصد الشريعة :**

(١) حفظ الدين:

أريد أن أسأل سؤالاً : هل السجائر تحفظ الدين أم تدمره؟

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٢٩).

(٣) أخى المدخن (ص: ٣٩-٤١) بتصرف.

والجواب: أنه من المعلوم أن السجائر تحول بين العبد وبين ذكر الله وقراءة القرآن.. لأنه لا يمكن للعبد أن يذكر الله أو يقرأ القرآن وهو يُدخن وإلا فإنه سيكون من المستهزئين بكلام الله.

- وكذلك فإن السجائر مضيعة للوقت.. فالرجل يشرب السيجارة فى خمس دقائق... وهو يعلم أنه فى خمس دقائق يستطيع أن يبنى لنفسه بيتين فى الجنة بقراءة سورة الإخلاص عشرين مرة.

- ويستطيع أن يغرس لنفسه فى الجنة ٢٥٠ نخلة فى الجنة بقول: سبحان الله العظيم وبحمده ٢٥٠ مرة فى خمس دقائق.

- ومن الممكن أن تُغفر ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر بقوله سبحان الله وبحمده مائة مرة.

- ويستطيع أن يكسب ثلاثين ألف حسنة بقراءة خمس صفحات من المصحف.

* وكذلك فإن التدخين يُذهب المروءة والحياء.

فقد تجد رجلاً يشرب فى اليوم علبتين من السجائر.. وأولاده لا يجدون لقمة يأكلونها.

- وقد تجد رجلاً يُدخن فى الأماكن أو المواصلات العامة وبجواره رجل مريض فإذا استأذنه فى أن يُطفئ السيجارة فإذا به يقول له : لو مش عاجبك انزل اركب تاكسى!!!

- وقد تجد رجلاً يسمع أذان الفجر ولا يقوم.. وإذا اشتاق إلى سيجارة فى جوف الليل فإنه يقوم ليشربها.. بل قد يجد أن علبة الدخان ليس فيها سيجارة واحدة فينزل فى الشتاء البارد ليشترى علبة سجائر ولا يذهب لصلاة الفجر!!!.

* كل هذا يوضح لنا أن السجائر مضيعة لدين العبد.

(٢) حفظ العرض :

ومن المعلوم أن التدخين يُنقص من قـدر الإنسان ومكانته حتى إن الناس فى كـلامهم مع بعـضـهم البعـض إذا سألهم أحـدٌ عن شـخصٍ ما فـإنهم يقولون: إنه إنسان محترم جداً لكن بكل أسف فإنه يدخن.

- وإذا سألت أمًّا عن ابنها فإنها تقول: الولد كان ممتازًا لكنه فجأة تعرَّف على أصدقاء السوء فجعلوه مُدخنًا.

* ومن هنا يتضح لنا كيف أن التدخين يُنقص من قدر الإنسان ومكانته.

(٣) حفظ النفس:

هل هناك إنسان يشك فى أن التدخين يدمر الإنسان ويفتك بصحته.

* لقد سمـعنا كثيراً عن أضـرار التدخين والأمراض التى تصـيب البدن بسببه بل وسمعنا عن عدد الوفيات الذين كانوا من ضحايا التدخين.

ويكفى أن نعلم أن عـدد ضحـايا أمراض الإيدز خـلال عشـر سنوات هم: مليون ونصف مليون نسمة.. مات منهم ثلاثمائة ألف.. بينما يبلغ ضحايا التدخين سنويًا أربعة ملايين يموتون سنويًا.

(٤) حفظ المال :

ولا يشك عـاقل أبدًا فى أن التـدخـين يُضـيع المال ولا يحـفظه بل إن التدخـين يُعَد من كفر النعـمة وذلك لأن الله (جل وعلا) يرزق العبـد بهذا الرزق فيـأخذه العـبد ويشـترى به دخانًا ليـحرقـه.. ألا يُعد هذا من كـفر النعمة؟!

قال مـجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله فى الحق مـا كان تبذيرًا ولو أنفق منه مُدًّا فى الباطل كان تبذيراً.

(٥) حفظ العقل :

أثبت الطب الحديث أن التدخين يدمر خلايا المخ ببطءٍ شديد.

* فهل يُعقل بعد كل هذا أن يستمر المدخن فى التدخين ولا يُقلع عن التدخين ابتغاء مرضاة الله وحفظًا لدينه وعرضه ونفسه وماله وعقله؟!!!.

نافخ الكير... والتدخين السلبى

إن المدخن لا يؤذى نفسه فقط بل إنه يؤذى كل من حوله وهذا ما يسميه الأطباء بالتدخين السلبى.

فإن الرجل إذا تعاطى الدخان فى بيته فإنه يؤذى زوجته وأولاده وإن المدرس إذا تعاطى الدخان فى المدرسة فإنه يؤذى التلاميذ وإن الرجل إذا تعاطى الدخان فى الأماكن العامة فإنه يؤذى كل من حوله وإن المصلى المدخن يؤذى من يصلى بجواره بسبب رائحة الدخان.. بل ويؤذى الملائكة.

قال النبى ﷺ: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته»[1].

وقال ﷺ: «من أكل من هذه البقلة: الثوم والبصل والكُرَّاث فلا يقربنا فى مساجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[2].

فإن كان النبى ﷺ قد حكم على من أكل الثوم أو البصل أو الكُرات ألاّ يدخل المسجد حتى لا يؤذى المصلين ولا الملائكة فماذا يكون حكمه على من يشرب الدخان الذى حرَّمه الله ورسوله ﷺ؟!!

*** قال ﷺ فى حديث آخر: «إنما مثلُ الجليس الصالح، وجليس السُّوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحاملُ المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»**[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٥٥) كتاب الأذان، ومسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

- فأصـدق اسم للمدخن هو (نافخ الكير).. فـإنك إذا جلست بجواره فإنه إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة.

* أخى المدخن: أتمنى أن تنزع السيجارة من فمّك وتـتلذذ بكلمة التوحيد والصلاة على النبى ﷺ والذكـر والقرآن وأن تُطيب رائحة فـمك بالسواك بدلاً من السيجارة.

آثار التدخين على الاقتصاد

توجد ٣ شـركات عالميـة تحتكر تقريبًـا الانتاج العالمى من الـسجائر... وهى شركات أمريكية وبريطانية ويابانية.

- سنة ١٩٩٨ كان إجمالى مبيعات هذه الشركات ٨٨ مليار دولار ...

- فى مصر... يتم استهلاك ٨٠ مليار سيجارة سنويًا...

- الحكومة المصـرية تنفق سنويًا ٣ مليـار دولار على علاج الأمـراض الناتجة عن التدخين...

إنه استنزاف جسدى ومادى واجتماعى بدون أدنى شك...

- الحكومة السعودية انفقت فى الربع قـرن الأخير ما يقرب من ٣ مليار دولار على علاج الشعب السعودى.

* فالعالم العـربى يستهلك ٥٢٪ من إجمالى منتجـات شركات الدخان فنحن نعطى أموالنا لأعدائنا ونقتل أنفسنا بتلك الأموال!!!

* بل الأعـجب من ذلـك: هل تخيلت أخى المدخن كـم أنفـقت من الأموال فى خمسين سنة على الدخان؟

ستجد أنك أنفقت مئات الآلاف!!!

هل تتصور ماذا كنت تستطيع أن تفعل بهذه الأموال؟

كنت تستطيع أن تركب سيارة جديدة وتشتـرى بيتًا جديدًا وتسـافر إلى

الحج والعمـرة كل عام وتفـعل الخيرات وتكفل أكـثر من طفل يتـيم وتفعل أشياء كثيرة جداً.

باختصار كنت تستطيع أن تحيا حياة أفضل.

- هذه حسابات التدخين فقط... هذا غـير الذى تنفقه للعلاج من آثار التدخين ولعلاج من حولك أيضًا.

المدخنون المسلمون يدعمون اليهود يوميًا!!

تحت هذا العنوان نشـرت جـريدة الرياض فى عـددها (١٢٣٦٠) الخبـر التالى:

أكّدت صحيفة إيرانية طبقًا لمعلومات حصلت عليها من مصادر غربية أن اليهودى (فيليب موريس) الذى يملك أكبر مصانع لإنتاج السجائر فى العالم أعلن عن تخـصيص (١٢٪) من أرباح مـصانعـه والتى تبلغ (٨٠) مليـون دولار فى اليوم الواحد كمساعدات إلى (إسرائيل).

وذكرت «صـحيفـة جمهـورى إسلامى» أنّ الإحـصاءات تفيـد بأن عدد المدخنين فى العالم يبلغ حوالى مليار و(١٥) مليون شخص.

(٤٠٠) مليون منهم من المدخنين المسلمين، وأضافت الصحيفة أن المبالغ التى يدفعهـا المدخنون المسلمون لقاء السجـائر التى يستعملونهـا تبلغ حوالى (٤٠٠) مليون دولار يوميًا، وبالتالى فإن المدخنين المسلمين يساهمون - دون أن يعلموا - فى تقديم مساعدات مالية إلى الخزانة الإسرائيلية تصل إلى (٩) ملايين و(٦٠٠) ألف دولار يوميًا.

* * *

ضحايا التدخين أكثر من ضحايا هيروشيما وناجازاكى!!!

هل تتخيل أن ضحايا التدخين كل عام أكثر بكثير من ضحايا قنبلة هيروشيما وناجازاكى.

أفردت مجلة (لى فيجارو) الفرنسية ملحقًا خاصًا عن التدخين ضمّنته ما صدر عن منظمة الصحة العالمية حول التدخين، . . . وهاكم الأرقام التالية:

* ٥٠ فى المائة من حالات الإصابة بالسرطان قبل سن ٦٥ عامًا سببها التدخين.

* ٣٦ فى المائة من الوفيات فيما بين ٣٥ - ٦٥ عامًا سببها التدخين.

* ٤٠ فى المائة من المواليد تتأثر صحتهم بسبب تدخين والديهم أو من حولهم.

* عدد من تُوفوا فى القرن العشرين بسبب التدخين بلغ (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مائة مليون!!!! - أى أكثر من عدد القتلى الذين سقطوا خلال الحربين العالميتين.

* عدد الوفيات (السنوية) جراء التدخين :

٣,٥٠٠,٠٠ رجل

+ ٥٠٠,٠٠٠ امرأة

= ٤,٠٠٠,٠٠٠ (أربعة ملايين) شخص

* من المتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى (١٠,٠٠٠,٠٠٠) عشرة ملايين شخص بحلول عام ٢٠٢٥ .

* عدد المدخنين فى العالم اليوم = (١,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) !!!!.

* نساعدك على قراءة الرقم، إنه: مليارٌ ومائة مليون شخص!!!

* نسبة الرجال منهم (٤٧٪).

* نسبة النساء (١٢٪).

* عـدد المدخنـين فى الدول المتـقـدمـة يبلغ : (٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة مليون.

عـدد المدخنين فى الدول الناميـة يبلغ: (٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ثمـانمائة مليون.

*** إنها أرقام ناطقة.. ولكن.. لا يـسمعها إلا العقلاء [١].

* فـتخـيل أن عـدد القـتلى من جراء القـنبلة الذرية التى أُلقـيت على هيروشيمـا وناجازاكى فى الحرب العالمية الثانية كان ربع مليـون قتيل.. وأما ضحايا التدخين فى كل عام فإنه يبلغ أربعة ملايين.

خطط شركات التبغ فى البلاد الإسلامية

* فى عام (١٩٨٨) قامت شركات السجـائر العالمية بتأسيس اتحاد أُطلق عليه اخـتـصاراً (MEAT) الهدف منه حـماية مـصالح تلك الشـركات فى «الشرق الأوسط» أى فى الـبلاد الإسلامـية، وخاصة الدول الـعربية، التى تُحرم التدخين إسلاميًا.

وقد رصـدت هذه الشركات ميـزانية لهذا الاتحاد تقـدر بـ (٢٢٧) مليون دولار، ارتفعت إلى (٣٥٠) مليونًا عام (١٩٩٣).

وهذه الأموال فـى الواقع عبارة عن تـبرعات المسلـمين لتلك الشـركات لمساعـدتها على أداء دورها، وتحديدًا تبـرعات المدخنين، من خلال شرائهم

(١) هذا ملخص ما نشرته المجلة الفرنسية المذكورة، وقد بثه وكالة أنباء (أ.ش.أ) من باريس. ونشرته بعض الصحف بتاريخ ٨/٣/١٤٢١هـ الموافق ١٠ يونيو ٢٠٠٠ م.

لسجائر تلك الشركات!!

* **ومن أهم خطط هذا الاتحاد :** محاربة «أعداء التدخين» ودعم مؤيديه فى البلاد العربية، سواءً من رجال الأعمال أم السياسيين، بل وصل الأمر لتشكيل قائمة حلفاء تضم حكوميين وسياسيين وإعلاميين وأطباء!!

* لتطييب خواطر المدخنين من المسلمين أظهرت بعض الشركات النصرانية المنتجة للسجائر نفسها بأنها (متدينة) وأعلنت عن التبرعات الخيرية لبعض الجهات الإسلامية!! كما فعلت شركة (فيليب موريس) الأمريكية، عندما أرادت تحسين صورتها أمام من يدعمها من المدخنين المسلمين فأعلنت عام (١٩٨٩) عن مساهمة خيرية لـ (بيت القرآن) - كما تذكر منظمة الصحة العالمية - وهى مؤسسة ثقافية فى البحرين، وقامت شركة السجائر تلك بتغطية مكثفة لهذا الحدث.

* أنفقت الملايين بل ومليارات الدولارات لتسخير وسائل التأثير التى تروج للتدخين وترغب فيه، وكان من أبرز ذلك السينما والتلفاز والصحف والمجلات، وهكذا الممثلين والممثلات من خلال إظهار مشاهد التدخين والدعاية له بالفعل وباللافتات وغيرها.

وليس سرًّا أن بعض الصحفيين والكُتَّاب يتقاضون مرتبات ثابتةٍ من هذه الشركات كى يدوروا فى فلكها، ويحافظوا على أرباحها وتجارتها المسمومة فى النهاية، وهو ما أكده خبراء شاركوا فى مؤتمر لمنظمة الصحة العالمية بالقاهرة فى شهر مايو عام (٢٠٠١) [١].

* * *

(١) ينظر: «مجلة المجتمع» العدد (١٤٦٢) العدد (١٤٦٢) ١٥/٥/١٤٢٢هـ.

وقفه حول التدخين فى الأماكن العامة

فى ضوء ما تقدم فإن كثيـراً من المدخنين يرتكبون أخطاءً أخرى مضاعفة حين يؤذون غيـرهم بتـدخينهم فى الأماكن العـامة مـثل المطاعم والأسواق والمطارات ونحوها.

وفى هذا الصدد أقول - مع بالغ الأسف -: إن الغربيين أكثـر مراعاة لهذا الجانب من غيـرهم حيث يُمنع التدخين فى الأمـاكن العامة، وفى كل بقعة يوجد فيها كائنٌ حيٌ ولو كان حيوانًا، ولكن فى البلاد الأخرى تجد المدخنين لا يأبهون بهـذا الأمر، بل إن بعض المدخنين إذا أراد إظهـار تمدنه وتحضـره أشعل سيجارته وبدأ ينفث بدخانهـا من فمه وأنفه فى آن واحد على ملأ من الناس وفى مكان مغلق!!!

وقل مثل ذلك عن كثير من المؤسسات التى تعج بالدخان والمدخنين، بل إنى قد عـجبت لدى زيارتى لإحـدى المؤسـسـات لغرض مـعين واحـتجت للانتظار فسـألت الموظف المسؤول عن مكان لا توجـد فيـه روائح الدخان، فقال: آسف جـميع من يعمل هنا يدخن، فلابد من وجود الرائحة فى كل المكاتب، ولابد من توزيع الضرر حتى على من لا يدخن!!.

التدخين أمام الأطفال جريمة!!

فى سـياق التـدخين والمدخنيـن يرتكب بعض المدخنين خطأً فـادحًا حـين يمارسون التدخـين أمام أطفالهم، وقد رأيت هذا التصرف مـرات كثيرة، فتجد أحدهـم يركب سيـارته ومعـه أهل بيتـه ومنهم الأطفال ولا يحـبس نفسـه عن التدخـين خلال هذه الفترة الوجـيزة، بل إنه ليدخن أمـامهم مسببًـا لهم أضراراً صحية كبيرة، وهو ما ينتج عن ما يسمى التدخين السلبى (Passive Smoking).

ويصيبهم بمشكلة أخرى هى أعظم وأكبر وهى الضرر التربوى، حيث يذهب من نفوسهم هيبة التدخين وبشاعته، كيف لا وهو قدوتهم؟!.

بل إن من المشاهد المؤسفة أن ترى أطفالاً أبرياء أرقاء كرقة الزهرة المتفتحة مع نسيم الصباح وهم مع بعض ذويهم أو مع سائق ينفث على وجوههم دخانه الكريه، ولم يُراعِ أولئك رقة الطفولة وبراءتها، وما قد يسببونه لهم، خاصةً وأن رئة الطفل صغيرة ونظامهم المناعى أقل نمواً مما يجعلهم أكثر عُرضة للإصابة فى الجهاز التنفسى والأذنين بسبب ما يستنشقونه من دخان المدخن.

وبعض الآباء يرسل أطفاله ليشتروا له السجائر من محلات بيعها، وبعد فترة يقدم الطفل لأبيه علبة السجائر ناقصة، ولا يكلف الأب نفسه أن يسأل ابنه: من الذى فتح العلبة ولا يكترث لذلك؛ لأنه أصلاً قد لا يرى غضاضة فى أن يدخن أطفاله كما أنه هو يدخن، ولا غرو حينئذٍ أن نجد أهل البيت من المدخنين فى مستقبل الأيام بما فى ذلك النساء، وبالعظم جريمة ذلك الشخص فى حق أهل بيته وأمته.

حين تدخن المرأة...!!!

كان التدخين لفترات من الزمان متركزًا فى أوساط الذكور.

ولعدد من الأسباب - منها الإعلام المنحرف وما يُسمى الفن من التمثيليات والأفلام ونحوها - فقد تكاثر التدخين فى أوساط النساء وتفاقمت المشاكل جراء ذلك أكثر من ذى قبل.

وما من شك أن المرأة حين تدخن فإن الأضرار تكون أكبر وأوسع، بالنظر لمكانتها فى الأسرة، ولكونها قدوة لصغارها، كما أن الأجنة إنما تتخلق بأمر الله فى أحشائها، ولهذا تكون انعكاسات التدخين على الأجنة

كبيرة وسيئة.

وفيما يلى إشارات مقتضبة حول التداعيات التى تطرأ على المرأة حين تدخن.

* ينقطع الطمث عن المرأة المدخنة مبكرًا قبل المعتاد بسنة إلى ثلاث سنوات مقارنة مع المرأة غير المدخنة، وهذا ما يعجل بها لتكون فى عداد الآيسات.

* إذا كانت المرأة المدخنة تستخدم موانع الحمل الفموية زاد لديها خطر الإصابة بخناق الصدر، واحتشاء القلب، والتهاب الوريد الخثرى عشرة أضعاف المرأة غير المدخنة.

* حين تدخن الفتاة اليافعة فإنه يؤخر حملها إذا تزوجت لفترة (٢٢) شهرًا إذا قورن بالفتيات غير المدخنات.

* التدخين تشويه لأنوثة المرأة ورقّتها، حيث يُظهرها أكبر من سنها بكثير، ويعبث بتقاسيم الحسن الأنثوى الذى أودعه الخالق جلّ وعلا فى النساء.

* إضافة إلى ما يعكسه تدخين الأمهات والحوامل على أطفالهن وأجنّتهن من انتكاسات صحية متنوعة.

من نتائج التدخين عند الأطفال

حول التدخين أمام الأطفال: حذّر تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية من مخاطر التدخين على الأطفال من قِبل الآباء، والأمهات، وأوضح التقرير الذى جرى تعميمه مؤخرا على الدول الاعضاء فى المنظمة عددا من النتائج والحقائق ومنها:

* أن ما بين (٤٠٠) إلى (٥٠٠) ألف طفل يصابون سنويًا بمشاكل

خطيرة فى التنفس بسبب تدخين الأبوين بحضور الأطفال القاصرين.

* أن الأطفـال الذين يولدون من أمهـات مـدخنات يقل وزنهم (٢٠٠) جرام فى المتوسط عن باقى المواليد.

* وجاء فى التقرير أن الجو المشـبَّع بالدخان يزيد خطر الإصابة بأمراض الطفـولة مثل النزلات الشُّـعَبـية والالتهـاب الرئوى والتـهاب الأنف والأُذن والحنجرة، خاصـة وأنه يتسبب فى إصـابة الأطفال بأمـراض القلب بصورة مبكرة.

* وأشارت السـجلات إلى وفـاة (٦٠٠) ألف طفل سنويًّا لتعـرضهم لمخاطر التدخين غير المباشر عن طريق الآباء والأمهات. اهـ[1].

* وجاء فى تقرير آخر لمنظمة الصحة العالمية أن من آثار التدخين على الأطفال سـواء كان ذلك بالسـجائر أو السيـجار أو الأراجيـل و(المعسّل) أنه يسبب لهم الإصابة بأمراض الحصبة والدفتيريا والشلل[2].

التدخين أصبح موضة قديمة عند الغرب

* أخى المدخن.. إن كنت تُدخن لأنك تُقلد الغـرب فيما يفـعلون فأنا أخبرك أن الغرب قـد أقلع أكثر المدخنين فيه عن التدخين واعتـبروا التدخين موضة قديمـة.. فافعل مثلهم وأقلع عن التدخين لكى تـعود إليك صحتك وشبـابك ولتحـفظ دينك ومالك وعِـرضك ونفسك.. ولكى تنـهض الأمة المسلمة بك وبأمثالك.

* فلابد أن نعلم أن جـميع الأمم التى نهضـت.. لم تنهض إلا بعد أن

(١) جريدة الرياض، العدد (١١٤٣٢) (ص٤٣) الثلاثاء ١٤٢٩/٧/٣هـ نقلاً عن وكـالة الأنباء السـعودية بتاريخ الثالث من شهر رجب لعام ١٤٢٠ هـ.

(٢) جـاء هذا ضمن تقـرير بثـه وكـالة الأنبـاء السـعودية (واس) ونشرتـه جريدة الرياض فى عـددها (١١٥٥٤) الصادر يوم الجمعة ١٤٢٠/١١/٥هـ (ص٣٥).

قامت بتحجيم هذه المكيفات.

فمثلا الصين لم تنهض إلا بعد محاربة الأفيون...

وأوروبا لم تنهض إلا بعد أن قيدت شرب الخمور فى عطلات نهاية الأسبوع.. وأصبح تدخين السجائر موضة قديمة...

- فى الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٨٨ هبط عدد المدخنين بالولايات المتحدة ٣٠ مليونا..

- فى بريطانيا ١٠ ملايين مدخن أقلعوا عن التدخين فى العشرين سنة الأخيرة...

يحاول ٧١٪ من الشعب البريطانى أن يقلع عن التدخين...

سؤالٌ قاسٍ.. وقد يكون جارحًا لكرامتنا....

هل يملك الأمريكان والبريطانيون إرادة أقوى منا... هل يملكون عزيمة أحسن منا نحن..

كيف أقلع الغرب عن التدخين؟

هيا بنا لنرى كيف أقلع أكثر الناس فى بلاد الغرب عن التدخين.

هيا لنرى كيف أقلع ٣٠ مليون أمريكى و١٠ ملايين بريطانى عن التدخين.

(١) منعوا إعلانات السجائر في التليفزيون والأماكن العامة.

(٢) ألزموا شركات الدخان أن يكتبوا على مساحة ٤٠٪ من مساحة العلبة: التدخين قاتل - أو أن يضعوا صورة لطفلٍ مُشوهً.

- ومع ذلك لم تقلّ نسبة المدخنين.

(٣) رفعوا نسبة الضرائب على شركات التدخين وبالتالى ارتفعت أسعار السجائر... ولم تقلّ نسبة المدخنين.

* وهنا اكتشفوا أن موضوع التدخين أساسه نفسى.. لأن شركات التدخين صوَّرت للناس أن المدخن أكثر وسامة وجاذبية للنساء...

وصوَّروا للنساء أنهن أكثر حرية وجمالاً مع التدخين.

* وهنا قامت الحكومات بحملة مضادة وناجحة.

فقالوا للمدخن :

إذا أردت أن تدخن فهذا حق شخصى لك... ولكن... بدون أن تؤذى غيرك بدخانك وبالتالى أخذ يغير تدريجيا من المفهوم الذى بثته شركات السجائر فى نفوس المدخنين من أنهم جذابون.

وأصبحوا يشعرون بأنهم مُشردون فى المجتمع.

* وأخذوا يضعون القوانين اللازمة لذلك.

أ - منع التدخين بالطائرات حتى لو كانت الرحلة تصل إلى ١٢ ساعة.

ب - فى المطاعم ... جعلوا أماكن المدخنين بجوار المطبخ ودورات المياه..

ج- التدخين بالمصالح الحكومية يكون فى دورات المياه... أو فى أماكن ضيقة لدرجة أن المدخنين أصبحوا متضايقين من بعض.

د- فى المطارات... جعلوا الغرفة المخصصة للتدخين زجاجية.. حتى ينظر الناس إليهم وتجعلهم يشعرون بالمهانة.. كأنهم محبوسون.

هـ- منع التدخين فى الأماكن العامة... فوجد الموظف نفسه مضطراً لأن يخرج فى البرد الشديد ليدخن.. فأحس أنه منبوذ فى المجتمع.

- ولذلك نزلت النسبة ٣٠ مليون.

* ولم تستسلم شركات الدخان لكل هذا.. بل أخذت تشن حملات مضادة من أجل الحفاظ على مكاسبها المادية فبدأت حملات مضادة استخدمت فيها مشاهير المجتمع من ممثلين وأطباء وأساتذة فى الجامعة لكنها

استُقبلت بالاستهجان وأخذ الناس يرسلون إليهم آلاف الرسائل لأن هذا الأمر يؤذيهم.

* وبذلك استطاع الكثير من الناس فى بلاد الغرب أن يُقلعوا عن التدخين.

عندما يفارق المدخن السيجارة... ماذا يحدث ؟؟

*** الجواب بالأرقام :

* بعد (٢٠) دقيقة: يصبح ضغط الدم طبيعيًّا.

* بعد (٢٠) دقيقة: تعود ضربات القلب لوضعها الطبيعى.

* بعد (٢٠) دقيقة: تعود حرارة الكفين والقدمين لوضعهما الطبيعى.

* بعد (٨) ساعات: تبدأ مادة أول أكسيد الكربون السامة فى الاختفاء من الدم، وتبدأ نسبة الأكسجين بالتزايد.

* بعد (٢٤) ساعة: تقل فرص حدوث الأزمات القلبية.

* بعد (٤٨) ساعة: تبدأ أعصاب الشخص المتوقف عن التدخين فى التكيف على اختفاء النيكوتين، ويبدأ التحسن فى حاستى الشم والذوق.

* بعد (٧٢) ساعة: يحدث تحسنٌ فى الدورة الدموية، وسهولة فى التنفس.

* بعد (١٤) إلى (٩٠) يوم: تتحسن الدورة الدموية بشكل كبير، ولا يحس المتوقف عن التدخين بالتعب أثناء المشى كما كان حال تدخينه، وتتحسن وظائف الرئة بنحو ٣٠٪ مع اختفاء النيكوتين تمامًا من الدم.

* بعد (٩) أشهر: تختفى الكحة والشعور بالتعب، وتزيد طاقة الجسم، ويختفى القطران من الرئة(١).

---

(١) وفق ما أفادته الجمعية الخيرية لمكافحة التدخين فى المملكة، استنادًا إلى دراسات علمية - انظر «جريدة الاقتصادية» العدد (٢٧٧٧).

*** إنها نتائج مشجعة.. ومقنعة.. أليس كذلك؟!.

لكن هناك ما هو أفضل....

نعم.. إن الأفضل من ذلك كله هو سلامة العبد في دينه، حيث يتوب إلى ربه فيحبه الله ويبارك له في دنياه وآخرته... فقد أخبرنا الله عن نفسه سبحانه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(١).

احمل الأمانة وتخيل هذا المشهد العجيب

وهذه هي الأمانة التي وُكِّلنا بحملها من قبل الله عز وجل..

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٢).

تخيل نفسك...

رسول الله يسألك يوم القيامة ماذا فعلت للإسلام.. لقد تعبت وبذلت الجهد.. وأوذيت لتكون مسلمًا... وأنت تضيع الأمانة وتقضي حياتك في الدخان والمعاصي.

تخيلي أيتها الفتاة إذا قابلتك السيدة سمية.. وسألتك ماذا فعلت للإسلام؟.. لقد طعنني أبو جهل بالحربة في موضع عفتي.... وأنت تجلسين مع الشباب تشربين الشيشة.

تخيل أيها الشاب إذا قابلك الشهيد جعفر بن أبي طالب.. وسألك ماذا فعلت للإسلام... لقد قُطعت ذراعي وأنا أدافع عن الإسلام.. وأنا أمسك بالراية... وأنت استعملت ذراعك وأصابعك في شرب الدخان.

*

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٧٢).

كيف تقلع عن التدخين ؟[(١)]

والآن... هيا بنا لنرى ما هى الوسائل المناسبة لكى تقلع عن التدخين.

أخى الحبيب :

أرجو أن تكون قد قررت الإقلاع عن التدخين، وأدركت حجم مَخاطره، ووصلت إلى قناعة تامة بضرورة التخلى عنه نهائيًّا دون رجعة.

واعلم أن قرارك هذا هو الأصوب. وأنك من الآن فصاعدًا تستطيع التنفس بشكل طبيعى، وتذوق الطعام بصورة أفضل، وستقول وداعًا للسُعال المزعج، وستقضى نهائيًّا على احتمالات الإصابة بأخطر الأمراض على الإطلاق وهى السرطانات الفاتكة، وأعظم من ذلك أن تَخْرُج من الإثم المتتابع مع كل سيجارة.

أما الخطوات التالية لاتخاذ القرار، فهى عديدة ويتحدد مدى نجاحها، حسب طبيعة الشخص ومدى استعداده وجديّته، ولكن يمكن تقديم الخطوات المفضَّلة كما يلى:

* استعن بالله (جل وعلا).. واعلم يقينًا أنك لن تستطيع أن تُقلع عن التدخين إلا إذا أعانك الله على ذلك.

* أخلص النية لله (جل وعلا).. ولا تجعل نيتك فى ترك التدخين أنك تريد أن تحافظ على مالك وصحتك فقط بل اجعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا).

* ابتعد عن أصدقاء السوء الذين يزينون لك فعل المعاصى وعلى رأسها شرب الدخان القاتل.

* تذكَّر أنك تتحمل مظالم كثيرة لكل من حولك لأنك آذيتهم بالدخان

---

(١) بتصرف من رسالة (أخى المدخن) الشيخ خالد الشايع (ص٧٧ : ٨٦).

فلا تستمر فى تلك المظالم وعليك بالإقلاع فوراً عن التدخين.

* فكر فى سعادة زوجتك وأسرتك ومجتمعك حينما تترك التدخين.

* حتى تجعل نيتك بالتوقف عن التدخين أمراً جاداً، تذكَّر دائمًا الخسارة الدنيوية والأخروية المترتبة على التدخين.

* لا تحتفظ بالأمر سرًّا، ولكن أفشِ القرار بين الأهل والرِّفاق، واطلب منهم أن يساعدوك للتخلُّص من التدخين نهائيًّا، ويمكنك أن تدعو مدخنين آخرين ممن تعرفهم لمشاركتك التجربة حتى يشد كل منكم على عضد أخيه.

* حاول أن تنسى تمامًا كل ما يتعلق بالتدخين، واطرده من ذهنك، وتخلص من السجائر والمشاعل (الولاعات) والكبريت وطفايات السجائر، وذلك سواءً فى المنزل أم فى المكتب أم فى السيارة. واطلب من القريبين منك أن لا يدخنوا أمامك، وتخلَّص من رائحة السجائر التى قد تكون عالقة بسيارتك من الداخل وكذلك بملابسك التى يجب أن ترسلها إلى (المغسلة) حتى تزول منها الرائحة نهائيًّا.

* تجنَّب الأماكن التى يتجمع فيها المدخنون، وحاول أن تتنفس هواءً نظيفًا قَدر المستطاع، اذهب إلى أماكن الترفيه المحبَّبة إلى نفسك والتى لا يُسمح فيها بالتدخين. حاول أن تشغل يديك دائمًا بعمل أى شىء مفيد.

* عليك أن تغير عاداتك الصباحية. وعندما تتناول الإفطار، لا تجلس فى ذات المقعد الذى اعتدته حتى لا تتذكر الدخان.

* عندما تراودك الرغبة فى التدخين، حاول فوراً أن تفعل أى شىء آخر تنشغل فيه.

* حاول أن تشغل فمك بأى شىء طوال الوقت، بسكويت أو شيكولاتة.. مثلاً.

* قم بمكافأة نفسك فى نهاية أول يوم بدون تدخين، كأن تتناول طعامك

المفضَّل. . مثلاً. وأرْفَع درجة من هذا أن تُقَدِّم قيمة (باكيت) الدخان صدقة لأحد المحتاجين.

* لا تقلق إذا شعرت بأنك تنام أكثر من المعتاد، أو أن مزاجك النفسى غير مستقر، فكل هذه المشاعر عابرة. ثم تستقر.

* حاول أن تتنزَّه فى أماكن مفتوحة تساعدك على تنفس هواء نقى.

* فكِّر كثيراً فى إيجابيات الإقلاع عن التدخين وانعكاسات ذلك على حياتك. . . فكر فى الفوائد الصحية لك ولأسرتك والمحيطين بك، فضلاً عن توفير المال والقدرة على الاستمتاع بالحياة.

* احرص على تناول الطعام فى مواعيده ولا تُسرف فى الطعام عندما تشعر بالجوع؛ لأن ذلك إحساس خادع مرتبط أحيانًا بالرغبة فى التدخين.

* ضع النقود التى كنت تشترى بها السجائر فى حَصَّالة الادخار لتذهب أنت وزوجتك إلى العمرة آخر العام.

* إذا حاولت ولم تُوَفَّق، فلا تُصب بالإحباط أو اليأس، وحاول مرة ثانية وثالثة حتى تنجح. واعلم أن سيجارة واحدة لن تعيدك مدخنًا كما كنت فى السابق، واعتبر أنها خطأ، وتذكَّر جميع الأسباب التى دعتك لمحاولة الإقلاع عن التدخين، وتذكَّر أنه يجب عليك أن لا تقع فى الخطأ مرة ثانية أو سيجارة ثانية.

* فى حالة الضرورة، يمكن اللجوء إلى الطبيب. فهناك طُرُق تساعد على تقليل النيكوتين فى الجسم، وتُخَفِّف من حِدَّة الأعراض الانسحابية، مثل الصداع والجوع والتوتر وصعوبة التركيز.

* إذا وصل الأمر لمرحلة العلاج فيمكن اللجوء إلى البدائل الطبية التالية:

- الإبر الصينية: عادة ما يتم تثبيت ثلاث إبر بمواقع الإدمان بالأُذُن،

ويُحَدِّد الطبيب المعالج عدد المرَّات التى تحتاجها كل حالة. ويتراوح عدد المرات التى يتردد فيها المدخن على الطبيب للإقلاع عن التدخين ما بين مرتين إلى خمس مرات. وهذه الطريقة ثبتت فعاليتها فى ٥٠٪ من الحالات.

* لا تتردد فى زيارة عيادة مكافحة التدخين والتى توجد فى كل مدينة ولها نجاح ملموس فى مساعدة المدخنين على الإقلاع [(١)].

خاتمة ووصية...

وبعد:

* أمَا آن للمدخنين أن يتقوا الله فى أنفسهم وأطفالهم وأهليهم ويكفوا عنهم تلك الأضرار الفادحة؟؟

* وهل آن للمدخنين فى الأماكن العامة أن يحترموا الآخرين وأن يكفوا عنهم أذيتهم؟

* وهل آن لكل مدخن أن يتدارك نفسه من مأزق التدخين الذى لن يُحصِّل من ورائه إلا إضرار نفسه وإهدار ماله وتحقيق مقاصد أباطرة تجار التبغ فى الإضرار ببنى الإنسان وخاصة أبناء من يسمونهم دول العالم الثالث ليحافظوا على أرصدتهم المالية.

وأعظم من ذلك كله تعريض نفسه لعقوبة الرب سبحانه والوقوع فى سخطه، خاصة وأن التدخين فيه إصرارٌ ومجاهرة ومثل ذلك يكون أعظم إثمًا.

* وهل تأمَّل المدخن الحال التى سيلقى عليها ربَّه سبحانه.... ولحمه ودمه متدنسٌ بتلك النبتة الخبيثة... كيف والمسلم مأمور بالبعد عن مواطن

(١) انظر «مجلة الشباب» - العدد (١٨) (ص:١٩-٢٠).

الخبث وموارده، ففى «صحيح البخارى» موقوفًا أو مرفوعًا إلى النبى ﷺ : «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبًا فليفعل»(١).

* فهل آن لإخواننا المدخنين أن يدركوا ذلك كله، هذا ما نرجوه محبةً لهم وحبًا لسلامتهم وسلامة أهليهم ومجتمعاتهم، ولما فيه خير أوطانهم.

وفَّقَ الله الجميع لما فيه الخير، وصلى الله وسلم على معلم البشرية وهادى الإنسانية نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٧١٥٢) كتاب الأحكام.



صراع مع
الخمور والمخدرات

صراع مع الخمور والمخدرات

* وها هى جولة جـديدة نخوضهـا ضد الشيطان الرجـيم الذى استطاع بكل أسف أن يزين لكثير من الناس شُرب الخمور والمخدرات فوقع كثير من الناس - وبخاصة الشباب - فى براثن الخمـور والمخدرات فهدم حياته ودمَّر مسـتقـبله وفقـد صحتـه وشبـابه وقبل كل ذلك ضـاع التزامه مـا بين تركٍ للواجبات والوقوع فى المحرمات - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

* وها نحن نخوض هذه الجـولة ضد الشيطان الرجيم لنُحـذر المسلمين من شرب الخـمور والمخدرات فيُقـلعوا عنها ونكون بذلك قد انتـصرنا على الشيطان الرجيم فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

يا شباب.. احذروا الخمر والمخدرات

لابد أن نعلم أن الشباب هم سواعد الأمة وأملها فى مستقبلها وهم نبض الحياة.. وبصلاحهم تعلو راية الإسلام خفاقة عالية.

لذلك نجد أن الـنبى ﷺ أعطى اهتمـامًا خاصًّا بالشبـاب... فكان يحضهم على أن ينشأوا فى طاعة الـله من أول لحظة فى حياتهم وحتى آخر العمر.

* قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[1].

ومن المعلوم أن الصحة والفراغ أكثر ما تكون فى مرحلة الشباب.

* وقال ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك وصحتك قبل**

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك»(١).

* وكان يُعلمهم أن العبد سيُسأل يوم القيامة عن عمره كله ثم يُسأل بشكلٍ خاص عن مرحلة الشباب.

قال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»(٢).

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(٣).

* بل كان يُحفزهم ويخبرهم بأن الشاب الذى ينشأ فى طاعة الله فإنه سيكون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا).

قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - وشاب نشأ فى عبادة الله» (٤).

* ولذلك نجد أن أكثر الذين اعتمد عليهم النبى ﷺ فى بناء الدولة المسلمة كانوا من الشباب.

* وأول سفير للإسلام فى المدينة المنورة كان شابًا - وهو مصعب بن عمير رضي الله عنه -.

* وأكثر الذين شاركوا فى حدث الهجرة المباركة كانوا من الشباب.

* وأكثر الذين شاركوا فى الغزوات كانوا من الشباب.

* فلما علم أعداء الإسلام بقيمة الشباب فى ظل هذا الدين كانوا فى

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١ ، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣ ، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع. وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والدارمى (٥٣٧) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

غاية الحرص على إفساد الشباب من خلال فتنة النساء وفتنة الوقوع فى إدمان الخمور والمخدرات.

قال أحدهم: كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ.

ولقد كرمنا بنى آدم

لا شك أن طبيعة الإنسان الذى استُخلف لعمارة الأرض لابد أن تكون طبيعة خيِّرة قويمة، لها من الصفات ما تستطيع به غرس بذور الفضيلة والاستقامة فى الحياة. وبنفس هذا القدر من الصفات لابد وأن تكون عظيمة جديرة بالاحترام والإجلال، ولهذا ما فتىء القرآن بين الحين والآخر يوقظ فينا هذا الشعور ويزكى فى تخيلنا هذا الإحساس ويؤصله، فهو لم يقرر فقط أن الله كرم الإنسان وبسط سلطانه على الأرض، وعلى البحار ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[1] كما لم يَقْصُر فضل الله سبحانه على أنه أمر الملائكة أن تسجد أمام آدم عليه السلام، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾[2] وإن كان ذلك درجة سامية رفيعة مبهرة يؤكد عليها القرآن فى مواطن كثيرة، ولكنه يزيدها تشريفًا وإجلالاً بنسبة الخلق إليه سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾[3] ثم يزيد الصورة إشراقًا على إشراق، ونورًا على نور بمنحه قبسًا من روحه سبحانه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[4] هكذا تزيده روح الحق شرفًا وتيهًا وسيادة وتكريمًا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (١٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٤).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١١).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٢٩).

وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(١).

الإنسان ثروة الأرض والمستخلف فيها

ليس هناك من شىء أعز من الإنسان على ظهر الأرض، فقد كرمه الله غاية التكريم ورفعه وسخر له كل شىء وأسجد له ملائكته وبعث إليه رسله مبشرين ومنذرين، فهو سيد الأرض والخليفة عن الله فيها وكل ما على ظهرها وما فى أرجائها مُسخَّرٌ له ومُذَلَّل وساكن له وخاضع.

فالإنسان إذن هو ثروة الأرض الحقيقية ونفحة الحق الربانية الآدمية، فيجب المحافظة عليه وترشيده وهدايته، وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(٢).

ولهذا اقتضى الأمر أن يُبعده الله عن كل الفواحش والسيئات والمهلكات قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(٣).

واقتضى كذلك إحاطته بسياجٍ واقٍ ودعامات حافظة حتى لا يهلك أو يضيع، وقد حدد العلماء هذه الدعائم بخمسة أشياء:

أولها: الدين الذى هو قوام الحياة والذى يسمو الإنسان به ويرتفع عن حيوانيته، كما أن الدين هو سياج التعاليم القويمة والبصائر العظيمة التى تهدى إلى الصراط المستقيم.

ثانيها: النفس - والمحافظة على النفس هى المحافظة على حق الحياة الكريمة العزيزة وحمايتها من الاعتداء عليها بالإيذاء أو القتل أو القطع أو

---

(١)، (٢) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٣).

غير ذلك مما يؤذى الجسد ويزهق الروح.

ثالثها: العقل - والمحافظة على العقل تكون بحفظه من تناول المهلكات والمتلفات والمسكرات والمفترات.

لأن المحافظة على العقل هى المحافظة على كيان الإنسان كله فالإنسان بدون العقل لا فائدة فى وجوده، بل يكون كلاً على غيره وعالة على سواه إلى أن يموت... وعقل الفرد ليس ملكًا له وحده وإنما هو ملك له ولأسرته ومجتمعه والبشرية، ولهذا كان الحفاظ على نفس الإنسان وعقله محافظة على البشرية جمعاء وإهلاك ذلك إهلاكًا لها.

رابعها: النسل - ويقتضى ذلك حفظ الأعراض ومنع الاعتداء عليها وتنظيم شهوة الفرج حتى لا يتمزق الإنسان ويهلك.

خامسها: المال - بمنع الاعتداء على الأموال والمحافظة عليها وعلى جهد الإنسان وتعبه وقوام حياته، فحرم السرقة وأكل أموال الناس بالباطل.

المخدرات ضياع لكل شىء

ضياع للدين، وضياع للعقل وضياع للقواعد كلها.

فإن شارب الخمر لا يشربها حين يشربها وهو مؤمن. كما ورد فى الحديث الصحيح.

وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها فى الآخرة»[2].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٣٧٦) كتاب الأشربة، وأحمد (٢٦٩٣٨) من مسند القبائل، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٧٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

ضياع للنفس، فإن الذى يُتلف عقله بالخمر أو المخدرات يتلف نفسه وسيأتى ما تفعله المخدرات بمتعاطيها ومقترفها، حيث تقضى عليه وعلى سعادته وحياته، فتتلف الجهاز الهضمى من أول التهاب المرىء إلى قرحة المعدة إلى التهاب البنكرياس والكبد، كما تتلف القلب والدورة الدموية، وتأتى بأمراض فقر الدم، إلى غير ذلك من الأمراض القاتلة.

ضياع للنسل، وهتك للعرض، وكثيراً ما تُشرب الخمر على الموائد الحمراء لتسلب الفضيلة والشرف، وتُسهل البغى والدنس، وحين تُفقد العقول، يُعتَدى على الأعراض وتُهتك الحرمات، ولا يكون هناك وازع ولا رقيب، فهى والانحراف الجنسى قرينان.

ضياع للمال، وضياع العقل بالمخدرات لا شك أنه من أكبر الأسباب التى تخرب الاقتصاد، فهى :

أولاً : تقضى على القوى الحيوية فى الإنسان فيصاب بالخمول والكسل والوهن، كما تتسبب فى عدم التركيز والتفكير السليم الذى يحسن الأشياء ويدعو إلى رواج الصناعات والتجارة والحرف.

ثانيًا : فالمخدرات دائمًا تكون غالية الثمن باهظة التكاليف تكلف صاحبها أعباء جسيمة ومصاريف فادحة. ودائمًا ما يكون المدمنون فقراء معوزين. فكم من أغنياء موسرين فقدوا أموالهم وثرواتهم بسبب شرب الخمر والإنفاق على البغايا الساقطات المنحرفات. وكثيراً ما يضطر المدمن إلى السرقة أو الاختلاس لتغطية نفقاته الباهظة التى لا يجد ما يسدها أو من يعينه عليها.

فكانت الخمر والمخدرات بحقٍّ أم الخبائث.... وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث».

ولهذا كانت المسكرات هى الآفة التى تقضى على الشعوب وعلى العقول

الشابة فيها، وكانت سلاحًا قويًا في يد الاستعمار استعمله في كثير من الشعوب وما زال يستعمله في بعض البلدان المتخلفة، ويشجع عليه ويتستر على مروجيه، وليس بخاف على أحد ما أصاب المسلمين من بلاء الإدمان، ومن الانحلال الخلقي ومن التحلل من القيم ومن قيود الدين الحنيف الذى حفظ على الأمة الإسلامية رجولتها وعفتها وعزتها زمنًا طويلاً.

حديث العلماء عن المخدرات

كانت المخدرات قديمًا تُحصر في أسماء وأنواع معينة يمكن حصرها والتغلب على تداولها فقد ذكر الإمام القرافي في كتاب الفروق أنواعًا من المخدرات وصنَّفها حسب تأثيراتها في الإنسان فقال:

«فالمسكر: هو الذى يغطى العقل ولا تغيب معه الحواس «كالخمر» ويتخيل صاحبه كأنه نشوان مسرور قوى النفس شجاع كريم.

والمُرقِّد: هو الذى يُغيِّب الحواس. كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس كالبنج.

أما المفسد: فهو المشوش للعقل كالحشيش والأفيون وسائر المخدرات والمفترات التي تثير الخلط الكامن في البدن ولذلك تختلف أوصاف مستعملها»[1].

هذا وقد اكتشف الفقهاء مضار المخدرات من قديم. فقال الإمام بدر الدين الزركشي: «ذكر بعضهم أنه جمع في مضارها في العقل والبدن، مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية: ثم عددها، نذكر منها على سبيل المثال: أنها تفسد العقل، وتحرق الدم، وتنتن الفم، وتضر الأحشاء، وتقوى الهوس، وتكسب الكسل، وتورث الفشل، وتجعل الأسد كالجُعل، وتُصيِّر العزيز ذليلاً

(١) الفروق للقرافي ص ١٢٥/١١٦ ط عيسى والحلبي.

والصحيح عليلاً، وتُسقط المروءة، وتُبلد الفطرة وتُخمد الفطنة»[١].

المخدرات فى هذا العصر

زادت المخدرات فى هذا العصر وكَثُرت كثرةً فاحشة أذهلت الجميع وكسرت حاجز السيطرة، وظهرت أضرارها، وكشف العلم الحديث عما كان مستوراً من تلك الأضرار حتى أصبحت كارثة العصر وجائحته المحيرة، وتسببت رغماً عن ذلك فى هياج كثير من الآثام كالجنس، والضياع، والأمراض المعدية، والجريمة، والعنف، فأصابت الأمم فى مقتل أهدرت أموالها وطاقاتها وساعد على ذلك كله كثرة أنواعها، وسهولة الحصول عليها، وقيام جهات ذات مكانة على ترويجها لأسباب معينة. فأما عن كثرة أنواعها: فقد استخرج من الأنواع القديمة أنواع أخرى أشد فتكًا وضراوة بواسطة التقدم الكيماوى كالهيروين، والمورفين والكوكايين، وآمفيتامين، والميراجونا والمكستون فورت، إلخ [٢] هذا وقد اختُرعت عقاقير أخرى وصُنعت مواد بديلة قامت بهذا الدور التدميرى على أسوأ ما يتخيل العقل ويتصور[٣].

القلق يتزايد

لقد بدأ القلق يتزايد فى الدول العربية - التى أصبحت سوقًا رائجة لاستهلاك المخدرات - وأصبح شبابها هدفًا لسياسة تدميرية لكل قواها ودفاعاتها. حتى يتم تحويلهم إلى أمة مسلوبة الإرادة، تكثر فيها الجرائم

---

(١) زهر العريش فى تحريم الحشيش للإمام بدر الدين الزركشى ص٩٥ إلى ١٠٠ دار الوفاء مصر.

(٢) انظر فى ذلك الجهود الدولية فى مكافحة المخدرات - عبد الله الفرحان ص٨٣ إلى ١١١ .

(٣) بتصرف من مجلة الشريعة / العدد (١٩) - نحو مجتمع بلا إدمان ولا مخدرات / د . توفيق يوسف (ص: ٢٧٠ - ٢٧٥).

والمشكلات، فنحن نريد أن نضع خطًا دفاعيًا يحمى مجتمعنا وشبابنا من تعاطى المخدرات عن طريق الإقناع.

فإقناع الشباب بالامتناع عن تناول المخدرات لا يتم بِسَنِّ القوانين والعقوبات والضرب على أيدى الآثمين وحده، ولكنه يتم - أيضًا - بتحصينهم بالدين والمعرفة، فهما خير وسيلة للردع، وحماية المجتمع من الانهيار والفساد... فالمدمن يشكل عبئًا على أسرته وأمته، بل قد ينقلب إلى خطرٍ داهم على آدابها وسلامتها العامة.

فنحن فى أمسِّ الحاجة لمعرفة آراء المتعاطين ودوافعهم الحقيقية ومقترحاتهم لحل هذه الظاهرة،.... وهذه خطوة مهمة جداً لمعرفة كيفية البناء النفسى لهذا المدمن، وتفهُّم حالته، حتى نساعده على الخروج منها، بدلاً من أن نتحسر عليه.

المراحل الأساسية للتعاطى والإدمان

هناك أربعة مراحل أساسية فى تعاطى أى عقار، من الكحول أو الحشيش أو الهيروين[1] :

الأولى : مرحلة التعاطى التجريبى: وهى مرحلة أساسية لفهم المشكلة الحالية لتعاطى الشباب العقاقير المخدرة، فالمتعاطون يعتقدون أن تجريب العقاقير هو عمل مأمون، وأن بعضها يمكن أن يكون طبيعيًا إذا قام بتجريبها. وهذه المرحلة الأولية - غالبًا - ما يجد المتعاطى فيها سلبية. فمدخن السيجارة لأول مرة - غالبًا - ما يسعل ويعانى من حرقة العينين، ومتعاطى الكحول يضطر إلى تخفيفه بالماء، ومتعاطى الهيروين المبتدئ -

(١) المخدرات والإدمان دراسة نفسية ميدانية، سلطانة عثمان يوسف، دبى ١٩٩٣ - ص ٢٢ - ٢٦ بتصرف.

غالبًا - ما يتقيأ، إلا أن هذه التأثيرات السيئة الأولية فشلت فى إدخال الروع فى نفوس معظم المبتدئين، لأنهم يستمعون إلى المتعاطين قبلهم - الأكثر خبرة - ويؤكدون لهم بأن هذه الأعراض السلبية ستزول قريبًا مع الاستمرار فى تعاطيها.

الثانية: وهى مرحلة التعاطى العرضى أو الاجتماعى: ويكون المتعاطى خلالها مؤثَّرًا عليه من قبل أصدقاء ورفقاء السوء فيتعلم منهم كيف ينسى تجاربه السيئة، وللأسف فإنه يتجاوب معها ببساطة عندما تتوافر له، فكثير من الشباب الذين يدمنون العقاقير المخدرة كانوا يرفضون العرض عليهم ثم يقبلونها، فالرفض الأولى لتناول العقار لا يعتبر إشارة أكيدة للنجاح فى الوقاية من سوء تعاطى العقاقير المخدرة.

الثالثة: وهى مرحلة التعاطى المنتظم، ويبحث المتعاطون - من خلاله - بجدية عن عقارهم المفضل والمحافظة على مصادر تزويدهم، والتأكد من استمرارية الحصول عليه، وأنه متوافر دائمًا، ويكون التعاطى فى هذه المرحلة بمقدار مرة أو مرتين أسبوعيًا، وعادة ما يكون دافعهم فى الوصول إلى الثمالة من العقاقير بلوغها دون أى موانع تُذكر.

الرابعة: وهى مرحلة الإدمان: حيث يصبح استعمال واحد أو أكثر من العقاقير الخاصة جزءًا رئيسيًا من حياة المتعاطى، وستُقابَل أية محاولة لفصل المتعاطى عن العقار بمقاومة قوية، ويكون المتعاطى مستعدًا للتخلى عن أى شىء فى الحياة - تقريبًا - فى سبيل الحفاظ على الاتصال مع العقار، بل ويصل به الأمر إلى شراء العقار بدلاً من الطعام.

ويلاحظ: أنه فى المراحل الأولى للتعاطى التجريبى والعوضى أن قرار تعاطى العقاقير يتأثر بعدة عوامل، مثل: السعر، والمؤونة، ومعارضة العائلة للتعاطى، وعندما يحصل الإدمان فلن يكون السعر عائقًا لغالبية المتعاطين،

فالاضطرار الشديد لتعاطى العقاقير واضح جدًا بين المتعاطين للعقاقير غالية الثمن، مثل: الكوكايين، والهيروين، وغالبًا ما يتخلى متعاطو هذه العقاقير فى كافة الأعمار عن أى شىء فى سبيل الحصول على العقار الذى تعودوا عليه، ولو هُددوا بالسجن أو فقدان الوظيفة والطرد من حياة العائلة[١] .

الأدلة على تحريم الخمور والمخدرات

أما عن الأدلة على تحريم الخمر والمخدرات من الكتاب والسنة فهى كثيرة، ولكن سأكتفى بذكر بعضها:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٢] .

هذه الآية أخذ منها أهل العلم قاعدة كلية وهى: أن كل طيب مباح، وكل خبيث محرم، وإذا أردنا إدخال المخدرات تحت هذه القاعدة فهل من عاقل يقول: إنها من الطيب المباح؟ لا أظن ذلك إطلاقًا، بل عامة العقلاء متفقون على اعتبارها من الخبيث المحرم، لما لها من الأضرار الخطيرة التى أصبحت لا تخفى على العامة، فضلاً عن الخاصة.

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٣] .

---

(١) مركز أبحاث مكافحة الجريمة بالرياض، المخدرات والعقاقير، إصدارات مركز أبحاث مكافحة الجريمة بالرياض التابع لوزارة الداخلية (طباعة شركة الطباعة العربية السعودية ١٩٨٥) ص٣٠ .

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٣) سورة المائدة: الآيتان: (٩٠-٩١).

ونحن نعلم أن متعاطى الخمر والمخدرات كلاهما يفقد وعيه ويتصرف تصرفات طائشة تثير الشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء وكلاهما فى غفلة عن الصلاة وسائر التكاليف أثناء فقده الوعى؛ فيكون هذا دليلاً على تحريم المخدرات... قال الذهبى فى معرض حديثه عن الحشيشة [وبكل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظًا ومعنًى].

٣- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1].

٤- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[2].

فهذه الآيات نصَّت على تحريم الخمر، على تفاوت فى دلالتها، والخمر ما خامر العقل، أى ستره وغطاه، وهذا المعنى موجود فى المخدرات بل أشد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قليل الحشيشة المسكرة فحرام عند جماهير العلماء كسائر القليل من المسكرات، إلى أن قال: ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروبًا، أو جامدًا أو مائعًا»[3].

٥- قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[4].

٦- قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[5].

هاتان الآيتان توجبان الحفاظ على الصحة وعدم إلقاء النفس فى التهلكة أو ارتكاب المخاطر المؤدية لقتل النفس، ما لم يكن فى ذلك مصلحة راجحة كالجهاد فى سبيل الله،... والمخدرات ثبت - طبيًّا-

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣٤ ص ٢٥٤ .

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٥) سورة النساء: الآية: (٢٩).

ضررها على الصحة، بل ثبت أنها تؤدى إلى الجنون وربما الموت، وقد نَصَّ على ذلك الأطباء والعلماء وقد أشار كل من شيخ الإسلام ابن تيمية والزركشى إلى طرف من ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنها - الحشيشة - مع أنها تُسكر آكلها حتى يبقى مصطولاً - تورث التخنث والديوثة، وتفسد المزاج، فتجعل الكبير كالسفنجة، وتوجب كثرة الأكل، وتورث الجنون، وكثير من الناس صار مجنونًا بسبب أكلها»[1].

ويقول الزركشى: «وقد استعملها قوم فاختلت عقولهم، وربما قتلت»[2].

* ومن السنة:

١- ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»[3].

٢- ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[4].

هذه الأحاديث صريحة فى تحريم الخمر، بل وتحريم كل مسكر والمخدرات - طبقا لما بينته- داخلة فى المسكر، بل هى أشد فتكًا منه.

يقول ابن حجر فى الفتح: «واستُدلّ بمطلق قوله ﷺ: «كل مسكر حرام»[5] على تحريم ما يُسكر، ولو لم يكن شرابًا فيدخل فى ذلك الحشيشة وغيرها»[6].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣٤ ص ٢٠٥.

(٢) زهر العريش ص ١٠٢.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٨١) كتاب الأشربة، والترمذى (١٨٦٥) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٩٣) كتاب الأشربة، وأحمد (١٤٢٩٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٣٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٤٣) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٣٣) كتاب الأشربة.

(٦) فتح البارى جـ١٠ ص ٣٨.

*** ومن القياس:**

١- أن فى تعاطى المخدرات اعتداء على الضروريات الخمس التى حرصت الشريعة الإسلامية على حمايتها والمحافظة عليها بمختلف السبل والوسائل، واعتبرت الاعتداء على أى منها جريمة من أشد الجرائم، يستحق مرتكبها أشد العقوبات - حماية للفرد، وصيانة للمجتمع - مما يضعفه ويجعله مهزوزاً غير متماسك البناء، فيطمع به الأعداء وينتهكون حرماته.

٢- المخدرات لها آثار خطيرة على الفرد والمجتمع: دينيًا، وصحيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، وأمنيًا، ونفسيًا، وهذه وحدها كافية لمنعها ومعاقبة متعاطيها.

٣- المخدرات تصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالخمر تمامًا بل هى أولى؛ لأنها مع ستر العقل وتغطيته تورث الخدر والضعف والاستكانة، وقد يستمر ذلك ساعات طويلة،... وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

٤- أن تعاطى المخدرات طريق للجريمة، فهى تدفع متعاطيها للجريمة لأن المدمن عليها يستميت فى الحصول عليها مهما كلَّفه ذلك، ولو اضطر للنهب والسلب والقتل، وقد أثبتت الدراسات الكثيرة[2] التى أُجريت على بعض السجناء صدق ما أقول.

*** ومن الإجماع:**

نقل اتفاق أهل العلم على تحريم المخدرات - ومنها الحشيش-: شيخ الإسلام ابن تيمية، والزركشى، وصاحب تهذيب الفروق.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٢) المخدرات فى الفقة الإسلامى: د. عبد الله محمد الطيار ص ١٠١ مكتبة التوبة - الرياض.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الحشيشة الملعونة المسكرة فهى بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء»[١].

ويقول الزركشى: «وأما الإجماع على تحريمها فقد نقله غير واحد، منهم: القرافى فى قواعده، وكذلك ابن تيمية».

ويقول صاحب الزواجر: «وحكى القرافى وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلها فقد كفر.... قال: وإنما لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة لأنها لم تكن فى زمنهم»[٢][٣].

لا فرق بين قليل الخمر وكثيرها:

حرم الشارع القطرة من الخمر، وإن لم تحصل بها مفسدة الكثير؛ لكونها ذريعة إلى شرب كثيرها[٤].

فعن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[٥].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه، فملء الكف منه حرام»[٦].

والفرق: مكيال يسع ستة عشر رطلاً.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٣٤ ص ٢٠٤ .

(٢) الزواجر لابن حجر الهيثمى (١/ ٢١٢).

(٣) مجلة الشريعة/ العدد (٣٩) توعية الشباب من خطر المخدرات - د. بسام خضر سالم (ص: ٢٤٤ - ٢٤٨) بتصرف.

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٦١).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٣٩٢) كتاب الأشربة، وأحمد (٥٦١٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن ابن ماجه، وانظر الإرواء (٢٣٧٣، ٢٣٧٥).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٨٧) كتاب الأشربة، والترمذى (١٨٦٦) كتاب الأشربة، وأحمد (٢٣٩٠٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى غاية المرام (٥٩).

الحشيشة والمخدرات حرام

عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام»[١].

وهذا يتناول كل ما يُسكر، ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروبًا، أو جامدًا أو مائعًا، فلو اصطبغ كالخمر كان حرامًا، ولو أماع الحشيشة وشربها كان حرامًا.... ونبينا ﷺ بُعث بجوامع الكلم، فإذا قال كلمة جامعة كانت عامة فى كل ما يدخل فى لفظها ومعناها، سواء كانت الأعيان موجودة فى زمانه أو مكانه أو لم تكن[٢].

وقد صَحَّ عن أصحابه ﷺ الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده بأن «الخمر ما خامر العقل»[٣].

على أنه لو لم يتناول لفظه ﷺ كل مسكر، لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل جهة حاكمًا بالتسوية بين أنواع المسكر، فالتفريق بين نوع ونوع، تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه[٤].

ولذا فإن المخدرات بجميع أنواعها (الحشيشة والأفيون والهيروين وغيرها) محرمة وهى خمر لأنها مسكرة تغيب العقل، وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب، فهى تجامع الشراب المسكر فى ذلك.

وقد نَصَّ على تحريمها فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم ولا خلاف فى ذلك[٥].

---

(١) [illegible] رواه مسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤/ ٢٠٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦١٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٣٠٣٢) كتاب التفسير.

(٤) زاد المعاد.

(٥) ابن عابدين (٤/ ٤٢) والدسوقى (٤/ ٣٥٢).

والتحـقيق أن هذه المخدرات - بعد الاتفـاق على تحريمهـا - لها حكم الخمـر بالنص فلا وجه للتـفريق بينها وبين الخـمر، فهى وإن كـانت تجامع الشراب المسكر فى تغييب العقل والنشـوة والطرب، فإنها تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخُلُقه وطبعه، وتفسد الأمـزجة حتى جعلت خلقًا كثيراً مجانين، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر، فهى بالتحريم أولى، وقد صَحَّ تسميتها خمراً، فيكون القليل منها حرامًا كالكثير[1].

ما فعله الصحابة عند التحريم النهائى للخمر

نحن نعلم أن الخمر حُرمت على مراحل:

* فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[2].

فدُعى عـمر فُـقرئت عليه، قـال: اللهم بيِّن لنا فى الخمـر بيان شـفاء، فنزلت التى فى النسـاء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[3].

فدُعى عمر فـقُرئت عليه، ثم قال: اللهم بيِّن لنا فى الخمـر بيان شفاء، فنزلت التى فى المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[4]، فدُعى عمر فقُرئت عليه فقال: انتهينا. انتهينا»[5].

(١) صحيح فقه السنة/ أبو مالك (٤/ ٧٦ - ٧٧) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٩).

(٣) سورة النساء: الآية: (٤٣).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٧٠) كتاب الأشربة، والترمذى (٣٠٤٩) كتاب تفسير القرآن، والنسائى (٥٥٤٠) كتاب الأشربة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

نزلت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فكانت الإجابة الفورية انتهينا . . . انتهينا .

ولنستمع ما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: يوم أن حُرمت الخمر كنت ساقى القوم فى منزل أبى طلحة فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا منادٍ ينادى: ألا إن الخمر قد حُرمت فقال لى: اذهب فأهرقها .

قال: فجرت (أى الخمر) فى سكك المدينة[1].

ما هى أسباب الوقوع فى الإدمان؟

هناك أسباب كثيرة للوقوع فى الإدمان من وجهة نظر المدمنين وغير المدمنين .

* **أما عن أهم أسباب الإدمان من وجهة نظر المدمنين:**

١- رفاق السوء، وقد اتفق على هذا السبب (٦٦٪) من أفراد عينة الدراسة .

٢- الفراغ، وقد اتفق على هذا السبب (٥١٪) من أفراد عينة الدراسة .

٣- السفر دون رقابة الأهل، وقد اتفق على هذا السبب (٤٦٪) من أفراد عينة الدراسة .

٤- المشكلات الأسرية، وقد اتفق على هذا السبب (٣٨٪) من أفراد عينة الدراسة .

٥- إهمال الأسرة للأبناء، وقد اتفق على هذا السبب (٣٨٪) من أفراد عينة الدراسة .

- وفرة المال فى أيدى الشباب (٢١٪).
- المشاكل النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية للشباب (٢٢٪).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٤) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة .

٦- عدم إعطاء المدمن فرصة العمل بعد العلاج، وقد أشار إلى هذا السبب (١٨٪) من أفراد عينة الدراسة.

٧- المردود المادى والتمتع بالمخدر، وقد اتفق على هذا السبب (١٢٪) من أفراد عينة الدراسة.

٨- الرغبة فى التجربة وطبيعة مرحلة الشباب، وقد اتفق على هذا السبب (١١٪) من أفراد عينة الدراسة.

٩- انتشار أفلام العنف والمخدرات.

- عدم الوعى بمخاطر المخدرات والمعلومات الخاطئة عنها (١١٪).

- سهولة الحصول على المخدرات (٩٪).

١٠- غياب الأب المستمر عن الأسرة، وقد اتفق على هذا السبب (٢٠٪) من أفراد عينة الدراسة.

١١- ضعف الوازع الدينى، وقد اتفق على هذا السبب (٢٠٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٢- كثرة الوافدين من المستويات الثقافية المتدنية، وقد اتفق على هذا السبب (٨٪) من أفراد عينة الدراسة.

*** أهم أسباب الإدمان من وجهة نظر غير المدمنين:**

١- الفراغ وقد أجمع عليه (٦٧٪) من أفراد عينة الدراسة.

٢- إهمال الأسر لأبنائها وسوء التربية وقد أجمع على ذلك (٦٢٪) من أفراد عينة الدراسة.

٣- وفرة المال فى يد الأبناء.

٤- أصدقاء السوء وقد أجمع على ذلك (٥٩٪) من أفراد عينة الدراسة.

٥- المشاكل والأزمات العائلية وقد أجمع على ذلك (٥٢٪) فى أفراد عينة الدراسة.

٦- نقص الوعي بمخاطر المخدرات وقد أجمع على ذلك (٤١٪) من أفراد عينة الدراسة.

٧- الابتعاد عن تعاليم الدين وقد أجمع على ذلك (٣٤٪) من أفراد عينة الدراسة.

٨- السفر بدون الأهل وقد أجمع على ذلك (٢٨٪) من أفراد عينة الدراسة.

٩- التقاليد وقد أجمع على ذلك (٢١٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٠- البرامج الإعلامية الهابطة، وقد أجمع على ذلك (٢١٪) من أفراد عينة الدراسة.

١١- توفر المشروبات الكحولية والمخدرات وسهولة الحصول عليها، وقد أجمع على ذلك (٣١٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٢- زيادة أعداد الوافدين والعمالة الأجنبية من المستويات الثقافية المتدنية، وقد أجمع على ذلك (١٧٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٣- المشاكل النفسية والاجتماعية للشباب، وقد أجمع على ذلك (١١٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٤- الأحكام غير الرادعة على تجار المخدرات، وقد أجمع على ذلك (٢٦٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٥- نقص روح المؤولية لدى فئة من الشباب، وضعف مستواهم التعليمي والثقافي، وقد أجمع على ذلك (١٤٪) من أفراد عينة الدراسة.

١٦- ضعف الرقابة على منافذ الدولة، وعلى القادمين من المواطنين ومواطني دول مجلس التعاون، وقد اتفق على ذلك (١٤٪) من أفراد عيىة الدراسة[1].

---

(١) مجلة الشريعة/ العدد (٣٩) (ص: ٢٤٨ - ٢٥٠).

الآثار المترتبة على تعاطى الخمور والمخدرات

وتعالوا بنا لنرى تلك الآثار الوخيمة المترتبة على تعاطى وإدمان الخمور والمخدرات.

لكن قبل أن أذكر لكم تلك الآثار الوخيمة لابد أن نعلم أن كل الأحاديث التى سأذكرها عن تحريم الخمر فهى تشمل الحديث عن المخدرات أيضًا.

كما أننا لابد أن نعلم أن الإسلام قد اعتنى بالضروريات الخمس ألا وهى: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال.

فإذا شرب المسلم تلك الخمور أو المخدرات فقد دمَّر تلك الضروريات الخمس التى جاء الإسلام بحفظها.

(١) شارب الخمر يهدم دينه:

لأنه يفعل شيئًا قد حرمه الله فاستحق بذلك مقت الله وغضبه وعقابه.

(٢) شارب الخمر يدمر نفسه وصحته وبدنه:

فشرب الخمر هو قتلٌ بطيء للإنسان وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1]. فشرب الخمر والمخدرات سببٌ لكثير من الأمراض، فهى تدمر الكبد والمخ والجهاز العصبى والتناسلى والعين والجلد والشعر والأسنان وتؤدى إلى مرض السرطان والإيدز والقلب وتشوه الأجنة فى بطون الحوامل المدمنات.

(٣) شارب الخمر يدمر عقله:

فالعقل نعمة من أعظم النعم... ومع ذلك فشارب الخمر والمخدرات

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٩).

يدمر تلك النعمة العظيمة التى أنعم الله بها عليه.

(٤) شارب الخمر يدنس عرضه:

فتجد أن شارب الخمر ومُدمن المخدرات سُمعته وسيرته سيئة جدًا بين الناس.

بل إن الإدمان يُذهب الغيرة من قلبه على نسائه وبناته.

فقد تجد هذا المدمن جالسًا فى بيته ليشرب الخمر أو ليتعاطى المخدرات ومعه أصدقاء السوء... وزوجته هى التى تقوم بخدمتهم.

ولعلكم تعلمون تلك القصة التى نشرتها إحدى الصحف من أن رجلاً مدمنًا كان قد استضاف فى بيته تاجرًا للمخدرات، وكان المدمن قد نفد ماله ويريد تلك الجرعة المخدرة فرفض التاجر أن يعطيه الجرعة إلا بثمنها..... فلما رأى التاجر زوجة المدمن وكانت جميلة طلب منه أن يفعل معها الفاحشة مقابل الجرعة فوافق المدمن وضحَّى بعرضه من أجل تلك الجرعة الملعونة.

(٥) شارب الخمر والمخدرات مضيع للمال:

فالمال أمانة سيسألنا الله عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[1].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن خمس - وذكر منها: وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»[2].

والعجيب فى هذا الأمر أنك لا ترى الأغنياء فقط هم الذين يشربون بل هناك فقراء يشربون ويدمنون.

والأعجب من هذا: أن اليهود هم الذين يروجون الخمور والمخدرات فالمدمن يعطى ماله لليهود ليشتروا به سلاحًا ويضربوا إخوانه فى فلسطين.

(١) سورة الإسراء: الآية: (٢٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٦) الخمر والمخدرات تصد العبد عن ذكر الله وعن الصلاة:

فالله خلقنا من أجل أن نعبده... قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. وشرب الخمر والمخدرات يصد العبد عن الذكر والصلاة والصيام وقراءة القرآن.... قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

(٧) شرب الخمور والمخدرات توقع العبد فى المهالك:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة أغوته، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنها تدعوك للشهادة؛ فانطلق مع جاريتها فطفق كلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ، أو تشرب من هذه الخمر، كأسًا أو تقتل هذا الغلام، قال فاسقينى من هذه الخمر كأسًا فسقته كأسًا فقال زيدونى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل الغلام فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه»[3].

وإذا كان هذا من تأثير الخمر فإن المخدرات تأثيرها على العقل أبشع من تأثير الخمر، وما فى الخمر من مضار دينية وفكرية يوجد فى المخدرات ما هو أشد وأنكى.

* * *

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٢) سورة المائدة: الآيتان: (٩٠- ٩١).

(٣) رواه النسائى موقوفًا على عثمان بن عفان وإسناده صحيح.

نهاية مأساوية (١)

جلس رجل الأعمال المليونير الكبير فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط بالجزائر وظل يتفكر فى حياته، لقد قضى حياته كلها باندفاع بحثًا عن المال والصفقات فى كل أنحاء العالم حتى أصبح مليونيراً. . . . . وهو يذكر جيداً أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته. . وتذكّر المليونير أسرته زوجته الصغيرة الجميلة، وابنه الذى سيأخذ الشعلة منه، ويدير شركاته وأعماله، وأخذ رجل الأعمال يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه، فلم يعرف، كل الذى يدريه أن ابنه بكلية الهندسة، وأثناء هذه الأحلام.. دق جرس التليفون فى غرفته. وكانت المكالمة من القاهرة والمتحدث على غير العادة شقيقه:

احضر فوراً. . . . زوجتك تحتضر. . . . .

فقال له رجل الأعمال: انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا. . . أريد أن تعيش. . . وبكى رجل الأعمال لأول مرة فلقد تبخرت آماله فى لحظة، ولكنه سيضع كل ثروته مقابل أن تعيش زوجته.

وفى مطار القاهرة كان شقيقه الأكبر فى انتظاره لم يكن قد رآه منذ سنوات فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد فلما سلم عليه قال له: تماسك لقد ماتت متأثرة بجراحها. . وبكى طويلاً ووسط دموعه سأل شقيقه: كيف ماتت وأين هى؟ قال: فى المشرحة. . .

قال الزوج: المشرحة؟!! قال: نعم، والجنازة غدًا، أجّلناها حتى تكون من مودعيها. قال رجل الأعمال: وأين ابنى؟ قال: لم يتمكن من الحضور - حزين عليها طبعًا - وساد صمت رهيب، رجل الأعمال شارد فى ماضيه

(١) بتصرف واختصار من كتاب «شباب فى دائرة الموت» لوجيه أبو ذكرى.

شريط طويل من الذكريات معها، كانت معه كالنسيم واتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه قصر رجل الأعمال فقال له: إلى أين؟ فقال الأخ... إلى بيتى أولاً.... قال: لماذا؟ هل تُخفى شيئًا؟ قال شقيقه: لا، ولكن أرجوك لا تعارضنى.. وبكى شقيقه، ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون وأغلق عليهما الباب. فقال رجل الأعمال: أشعر أن هناك أمرًا أعظم من الموت فقال شقيقه: المأساة قاسية... لا تُصدِّق... لقد اتصل بى ضابط الشرطة وطلب منى الحضور للقسم فورًا، وذهبت فوجدت ابنك ممزق الثياب وعلى ملابسه بقع من الدماء وفى حالة ذهول يجلس على الأرض وكاد قلبى يتوقف وسألت.. ماذا جرى؟ فنظر إلىَّ ابنك وارتمى على صدرى وظل يبكى ويبكى ثم سألت الضابط، فقال لى جملة سقطت بعدها فاقد الوعى، قال: الـبيه المدمن قتل أمه! وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه، وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور: آه لقد انتهت حياتى.

. وبدأ الأب فى متابعة سماع المأساة إن ابنه الوحيد طعن أمه بسكين المطبخ حتى ماتت ثم ذهب إلى قسم الشرطة وقال جملتين فقط: أنا فلان ابن فلان.. قتلت أمى بهذا السكين... ورفض أن يتكلم بعدها.... كما رفض الإجابة عن أى سؤال... وفتشوه فوجدوا معه تذكرة هيروين وأمرت النيابة بتشريح الجثة ثم صرحت بدفنها... هذه هى المأساة.

قال رجل الأعمال: لماذا قتلها؟ قال شقيقه: لا أحد يعرف حتى الآن، وانتهت مراسم الجنازة وودع الرجل زوجه حتى القبر، وخلال ذلك فشلت الصحافة والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد.

وحللت إحدى الصحف الجريمة فقالت: «هذا الشاب يرفض الحديث، فهو لا شك مدمن هيروين حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه وكان فى

حاجة إلى مال، فطلب من والدته الثرية زوجة المليونير فرفضت فهددها بالسكين فلم تتصور وهى الأم أن يرفع ابنها السكين عليها، فأصرت على الرفض فنفَّذ تهديده وقتل أمه، وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة عدم وعى من هول المأساة فشعر بالندم فسكت انتظارًا لحبل المشنقة. هذا تصورنا للحادث الذى هزَّ المجتمع وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل الذى فُصل من كلية الهندسة حيث عاش أسير الهيروين» قرأ المليونير هذه المقالة فى الصباح قبل أن يذهب إلى ابنه وسأل نفسه: أين كنت يا رجل الأعمال؟ ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى؟ ابنك أدمن الهيروين وأنت لا تدرى؟ ليت هذه الأموال التى جمعتها تضيع كلها وتعود لى أسرتى وذهب الرجل إلى ولده وكان لقاءً مؤثرًا بين الوالد وابنه بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما وساد صمت قطعه الابن حين ارتمى فى أحضان أبيه قائلاً: أرجوك ضمنى إلى صدرك بشدة أكثر أحتاج إلى هذا محروم منه ما أقسى الحياة آسف لم أكن فى وعيى.. عاد لى الوعى عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى، أبدًا لم تكن تستحق هذا دعنى لأبكى على صدرك، فلم أكن أعرف الدموع.... ورجل الأعمال لا يدرى ماذا يقول: هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته؟ لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره.. بل زلزالاً فى هذه المشاعر.

وبدأ الشاب يروى لوالده: لقد عرفت الهيروين للتسلية والجنس ولكنه قتل فىَّ كل شيء: الطموح والخلق، ودفعنى وأصحابى من المدمنين إلى الجريمة سرقنا كم سرقت من أمى؟ وكم هى اتهمت الشغالة؟ حتى عرفت أننى أتعاطى الهيروين وهددتنى بأنها سوف تبلغك إن لم أتوقف، فادعيت لها أننى توقفت ولكن كل تصرفاتى تفضحنى وزادت حاجتى للمال لشراء الهيروين وطلبت منى أمى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج فرفضت،

ويندم شديد قال: حتى كان يوم الجريمة، كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشترى هيروين، وطلبت منها ألف جنيه وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ولكنها رفضت وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية، هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنيه فسأخبرك بأنها على علاقة برجل... فصفعتنى وبصقت فى وجهى... وإذا بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة تتحول إلى شبه واقع أمامى وأن أمى... حقًا على علاقة برجل آخر هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة وتضخمت الأمور أمامى وتصورت ما يحدث بين العشيق وعشيقته، والعشيقة هنا أمى... إذن هذه المرة يجب أن تموت... وأسرعت إلى المطبخ. وجئت بالسكين وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة فرفضت فكانت الجريمة البشعة... وماتت أشرف امرأة فى الوجود.. وما أن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون كلام أو وداع... ونادى الولد على والده، فلم يرد الوالد ثم نادى مرة ومرة قائلاً: أنت السبب... أنت السبب وظل الشاب المدمن يقول: إن والده هو السبب وهو الذى دفعه لكل هذا لعدم رعايته له... الشاب لم يُقدَّم للمحاكمة فلقد فقد البقية الباقية من عقله، تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية وهو يقول لكل من يقابله أنت السبب أمى أشرف امرأة فى الدنيا أمى أشرف امرأة فى الدنيا...

فى حى الدقى يوجد مسجد فى ميدانه عندما تدخله لتأدية الصلاة ستجد بداخله رجلاً يرتدى جلبابًا أبيض ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه وعندما ينتهى من التلاوة يرفع كفَّيه إلى السماء: اللهم اغفر لى وسامحنى يا رب العالمين، هذا الرجل هو نفس رجل الأعمال الذى تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة المخدرات... وأخذ من بيت الله مكانًا كى يرحمه.. وعندما تؤدى الصلاة بجواره سيصافحك بحرارة ويطلب منك بلطف وأدب أن تعطيه من

وقتك القليل وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها وسيبكى كثيراً وهو يسرد القصة ثم سيطرح عليك سؤالاً محيرًا؟ من المسئول عن كل هذا؟ من؟ من؟[1].

(٨) الخمر والمخدرات تؤذى الناس من حولك:

لا شك أن الشاب بإدمانه للخمر والمخدرات فإنه يؤذى الناس من حوله وقد قال النبى ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[2].

ومن المعلوم أن رائحة مدمنى الخمر والمخدرات لا تُطاق حتى إن أكثر الناس لا يطيقون مجالستهم ولو لدقائق معدودات فما الظن بزوجة المدمن التى تعيش معه وتعانى أشد المعاناة من حياتها معه.

بل إن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

(٩) الجرأة على ارتكاب الجرائم:

فمن المعلوم أن شرب الخمور والمخدرات تجعل الإنسان جريئًا على ارتكاب الجرائم: كالسرقة والنصب والقتل وهتك الأعراض وغيرها من الجرائم.

(١٠) شرب الخمور والمخدرات يُذهب المروءة:

فقد تجد رجلاً يشترى الخمور والمخدرات بمئات الجنيهات ويترك زوجته وأولاده بلا طعام ولا شراب ولا حتى دواء لأطفاله الصغار.

(١١) تدمير الحياة الزوجية:

فشرب الخمور والمخدرات يدمر الحياة الزوجية بسبب عدم شعور المدمن بأدنى مسئولية... وبالتالى فإنه يُضيع حقوق الزوجة وحقوق الأولاد فى آن واحد.

---

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ سورة التحريم: الآية: (٦)، وكما قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك».

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٤١) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٨٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥١٧).

(١٢) تدفع المدمن إلى الانتحار:

وشُرب الخمور والمخدرات تجعل المدمن ليس لديه أى رغبة فى الحياة... وقد يدفعه ذلك إلى الانتحار أو دخول السجن أو على الأقل إلى دخول مستشفى الأمراض العقلية.

(١٣) تؤدى إلى فساد الطباع وشراسة الخلق:

ومن المعلوم أن شرب الخمور والمخدرات تؤدى إلى فساد الطباع وشراسة الخُلُق ومصاحبة الذين على شاكلته مما يؤثر على حياته ويضيع مستقبله.

(١٤) يؤثر على رُقى المجتمع وتقدمه:

ومن المعلوم أيضًا أن انتشار الخمور والمخدرات وكثرة المدمنين فى أى مجتمع يؤثر على رقى المجتمع وتقدمه... فهو إهدار للأموال والطاقات البشرية وفيه نشر للرذيلة ولذا فهى تُمثل خطرًا داهمًا على الأمم والشعوب.

(١٥) شارب الخمر والمخدرات مطرود من رحمة الله (إلا من تاب):

قال ﷺ : «أتانى جبريل، فقال: يا محمد! إن الله عزَّ وجلَّ لعنَ الخمر، وعاصرها، ومُعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومُبتاعها، وساقيها، ومُسقيها»[1].

* **واللعن:** هو الطرد من رحمة الله.

فشارب الخمر والمخدرات مطرود من رحمة الله إلا إذا تاب - وباب التوبة مفتوح على مصراعيه حتى تغرغر الروح وحتى تشرق الشمس من مغربها.

(١٦) الخمر أم الفواحش:

ومن المعلوم أن من شرب الخمر والمخدرات فإنها تفتح له بابًا إلى ارتكاب الفواحش.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٨٩٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢).

قال ﷺ: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر مَن شربها وقع على أمه وخالته وعمته»(١).

* وكم سمعنا عن شبابٍ وقعوا على أخواتهم وأمهاتهم وبناتهم بسبب الخمر أو المخدرات - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١٧) من شربها لا تقبل له صلاة أربعين يومًا.

قال ﷺ: «من شرب الخمر وسكر لم تُقبل له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر، لم تُقبلْ له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فشرب فسكر لم تُقبل له صلاةٌ أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، وإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة: عُصارة أهل النار»(٢).

وقال ﷺ: «الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تُقبل صلاته أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهليةً»(٣).

(١٨) الملائكة تتأذى من شارب الخمر والمخدرات.

وكذلك فإن الملائكة لا تقرب شارب الخمر والمخدرات بل وتتأذى منه... وهذا - والله - عذابٌ أليمٌ أن يُحرم العبد من صحبة الملائكة.

قال ﷺ: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران والمتضمخ بالزعفران والجُنُب»(٤).

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١٦٤ ، رقم ١١٣٧٢)، وفي الأوسط (٣/ ٢٧٦ ، رقم ٣١٣٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٤٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٨٦٢) كتاب الأشربة، والنسائي (٥٦٧٠) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٧٧) كتاب الأشربة، والدارمي (٢٠٩١) كتاب الأشربة، وأحمد (٦٦٠٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣١٣).

(٣) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٨١ ، رقم ٣٦٦٧) ، والدارقطني (٤/ ٢٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٤٤).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٥٢ رقم ٥٢٣٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٦٠).

(١٩) شرب الخمور والمخدرات من أسباب نزول العذاب.

قال ﷺ: «في هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ... إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربت الخمور»[١].

(٢٠) شارب الخمر لا يدخل الجنة مع أول الداخلين.

قال ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الدَّيوث والرَّجُلة من النساء ومُدمن الخمر»[٢].

فالشاهد أن مدمن الخمر إذا مات على التوحيد فإنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين... إلا إذا كان مستحلاً لشربها مُنكرًا لحُرمتها مكذبًا للقرآن فهو في تلك الحالة لا يدخل الجنة أبدًا كما قال النبي ﷺ.

* بل قال ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة»[٣].

وقال ﷺ: «من مات وهو مُدمن خمر لقي الله وهو كعابد وثن»[٤].

* فإن كان مدمن الخمر موحدًا ودخل الجنة بعد أن لقي جزاءه على شرب الخمر فإنه يُحرم من خمر الجنة الذي جعله الله لذة للشاربين في الجنة.

حدُّ شارب الخمر

ذهب عامة أهل العلم بل حكى غير واحد منهم الإجماع على أن الشرع قد رتَّب على شرب الخمر عقوبة حدِّية مقدَّرة، فقد وردت أحاديث كثيرة في

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢١٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤١٢، رقم ١٠٨٠٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢٤٤٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٤٩).

حد شارب الخمر - يأتى بعضها - وأجمع الصحابة ومن بعدهم على جلد شارب الخمر، ثم اختلفوا فى مقداره على قولين(١):

الأول: مقداره أربعون جلدة: وهو مذهب الشافعى- ورواية عن أحمد - وداود وابن حزم وبه قال جمع من الصحابة ﭫ، وحجة هذا المذهب:

١- حديث أنس قال: «كان النبى ﷺ يضرب فى الخمر بالنعال والجريد أربعين»(٢).

٢- أن عثمان ﭬ أمر عليًّا بجلد الوليد بن عقبة فى الخمر، فقال لعبد الله بن جعفر: «اجلده، فجلده، فلما بلغ الأربعين قال: أمسك، جَلَدَ رسول الله ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكُلٌّ سنَّة، وهذا أحب إلىَّ»(٣).

٣- وعن السائب بن يزيد قال: «كنا نُؤتى بالشارب فى عهد رسول الله ﷺ، وإمرة أبى بكر، فصدراً من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان آخر إمرة عمر، فجلد أربعين، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين»(٤).

قالوا: ففيهما الجزم بأن النبى ﷺ جلد أربعين، واعتمده أبو بكر فى خلافته، وعمر ﭬ صدراً من خلافته حتى تتابع الناس فيها فزادها أربعين «تعزيراً».

الثانى: مقدار الحدِّ ثمانون جلدة: وهو مذهب جمهور العلماء منهم الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك وأحمد، وهو القول الآخر عند الشافعية،

---

(١) «ابن عابدين» (٥/ ٢٨٩)، و«الفواكه الدوانى» (٢/ ٢٩٠)، و«مغنى المحتاج» (٤/ ١٨٧)، و«المغنى» (٩/ ١٣٧)، و«المحلى» (١١/ ٣٦٥)، و«نيل الأوطار» (٧/ ١٤٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٠٦) كتاب الحدود.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٠٧) كتاب الحدود.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٧٧٩) كتاب الحدود.

واستدلوا بما يلى:

١- ما يُروى «أن النبى ﷺ جلد فى الخمر ثمانين»(١) وهو ضعيف لا تقوم به حجة.

٢- حديث أنس: «أن النبى ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين، - قال - وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين، فأمر به عمر»(٢).

قالوا: فاتفق رأيهم على الثمانين فكان إجماعًا!!

٣- ما يُروى عن علىٍّ رضي الله عنه أنه قال: «إذا سكر أهذى، وإذا أهذى افترى، وحدُّ المفترى ثمانون»(٣) ولا يصحُّ عنه، بل ثبت عنه أنه جلد أربعين.

* **قلت:**

الذى يترجَّح لدىَّ هو القول الأول: أن الحدَّ أربعون؛ لأنه الذى فعله النبى ﷺ وأبو بكر وعمر صدرًا من خلافته، وأما ما زاده عمر رضي الله عنه واستشار فيه الصحابة، فإنه قدر زاده على الحدِّ من باب التعزير لما رأى من اجتراء الناس وتتابعهم على شربها، ويؤيد هذا أمران:

(أ) أن عمر تدرَّج بالجلد من أربعين إلى ستين ثم إلى ثمانين، فعنه «أن عمر رضي الله عنه جلد أربعين سوطًا، فلم رآهم لا يتناهون جعله ستين، فلما رآهم لا يتناهون جعله ثمانين، ثم قال: هذا أدنى الحدود»(٤).

(ب) أنه كان يضرب فى وقت واحد أربعين وثمانين تبعًا للمصلحة،

(١) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق فى «المصنف» (٧/ ٣٧٩) مرسلاً، وانظر «التلخيص» (٤/ ٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٠٦) كتاب الحدود.

(٣) ضعيف: رواه مالك (٢/ ٨٤٢)، والدارقطنى (٣٥٤)، والطحاوى (٢/ ٨٨)، والحاكم (٤/ ٣٧٥)، والبيهقى (٨/ ٣٢٠)، وانظر «الإرواء» (٢٣٧٨).

(٤) مرسل: رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (٧/ ٣٧٧).

فقد «أتى عمر بشارب، فقال لمطيع بن الأسود: إذا أصبحت غداً فاضربه، فجاء عمر فوجده يضربه ضربًا شديدًا، فقال: كم ضربته؟ قال: ستين، قال: اقتصَّ منه بعشرين»[١].

قال أبو عبيد: «يعني: اجعل شدة ضربك له قصاصًا بالعشرين التي بقيت من الثمانين» اهـ. وقال البيهقي: «ويؤخذ من هذا أن الزيادة على الأربعين ليست بحدٍّ إذ لو كانت حدًّا لما جاز النقص منه بشدة الضرب إذ لا قائل به». اهـ[٢].

وأما ادعاؤهم اتفاق الصحابة - بعد استشارة عمر لهم - على الثمانين وأنه إجماع، فهو متعقَّب بجلد عليٍّ للشارب أربعين، وكذلك عثمان ﷺ.

والذي يتحصلُ أن الحدَّ إنما هو أربعون، وللإمام أن يزيد عليها بحسب الحال تبعًا للمصلحة من باب التعزير، والله تعالى أعلم[٣].

ما يثبت به حَدُّ الخمر

١- الإقرار: أي اعتراف الشارب بشربه للخمر، ويكفي فيه مرة واحدة في قول عامة أهل العلم، ولا يشترط مع إقرار وجود رائحة الفم - خلافًا لأبي حنيفة - لأنه ربما يُقِرُّ بعد زوال الرائحة عنه.

٢- البيِّنة: وهي أن يشهد رجلان عدلان مسلمان أنه شربُ مسكرًا، ولا يحتاجان إلى تفصيل في نوع المشروب، ولا إلى ذكر الإكراه أو عدمه، ولا ذكر علمه أنه مسكر؛ لأن الظاهر الاختيار والعلم.

فعن حصين بن المنذر قال: شهدت عثمان بن عفان وأُتي بالوليد بن عقبة قد صلَّى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد الآخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: «إنه لم

(١) صححه الحافظ: عزاه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٧٥) إلى أبي عبيد في «الغريب» وقال: إسناده صحيح.

(٢) انظر «سنن البيهقي» و«فتح الباري» (١٢/ ٧٥).

(٣) صحيح فقه السنة / أبو مالك - حفظه الله - (٤/ ٧٧- ٨٠) بتصرف.

يتقيأها حتى شربها»، فقال: «يا عليُّ، قم فاجلده»، فقال عليٌّ: «قم يا حسن فاجلده»، فقال الحسن: وَلِّ حارَّها من تولى قارَّها، فقال: «يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده، قم فاجلده»، فجلده وعليٌّ يعدُّ حتى بلغ أربعين فقال: «أمسك»... الأثر[1].

ما العلاج؟

وبعد هذه الجولة السريعة مع أخطار الخمور والمخدرات نجد أن العلاج ينقسم إلى قسمين: قسم على الدولة وقسم على المدمن نفسه.

*** فأما القسم الذى على الدولة حكومة وأفرادًا فهو:**

*** التعريف بحرمتها والترهيب منها:**

كما قال رسول الله ﷺ: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[3].

*** تحريم صنع الخمر والاتجار بها:**

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لُعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها وساقيها»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٠٧).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٦٤، رقم ١١٣٧٢)، وفى الأوسط (٣/ ٢٧٦، رقم ٣١٣٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٨) كتاب الأشربة، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٧٤) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٨٠) كتاب الأشربة، وأحمد (٥٦٨٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٩١).

*** منعُ الدعاية للخمر والترويج لها:**

حيث حرَّم الشرع وصف الخمر فى الأشعار والتغنى بها، وهذا ما فعله سعد بن أبى وقاص مع أبى محجن الثقفى حين تَغنَّى بها.

*** التحذير والتنبيه إلى أخطار الخمر على المجتمع:**

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»[1].

* ملاحقة المهربين والتجار والمروجين والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة وتطهير المجتمع من شرورهم.

* القبض على المتعاطين لهذه السموم وتطبيق الأنظمة الصادرة فى حقهم بحسب كل حالة ثم تحويلهم إلى المستشفيات المتخصصة لمساعدتهم على التخلص من هذه السموم القاتلة.

* استلام البلاغات من الشعب عن أية حالة تعاطى أو تهريب أو ترويج والقيام على الفور بما يتطلبه الأمر من إجراءات للقبض على المجرم وتحويله إلى الجهات المختصة بمحاكمته.

* مراقبة كافة المواد التجارية الواردة إلى البلد والصادرة عنه.

* فرض رقابة شديدة على الأماكن المتوقع وصول المخدرات منها وإليها ومعرفة أماكن تخبئتها والتعرف على كيفية التعامل مع مهربى هذه المواد.

* فرض رقابة شديدة على الأماكن التى يرتادها الأحداث ومداهمتها بين حين وآخر ووضع أنظمة لمعاقبة من يُضبط منهم وهو يتعاطى المخدرات أو يستنشق الغازات وكذا مراقبة الأماكن المهجورة مراقبة شديدة ووضع روادها فى مؤسسات خاصة لرعايتهم.

---

(١) حسن: وقد تقدم.

*** وأما القسم الذى على المدمن نفسه فهو:**

(١) الاستعانة بالله (جل وعلا):

فإنه من المعلوم أن العبد لا يستطيع أن يفعل أى شىء إلا إذا أعانه الله.. ولذلك فإن أول خطوة للعلاج أن يلجأ المدمن إلى الله (جل وعلا) ويسأله الإعانة.

(٢) التوبة:

فإن العبد إذا أخلص فى توبته فإن الله ييسر له كل أسباب النجاة.. وقد رأينا كيف أن الله (جل وعلا) أمر الأرض أن تتحرك من أجل هذا الرجل التائب الذى كان قد قتل تسعة وتسعين نفسًا.

(٣) صحبة الأخيار:

فإن الصحبة لها تأثير كبير فى حياة الإنسان ولذا جاءت وصية الحبيب ﷺ : **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»**(١).

(٤) عدم الجلوس على موائد الخمر:

* منع الجلوس على موائد يُشرب فيها الخمر، حيث اعتبر الشارع الكريم الجالس مشاركًا فى الإثم.

فقد روى الطبرانى أن عمر بن عبد العزيز أخذ قومًا على الشراب فضربهم وفيهم صائم، فقالوا: إن هذا صائم فتلا قوله تعالى: **﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** (٢).

(٥) الخوف على أسرتك:

أن تخشى على زوجتك وأولادك من ضياع مستقبلهم بسببك وأن تخشى

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، والدارمى (٢٠٥٧) كتاب الأطعمة، وأحمد (١٠٩٤٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

من ضياع سيرتك الطيبة.

(٦) الخوف من سوء الخاتمة:

فكم من مدمن مات أسوأ ميتة وهو يشرب الخمر بل منهم من مات ورأسه في الحمام وهو يتقيأ.

وقد قال النبي ﷺ: **«يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه»**[1].

(٧) الأخذ بالأسباب:

وذلك بالذهاب إلى المؤسسات الخاصة بعلاج الإدمان.

* أسأل الله - جل وعلا - أن يتوب على كل المدمنين وأن يطرد تلك السموم من أجسادهم وأن يردهم إليه ردًا جميلاً .. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.



صراع مع الغضب

صراع مع الغضب

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع بكل أسف أن يزين الغضب لكثير من الناس... فترى الواحد منهم يغضب لأتفه الأسباب فيسب ويشتم وقد يضرب أو يقتل وقد يُطلق امرأته لأتفه الأسباب فيُشرِّد زوجته وأولاده بسبب الغضب.

من أجل ذلك كان لا بد أن نخوض هذه الجولة ضد الشيطان الرجيم لنحذر المسلمين من مغبة الغضب ومن ثمراته المريرة فنكون بذلك قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

الغضب مدخل من مداخل الشيطان

والغضب مدخل عظيم من مداخل الشيطان الكبرى؛ لأن الشيطان يلعب بالغضبان كما يلعب بالكرة الصبيان، وأكبرُ دليلٍ على ذلك المُشاهدة بالعيان.

* قال أبو حامد الغزالى - رحمه الله -:

«يتصاعد عند شدَّة الغضب من غليان دم القلب دُخانٌ مظلمٌ إلى الدِّماغ، يستولى على معادن الفكر، وربما يتعدَّى إلى معادن الحس، فتُظلم عينه حتى لا يرى بها، وتسودُّ عليه الدنيا بأسرها، ويكون دماغه مثل الكهف الذى اضطرمت فيه نارٌ، فاسودَّ جَوُّه، وحمى مستقره، وامتلأت بالدخان جوانبه، وربما تقوى نار الغضب، فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظًا.

ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون، وشدة ارتعاد الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزَّبَد[١] على الأشداق[٢]، وتحمرُّ الأحداق، وتنقلب المناخِر، وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من قبح صورته، واستحالة خلقته، وقُبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، . . . . هذا أثره فى الجسد.

وأما أثرُه فى اللِّسان فانطلاقه بالشَّتم والفحش من الكلام الذى يستحى منه ذو العقل، ويستحى منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبُّط النظم، واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه، أو فاته بسببٍ وعَجزٍ عن التَّشفِّى - رَجَعَ الغضب على صاحبه، فمزَّق ثوبه، ولطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض، وقد يضرب الجمادات، ويتعاطى أفعال المجانين.

أما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد، والحسد، وإضمار السوء، والشماتة بالمساءات، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر، وهتك الستر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح» اهـ. ملخصًا [٣].

الناس يتفاوتون فى الغضب على درجات

قال الغزالى: يتفاوت الناس فى قوة الغضب على درجاتٍ ثلاثٍ وهى: التفريط، والإفراط، والاعتدال.

أولاً: التفريط ويكون إما بفقد قوة الغضب بالكلية أو بضعفها، وحينئذٍ

(١) الزَّبَد: الرغوة.

(٢) الأشداق: جمع: شدق، وهو زاوية الفم مما تحت الخد.

(٣) «الإحياء».

يقال للإنسـان: إنه لا حَمـية له ويُذم جداً،... ومن هنا قال الشـافعي - رحمـه الله تعالى -: من استُغضب فلم يغـضب فهـو حمار. وهذا يثـمر ثمرات مُرَّة، كـقلَّة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحـرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصِغَر النفس.

ثانيا: الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصـفة حتى تخرج عن سيـاسة العقل والدين والطاعة ولا يبـقى للمرء معهـا بصيرة ونظر وفكرة ولا اختـيار، بل يصير في صورة المضطر، وسبب غلبته أمـورٌ غريزية، وأمور اعتيادية، فَرُبَّ إنسـان هو بالفطرة مستعد لـسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعيش على ذلك حرارة مزاج القلب.

وأما الأسباب الاعـتيادية: فهو أن يخالـط قوما يتبجحون بتـشفِّي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية.

ثالثًا: الاعتـدال: وهو المحـمود وذلك بأن ينتـظر إشارة العـقل والدين فينبـعث حيث تجب الحـمية وينطفئ حـيث يحسن الحلم وحـفظه على حد الاعتـدال هو الاستقـامة التي كلف الله بهـا عباده وهو الوسط. فـمن مال غضـبه إلى الفتـور حتى أحسَّ من نفـسه بضعف الغـيرة وخِسَّة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فيـنبغي أن يعالج نفسه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرَّه إلى التـهور واقتحام الفواحش ينبـغي أن يعالج نفسه لينقص سورة غضبـه ويقف على الوسط الحق بين الطرفين وهذا هو الصراط المستقيم وهو أرقُّ من الشعرة وأدقُّ من السيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه[1].

* * *

(١) الإحياء (٣/ ١٧٩-١٨٠) بتصرف.

بين الحزن والغضب

قال الماوردي: سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها، والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله، فلذلك قتل الحزن، ولم يقتل الغضب؛ لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه، وكذلك أفضى الحزن إلى الموت، ولم يُفضِ إليه الغضب[1].

الغضب المحمود

منْ الغضب ما يكون محمودًا، وذلك إذا صدر من الله عزَّ وجلَّ، ومن ذلك غضبه تعالى على أعدائه من اليهود والكفار والمنافقين والطغاة والمتجبرين قال تعالى: ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[2]، وقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[3]، وقال عن الكفار من قوم هود: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾[4]، وقال: ﴿مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٢).

(٢) سورة طه: الآية: (٨١).

(٣) سورة الفاتحة: الآيتان (٦-٧).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٧١).

(٥) سورة النحل: الآية: (١٠٦).

(٦) سورة المجادلة: الآية: (١٤).

وقد ذكر البعض أن معنى الغضب هو إرادة العذاب أو العقاب، وهذا من التأويل المذموم، ومن جملة صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر، والواجب أن يمرر اللفظ، وأن يقال: الصفة سيقت فى مساق المدح، ولن يصف الله أعلمُ بالله من الله، ولا أعلم بالله من رسول الله ﷺ، وأن غضبه - سبحانه - ليس كغضب المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته جلَّ وعلا لا تشابه صفات المخلوقين.

غضب الأنبياء لله (جلَّ وعلا)

يكون الغضب محموداً إذا كان لله عزَّ وجلَّ عندما تُنتهك حرماته، وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام فى مواضع عديدة، قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾[2]، وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[3]، وقال عن ذى النون عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4].

ومن صور غضب النبى ﷺ لله عزَّ وجلَّ ما روته عائشة ؓ أنها قالت: رخص رسول الله ﷺ فى أمر، فتنزَّه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبى ﷺ فغضب حتى بان الغضب فى وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٤).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٨٧).

يرغبون عما رُخِّص لى فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلانٌ فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما يأتيه غضب فى موضع أشد غضبًا منه يومئذ، ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم مُنفرين، فمن أمَّ الناس فليتجوز، فيلخفف، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»(٢).

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «كانت بين أبى بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبًا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه فى وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال ﷺ: «أما صاحبكم هذا فقد غامر (سبق بالخير)، قال: وندم عمر رضي الله عنه على ما كان منه، فأقبل حتى سلَّم وجلس إلى النبى ﷺ، وقَصَّ على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركون لى صاحبى، هل أنتم تاركون لى صاحبى، إنى قلت: يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت»(٣).

النبى ﷺ يحذر الأمة من الغضب

وها هو الحبيب ﷺ يحذر الأمة من مغبة الغضب.

* عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ مرَّ على قوم يصطرعون، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: فلانٌ ما يصارع أحدًا إلا صرعه! قال: «أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل كلَّمه رجل، فكظم غيظه، فغلبه وغلب شيطانه، وغلب

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٢) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٦) كتاب الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٠) كتاب تفسير القرآن.

شيطان صاحبه»(١).

* والغضب يجمع الشر كله،... فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ: أوصنى، قال: «لا تغضب»، فردَّد مراراً، قال: «لا تغضب»(٢).

* زاد أحمد فى رواية: قال الرجل: ففكرتُ حين قال النبى ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كلَّه(٣).

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(٤).

* عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه أنه قال: استَبَّ رجلان عند النبى ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبى ﷺ: «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبى ﷺ قال: إنى لست بمجنون(٥).

حال سلفنا الصالح مع الغضب

* عن ذى القرنين - رحمه الله تعالى، وقد نُقل عنه: أنه لقى مَلَكًا من الملائكة فقال: علِّمنى علمًا أزدد به إيمانا ويقينًا، قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرُدَّ الغضب بالكظم،

(١) صحيح: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٢/٤٣٩ ، رقم ٢٠٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٩٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦١١٦) كتاب الأدب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٢٦٦٠) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٥) كتاب الأدب، واللفظ له، ومسلم (٢٦١٠) كتاب البر والصلة والآداب.

وسكّنه بالتُّؤدة، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظَّك وكن سهلاً ليِّنًا للقريب والبعيد، ولا تكن جبَّارًا عنيدًا [(١)].

* قال عروة بن الزبير رضي الله عنه: مكتوب في الحِكَم: يا داود إيَّاك وشدَّة الغضب، فإن شدة الغضب مفسدةٌ لفؤاد الحكيم»[(٢)].

* قال زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه لما خرج إلى الشام يسأل عن الدّين ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إنى لعلِّى أن أدين دينكم فأخبرنى. فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيدٌ: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنَّى أستطيعه، فهل تدلُّنى على غيره؟ قال: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال زيدٌ: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقى عالمًا من النصارى، فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا وأنَّى أستطيع؟ فهل تدلنى على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله. فلما رأى زيدٌ قولهم فى إبراهيم - عليه السلام - خرج فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إنى أشهد أنى على دين إبراهيم[(٣)].

* قال الماوردى - رحمه الله تعالى: كان بعض الملوك إذا غضب أُلقى عنده مفاتيح تُرَبِ الملوك فيزول غضبه»[(٤)].

* قال مجاهد - رحمه الله تعالى-: «قال إبليس لعنه الله: ما أعجزنى

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٧).

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطى (١٣١).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٨٢٨) كتاب المناقب.

(٤) أدب الدنيا والدين (٢٥١).

بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكِرَ أحدهم أخذنا بخزامته فقُدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، ونبخله بما في يديه ونُمنّيه بما لا يقدر عليه»[1].

* قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [2] قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم[3].

* قال جعفر الصادق - رحمه الله تعالى-: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4]، ووجَّه العلماء كلامه بقولهم: إن الأخلاق ثلاثةٌ بحسب القوى الإنسانية: عقليةٌ وشهويةٌ، وغضبيةٌ. فالعقلية: الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية: الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين[5].

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع[6].

* كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى عامله: ألاَّ تُعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجلٍ فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطًا[7].

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٧).
(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٤).
(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: ذكره البخاري تعليقًا (٣/ ٤٤٩).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).
(٥) فتح الباري (٣/ ١٥٦).
(٦) الإحياء (٣/ ١٧٧).
(٧) الإحياء (٣/ ١٧٧).

* قال بعض الحكماء لابنه: يا بنىَّ لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى فى التنانير المسجورة، فأقلُّ الناس غضبًا أعقلهم، فإن كان لدنيا كان دهاءً ومكرًا وإن كان للآخرة كان حلمًا وعلمًا، فقد قيل: الغضب عدو العقل والغضب غول العقل(1).

* قال الحسن البصرى - رحمه الله تعالى-: من علامات المسلم قوةٌ فى دينٍ وحزمٌ فى لينٍ وإيمانٌ فى يقينٍ وعلمٌ فى حلمٍ وكَيَسٌ فى رفقٍ وإعطاءٌ فى حقٍّ وقصدٌ فى غنىً وتجملٌ فى فاقةٍ وإحسانٌ فى قدرةٍ وصبرٌ فى شدة، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوةٌ، ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيَّته، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظُلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء(2).

* قال الغزالى - رحمه الله تعالى: حال القلب عند الغضب فى الاضطراب أشدُّ من حال السفينة عند اضطراب الأمواج فى لُجَّة البحر، إذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وسياستها أما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته بعد أن أعماه الغضب وأصمَّه. ويظهر ذلك على أعضائه وكلامه وفعاله، ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قُبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح الباطن أعظم من قبح الظاهر فإنَّ الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيًا، وأما فى اللسان فأثره بالشتم والفحش الذى يستحى منه قائله عند سكون الغضب فضلاً عن تخبُّط النظم واضطراب اللفظ، وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل للمغضوب عليه وإذا فلت منه بسبب عجز أو غيره فقد يرجع إلى صاحبه

(1) الإحياء (٣/ ١٨٤).

(2) الإحياء (٣/ ١٧٧).

فربما مزّق ثوب نفسه أو لطم وجهه وربما ضرب بيده على الأرض. وأما أثره فى القلب على المغضوب عليه فالحقد والحسد واضحًا والسوء والشماتة بالمساءات[١].

* قال الغزالى - رحمه الله تعالى: «مما يدلُّ على أن الغضب من أخلاق الناقصين: أن المريض أسرع غضبًا من الصحيح، والمرأة أسرع غضبًا من الرجل، والصبى أسرع غضبًا من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضبًا من الكهل، وذا الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل[٢].

* قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًّا فى دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته وباب غضب أورث العدوان على خلقه[٣].

بعض مضار الغضب

الغضب يُغضب الرحمن ويُرضى الشيطان، ويؤول إلى التقاطع وإفساد ذات البين، ويتولد منه الحقد والحسد، وكثيرًا ما يعقبه الاعتذار والندم، وقد يكون بعد فوات الأوان، ويحول دون الاستفادة من الموعظة والعبرة، وقد يؤذى البدن ويتسبب فى نفرة الخلق، وكم من جريمة ارتُكبت، وعقوقٍ حدث، وطلاقٍ تم بسبب الغضب، بل صار الغضب مدعاة لإسقاط حكم الطلاق عند البعض ولو درى لَعَلِمَ أن الطلاق الذى لا يحتسب عند الغضب، هو ما كان فى إغلاق، بحيث يستغلق على العبد عقله ومقصوده، وقد لا يدرى السماء من الأرض، ويصير أشبه بالمجنون، ولو قيل له

(١) الإحياء (٣/ ١٧٩).

(٢) الإحياء (٣/ ١٨٤).

(٣) الفوائد (٥٩).

طَلَّقْتَ، ربما قال: والله ما طلقتُ، فلنتق الله حتى لا تخرب بيوتنا بأيدينا، فالمعاشرة مع الزوجات، والاحتكاك بعموم الخلق لا تخلو من منغصات ومكدرات، وعلى العبد أن ينظر فى عواقب أمره، ويعالج مشاكله بعيداً عن تهديم الأُسَر، وإضاعة النفوس فى العاجل والآجل بسبب الغضب[1].

بواعث الغضب وأسبابه

قال الغزالى رحمه الله تعالى - مبيِّنًا أسباب الغضب: من أسباب الغضب: الزَّهْوُ والعُجب والمزاح والهزل والهُزْء والتعيير والمماراة، والمضادَّة (العناد)، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ومن أشد البواعث عليه عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعةً ورجولية وعزَّة نفس وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر فى معرض المدح بالشجاعة والنفس مائلةٌ إلى التشبه بالأكابرِ فيهيج الغضب إلى القلب بسببه.

علاج الغضب

* يعالَج الغضب إذا هاج بأمور ذكرها العلماء[2]، منها:

١- أن يذكر الله عزَّ وجلَّ، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه، ويبعثه الخوف منه إلى الطاعة له، فعند ذلك يزول الغضب.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[3] قال عكرمة: يعنى إذا غضبت.

---

(١) خُلق المسلم/ د. سعيد عبد العظيم (ص ١٦٢).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٠-٢٥٢)، الإحياء (٣/١٧٣-١٧٥)، مختصر منهاج القاصدين (ص١٨٠-١٨١)، ونضرة النعيم (١١/٥٠٧٨).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٤).

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[1]

ومعنى قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ أى: يغضبنك، وقوله: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعنى: أنه سميعٌ بجهل من جَهَلَ، عليمٌ بما يُذهب عنك الغضب.

وعن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان عند النبى ﷺ، فجعل أحدهما يغضب، ويحمرّ وجهه، وتنتفخ أوداجه[2]، فنظر إليه النبى ﷺ فقال: «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقام إلى الرجل رجلٌ ممن سمع النبى ﷺ، فقال: هل تدرى ما قال رسول الله ﷺ آنفًا[3]؟ قال: لا، قال: «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقال الرجل: أمجنونًا ترانى؟![4].

وقوله: ﴿طَائِفٌ﴾ فسَّره بعضهم بالغضب، وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أى: عقاب الله، وجزيل ثوابه ووعده.

رُوى أنَّ عبد الله بن مسلم بن محارب قال لهارونَ الرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منِّى بين يديك، وبالذى هو أقدرُ على عقابك منك على عقابى - لما عفوت عنى، فعفا عنه لما ذكَّره قُدرة الله تعالى.

فيا أخى، قدرة الله أعظمُ من قدرة عباده، فلو أمضيت غضبك على أخيك لم تأمن أن يُمضى الله عزَّ وجلَّ غضبه عليك يوم القيامة، فأنت أحوجُ ما تكون إلى العفو.

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (٢٠٠، ٢٠١).

(٢) أوداج: جمع: وَدَج، وهو عِرقٌ فى العنق.

(٣) آنفًا: قريبًا.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٨٢) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٠) كتاب البر والصلة والآداب، واللفظ له.

٢- أن يتحـوَّل من الحال التى كان عليـها، فإن كان قـائمًا جلس، وإن كان جالسًا اضطجع.

عن أبى ذرٍّ رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»(١).

٣- أن يتفكَّر فى الأخبار الواردة فى فضل كظم الغيظ، والعفو والحلم، والاحتمـال، فيرغب فى ثواب ذلك، فتمنعـه شدة الحرص على ثواب هذه الفضائل عن التشفِّى والانتقام، وينطفئ عنه غيظه.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾(٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله»(٣).

٤- أن يسكت لأنه يكون فى هـذه الحالة أقـرب إلى الخطأ، فـالسكوت أسلم.

قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليسكت»(٤).

٥- أن يعلم أن القوة الحقيقية هى التحكم فى النفس عند الغضب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرَعَة(٥)، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(٦).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٨٢) كتاب الأدب، وأحـمد (٢٠٨٤١) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصـححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٩٤).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٣٧).

(٣) صحيح لغيره: رواه ابن ماجـه (٤١٨٩) كتاب الزهد، وصـححه العـلامة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٥٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٩٣).

(٥) «الصُّرَعَة»: بفتح الراء: الذى يصـرعُ الناسَ ويغلبهم. و«الصُّرْعَة»: بسكون الراء: الضـعيف الذى يصرعه الناس ويغلبونه.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

٦- أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله سبحانه وتعالى لا على وفق مراده، فكيف يكون مراد نفسه أولى من مراد الله سبحانه وتعالى.

٧- أن يتذكر أن الشيطان هو الدافع له، والمعين عليه.

أسمعَ رجلٌ عمرَ بنَ عبد العزيز كلامًا، فقال عمرُ: أردتَ أن يستفزَّني الشيطانُ لعزَّة السلطانِ، فأنال منك اليوم ما تناله منى غدًا، انصرف رحمك الله.

٨- أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم، ومذمة الانتقام، فإنه إن كان فيه رغوةُ العزة، لكنها لا تلبث حتى تفضى بصاحبه إلى ذل الاعتذار.

كما قيل:

وإذا ما اعترتك فى الغضب العـ
ـزة، فاذكر تذلُّلَ الاعتذارِ

٩- أن يُحذر نفسَه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمير العدو فى هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإنَّ الإنسان لا يخلو من المصائب، وهذا ما يُعرف بتسليط شهوةٍ على غضبٍ، ولا ثوابَ عليه، إلا أن يكون خائفًا من أن يتغيَّر عليه أمرٌ يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

١٠- أن يتذكر أن القلوب تنحرف عنه، وتحذر القرب منه، فيبتعد الخلق عنه، فيبقى وحيدًا فريدًا، فإنَّ ذلك جديرٌ بصرف الغضب عنه.

وحيدًا من الأهل والخلان فى كل بلدة
إذا عَظُمَ المطلوب قلَّ المساعدُ

١١- أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب، وأنه يشبه حينئذٍ الكلب الضارى[١]، والسَّبُع[٢] العادى، وأنه أبعد ما يكون مجانبة لأخلاق الأنبياء،

(١) «الضارى»: المتوحش.
(٢) «السَّبُع»: كلُّ حيوانٍ مفترسٍ، وجمعه: سِبَاع.

والعلماء، والفضلاء فى أخلاقهم.

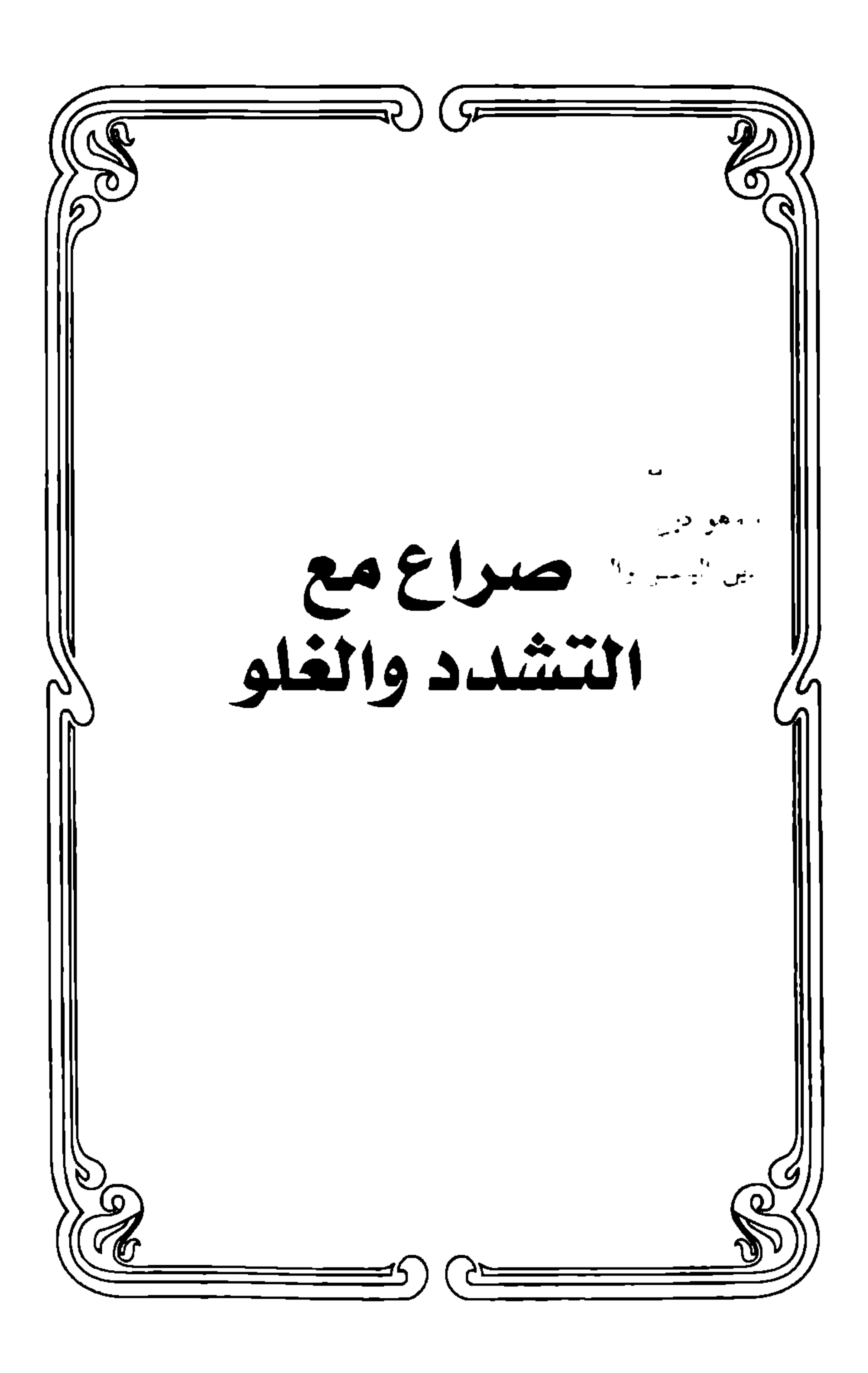
١٢- أن يذكر انعطاف القلوب عليه، وميل النفوس إليه، فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير الناس منه، فيرغب فى التألُّف وجميل الثناء، ويكف عن متابعة الغضب.

١٣- أن يتوضأ.

قال رسول الله ﷺ : «إنَّ الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[١].

* * *

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٨٤) كتاب الأدب، وأحمد (١٧٥٢٤) مسند الشاميين، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٥١٠).



صراع مع التشدد والغلو

صراع مع التشدد والغلو

* وها هى جولة جديدة استطاع فيها الشيطان الرجيم أن يغوى بعض المسلمين بالوقوع فى مصيدة التشدد والغلو فتراهم يتشددون ويُكلفون أنفسهم ومَن حولهم ما لا يُطيقون.

* وها نحن نخوض تلك الجولة لنوضح لكل المسلمين أن ديننا هو دين الوسطية وهو دين الحنيفية السمحة. . . فليس فيه تشدُّد ولا غُلو ولا تنطُّع بل هو دين اليسر والبساطة والوسطية. . . فنكون بذلك قد انتصرنا على الشيطان الرجيم فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

*** الغلو لغة واصطلاحًا:**

الغلو لغة:

الغلو: مصدر قولهم: غلا فى الأمر يغلو غلوًّا، أى: جاوز فيه الحد.

وفى الحديث: «إياكم والغلو فى الدين»[1] أى التشدد فيه ومجاوزة الحد، ومنه الحديث: «وحامل القرآن غير الغالى فيه، ولا الجافى عنه»[2]، إنما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التى أمر بها القصد فى الأمور، وخير الأمور أوساطها.

وقال ابن منظور: يقال غلا يغلو غلوًّا وغُلواء وغلانية وغلانيًا. والغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر فى كل شىء والإفراط فيه. فيقال للشىء إذا ارتفع قد غلا [3].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك، وأحمد (١٨٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٨٠).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٣) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٩٩).

(٣) لسان العرب (٦/ ٣٢٩٠).

واصطلاحًا:

قال المناوى: الغلو: مجاوزة الحد، والغلو فى الدين التصلب والتشدد فيه حتى مجاوزة الحد[(١)].

وقال القرطبى: الغلو فى الدين: الإفراط فيه كما أفرطت اليهود والنصارى فى عيسى، غلو اليهود فى عيسى قولهم: ليس ولد رِشدةٍ، وغلو النصارى قولهم: إنه إله[(٢)].

أنواع الغلو

من يتأمل الآيات والأحاديث الواردة فى الغلو يجد أن الغلو على ثلاثة أنواع:

الأول: الغلو فى الدين وذلك بالاعتقادات الباطلة كما فعل بعض أهل الكتاب الذين قالوا على الله غير الحق كقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وكقول اليهود والنصارى فى عيسى: إنه ابن الله أو إنه إلهٌ، وقول اليهود: إنه ليس ابن رشدة.

وعند المسلمين نجد كثيراً من الفرق الضالة التى غلت فى دينها كالرافضة والمرجئة.

الثانى: الغلو فى القرآن الكريم، وذلك بمجاوزة الحد فى قراءته بالتطويل والتطريح والتشدق، والخروج والتأويل المبالغ فيه.

الثالث: الغلو فى العلم، وذلك الذى يؤدى إلى تحريف الكلم عن مواضعه، كما فعل أهل الكتاب قديمًا، وكما يفعل كثيرٌ من الجهال فى هذه الأيام[(٣)].

---

(١) التوقيف (٢٥٣) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبى (٦/ ٧٧).

(٣) نضرة النعيم (١١/ ٥١١٥).

أوغلوا برفق فى هذا الدين

قال ﷺ : «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»[١].

قال ابن المنير - رحمه الله -: رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع. وليس المراد منع طلب الأكمل فى العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملال، أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يُصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام عن صلاة الصبح فى الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار. أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة[٢].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مُبينًا أن الغلو سببٌ لتشديد الله على العبد وعلى الأمة: نهى النبى ﷺ عن التشديد فى الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر ﷺ أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقَدَرِ وإما بالشرع. فبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم حتى استحكم وصار صفةً لازمة لهم.

وأما التشديد بالشرع: كمن شدَّد على نفسه بالنذر، فشدد الله عليه فألزمه الوفاء به[٣].

النبى ﷺ يحذر الأمة من الغلو والتشدد

* وها هو حبيبنا ﷺ يحذر الأمة كلها من الوقوع فى مصيدة الغلو والتشدد.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٧٣١٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٤٦).

(٢) الفتح (١/ ١١٧).

(٣) إغاثة اللهفان للإمام ابن القيم (١/ ١٣٢) بتصرف يسير.

* عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سُلطان ظَلوم غَشوم، وغالٍ في الدين، يشهد عليهم، ويتبرأ منهم»(١).

* عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(٢).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هات القط لي فلقطت له حصياتٍ هن حصى الخذف فلما وضعتهن في يده، قال: «بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(٣).

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً. فقال: «تلك ضراوة(٤) الإسلام وشِرَّته، ولكل ضراوة شِرَّةٌ، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد وسنة فلأَم(٥)، ما هو، ومن كانت فترته إلى المَعاصي فذلك الهالك»(٦).

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم على المسلمين، فَحُرِّم عليهم من أجل مسألته»(٧).

---

(١) حسن: رواه الطبراني (٢٠/٢١٣، رقم ٤٩٥)، وابن أبي عاصم (١/١٨٤، رقم ٤٢٣)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٩٨).

(٢) صحيح: رواه البيهقي (١٠/٢٠٩، رقم ٢٠٧٠١)، وابن عساكر (٣٨/٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٢٤٨).

(٣) صحيح: رواه النسائي (٣٠٥٧) كتاب مناسك الحج، وابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك، وأحمد (١٨٥٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٨٠).

(٤) ضراوة الإسلام: من قولهم (ضرى بالشيء ضرى وضراوة) إذا اعتاده ولزمه وأولع به.

(٥) فلأم ما هو: أي هو على طريق ينبغي أن يقصد.

(٦) رواه أحمد، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٢٣٥٨) كتاب الفضائل.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: أقبل رجلٌ من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطى الناس، قال: يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم فقال رسول الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت، قال: فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «ويحك إن لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: «لا... دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية[1]»[2].

* وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ[3] فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[4].

* قالت عائشة رضي الله عنها صنع النبى ﷺ شيئًا ترخّص فيه وتنزّه عنه قومٌ. فبلغ ذلك النبى ﷺ، فحمد لله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه؟ فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[5].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فَحُجُّوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟! فسكت. حتى قالها ثلاثًا. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم

---

(١) الرمية: هى الصيد الذى ترميه فتقصده وينفذ فيها سهمك، وقيل: هى كل دابة مرمية.

(٢) حسن: رواه أحمد (٦٩٩٨) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٩٢٩).

(٣) قوله: لرسول الله متعلق بقوله: (ذكرتا) وليس متعلقًا بقوله (تصاوير) أى ذكرتا لرسول الله كنيسة... إلخ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٢٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل.

لوجبت. ولما استطعتم»، ثم قال: «ذرونى ما تركتكم فإنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم. وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه»(١).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ فى سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه. وقد ظُلِّل عليه، فقال: «ما له؟» قالوا: رجلٌ صائم. فقال رسول الله ﷺ: «ليس من البر أن تصوموا فى السفر»(٢).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبى ﷺ يقول: «لا تُطرونى(٣) كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»(٤).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: واصل النبى ﷺ آخر الشهر وواصل أُناسٌ من الناس فبلغ النبى ﷺ، فقال: «لو مُدَّ بى الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم. إنى لست مثلكم، إنى أظلُّ يطعمنى ربى ويسقينى»(٥).

* وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: نذرت أختى أن تمشى إلى بيت الله، وأمرتنى أن أستفتى لها النبى ﷺ، فقال ﷺ: «لتمشِ ولتركب»(٦).

* وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ومعاذ بن جبل قال لهما: «يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا»(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٣٧) كتاب الحج.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٤٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١١٥) كتاب الصيام.

(٣) الإطراء: مجاوزة الحد فى المدح.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٤١) كتاب التمنى، ومسلم (١١٠٤) كتاب الصيام.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٦٦) كتاب الحج، ومسلم (١٦٤٤) كتاب النذر.

(٧) متفق عليه. رواه البخارى (٣٠٣٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٣٣) كتاب الأشربة.

وقفات مع وسطية الإسلام

وتعالوا بنا لنقف مع بعض أحاديث النبى ﷺ التى توضح لنا مدى وسطية هذا الدين العظيم لنعلم يقينًا أن ديننا ينبذ الغلو والتشدد والتنطع.

* ومن قرأ كتاب رياض الصالحين للإمام النووى - رحمه الله - سيجد أن الإمام صنَّف فى الكتاب بابًا سمَّاه: باب فى الاقتصاد فى العبادة.

والاقتصاد: هو أن يكون الإنسان وسطًا بين الغلو والتفريط؛ لأن هذا هو المطلوب من الإنسان فى جميع أحواله، أن يكون دائرًا فى وسط بين الغلو والتفريط، . . . قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(١).

وهكذا الطاعة ينبغى أن تقتصد فيها، بل يجب عليك أن تقتصد فيها، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق؛ لأن النبى ﷺ لما بلغه خبرُ الثلاثة الذين قال أحدهم: إنى لا أتزوج النساء، وقال الثانى: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أقوم ولا أنام، خطب عليه الصلاة والسلام، وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، إنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»(٢) فتبرأ النبى ﷺ ممن رغب عن سنته، وكلف نفسه ما لا تطيق.

* ولقد قال الحق (جلَّ وعلا): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٣) يعنى أن الله يريد بنا فيما شرع لنا التيسير، وهذه الآية نزلت فى آيات الصيام، حتى لا يظن الظانُّ أنه أُنزل على الناس للمشقة والتعب فبيَّن الله تعالى أنه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، ولهذا من سافر لم يجب عليه الصوم، ويقضى من أيام أُخر، ومَن مرض لم يجب عليه الصوم، ويقضى

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح.

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

من أيام أخر، فهذا من التيسير ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

* عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: «مَه[1] عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا... وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه»[2].

والمعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر هذه المرأة أن تَكُفَّ عن عملها الكثير، الذى قد يشق عليها وتعجز عنه فى المستقبل فلا تديمه، ثم إن النبى - عليه الصلاة والسلام- أمرنا أن نأخذ من العمل بما نطيق، فقال: «عَلَيْكُمْ بِالعَمَلِ بِمَا تُطِيقُونَ» يعنى: لا تكلفوا أنفسكم وتجهدوها، فإن الإنسان إذا أجهد نفسه، وكلف نفسه ملَّت وكلَّت، ثم انحسرت وانقطعت.

وذكرت عائشة أن النبى ﷺ كان أحب الدين إليه أدومه، أى: ما داوم عليه صاحبه، يعنى أن العمل وإن قَلَّ إذا داومت عليه، كان ذلك أحسن لك؛ لأنك تفعل العمل براحة، وتتركه وأنت ترغب فيه، لا تتركه وأنت تمل منه.

ولهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام: «فَوَالله لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا»، يعنى أن الله -عز وجل- يعطيكم من الثواب بقدر عملكم مهما داومتم، فإن الله تعالى يثيبكم عليه.

وأنه ينبغى للإنسان ألا يُجهد نفسه بالطاعة، وكثرة العمل فإنه إذا فعل هذا مَلَّ، ثم ترك، وكونه يبقى على العمل ولو قليلاً مستمرًا عليه أفضل، وقد بلغ النبى ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، قال ذلك رغبة فى الخير، فبلغ ذلك النبى

(١) «مه» كلمة نهى وزجر. ومعنى «لا يمل الله» أى: لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم، ويعاملكم معاملة المالِّ حتى تملوا فتتركوا، فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٨٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

عليه الصلاة والسلام فقال له: «أنت الذى قلت ذلك؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «إنك لا تطيق ذلك»، ثم أمره أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فقال: إنى أطيق أكثر من ذلك، فأمره أن يصوم يومًا ويُفطر يومين، فقال: أطيق أكثر من ذلك، فقال: «صم يومًا وأفطر يومًا»، قال: إنى أُطيق أكثر من ذلك، قال: «لا أكثر من ذلك هذا صيام داود»(١).

وكَبِرَ عبد الله بن عمرو، وصار يشق عليه أن يصوم يومًا ويترك يومًا، فقال: ليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ، ثم صار يصوم خمسة عشر يومًا سَرْدًا، ويفطر خمسة عشر يومًا سردًا.

ففى هذا دليل: على أن الإنسان ينبغى له أن يعمل العبادة على وجه مقتصد، لا غلو ولا تفريط، حتى يتمكن من الاستمرار عليها، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قَلَّ.

* * *

* وعَنْ أنس رضي الله عنه قال: جاءَ ثَلاثةُ رهْط إلَى بُيُوتِ أزْواجِ النَّبِىِّ ﷺ يسألُونَ عنْ عِبَادَة النَّبِىِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِروا كأنَّهُمْ تَقَالُّوها وقالُوا: أين نَحْنُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ وقَدْ غُفِر لَهُ ما تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِه وما تَأخَّرَ. قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فأُصلى الليل أبدًا، وقال الآخَرُ: وأنا أصُومُ الدَّهْرَ أبدًا ولا أُفطِرُ، وقالَ الآخرُ: وأنا أعتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فَجاءَ رسول الله ﷺ إليْهِمْ فقال: «أنْتُمُ الَّذينَ قُلْتُمْ كذا وكذا؟، أما والله إنِّى لأخْشَاكُمْ لله وأتقَاكُم له لكنى أصُومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّى وأرْقُد، وأتزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمنْ رَغِبَ عن سُنَّتِى فَلَيسَ مِنِّى»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٨) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح.

ثلاثة نفر جاءوا إلى بيوت النبى ﷺ يسألون زوجاته عن عمله الذى يعمله فى بيته، وذلك لأن عمل النبى ﷺ إما ظاهراً يعرفه الناس كلهم، كالذى يفعله فى المسجد أو فى السوق أو فى مجتمعاته مع أصحابه، فهذا ظاهر يعرفه غالب الصحابة الذين فى المدينة، وإما أن يكون سراً لا يعرفه إلا مَن فى بيته، أو مَن كانوا من خَدَمه مثل عبد الله بن مسعود، وأنس ابن مالك وغيرهما.

فجاء هؤلاء النفر الثلاثة إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألونهم كيف كانت عبادته فى السر - يعنى فى بيته - فأخبروا بذلك، فكأنهم تقالوها؛ لأن النبى عليه الصلاة والسلام كان يصوم ويفطر، وكان يقوم ويرقد، وكان يتزوج النساء عليه الصلاة والسلام ويستمتع بهن، فكأنهم تقالوا هذا العمل لأن معهم نشاط ﷺ على حب الخير، ولكن النشاط ليس مقياسًا، المقياس ما جاء به الشرع.

فجاء النبى ﷺ، فقال: «أنتم قلتم كذا وكذا»، قالوا: نعم؛ لأن أحدهم قال: أصلى الليل ولا أرقد، والثانى قال: أصوم النهار أبدًا ولا أفطر، والثالث قال: أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فأقروا على أنفسهم بأنهم قالوا ذلك.

ولاشك أن هذا خلاف الشرع؛ لأن هذا فيه مشقة على النفس.

والمهم أن هذه العبادة التى أرادها هؤلاء ﷺ كانت شاقة، بل هى خلاف السنة، ولكن النبى عليه الصلاة والسلام سألهم: هل قالوا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى» يعنى مَن رغب عن طريقتى واتخذ عبادة أشد، فإنه ليس منى.

ففى هذا دليل: على أنه ينبغى للإنسان أن يقتصد فى العبادة، بل ينبغى

له أن يقتصد فى جميع أموره؛ لأنه إن قصَّر فاته خير كثير، وإن شدد فإنه سوف يكلّ ويعجز ويرجع ولهذا ينبغى للإنسان أن يكون فى أعماله كلها مقتصدًا.

* وعَنْ ابن مسعود رضي الله عنه أن النبىَّ ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالَهَا ثلاثًا[1].

«المُتَنَطِّعُونَ»: المُتعمِّقونَ المُشَدِّدُون فِى غَيْرِ موْضَعِ التَّشْدِيدِ.

والمتنطعون: هم المتشددون فى أمورهم الدينية والدنيوية.

وانظر إلى قصة بنى إسرائيل حين قتلوا قتيلاً فادَّارءوا فيه وتنازعوا حتى كادت الفتنة أن تسود بينهم، فقال لهم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[2]. يعنى وتأخذوا جزءًا منها فتضربوا به القتيل، ليُخبركم مَن الذى قتله، فقالوا له: أتتخذنا هزوًا.

لو أنهم استسلموا وسلَّموا لأمر الله وذبحوا أىَّ بقرة كانت، لحصل مقصودهم، لكنهم تعنتوا فهلكوا، قالوا: ادع لنا ربك يُبين لنا ما هى، ثم قالوا: ادع لنا ربك يُبين لنا ما لونها، ثم قالوا: ادع لنا ربك يُبين لنا ما هى وما عملها، وبعد أن شدد عليهم ذبحوها وما كادوا يفعلون.

كذلك أيضًا من التشديد فى العبادة: أن يشدد الإنسان على نفسه فى الصلاة أو فى الصوم أو فى غير ذلك مما يسَّره الله عليه، فإنه إذا شدد على نفسه فيما يسره الله عليه فهو هَالِكٌ، ومن ذلك ما يفعله بعض المرضى ولا سيما فى رمضان حيث يكون الله قد أباح له الفطر وهو مريض ويحتاج إلى الأكل والشرب، ولكنه يشدد على نفسه فيبقى صائمًا، فهذا أيضًا نقول: إنه ينطبق عليه الحديث: «هلك المتنطعون».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٠) كتاب العلم.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٦٧).

ومن ذلك ما يفعله بعض الطلبة المجتهدين فى باب التوحيد، حيث تجدهم إذا مرت بهم آيات صفات الرب عز وجل جعلوا ينقبون عنها، ويسألون أسئلة ما كُلفوا بها، ولا درج عليها سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم، فتجد الواحد ينقب عن أشياء ليست من الأمور التى كُلف بها تنطعًا وتشدقًا، . . . فنحن نقول لهؤلاء: إنه يسعكم ما وسع الصحابة ﷺ فأمسكوا، وإن لم يسعكم فكونوا على ثقة بأنكم ستقعون فى شدة وفى حرج وفى قلق.

ومن ذلك أيضًا: ما يفعله بعض المتشددين فى الوضوء حيث تجده مثلاً يتوضأ ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا أو سبعًا أو أكثر وهو فى عافية من ذلك.

يذكر أن ابن عباس ﷺ كان يتوضأ، فإذا وجهة الأرض التى تحته، ليس فيها إلا نقط من الماء، من قلة ما يستعمل من الماء، وبعض الناس تجده يشدد فى الماء فيشدد الله عليه، فإنه إذا استرسل مع هذه الوساوس ما كفاه أربع أو خمس ولا ست ولا أكثر من ذلك، فيسترسل معه الشيطان حتى يخرج عن طوره.

أيضًا فى الاغتسال من الجنابة، تجد البعض يتعب تعبًا عظيمًا عند الاغتسال فى إدخال الماء فى أذنيه، وفى إدخال الماء فى منخريه، وكل هذا داخل فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون» فكل من شدد على نفسه فى أمر قد وسع الله له فيه، فإنه يدخل فى هذا الحديث.

* عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا وقَارِبُوا وأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالغدْوةِ والرَّوْحة وشَيءٍ مِن الدُّلجة»[1].

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩) كتاب الإيمان.

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» يعنى أن الدين الذى بعث به الله محمدًا ﷺ ، والذى يدين به العباد ربهم ويتعبدون له به يُسر، كما قال -عز وجل-: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1] . وقال تعالى حين ذكر أمره بالوضوء والغسل من الجنابة والتيمم -عند العدم أو المرض- قال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3] . فالنصوص كلها تدل على أن هذا الدين يسر، وهو كذلك.

ولو تفكر الإنسان فى العبادات اليومية لوجد الصلاة خمس صلوات ميسَّرة موزَّعة على أوقات، يتقدمها الطُّهر، طُهْرٌ للبدن، وطهر للقلب، فيتوضأ الإنسان عند كل صلاة، ويقول: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، فيطهر بدنه أولاً ثم يطهر قلبه بالتوحيد ثانيًا، ثم يصلى.

ولو تفكرت أيضًا فى الزكاة، وهى الركن الثالث من أركان الإسلام، تجد أنها سهلة، فأولاً لا تجب إلا فى الأموال النامية، أو ما فى حكمها، ولا تجب فى كل مال، بل فى الأموال النامية التى تنمو وتزيد كالتجارة، أو ما فى حكمها كالذهب والفضة وإن كان لا يزيد، أما ما يستعمله الإنسان فى بيته، وفى مركوبه، فقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: «ليس على المؤمن فى عبده ولا فرسه صدقة»[4] جميع أوانى البيت وفرش البيت والسيارات وغيرها مما يستعمله الإنسان لخاصة نفسه، فإنه ليس فيه زكاة.

ثم الزكاة الواجبة يسيرة جدًا، فهى ربع العشر، يعنى واحدًا من

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦).

(٣) سورة الحج: الآية: (٧٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٤) كتاب الزكاة، ومسلم (٩٨٢) كتاب الزكاة.

أربعين، وهذا أيضًا يسير، ثم إذا أديت الزكاة فإنها لن تنقص مالك، كما قال النبى عليه الصلاة والسلام: «ما نقصت صدقة من مال»[1] بل تجعل فيه البركة وتُنميه وتزكيه وتطهره.

وانظر إلى الصوم فهو أيضًا يسير، فليس كل السنة ولا نصف السنة ولا ربع السنة، بل شهر واحد من اثنى عشر شهرًا، وفوق ذلك فهو مُيسَّر، إذا مرضت فأفطر، إذا سافرت فأفطر، إذا كنت لا تستطيع الصوم فى كل دهرك فأطعم عن كل يوم مسكينًا.

والحج أيضًا ميسر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[2].. ومن لم يستطع إن كان غنيًّا بماله أناب من يحج عنه، وإن كان غير غنى بماله ولا بدنه سقط عنه الحج.

والحاصل أن الدين يُسر، يُسر فى أصل التشريع، ويسر فيما إذا طرأ ما يوجب الحاجة إلى التيسير، . . . قال النبى عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: «صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[3] فالدين يسر.

ثم قال النبى ﷺ: «ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه» يعنى لن يطلب أحد التشدد فى الدين إلا غُلب وهُزم، وكلَّ وملَّ وتعب، ثم استحسر فترك، هذا معنى قوله: «لن يشاد الدين أحد إلا غلبه» يعنى أنك إذا شددت الدين وطلبت الشدة، فسوف يغلبك الدين، وسوف تهلك، كما قال النبى ﷺ فى الحديث السابق: «هلك المتنطعون».

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فسددوا وقاربوا وأبشروا»، يعنى سددوا إن

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١١١٧) كتاب الجمعة.

أمكن وإن لم يمكن فالمقاربة، «وأبشروا» يعنى أبشروا أنكم إذا سددتم وأصبتم، أو قاربتم فأبشروا بالثواب الجزيل والخير والمعونة من الله عز وجل، وهذا يستعمله النبى عليه الصلاة والسلام كثيرًا حيث يبشر أصحابه بما يسرهم، ولهذا ينبغى للإنسان أن يحرص على إدخال السرور على إخوانه ما استطاع بالبشارة والبشاشة وغير ذلك.

* وعَنْ أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمسْجِدَ فَإِذَا حبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فقالَ: «ما هَذَا الْحبْلُ» ؟ قَالُوا: هَذا حبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَترَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أحدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذا فَترَ فَلْيَرْقُدْ»(١).

ففى هذا دليل: على أنه لا ينبغى للإنسان أن يتعمق وأن يتنطع فى العبادة وأن يكلف نفسه ما لا تطيق، وأن يصلى ما دام نشيطًا، فإذا تعب فليرقد ولينَمْ؛ لأنه إذا صلى مع التعب تشوَّش فكره وسَئِم ومَلَّ وربما كره العبادة، وربما ذهب ليدعو لنفسه فإذا به يدعو عليها، فلو سجد وأصابه النعاس ربما أراد أن يقول: رب اغفر لى، قال: رب لا تغفر لى، لأنه نائم، فلهذا أمر النبى عليه الصلاة والسلام بَحَلِّ هذا الحبل، وأمرنا أن يصلى الإنسان نشاطه، فإذا تعب فليرقد.

وهذا وإن ورد فى الصلاة فإنه يشمل جميع الأعمال فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، بل عامل نفسك بالرفق واللين، ولا تتعجل فى الأمور، فالأمور ربما تتأخر لحكمة يريدها الله -عزوجل-، ولا تقل: إنى أريد أن أتعب نفسى، بل انتظر وأعط نفسك حقها ثم بعد ذلك يحصل لك المقصود.

ومن ذلك أيضًا: ما يفعله بعض الطلبة حيث يطالع فى دروسه وهو نعسان، فيتعب نفسه ولا يُحصِّل شيئًا؛ لأن الذى يراجع وهو نعسان لا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٥٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٨٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يستفـيد، وإن ظن أنه يستفـيد فإنه لا شيء، ولهذا ينبـغى على الإنسان إذا أصابه النعاس وهو يراجع كتبًا - سواء كتـبًا منهجية أو غير ذلك - ينبغى له أن يغلق الكتاب، وأن ينام ويستريح.

وهذا يَعُم جـميع الأوقـات حتى ولـو بعد صـلاة الفجـر أو بعد صـلاة العصر، طالما أراد أن يرقد ويسـتـريح فلا حرج، فكلما أتاك النوم فنم، وكلما صرت نشيطًا فاعمل ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾(١). كل الأمور اجعلها بالتيسير إلا ما فرض الله عليك، فلابد أن يكون فى الوقت المحدد له. وأما الأمور التطوعية فالأمر فيها واسع، فلا تتعب نفسك فى شيء.

* وعَنْ عـائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسـول الله ﷺ قـالَ: «إِذَا نَعَسَ أحـدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّى، فَلْيَرْقُدْ حـتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فإن أحدَكم إِذَا صلَّى وهُو نَاعسٌ لا يَدْرِى لعلَّهُ يذهَبُ يستَغْفِرُ فيَسُبُّ نَفْسَهُ»(٢).

* وعَنْ أبِى عبـد الله جـابـر بن سَـمُـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «كُنْتُ أُصَلِّى مَعَ النبىِّ ﷺ الصَّلَوَات، فَكَانَتْ صلاتُهُ قَصْدًا وخُطْبَـتُه قَصْدًا»(٣). قولُهُ: قَصْدًا: أىْ بَيْنَ الطُّولِ وَالْقِصَرِ.

* وعَنْ أبِى جُـحَيْـفَةَ وَهبِ بْنِ عـبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: آخَى النَّبىُّ ﷺ بَيْن سَلْمَـانَ وأبِى الدَّرْداء، فَزَارَ سلْمَـانُ أبَا الدَّرْدَاء، فَرَأى أُمَّ الدَّرْدَاء مُـتَبَـذِّلَةً فقالَ: ما شَأْنُك؟ قَالَتْ: أخـوكَ أبُو الدَّرداء لَيسَ له حَاجةٌ فى الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبُو الدَّرْدَاء فَصَنَعَ له طَعَـامًا، فقـالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّى صَائمٌ، قـالَ: ما أنا بآكلٍ حَتَّى تأْكلَ، فَأكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبُو الدَّرْدَاء يقُوم فقال لَه: نَمْ فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم فقـالَ لَه: نَمْ فَلَمَّا كان من آخر اللَّيْـلِ قال سلْمانُ: قُم الآنَ،

---

(١) سورة الشرح: الآيتان: (٧، ٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٢) كتاب الوضوء، ومسلم (٧٨٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٦٦) كتاب الجمعة.

فَصَلَّيَا جَمِيعًا، فقالَ له سَلْمَانُ: إنَّ لربِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، وإنَّ لنفسكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولأَهْلكَ عَلَيْكَ حقًّا، فأَعْطِ كُلَّ ذى حَقٍّ حقَّه، فأَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَذَكر ذلكَ لَه، فقالَ النَّبِىُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» (١).

* وعَنْ أَبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أُخبرَ النَّبِىُّ ﷺ أنِّى أَقُول: وَالله لأَصومَنَّ النَّهَارَ، ولأَقُومنَّ اللَّيلَ ما عشْتُ، فقَالَ رسُول الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذى تَقُول ذلك؟» فقُلْت له: قَدْ قُلْتُه بأَبى أنت وأُمِّى يا رسولَ الله. قَالَ: «فإنكَ لا تَسْتَطيعُ ذلكَ، فَصُمْ وأَفطرْ، ونَمْ وقُمْ، وصُمْ منَ الشَّهْر ثلاثَةَ أَيَّام فَإنَّ الحسنَةَ بعَشْر أَمْثَالها، وذلكَ مثْلُ صيام الدَّهْر» قُلْت: فَإنِّى أُطيقُ أفضَلَ منْ ذلكَ قالَ: «فَصمْ يَوْمًا وأَفطرْ يومَين»، قُلْت: فَإنِّى أُطيق أفضَلَ منْ ذلكَ قالَ: «فَصمْ يومًا وأَفطرْ يومًا، فَذلكَ صيَام داود ﷺ، وَهُو أَعْدَلُ الصيَام». وَفى رواية: «هوَ أَفْضَلُ الصيَام» فَقُلْتُ: فَإنِّى أُطيقُ أفْضلَ منْ ذلكَ، فقال رسول الله ﷺ: «لا أَفضَلَ منْ ذلك» وَلأَنْ أكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأَيَّامِ الَّتى قال رسول الله ﷺ أَحَبُّ إلىَّ منْ أَهْلى وَمالى.

وفى رواية: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصومُ النَّهَارَ وتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قلت: بلَى يا رسول الله. قال: «فَلا تَفْعل: صُمْ وأَفطرْ، ونَمْ وقُمْ فَإنَّ لجَسَدكَ عليْكَ حقًّا، وإنَّ لعيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإنَّ لزَوْجكَ عليْكَ حَقًّا، وَإنَّ لزَوْركَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ بحَسْبكَ أَنْ تَصُومَ فى كُلِّ شَهْر ثَلاثَةَ أَيَّام، فَإنَّ لَكَ بكُلِّ حَسَنة عشْرَ أَمْثَالهَا، فَإن ذلك صيَامُ الدَّهْر» فشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَىَّ، قُلْتُ: يا رسول الله إنى أَجدُ قُوَّةً، قال: «صُمْ صيَامَ نَبِىِّ الله داودَ وَلا تَزدْ عَلَيْه» قلت: وما كَان صيَامُ داودَ؟ قال: «نصفُ الدهْر» فكَانَ عَبْدُ الله يقول بعْد مَا كَبِر: يا ليتنى قَبِلْتُ رُخْصةَ رسول الله ﷺ (٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٦٨) كتاب الصوم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٧٥) كتب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

* وعَنْ أبِى رِبْعِىٍّ حنْظَلَةَ بنِ الرَّبيع الأُسيدىِّ الْكَاتِب أحد كُتَّاب رسول الله ﷺ قال: لَقِيَنِى أبُو بكْر ﷺ فقال: كَيفَ أنْتَ يا حنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله ما تقُولُ؟: قُلْتُ: نَكُونُ عنْد رسول الله ﷺ يُذكِّرُنَا بالْجنَّة والنَّار كأنَّا رأىَ عين، فَإذَا خَرجنَا منْ عنْد رسول الله ﷺ عافَسنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيعات نَسِينَا كَثيراً قال أبُو بكْر ﷺ: فَوالله إنَّا لنَلْقَى مثْلَ هَـذَا فانطلقتُ أنا وأبُو بكْر حتى دَخَلْنَا عَلى رسول الله ﷺ. فقُلْتُ: نافَقَ حنْظَلَةُ يا رسول الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ومَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يا رسولَ الله نكُونُ عنْدكَ تُذكِّرُنَا بالنَّار والْجنَّة كأنَّا رأىَ العَيْنِ فَإذَا خَرَجْنَا منْ عنْدكَ عَافَسنَا الأزواج والأَوْلاَدَ والضَّيعات نَسينَا كَثيراً. فقال رسولُ الله ﷺ: «وَالَّذى نَفْسى بيده لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عنْدى وَفى الذِّكْرِ لصَافَحتْكُمُ الملائكَةُ عَلَى فُرُشكُم وفى طُرُقكُم، ولَكنْ يا حنْظَلَةُ ساعةً وساعةً» ثَلاثَ مرَّات[1].

وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله عز وجل له حق فيُعطَى حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتُعطَى حقها، وللأهل حق فيُعطَون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيُعطَون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التى عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة؛ لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها ملَّ وتعب، وأضاع حقوقًا كثيرة.

وهذا كما يكون فى العبادة وفى حقوق النفس والأهل والضيف يكون كذلك أيضًا فى العلوم، فإذا طلب الإنسان العلم ورأى فى نفسه مللاً فى مراجعة كتاب ما، فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللاً من دراسة فن معين، فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

ويُحصِّل علمًا كثيرًا، أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف، إلا ما شاء الله، فإن بعض الناس يُكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب، ثم يأخذ على ذلك ويكون هذا أمرًا دائمًا له، ويكون ديدنًا له، حتى إنه إذا فقد هذا الشيء ضاق صدره، والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* وعَنْ ابن عباس رضي الله عنهما قال: بيْنما النَّبىُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرجُلٍ قَائمٍ، فسألَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرائيل نَذَر أَنْ يَقُومَ فى الشَّمْس وَلَا يقْعُدَ، ولا يستظلَّ، ولا يتكلَّمَ، ويصومَ، فقال النَّبىُّ ﷺ: «مُرُوهُ فَلْيَتَكلَّمْ ولْيَستَظِلَّ ولْيَقْعُدْ ولْيُتِمَّ صومَهُ»[1].

وهذا النذر كان قد تضمن أشياء محبوبة إلىَ الله عز وجل وأشياء غير محبوبة، أما المحبوبة إلى الله فهى الصوم؛ لأن الصوم عبادة، والنبى ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليُطعه»[2] وأما وقوفه قائمًا فى الشمس من غير أن يستظل، وكونه لا يتكلم فهذا غير محبوب إلى الله عز وجل، فلهذا أمر النبى ﷺ هذا الرجل أن يترك ما نذر.

وليعلم أن النذر أصله مكروه، بل قال بعض العلماء: إنه محرم، وإنه لا يجوز للإنسان أن ينذر؛ لأن الإنسان إذا نذر كلف نفسه ما لم يكلفه الله، ولهذا نهى النبى ﷺ عن النذر، وقال: «إنه لا يأتى بخير، وإنما يُستخرَج به من البخيل»[3] ولكن إذا قُدِّر أن الإنسان نذر فالنذر أقسام: قسم حكمه حكم اليمين، وقسم آخر نذر معصية، وقسم ثالث نذر طاعة.

أما الذى حكمه حكم اليمين: فهو الذى قصد الإنسان به تأكيد الشىء، نفيًا أو إثباتًا أو تصديقًا أو تأكيدًا. ومثاله إذا قيل للرجل: أخبرتنا بكذا

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٧٠٤) كتاب الأيمان والنذور.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٦٩٦) كتاب الأيمان والنذور.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٩٣) كتاب الأيمان والنذور، ومسلم (١٦٣٩) كتاب النذر، واللفظ له.

وكذا، ولكنك لم تصدق، فقال: إن كنت كاذبًا فلله علىّ نذر أن أصوم سنة، فلا شك أن غرضه من ذلك أن يؤكد قوله ليصدقه الناس، هذا حكمه حكم اليمين؛ لأنه قصد بذلك تأكيد ما قال، وكذلك أيضًا إذا قصد الحث مثل أن يقول: إن لم أفعل كذا فلله علىّ نذر أن أصوم سنة، فهذا أيضًا قصد الحث وأن يفعل ما ذكر، حكمه حكم اليمين أيضًا ودليل هذا قول النبى ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1] وهذا نوى اليمين فله ما نوى.

أما القسم الثانى: فهو المحرم، فالمحرم إذا نذره الإنسان يحرم عليه الوفاء به، مثل أن يقول: لله عليه نذر أن يشرب الخمر، فهذا نذر محرم فلا يحل له أن يشرب الخمر، ولكنه عليه كفارة يمين على القول الراجح، وإن كان بعض العلماء قال: إنه لا شىء عليه؛ لأنه نذر غير منعقد ولكن الصحيح أنه نذر منعقد، ولكن لا يجوز الوفاء به، ومثل ذلك أن تقول المرأة: لله عليها نذر أن تصوم أيام حيضها فهذا حرام، ولا يجوز أن تصوم أيام الحيض، وعليها كفارة يمين.

أما القسم الثالث: فهو نذر الطاعة، أن ينذر الإنسان نذر طاعة، مثل أن يقول: لله علىّ نذر أن أصوم الأيام البيض، وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فيلزمه أن يوفى بنذره، لقول النبى ﷺ : «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**» أو يقول: لله علىّ نذر أن أصلى ركعتين فى الضحى فيلزمه أن يوفى بنذره؛ لأنه طاعة، وقد قال النبى ﷺ : «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»[2].

فإن اشتمل نذره على طاعة وغير طاعة، وجب أن يوفى بالطاعة، أما

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١) كتاب بدء الوحى، واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

غير الطاعة فلا يوفى، ويكفر كفارة يمين، مثل قصة هذا الرجل حيث نذر أن يقوم فى الشمس، وألا يستظل وألا يتكلم وأن يصوم، فأمره النبى ﷺ أن يصوم؛ لأنه طاعة، ولكنه قال فى القيام وعدم الاستظلال وعدم الكلام: «مروه فليستظل، وليقعد وليتكلم»[1] وكثير من الناس اليوم إذا استبعد الأمر أو أشفق عليه ينذر، فمثلاً: إذا مرض له إنسان، قال: لله علىَّ نذر إن شفى الله مريضى لأفعلن كذا وكذا،... فهذا منهى عنه، إما نهى كراهة أو نهى تحريم... اسأل الله العافية لمريضك بدون نذر، لكن لو فرضنا أنه نذر إن شفى الله مريضه أن يفعل كذا وكذا، فشفاه الله، وجب عليه أن يوفى بالنذر[2].

سلفنا الصالح.. والبُعد عن الغلو التشدد

* وها هم سلفنا الصالح الذين تعلموا من النبى ﷺ خطورة الوقوع فى الغلو والتشدد فابتعدوا عنه وكانوا صورة مشرقة فى الوسطية التى جاء بها هذا الدين العظيم.

* قال ابن عباس رضي الله عنهما فى وصف بنى إسرائيل لما طلب منهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة: «لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشُدِّد عليهم»[3].

* وقال أيضًا رضي الله عنه فى معنى قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[4].
كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذى أرادوا؛ لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها، يعنى أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) بتصرف من شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - (١/ ٤١٢-٤٢٧).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١٠)، وقال: إسناده صحيح.
(٤) سورة البقرة: الآية: (٧١).

الجهد، وفى هذا ذمٌّ لهم، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت(١).

* وقال عمر رضي الله عنه لرجلٍ سأله عن معنى الأبِّ لما قرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾(٢) قال: نُهينا عن التعمق والتكلُّف(٣).

* وقال أيضًا رضي الله عنه فى خطبة له: «ألا لا تغالوا بصداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها النبى ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أُصدقت امرأةٌ من بناته أكثر من ثنتى عشرة أوقية»(٤).

* قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «لا يتعمق أحدٌ فى الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب»(٥).

* وقال أيضًا رحمه الله تعالى: «الأخذ بالعزيمة فى موضع الرخصة تنطُّع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء يفضى به استعماله إلى حصول الضرر»(٦).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «نهى الشارع عن الغلو والتشديد نهيًا عامًا فى الاعتقادات والأعمال»(٧).

* قال ابن القيم رحمه الله: «من كيد الشيطان العجيب أنه يشام النفس حتى يعلم أى القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟ وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل فى هذا

(١) المرجع السابق (١/ ١١١).

(٢) سورة عبس: الآية: (٣١).

(٣) وروى هذا عن أبى بكر رضي الله عنه أيضًا. فتح البارى (١٣/ ٢٧١).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢١٠٦) كتاب النكاح، والترمذى (١١١٤) كتاب النكاح، والنسائى (٣٣٤٩) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٨٨٧) كتاب النكاح، والدارمى (٢٢٠٠) كتاب النكاح، وأحمد (٢٨٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٢٠٤).

(٥) فتح البارى (١/ ١١٧).

(٦) المرجع السابق نفسه.

(٧) فتح المجيد (٢٢٧) بتصرف.

الواديين، وادى التقصير، ووادى المجاوزة والتعدى، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذى كان عليه رسول الله ﷺ (وهو الوسط) (١).

* قال ابن عقيل رحمه الله: قال لى رجل: أنغمس فى الماء مراراً كثيرة وأشك: هل صحَّ لى الغسل أم لا؟ فما ترى فى ذلك؟ فقلت له: يا شيخ اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة. قال: وكيف؟ قال: لأن النبى ﷺ قال: «رُفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبى حتى يبلغ»، ومن ينغمس فى الماء مراراً ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون(٢)(٣).

وأخيراً

وبعد أن عشنا مع كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ ورأينا أحوال سلفنا الصالح فإنه يتبين لنا كيف أن حياة النبى ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان كانت بعيدة كل البعد عن التشدد والغلو.

ونحن لسنا أتقى لله منهم فلماذا نغالى ونتشدد فى أشياء لم يفعلها النبى ﷺ ولا أصحابه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الوسطية التى جاء بها النبى محمد ﷺ... فحياته كلها وسطية... وسُنته كلها وسطية... وأخلاقه ومعاملاته كلها وسطية.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٣٦).

(٢) صحيح. رواه أبو داود (٤٣٩٩) كتاب الحدود، وأحمد (١٣٦٤) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١٢).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٥٤).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).



صراع مع
قسوة القلب

صراع مع قسوة القلب

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يُزين لكثير من الناس القسوة والغلظة والفظاظة حتى أصبحنا نرى الرحمة غريبة بين الناس لا تكاد تجد قلبًا يؤويها وانتشرت القسوة بين كثير من الناس وأصبحت أكثر القلوب قاسية وحق عليها قول ربنا (جل وعلا): ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وها نحن نخوض تلك الجولة لتعود الرحمة مرة أخرى للقلوب ولنفوز جميعًا برحمة الرحيم الرحمن (جل وعلا) فإنه كما قال الحبيب ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء»[2].

وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

أين الرحمة؟

إننا فى الحقيقة نعيش زمانًا نفتقد فيه لهذا الخُلق الجليل فلقد أصبح الحديث عن الرحمة كأنه دربٌ من الخيال أو أسطورة من أساطير ألف ليلة وليلة. وذلك لأن الرحمة غابت بين أكثر الناس حتى لا نكاد نراها بين أكثر المسلمين - إلا من رحم الله -. . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) سورة البقرة: الآية: (٧٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

* أخى الحبيب... أختى الفاضلة: إننا على قدر الرحمة التى تكون فى قلوبنا لمن حولنا سنجد الرحمة من أرحم الراحمين جل وعلا.

* وقد أمرنا الله أن نتأسى وأن نقتدى بالأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[(١)].

وقد وصف الله رسوله ﷺ وأصحابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٣)].

* بل وأخبر النبى ﷺ أن الرحمة إذا كانت بين المؤمنين فإنها تجعلهم كالجسد الواحد فقال ﷺ: «مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[(٤)].

* وأخبر النبى ﷺ أن الرحمة من صفات أهل الجنة.. فقال ﷺ: «... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مقسط متصدق موفَّق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال...»[(٥)].

* وقد أخبر النبى ﷺ أنه لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن إلا برحمته - جل وعلا- فقال ﷺ: «لن يُدخل أحداً عملُه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته»[(٦)].

* * *

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

النبى ﷺ يحذر الأمة من قسوة القلب

لقد كان النبى ﷺ صاحب أطهر وأرحم قلب فى هذا الكون حتى وصفه الحق (جل وعلا) وقال فى حقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى عنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

* بل وجاء وصفه فى التوراة بأنه ليس بفظٍّ ولا غليظ.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة قال: أجل. والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب [3] فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويُفتح بها أعينٌ عمىٌ، وآذانٌ صُمٌّ، وقلوبٌ غُلفٌ[4] »[5].

* فكان النبى ﷺ يحض الأمة كلها على الرحمة والبعد عن القسوة والغلظة.. وكان يخبر أصحابه والأمة من بعدهم أن العبد لن يستطيع أن يفوز برحمة الله (جل وعلا) إلا إذا كان رحيمًا بكل من حوله.

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) سخاب: بالسين، وصخاب: بالصاد: وهو رفع الصوت بالخصام.

(٤) غلف: كل شىء فى غلاف، سيف أغلف، وقوس غلفاء، ورجل أغلف: إذا لم يكن مختونًا.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

الراحمون يرحمهم الرحمن (جل وعلا)

إن قلب المؤمن يفيض بالرحمة على كل من حوله.. فهو يعلم يقينًا أنه على قدر الرحمة التى تكون فى قلبه للناس من حوله فإنه سيجد فى مقابلها رحمة أعظم منها تنتظره فى الدنيا والآخرة من الرحمن الرحيم - جل وعلا - ... فهو يرحم كل من رحم عباده ولذا قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء»[(١)].

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[(٢)].

وقال ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[(٣)].

* فالرحمة دليل على سعة الصدر، ورقَّة القلب، وسمو النفس، والرجل الذى تسمو نفسه إلى معالى الأخلاق يعرف الحق، ويرحم الناس، بل يرحم الخلق كافة.

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤمنوا حتى ترحموا» قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله: قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة»[(٤)].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، و(٥٦٥٥) كتاب المرضى، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٤١) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٢٤) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

(٤) حسن لغيره: رواه الحاكم (٤/ ١٨٥، رقم ٧٣١٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٥٣)، وقال: حسن لغيره.

أعراض قسوة القلب

وإن أردت أن تعرف ما هى أعـراض قسوة القلب فهى كـثيرة ولكن من أهم تلك الأعراض:

* عدم التأثر بالقرآن أو المواعظ وعدم تحرك القلب للقرآن والذكر.
* عدم الرحمة بالصغير ولا العطف على الضعيف والفقير.
* عدم الاهتمام بأمور المسلمين وعدم التحرك لنُصرة هذا الدين العظيم.
* عدم التأثر بما يصيب المسلمين من الآلام والأحزان.
* جمود العين وبُخلها بالدموع.
* **قال يحيى بن معاذ:**

ما جفّت الدموع: إلا لقساوة القلوب.

وما قست القلوب: إلا لكثرة الذنوب.

وما كثرت الذنوب: إلا لكثرة العيوب.

ما هى أسباب قسوة القلب؟

وأسباب قسوة القلب كثيرة ولكن نذكر منها ما يلى:

١- الركون إلى الدنيا والغرور بأهلها:

وهذا من أعظم الأسباب التى تُقسى القلوب والعياذ بالله تبارك وتعالى.

فإذا اشتغل الـعبد بالأخذ والبيع واشتـغل أيضًا بهذه الفتن الزائلة والمحن الحائلة: فسرعان ما يقسو قلبه؛ لأنه بعيد عن من يُذكره بالله تبارك وتعالى.

فلذلك ينبـغى على الإنســان إذا أراد أن يوغل فى هذه الدنيـا أن يوغل برفق.

فديننا ليس دين رهبانية، ولم يحرّم الحلال سبـحانه وتعالى، ولم يَحُل

بيننا وبين الطيبات.

ولكن رويداً رويداً !!

فأقدار قد سبق بها القلم، وأرزاق قد قُضيت، يأخذ الإنسان بأسبابها دون أن يغالب القضاء والقدر، يأخذها برفق ورضا عن الله تبارك وتعالى في يسير يأتيه، وحمد وشكر لبارئه، فسرعان ما توضع له البركة ويُكفَى فتنة القسوة.

نسأل الله العافية منها.

فلذا من أعظم الأسباب التي تستوجب قسوة القلب:

الركون إلى الدنيا، وتجدهم - أهل القسوة - غالبًا عندهم عناية بالدنيا، يُضَحُّون بكل شيء!!

يضحَون بأوقات الصلوات!!

ويضحّون بالأعمال الصالحة ....

ولكن لا يضحون بلذات الدنيا.

فلا يمكن أن يضحي الواحد منهم بدينار أو درهم منها!!

فلذلك دخلت هذه الدنيا إلى القلب، والدنيا شُعَب، ولو عرف العبد حقيقة هذه الشُعَب لأصبح وأمسى ولسانه يلهج إلى ربه.. قائلاً:

رب نجني من فتنة هذه الدنيا.

فإن في الدنيا شُعبًا: ما مال القلب إلى واحدٍ منها إلا استهواه لما بعده، ثم إلى ما بعده، حتى يبتعد عن الله عزَّ وجلَّ، وعندها تسقط مكانته عند الله ولا يبالي الله به في أي واد من أودية الدنيا هلك، والعياذ بالله.

إن هذا العبد الذي نسي ربه وأقبل على هذه الدنيا مُعظمًا لها... فعظم ما لا يستحق التعظيم، واستهان بمَن يستحق الإجلال والتعظيم والتكريم سبحانه وتعالى،... تكون عاقبته والعياذ بالله من أسوأ العواقب.

٢- الجلوس مع الفساق ومعاشرة من لا خير فى معاشرته.

ولذلك... ما ألِفَ الإنسان صحبةً لا خير فى صحبتها: إلا قسى قلبه عن ذكر الله تبارك وتعالى..

ولا طلب الأخيار: إلا رققوا قلبه لله الواحد القهار، ولا حرص على مجالسهم: إلا جاءته الرقة شاء أو أبى،... جاءت لكى تسكن سويداء قلبه فتُخرجه عبدًا صالحًا مُصلحًا، قد جعل الآخرة نصب عينيه.

لذلك: ينبغى للإنسان إذا عاشر الأشرار.. أن يعاشرهم بحذر وأن يكون ذلك على قدر الحاجة حتى يسلم له دينه، فرأس المال فى هذه الدنيا هو الدين [١].

٣- كثرة الذنوب:

فإن كثرة الذنوب وعدم التوبة منها تُغلف القلب بغلافٍ من القسوة.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب: كانت نُكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر: صقل قلبه وإن زاد: زادت، حتى يعلو قلبه».

فذلك الران، الذى ذكر الله فى كتابه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢][٣].

٤- كثرة الضحك:

لابد أن نعلم أن الإسلام لا يُحرم الضحك فقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[٤].. ولكن الإسلام نهى عن كثرة الضحك.

ولذا قال النبى ﷺ: «لا تُكثر الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب»[٥].

---

(١) كيف ترق قلوبنا / للشيخ محمد المختار الشنقيطى (ص:٨ وما بعدها).

(٢) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٤) سورة النجم: الآية: (٤٣).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٣٥).

من مخاطر القسوة والغلظة

* قال مالك بن دينار: «ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم»[١].

* يا لها من كلمات تُصدِّع القلوب !!!

نعم.. أيها الأخ الحبيب فإن قسوة القلوب:

(١) تذهب اللين والرحمة والخشوع من القلب:

فالمجتمع الذى تنعدم فيه الرحمة واللين وتنتشر فيه القسوة والغلظة فهو مجتمعٌ شقى لا يعرف أفراده طريقًا للسعادة ولا للراحة أبدًا.

(٢) تجعل صاحب القلب القاسى بعيدًا من الله بعيدًا من الناس:

فالناس لا يحبون إلا من يحنو عليهم ويرحمهم... وبخاصة إذا كان فى مقام الدعوة إلى الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢].

(٣) القسوة تزيل النعم وتحل النقم:

فالقسوة تُزيل النعم وتُحل النقم وتؤدى إلى الفُرقة وعدم التآلف بين الناس وإلى ذهاب الأُخوة بين المسلمين.

(٤) تعرض صاحبها لإغواء الشياطين ووقوعه فريسة لهم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

---

(١) تفسير القرطبى (١٥/١٦١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (٤٢-٤٣).

(٥) تؤدى إلى تفرق المسلمين وضعفهم :

فالقسوة تجعل المجتمع متفرقًا متباغضًا.. وبذلك تضعف شوكة المجتمع المسلم وتجعله مَطمعًا لأعدائه فى كل مكان.

(٦) أن قسوة القلب تُقعد صاحبها عن الخير وتصده عن الهداية وتُغرقه فى بحار الشهوات.

(٧) توقع صاحبها تحت تهديد الحق (جل وعلا) له بالنار:

فقد قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[١].

(٨) قسوة القلب تُعتبر بوابة لدخول الأمراض فى القلب.

قد نحتاج أحيانًا إلى القسوة والغلظة

قال الجاحظُ: القساوة مكروهة من كل أحدٍ إلا من الجند وأصحاب السلاح والمتولين للحروب، فإن ذلك غير مكروه منهم إذا كان فى موضعه[٢].

أما الغلظة فإنها مطلوبة، بل ومأمور بها فى التعامل مع الكفار والمنافقين وخاصة فى مجال الجهاد ولكنهـا منهى عنها فى التعامل مع المؤمنين شريطة الا تُفضى إلى تضييع حق من حقوق الله تعالى[٣].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[٤].

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٢٢).

(٢) تهذيب الأخلاق (ص ٣٠).

(٣) البحر المحيط (٣/ ١٠٤).

(٤) سورة التوبة: الآيتان: (٧٣-٧٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

علاج قسوة القلوب

١- المعرفة بالله تبارك وتعالى :

لأن معرفة العبد بربه: تُرقق قلبه من خشية الله تعالى، وتزيل منه قسوته وجموده.

حيث إنك لا تجد قلبًا قاسيًا.. إلا وتجد صاحبه أجهل الناس بالله عز وجل، وأبعدهم عن المعرفة به، وبطشه وعذابه، وأجهلهم - كذلك - بنعيم الله، ورحمته.

وأيأس ما يكون من روح الله.

وذلك: لجهله بالله عز وجل.

ولذا فإنه لما جهل هذا الإنسان ربه.. تجرأ على حُرماته، ولم يعرف إلا شهواته وملذاته.

لذلك: كانت المعرفة بالله.. طريقًا جيدًا، لعلاج قسوة القلب (٣).

٢- ذكر الله عز وجل في السر والعلانية، في السراء والضراء، في الليل والنهار في كل الأحوال.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٣).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٩).

(٣) كيف ترق قلوبنا؟ (ص:١٨).

(٤) سورة الرعد: (٢٨).

وفى الأثر: «إن هذه القلوب تصدأ، كما يصدأ الحديد، قيل: فما جلاؤها؟
قال: «تلاوة كتاب الله، وكثرة ذكره».

* وقال يحيى بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء.

قراءة القرآن بالتفكر.

وخلاء البطن.

وقيام الليل.

والتضرع عند السجود.

ومجالسة الصالحين [1].

* وشكا رجل إلى الحسن قسوة قلبه، فقال له: «عليك بذكر الله».

ويقول تعالى داعيًا لأحبابه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

٣- النظر فى آيات الله والاعتبار بها:

حيث إنه ما نظر الإنسان رجلاً كان أو امرأة - فى آيات الله - فى الأنفس أو الآفاق، أو القرآن الكريم، وكان عند نظره وقراءته، حاضر القلب، مفكرًا متأملاً.. إلا وجدت العين منه تدمع، والقلب فيه يخشع، والنفس لديه تتوهج من أعماقها رقة وخشوعًا وانكسارًا.

وصدق الله إذ يقول على كتابه الكريم، وقُرَّائه الخاشعين: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[3].

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم (٨/٢٦٩).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٢٣).

لذلك: ما أهمل عبدٌ تلاوة القرآن، والتفكير فيه: إلا قسا قلبه، وتحجرت عواطفه.

ومن هنا: كان النظر فى آيات الله والاعتبار بها.. طريقًا جيدًا لعلاج قسوة القلب.

٤- تذكر الآخرة:

حيث إن من لا يتذكر: أن لكل بداية نهاية، وأن العبد صائر إلى الله، وأنه لابد من حساب، وأنه لابد من جنة أو نار..!

كما أن من لا يتذكر: أن الحياة زائلة، وأن متاعها فانٍ، وبهجتها راحلة، وأنها دار غرور..!

دعاه كل ذلك: إلى الإقبال على الدنيا، والانشغال بها، والبعد تدريجيًّا عن الخوف من الله، وقلة الاستعداد ليوم لقاه.

وعندها: يقسو القلب، وتتحجر عواطفه.

لذلك: كان تذكُّر الآخرة: مع زيارة القبور.. طريقًا جيدًا، لعلاج قسوة القلب.

٥- زيارة المقابر:

ففيها فوائد كثيرة منها:

تُذكِّر الموت، وتُقصِّر الأمل، وتُرقق القلب، وتُوجد الخشية.

* **قال ابن المنكدر:** على رجل يكثر من زيارة المقابر، هذا رجل يحرك قلبه بذكر الموت، كلما عرضت له قسوة.

* **وقال أحد الصالحين:** ما اشتقت إلى البكاء إلا مررت عليه.

قال له رجل: وكيف ذلك..؟

قال: إذا أردت ذلك، خرجت إلى المقابر، فجلست إلى بعض تلك القبور، ثم فكرت فيما صاروا إليه من البلى، وذكرت ما نحن فيه من المهلة.

قال: فعند ذلك: تختفى قسوة قلبى [1].

٦- الإحسان إلى اليتامى والمساكين:

فعن أبى هريرة ﷺ.. أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه.

فقال له: «أتحب أن يلين قلبك وتُدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك» [2].

٧- كثرة الدعاء:

قال ﷺ: «اللهم.. إنى أعوذ بك: من شر سمعى، ومن شر بصرى، ومن شر لسانى، ومن شر قلبى» [3].

* **قالوا:** يا رسول الله ﷺ أى المال نتخذ..؟

قال: «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة» [4][5].

* فاللهم ارزقنا قلوبًا نقية تقية طاهرة رقيقة لينة.

* * *

(١) ذم قسوة القلب / لابن رجب (ص٣٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى كما فى الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧) ومجمع الزوائد (٨/ ١٦٠)، وعبد الرزاق فى الجامع عن معمر (١١/ ٩٦ ، رقم ٢٠٠٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٥٥١) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٤٩٢) كتاب الدعوات، والنسائى (٥٤٥٥) كتاب الاستعاذة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٩٢، ٤٣٩٩).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٠٩٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٨٥٦) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٥٥).

(٥) علامة قسوة القلب / د عبد الحى الفرماوى (ص: ٢٢-٢٧) بتصرف.



صراع مع الجهل

صراع مع الجهل

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يثبط أكثر الناس عن طلب العلم الدينى والدنيوى فأصبح أكثر الناس يعانون من الجهل بأحكام الدين والجهل بأسباب التقدم العلمى والتكنولوجى.

وها نحن نخوض تلك الجولة لنحض المسلمين على طلب العلم من أجل النهوض مرة أخرى بهذه الأمة الميمونة المباركة لتعود إلى قيادة الأمم من حولها فى شتَّى المجالات العلمية والدينية فنحن خير أمة أُخرجت للناس.

معنى الجهل لغة واصطلاحاً

• الجهل لغة:

الجهل مصدر قولهم جهل يجهل وهو مأخوذ من مادة (ج هـ ل) التى تدل على معنيين... يقول ابن فارس «الجيم والهاء واللام» أصلان: أحدهما خلاف العلم والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة، فالأول الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة التى لا علم بها مجهل، والثانى: قولهم للخشبة التى يحرك بها الجمر مجهل، ويقال: استجهلت الريح الغصن إذا حركته فاضطرب[(١)].

ويقول الراغب: «والجاهل تارة يُذكر على سبيل الذم وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم نحو ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[(٢)] أى من لا يعرف حالهم وليس يعنى المتخصص بالجهل المذموم، والمجهل: الأمر

---

(١) المقاييس (١/ ٤٨٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

والأرض والخصلة التى تحمل الإنسان على الاعتقاد بالشىء خلاف ما هو عليه[(١)].

وقال ابن منظور: الجهل نقيض العلم، والجهل: ضد الخبرة يقال: هو يجهل ذلك أى لا يعرفه، وفى الحديث: «إنك امرؤ فيك جاهلية».

والمراد: الحالة التى كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه، ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك[(٢)].

الجهل اصطلاحًا:

قال الجرجانى: الجهل: هو اعتقاد الشىء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشىء والجواب عنه أنه شىء فى الذهن[(٣)].

وقال ابن نجيم: حقيقة الجهل: عدم العلم بما من شأنه أن يكون معلومًا فإن قارن اعتقاد النقيض، أى الشعور بالشىء على خلاف ما هو به فهو الجهل المركب، فإن عدم الشعور بذلك فهو الجهل البسيط[(٤)].

أنواع الجهل

قال الجرجانى: الجهل على ضربين: الأول: الجهل البسيط: هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون معلومًا.

الآخر: الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع[(٥)].

---

(١) المفردات (١٠٠).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٤٨٩).

(٣) التعريفات للجرجانى (٨٠).

(٤) الأشباه والنظائر لابن نجيح (٣٠٣).

(٥) التعريفات (٨٠).

وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: هو خلو النفس من العلم.

الثانى: اعتقاد الشىء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشىء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحًا أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [(١)] فجعل فعل الهزو جهلاً [(٢)].

أنواع الجُهَّال وكيفية التعامل معهم

قال الراغب: الإنسان فى الجهل على أربعة منازل.

الأول: من لا يعتقد اعتقاداً لا صالحًا ولا طالحًا، فأمره فى إرشاده سهل إذا كان له طبع سليم، فإنه كلوحٍ أبيض لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يُلقَ فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم النظرى: غُفْلٌ، وباعتبار العلم العملى: غُمْرٌ ويقال له: سليم الصدر.

والثانى: معتقد لرأى فاسد، لكنه لم ينشأ عليه، ولم يتربَّ به، واستنزاله عنه سهل، وإن كان أصعب من الأول، فإنه كلوحٍ يحتاج فيه إلى محوٍ وكتابة، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال له: غاوٍ وضال.

والثالث: معتقد لرأى فاسد قد ران على قلبه، وتراءت له صحته، فركن إليه لجهله، ممن وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[(٣)]، فهذا ذو داء أعيا الأطباء، فما كل داء له دواء، فلا سبيل إلى تَنَبُّهه وتهذيبه.

كما قيل لحكيم يعظ شيخًا جاهلا: ما تصنع؟ فقال: أغسل مِسحًا لعله يبيض.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٦٧).

(٢) المفردات (١٠٢).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٢).

والرابع: معتقد اعـتقاداً فاسداً عُرف فساده، أو تمكن من مـعرفته، لكنه اكتسب دنيَّة لرأسه، وكرسيًا لرئاسته فـهو يحامي عليها، فيـجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجرَّ إلى نفـسه الخلق، ويقال له: فاسق ومنافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ (١) فنبَّه تعالى أنهم ينكرون ما يقـولونه لمعرفـتهم ببطلانه، لكن يسـتكبرون عن التـزام الحق وذلك حال إبليس فيما دُعي إليه من السجود لآدم عليه السلام(٢).

عقوبة أهل الجهل في الحال والمآل

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النبي ﷺ والظلم باتبـاع أهوائهم الذين قال الله تـعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (٣) وهؤلاء قسمان:

أحـدهـما: الذين يحـسـبـون أنهم على عـلم وهدى وهم أهل الجـهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركَّب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، وهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(٤)، فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السراب الذي ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (٥)، وهكذا هؤلاء أعمـالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يكـون صاحبه أحـوج ما هو إليه، ولم يقتصر على مجرد الخيبـة والحرمان كما هو الحال فيمن أمَّ السراب

---

(١) سورة المنافقون: الآية: (٥).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (١٣١، ١٣٢).

(٣) سورة النجم: الآية: (٢٣).

(٤) سورة المجادلة: الآية (١٨).

(٥) سورة النور: الآية: (٣٩).

فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين - سبحانه تعالى - فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقَدِم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباء منثوراً؛ إذ لم يكن خالصًا لوجهه ولا على سنة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشبهات الباطلة التى كان يظنها علومًا نافعة كذلك هباءً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه (هكذا).

والقسم الثانى من هذا الصنف: أصحاب الظلمات وهم المنغمسون فى الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلاً فهؤلاء أعمالهم التى عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى، كظلمات عديدة وهى ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذى بعث الله تعالى به رسله - صلوات الله وسلامه عليهم - والنور الذى أنزله معهم ليُخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المُعرض عما بعث الله تعالى به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب فى خمس ظلمات، قوله ظُلمة، وعمله ظُلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة وقلبه مظلم، ووجهه مظلم وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمداً ﷺ من النور جَدَّ فى الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التى هى به أنسب وأولى كما قيل:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه

ووافقها قِطعٌ من الليل مظلمُ

فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان، جال ومال، وأبدى وأعاد،

وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحى وشمس الرسالة انحجز فى حجرة الحشرات[١].

الأحاديث الواردة فى ذم الجهل

* عن عبد الله بن مسعود وأبى موسى رضي الله عنهما قالا: قال النبى ﷺ: «إن بين يدى الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويُرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج والهرج القتل»[٢].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يَبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٣].

* وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القُضاة ثلاثة واحد فى الجنة، واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»[٤].

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديى، تعرف منهم وتُنكر»، قلت: فهل بعد

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٥ - ١٧) باختصار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٣) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦٧٢) كتاب العلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧٣) كتاب الأقضية، والترمذى (١٣٢٢) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٦).

ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم.. دُعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

* وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «رب اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى كله وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وجِدِّى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير»[2].

أقوال السلف فى ذم الجهل

* كان عيسى ابن مريم - عليهما السلام - يقول: «لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيبًا رفيقًا يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع».

* (قال لقمان الحكيم رضي الله عنه لابنه: «يا بنى لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء أو لتمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم زهدًا فيه ورغبة فى الجهالة، يا بُنى اختر المجالس على عينك، وإذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم؛ فإنك إن تكن عالمًا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يُعلموك ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالمًا لا ينفعك

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٨٤) كتاب الفتن، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٩٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

علمك، وإن تكن جاهلاً زادوك غيًّا، ولعل الله يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم»[(١)].

* قال علي رضي الله عنه: «لا يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى يؤخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال؛ لأن العلم كان قبل الجهل به»)[(٢)].

* قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياهُ
يُقاس المرءُ بالمرءِ إذا ما المرء ماشاهُ
قياسَ النعل بالنعل إذا ما النعل حاذاهُ
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباهُ
وللقلب على القلب دليل حين يلقاهُ[(٣)]

* (قال بَزَرْجَمْهَر: «الجهل في القلب، كالنَّزِّ في الأرض يفسد ما حوله»)[(٤)].

* (وقال أيضًا لما قيل له: ما لكم لا تعاتبون الجهال؟ فقال: «إنا لا نكلف العُمي أن يبصروا، ولا الصُّم أن يسمعوا»)[(٥)].

---

(١) رواه الدارمي (٣٧٧) في مقدمة سننه عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن لقمان... إلخ، وقال حسين سليم أسد: إسناده حسن إلى شهر بن حوشب.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٣).

(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٥٦٤).

(٤) أدب الدنيا والدين (٥٠) ط. بيروت.

(٥) المرجع السابق (٥١) ط. بيروت.

* (قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «علامة الجاهل ثلاث: العُجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه»)(١).

* (عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «ما لي أرى علماءكم يذهبون وجُهالكم لا يتعلمون، تعلموا قبل أن يُرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء»)(٢).

* (قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى-: «مَن عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»)(٣).

* (قال ميمون بن مهران - رحمه الله تعالى -: «لا تمار عالمًا ولا جاهلاً، فإنك إذا ماريت عالمًا خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلاً خشن بصدرك»)(٤).

* (قال الخليل بن أحمد - رحمه الله تعالى -:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني

أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت أنك جاهل فعذرتكا)(٥)

* (وقال أيضًا - رحمه الله تعالى-: «الرجال أربعة: رجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك جاهل فعلموه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك غافل فنبهوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك مائق فاحذروه ورجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه»)(٦).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٤٢).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٨٢).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٩).
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٣٠).
(٦) المرجع السابق (٢/ ٤٨) والمائق: الهالك حمقًا وغباوة.

* (قال الثورى - رحمه الله تعالى-: «تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»)[(١)].

* (قال جعفر بن عون: «سمعت مسعراً يوصى ولده كداماً:

إنى منحتك يا كِدام نصيحتى
فاسمع مقال أبٍ عليك شفيقِ

أما المزاحة والمراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديقِ

إنى بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاورٍ جاراً ولا لرفيقِ

والجهل يُزرى بالفتى فى قومه
وعروقه فى الناس أىُّ عروقِ)

* (قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى-:

دين النبى محمد أخبارُ
نِعم المطية للفتى آثارُ

لا ترغبن عن الحديث وأهله
فالرأى ليلٌ والحديث نهارُ

ولربما جَهِلَ الفتى سُبل الهدى
والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ)[(٢)]

* (قال الماوردى - رحمه الله تعالى -: «ليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل؛ لأن فضل العلم إنما يُعرف بالعلم، وهذا أبلغ فى فضله؛ لأن فضله لا يُعلم إلا به، فلما عدم الجاهلون العلم الذى به يتوصلون إلى فضل

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٩٢).

العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطُّرف المشتهاة، أولَى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها»[1].

* وقال سابق البربرى (رحمه الله):

الجهل داءٌ قاتل وشفاؤه
أمران فى التركيب متفقانِ
نَصٌّ من القرآن أو من سُنّة
وطبيبُ ذاك العالم الربانى[2]

* (قال بِشْر بن المعتمر البصرى المتكلم:

إن كنت تعلم ما أقول
وما تقول فأنت عالمْ
أو كنت تجهل ذا وذاك
فكن لأهل العلم لازمْ
أهل الرياسة من ينازعهم
رياستهم فظالمْ
لا تطلبنَّ رياسة
بالجهل أنت لها مُخاصمْ
لولا مقامهم رأيت
الدين مضطرب الدعائمْ[3]

---

(١) آداب الدنيا والدين (١٧).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٤١٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤٤).

* (قال بعض الشعراء:

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسامهم قبل القبور قبورُ

وإن امرأ لم يَحْىَ بالعلم ميتٌ

فليس له قبل النشورِ نشورُ[1])

* (قال ابن القيم - رحمه الله تعالى-:

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة

وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم[2])

* (وقال - رحمه الله تعالى-: «الجهل نوعان: جهل علم ومعرفة، وجهل عمل وغَىٍّ وكلاهما له ظلمة ووحشة فى القلب. وكما أن العلم يوجب نوراً وأُنسًا فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة. وقد سمَّى الله سبحانه وتعالى العلم الذى بعث به رسوله نوراً وهدى وحياة، وسمى ضده ظلمة وموتًا وضلالاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[4][5].

فضل العلم من الكتاب والسنة

إن فضل العلم لعظيم ولو أردنا أن نتكلم عن فضله لاحتجنا إلى مجلدات ولكن حسبنا أن نُلقى الضوء على بعض فضائل العلم عسى الله أن ينفعنا بها

---

(١) أدب الدنيا والدين (٥١).

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٣٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٥) الأشباه والنظائر (ص٢٢٠).

لتكون حافزًا لنا للسير فى طلب العلم ابتغاء وجه الله (سبحانه وتعالى).

(١) استشهد سبحانه بأولى العلم على أجلِّ مشهود عليه وهو توحيده فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[1].

وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

ثانيًا: اقتران شهادتهم بشهادته.

ثالثًا: اقترانها بشهادة ملائكته.

رابعًا: إن فى هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

خامسًا: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

سادسًا: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجلُّ شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفًا.

سابعًا: أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

(٢) أنه سبحانه نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب النار وأصحاب الجنة. فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]، كما قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[3]، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم.

(٣) أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال:

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٩).

(٣) سورة الحشر: الآية: (٢٠).

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ [(١)].

(٤) أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [(٢)]، وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء.

(٥) أنه سبحانه سلَّى نبيه بإيمان أهل العلم به وأمره أن لا يعبأ بالجاهلين شيئًا.... فقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [(٣)] وهذا شرف عظيم لأهل العلم.

(٦) أنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم. فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [(٤)].

(٧) أنه سبحانه أخبر عن رفعة درجات أهل العلم والإيمان خاصة فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [(٥)]، وقد أخبر سبحانه فى كتابه برفع الدرجات فى أربعة مواضع: أحدها هذا.

والثانى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (٤٣).

(٣) سورة الإسراء: الآيات: (١٠٦ - ١٠٨).

(٤) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٥) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٦) سورة الأنفال: الآيات: (٢-٤).

والثالث قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ (١).

والرابع قوله تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾(٢).

(٨) أنه سبحانه استشهد بأهل العلم والإيمان يوم القيامة على بُطلان قول الكفار فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

(٩) أنه سبحانه أخبر أنهم أهل خشيته بل خصَّهم من بين الناس بذلك. فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٤)، وهذا حصر لخشيته في أولى العلم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

(١٠) أنه سبحانه أخبر عن أمثاله التي يضربها لعباده يدلهم على صحة ما أخبر به أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها فقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٥).

(١١) أن الله سبحانه أمر أهل العلم بالفرح بما آتاهم وأخبر أنه خيرٌ مما يجمع الناس فقال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٦).

(١٢) أنه سبحانه شهد لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيرًا كثيرًا فقال تعالى:

---

(١) سورة طه: الآية: (٧٥).

(٢) سورة النساء: الآيتان: (٩٥- ٩٦).

(٣) سورة الروم: الآيتان: (٥٥- ٥٦).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٥) سورة العنكبوت: الآية: (٤٣).

(٦) سورة يونس: الآية: (٥٨).

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١].

(١٣) أنه سبحانه عدَّد نعمه وفضله على رسوله وجعل من أجلِّها أن آتاه الكتاب والحكمة وعلَّمه ما لم يكن يعلم، فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٢].

(١٤) أنه سبحانه لما أخبر ملائكته بأنه يريد أن يجعل فى الأرض خليفة قالوا له: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[٣].

(١٥) أنه سبحانه لما أن عرَّفهم فضل آدم بالعلم وعجزهم عن معرفة ما علمه قال لهم: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٤]، فعرَّفهم سبحانه نفسه بالعلم وأنه أحاط علمًا بظاهرهم وباطنهم وبغيب السموات والأرض فتعرَّف إليهم بصفة العلم وعرَّفهم فضل نبيه وكليمه بالعلم وعجزهم عما آتاه آدم من العلم وكفى بهذا شرفًا للعلم.

(١٦) أنه سبحانه جعل فى آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات وأراد سبحانه أن يُظهر لملائكته فضله وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه فدلَّ على أن العلم أشرف ما فى الإنسان وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم ونظير هذا ما فعله بنبيه يوسف عليه السلام لما أراد إظهار فضله وشرفه على أهل زمانه كلهم أظهر للملك وأهل مصر من علمه

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٩).

(٢) سورة النساء: الآية: (١١٣).

(٣) سورة البقرة: الآيات: (٣٠- ٣٢).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٣٣).

بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماء التعبير فحينئذٍ قدَّمه ومكَّنه وسلَّم إليه خزائن الأرض.

(١٧) أنه سبحانه ذمَّ أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى: ﴿ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٣]، فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجُهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلاً منهم، وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[٤].

(١٨) أن العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة والشر كله سببه عدم الحياة والنور والخير كله سببه النور والحياة فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء ويبين مراتبها.

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٥]، كان قلبه ميتًا بالجهل فأحياه بالعلم وجعل له من الإيمان نورًا يمشي به في الناس.

(١٩) أن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المُعلَّم وهذا أيضًا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدلَّ على شرف العلم وفضله. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١١).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٧).
(٣) سورة الفرقان: الآية: (٤٤).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٢٢).
(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(١).

(٢٠) قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٢)، ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه فى الدين وهو تعلُّمه وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم. وقد اختلف فى الآية فقيل المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم بل ينبغى أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تعلم القاعدين.

وقالت طائفة أخرى: المعنى وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم بل ينبغى أن تنفر طائفة للجهاد وفرقة تقعد تتفقه فى الدين فإذا جاءت الطائفة التى نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام.

(٢١) أنه سبحانه ذكر فضله ومنته على أنبيائه ورسله وأوليائه وعباده بما أتاهم من العلم فذكر نعمته على خاتم أنبيائه ورسله بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣)، وقد تقدمت هذه الآية، وقال فى يوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)، وقال فى كليمه موسى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾(٥)، ولما كان الذى آتاه موسى من ذلك أمرًا عظيمًا خصَّه به على غيره ولا يثبت له إلا الأقوياء أولو العزم هيأه له بعد أن بلغ أشده واستوى يعنى تم وكملت قوته. وقال فى حق المسيح: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ

(١) سورة المائدة: الآية: (٤).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٢).

(٣) سورة النساء: الآية: (١١٣).

(٤) سورة يوسف: الآية: (٢٢).

(٥) سورة القصص: الآية: (١٤).

الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾[1]، وقال فى حقه: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ فجعل تعليمه مما بشَّر بـه أمه وأقر عينهـا به. وقال فى حق داود: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2]، وقال فى حق الخـضر صاحب موسى وفـتاه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[3]، فذكر من نعمه عليـه تعليمه وما آتاه من رحمـته. وقال تعالى يذكر نعـمته على داود وسليمان: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾[4]، فذكر النبيين الكريمين وأثنى عليهما بالحكم والعلم وخَصَّ بفهم القضية أحدهما.

(٢٢) أن أول سورة أنزلها الله فى كتابه سورة العلق فذكر فيها ما منَّ به على الإنسان من تـعليمه مـا لم يعلم فذكـر فيهـا فضله بتعليـمه وتفـضيله الإنسـان بما علَّمـه إياه وذلك يدل على شرف التعليم والعلم. فقـال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[5]، فافتتح السورة بالأمر بالقراءة الناشئة عن العلم وذكر خلقه خصوصًا وعمومًا.

(٢٣) أن الله تعالى وصف أهل النار بالجهل وأخبر أنه سَدَّ عليهم طُرق العلم فقال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[6]. فأخبر أنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون.. والسمع والعقل هما أصل العلم وبهما ينال.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٠).

(٢) سورة ص: الآية: (٢٠).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٦٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان: (٧٨- ٧٩).

(٥) سورة العلق: الآيات: (١- ٥).

(٦) سورة الملك: الآيتان: (١٠- ١١).

(٢٤) ما في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[١] وهذا يدل على أن من لم يُفقهه في دينه لم يُرد به خيرًا كما أن من أراد به خيرًا فقهه في دينه ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيرًا إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين فقد أُريد به خيرًا فإن الفقه حينئذٍ يكون شرطًا لإرادة الخير وعلى الأول أن يكون موجبًا والله أعلم.

(٢٥) ما في الصحيحين أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قَبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأً فذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢] شبّه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد فإنها بالعلم والمطر... وشبّه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر؛ لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته.

قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج إليه بعدد أنفاسه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٩) كتاب العلم، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل.

(٢٦) ما في الصحيحين أيضًا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم»(١)، وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعلم كان ذلك خيرًا له من حمر النعم وهي خيارها وأشرافها عند أهلها فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس.

(٢٧) ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(٢) أخبر ﷺ أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له مثل أجر من اهتدى به والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم مَن ضَلَّ به؛ لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس وهذا بذل قدرته في ضلالتهم فنزل كل واحد منهما منزلة الفاعل.

(٢٨) ما خرجا في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(٣)، فأخبر ﷺ أنه لا ينبغي لأحد أن يحسد أحدًا يعني حسد غبطة ويتمنى مثل حاله من غير أن يتمنى زوال نعمة الله عنه إلا في واحدة من هاتين الخصلتين وهي الإحسان إلى الناس بعلمه أو بماله.

(٢٩) عن أبي أُمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

عالم والآخر عابد فقال رسول الله ﷺ : «**فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على مُعلمى الناس الخير**»[1].

قال ابن عباس: علماء هذه الأمة رجلان، فرجل أعطاه الله علمًا فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفدًا ولم يشترِ به ثمنًا أولئك يصلى عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاتبون، ورجل آتاه الله علمًا فضنَّ به عن عباده وأخذ به صفدًا واشترى به ثمنًا فذلك يأتى يوم القيامة يُلجم بلجام من نارٍ.

(٣٠) ما رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[2].

* **وقوله ﷺ : «إن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء»** فإنه لما كان العالم سببًا فى حصول العلم الذى به نجاة النفوس من أنواع المهلكات وكان سعيه مقصورًا على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزى من جنس عمله وجعل من فى السموات والأرض سعيًا فى

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمى (٢٨٩) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٦٤١) كتاب العلم، والترمذى (٢٦٨٢) كتاب العلم، وابن ماجه (٢٢٣) فى مقدمة سننه، وأحمد (٢١٢٠٨) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩٧).

نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم، وقد قيل إن من فى السموات ومن فى الأرض المستغفرين للعالم عام فى الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيرها ويؤكد هذا قوله: «حتى الحيتان فى الماء وحتى النملة فى جحرها» فقيل سبب هذا الاستغفار أن العالم يُعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان.. والعالم أشفق الناس على الحيوان وأقومهم ببيان ما خُلق له... وبالجملة فالرحمة والإحسان التى خُلق بهما ولهما الحيوان وكُتب لهما حظهما منه إنما يُعرف بالعلم فالعالم معروف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم... والله أعلم.

* وقوله: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا إنما ورثوا العلم» هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم وتمام نعمة الله عليهم وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد التى توهم بعض النفوس أن الأنبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا ومُلكها فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية. ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده سدَّ هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذى عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التى تقول فلعله أن يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة»[1] فلم تورث الأنبياء ديناراً ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[2] فهو ميراث العلم والنبوة لا غير.

ويُذكر عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه مَرَّ بالسوق فوجدهم فى تجاراتهم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧١٢) كتاب المناقب، ومسلم (١٧٥٨) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة النمل: الآية: (١٦).

وبيوعاتهم فقال أنتم ههنا فيما أنتم فيه وميراث رسول الله ﷺ يُقسَّم فى مسجده فقاموا سراعًا إلى المسجد فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر ومجالس العلم فقالوا: أين ما قلت يا أبا هريرة؟ فقال: هذا ميراث محمد ﷺ يقسم بين ورثته وليس بمواريثكم ودنياكم.

(٣١) عن ابن عباس أنه قال: إن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدنا ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لم تفرح بموت العابد.. والعالم لا نصيب منه والعابد نصيب منه؟ قال: انطلقوا فانطلقوا إلى عابد فأتوه فى عبادته فقالوا إنا نريد أن نسألك فانصرف فقال إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة؟ فقال: لا أدرى! فقال: أترونه كَفَر فى ساعة. ثم جاءوا إلى عالم فى حلقته يُضحك أصحابه ويحدثهم فقالوا: إنا نريد أن نسألك فقال: سلوا. فقالوا: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا فى جوف بيضة؟ قال: نعم. قالوا: كيف! قال: يقول كن فيكون. فقال (إبليس) أترون ذلك لا يعدو نفسه وهذا يفسد عالمًا كثيرًا.

وذلك أن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها... والعابد مُقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها وهذا معناه صحيح فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبنيه فكلما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شىء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهرانى الأمة.

(٣٢) وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»[١].

ولما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوى لديه جناح بعوضة كانت وما فيها فى غاية البعد منه وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

للآخرة ومعبراً إليها يتزود منها عباده إليه فلم يكن يُقرب منها إلا ما كان متضمنًا لإقامة ذكره ومُفضيًا إلى مَحابِّه وهو العلم الذى به يُعرف الله ويُعبد ويُذكر ويُثنى عليه ويُمجد ولهذا خلقها وخلق أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

(٣٣) قال معاذ رضي الله عنه: عليكم بطلب العلم فإن تَعلُّمَه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المُنزَّل والحديد الناصر. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] فذكر الكتاب والحديد إذ بهما قوام الدين.

قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادى الرائح فى سبيل الله عز وجل.

وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد... وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل... وقال أبو الدرداء: من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى عقله ورأيه.

(٣٤) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة»**[3].

وقد تظاهر الشرع والقدر على أن الجزاء من جنس العمل فكما سلك طريقًا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقًا يحصل له ذلك.

(٣٥) أن النبى ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلَّغه بالنضرة وهى

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

البهجة ونضارة الـوجه وتحسينه، ففى الترمذى وغيره مـن حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**نضَّر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها وحفظها وبلغها فَرُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحوط من وراءهم**»[1].

(٣٦) وعن أبى مسعود البـدرى عن النبى ﷺ : «**يؤم القـوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كـانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فـإن كانوا فى السنة سواء فأقدمـهم إسلامًا أو سنًّا**»[2]، وذكر الحديث. . . . فـقدَّم فى الإمامة تفـضيله العلم على تقدم الإسـلام والهجرة، ولما كان العلم بالقـرآن أفضل من العلم بالسنة لشـرف معلومه على مـعلوم السنة قدم العلم به ثم قـدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به لكن إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل وراعى التـقديم بالعلم بالأفضل على غـيره وهذا يدل على شرف العلم وفضله وأن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية.

(٣٧)ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث عثمان بن عفان ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «**خـيركم من تعلم القـرآن وعلمـه**»[3]، وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيه وتعليمها [4].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلَّمـه أو يُعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»[5].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٥٨) كتاب العلم، والدارمى (٢٣٠) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٢٩٣٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧٦٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٤) مفتاح دار السعادة/ للإمام ابن القيم (٦٣: ٩٢) بتصرف شديد.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٢٧) فى مقدمة سننه، وأحمد (٩١٣٨) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»[2].

العلم فى منظور الإسلام

لقد كانت الحقيقة الأولى التى ظهرت فى الأرض عند نزول جبريل عليه السلام لأول مرة على رسول الله ﷺ أن هذا الدين الجديد «الإسلام» دين يقوم على العلم ويرفض الضلالات والأوهام جملة وتفصيلاً.

فقد نزل الوحى أول ما نزل بخمس آيات تتحدث حول قضية واحدة تقريبًا، وهى قضية العلم.. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3].

* وهذا النزول الأول بهذه الكيفية عجيب من عدة وجوه.

فهو عجيب لأن الله عز وجل قد اختار موضوعًا معينًا من آلاف المواضيع التى يتضمنها القرآن الكريم وبدأ به، مع أن الرسول ﷺ الذى يتنزل عليه القرآن أمىٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فكان واضحًا أن هذا الموضوع الأول هو مفتاح فهم هذا الدين، ومفتاح فهم هذه الدنيا، بل وفهم الآخرة التى سيُقبل عليها الناس أجمعون.

لقد كان الإسلام بمثابة ثورة علمية حقيقية فى بيئة ما ألفت روح العلم

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٤٦١) كتاب أحاديث الأنبياء.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.
(٣) سورة العلق: الآيات: (١- ٥).

وما تعودت عليه، لدرجة أن المرحلة السابقة لنزول أول كلمات القرآن تُعرف باسم «الجاهلية»!! فصفة «الجهل» ترتبط بما هو قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام ليبدأ العلم، ولتنار الدنيا بنور الهداية الربانية... قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١).

فليس هناك مكان فى هذا الدين للجهل أو الظن أو الشك أو الريبة.

لقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ منذ الأيام الأولى للرسالة أن يُعرض عن الجاهلين الذين يتمسكون بجاهليتهم، ويرفضون العلم.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢).

كما كان واضحًا منذ الأيام الأولى لهذا الدين أنه يرفض المناهج الظنية، وعليه فلا يمكن أن يبنى شرائعه وأحكامه وقوانينه وتصوراته ونظرياته إلا على أساس من اليقين.

فهذا رب العالمين سبحانه يقول فى إعجاز ظاهر يصف حياة الكافرين والمعرضين عن دينه عز وجل بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(٣).

فجعل الله عز وجل الفارق الرئيسى بين المؤمنين وبين الكافرين هو قضية العلم.. فالمؤمن يعلم والكافر يظن... والمؤمن يبنى على اليقين، والكافر يبنى على الشك.

وعليه فقد قال سبحانه يصف حال الكافرين يذمهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) سورة النجم: الآية: (٢٨).

(٤) سورة الجاثية: الآية: (٣٢).

ولم تكن البداية فقط فى هذا الكتاب المعجز «القرآن» هى التى تتحدث عن العلم وقيمته وأهميته، بل كان هذا منهجًا ثابتًا فى هذا الدستور الخالد، فلا تكاد تخلو سورة من سوره من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولقد فوجئت مفاجأة كبيرة عندما قمت بإحصاء عدد المرات التى جاءت فيها كلمة «العلم» بمشتقاتها المختلفة فى كتاب الله عز وجل؛ إذ وجدتها - بلا مبالغة - قد بلغت ٧٧٩ مرة!! أى بمعدل سبع مرات - تقريبًا - فى كل سورة!!

أما السنة النبوية فإحصاء هذه الكلمة فيها يكاد يكون مستحيلاً.

فقد وردت كلمة «العلم» فى صحيح البخارى أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا كتاب واحد من كتب السنة، وهو فى ذات الوقت ليس بأكبرها حجمًا؛ إذ أن هناك من كتب السنة ما يحوى أضعاف ما فى صحيح البخارى، مثل صحيح مسلم وسنن الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجه والدارمى والبيهقى، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وموطأ الإمام مالك، وكذلك معجم الطبرانى وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم، وغيرهم وغيرهم.

بل إن الملاحظ أن الاهتمام بقضية العلم لم يكن منذ أول لحظات الإسلام ونزول القرآن فقط، وإنما كان ذلك منذ بداية خلق الإنسان كما حكى ذلك القرآن الكريم فى آياته!! فالله عز وجل خلق آدم وجعله خليفة فى الأرض، وأمر الملائكة أن تسجد له، وكرَّمه وعظَّمه ورفعه، ثم ذكر لنا وللملائكة سبب هذا التكريم والتعظيم والرفعة... فعيَّن أنه «العلم»...!!

لم يتفوق آدم عليه السلام على الملائكة بطول قيام، ولا بكثرة ذكر أو تسبيح، ولا بقوة خارقة، ولا بطاعة مطلقة، فهذه الأمور كلها مما تتفوق فيها الملائكة بلا منازع، وإنما تفوق عليهم فقط فى قضية «العلم».

ومن أجل ذلك رفعه الله عز وجل فوق مصاف هؤلاء الملائكة العظام

وفضله عليهم، بل وأسجدهم له عز وجل.

يقول تعالى في تقرير ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

وهكذا كانت القضية منذ اللحظات الأولى لخلق آدم عليه السلام واضحة جلية.. فما إن يتمسك الإنسان بالعلم، ويحرص عليه، ويبذل الجهد في تحصيله، إلا استحق أن يكون خليفة الله في الأرض، وما إن يألف الجهل ويتعود عليه، أو يزهد في العلم، ويبتعد عنه، ويرضى منه بالقليل فإنه - لا ريب- يكون قد فقد مؤهلات هذه الخلافة، ومن ثم لا يصلح أن يكون عبداً صالحًا مرفوع الذكر مُعظَّم الشأن.

ولم يكن الاحتفال بقيمة العلم منذ أول خلق «الإنسان» فقط، بل ظهر هذا الاحتفال قبل خلق الإنسان!! فإن الله عز وجل خلق أول ما خلق «القلم»، أداة العلم الاولى والخالدة، وذلك كما روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»(٢).

وهكذا نجد أن العلم أمر محوري، ورئيسي في الحياة الإنسانية التي

---

(١) سورة البقرة: الآيات: (٣٠- ٣٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٣١٩) كتاب تفسير القرآن، وأحمد (٢٢١٩٩) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠١٧).

وُجدت على ظهر الأرض، وسيظل كذلك إلى يوم القيامة.

ومن هنا لم يكن الأمر من باب المبالغة حين أشار الرسول ﷺ في حديثه إلى أن الدنيا بكاملها لا قيمة لها - بل هي ملعونة - إلا إذا ازدانت بالعلم وذكر الله عز وجل.

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا: ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا»[1].

بل إنه إذا اختفى العلم من الدنيا، فإن الحياة فيها تصبح مستحيلة، أو لا معنى لها، لهذا فإن اختفاء العلم يكون إيذانًا بقرب قيام الساعة.

يروى في ذلك البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل ويُشرب الخمر ويظهر الزنا»[2].

ورفع العلم هذا لا يكون بمحوه من الصدور ولكن يُرفع بموت العلماء.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسا جُهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[3].

ولذلك فإن موت العالم هو الكارثة الحقيقية، والتي هي أشد من كوارث الزلازل والبراكين؛ لأنه بغياب العالم تفسد الأرض، ويجهل الناس الغاية من خلقهم، ومن ثم تصبح الحياة بكاملها لا قيمة لها.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لموت ألف عابد قائم الليل صائم بالنهار،

---

(١) حسن، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧٣) كتاب العلم.

أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه»[١].

ولما مات زيد بن ثابت ﷺ كاتب الوحى ومن علماء الصحابة الأجلاء قال عبد الله بن عباس ﷺ: «من سره أن ينظر كيف ذهاب العلم فهكذا ذهابه»[٢].

العلم صفة الأنبياء:

إن أعلى منزلة وأسمى رتبة فى الخلق وبين البشر عند الله تعالى هى منزلة الأنبياء ورتبة النبوة، ولمكانة العلم ولأهميته القصوى فى ميزانه سبحانه وتعالى فإن الله عز وجل قد ربط فى كتابه الكريم بين الأنبياء وصفة العلم، على أساس أنها صفة ثابتة ولازمة لهم، بل وضح سبحانه أن العلم هو أهم الصفات التى يتميز بها هؤلاء الأنبياء وكيف لا والدور الرئيسى لهم فى الدنيا أن يُعلموا غيرهم؟.

فإذا كان فاقد الشىء لا يعطيه كما قيل: فكان لزامًا على النبى أن يكون عالمًا وأن يحرص على زيادة علمه، وفى ذات الوقت يكون حريصًا على نقل علمه هذا إلى غيره وألا يكتم علمًا علمه الله إياه، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٣]. فكيف يبلغ شيئًا بلاغًا مبينًا وهو يجهله ولا يعلمه؟!

ومن هنا فقد جاء ذكر الأنبياء دائمًا مرتبطًا بالعلم، فقال عز وجل فى حق آدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٤].

وقال فى حق لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٥].

وقال فى حق موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٦].

(١) الحارث بن أبى أسامة، الحافظ نور الدين الهيثمى: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٨١٣).

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٤).

(٣) سورة النور: الآية: (٥٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٣١).

(٥) سورة الأنبياء: الآية: (٧٤).

(٦) سورة القصص: الآية: (١٤).

وقال في حق يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال في حق يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

وقال في حق داود وسليمان عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٣).

وقال في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾(٤).

وقال كذلك في حق رسولنا الكريم ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥).

وقال أيضًا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (٦).

وقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي - يعني - عمر» قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»(٧).

فكان العلم أثمن ما يمتلك الأنبياء ولذلك كان هو الذي أورثوه لنا.

وعليه فمن أراد أن يحمل لواء الأنبياء وأن يسير في طريقهم ومن ثم يُحشر في زمرتهم يوم القيامة، فعليه بطريق العلم.

(١) سورة يوسف: الآية: (٦٨).
(٢) سورة يوسف: الآية: (٢٢).
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٧٩).
(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٠).
(٥) سورة النجم: الآيتان: (٤، ٥).
(٦) سورة النساء: الآية: (١١٣).
(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٨٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٣٩١) كتاب فضائل الصحابة.

ولعظم قيمة العلم ومكانته، فقد امتن به الله عز وجل على أُناس معينين واختصهم بالزيادة منه، وقد اصطفاهم عز وجل على غيرهم فجعل - على سبيل المثال - مؤهلات القيادة عند طالوت - رحمه الله - هى العلم والقوة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾(١).

وقد قدم هنا العلم على القوة؛ لأن العلم بإمكانه أن يُسخر القوة لصالحه، وليس العكس بصحيح إذ إنه بإمكان الرجل الضعيف أن يُسخر الأسد القوى لخدمته كون هذا لا يرجع إلى معيار القوة والضعف عند الرجل، وإنما يرجع إلى سعة علمه وإحاطته بما يمكن من خلاله أن يتفادى مهاجمة الأسد له، وما يمكن من خلاله أن يذلّله له.

بل إن الله عز وجل جعل العلم سببًا فى السيطرة والهيمنة والعلو، فقال فى قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾(٢).

وينسب الله عز وجل إلى أهل العلم دائما كل صلاح وفلاح، بل وشهادة حق وعمق نظرة ودراية، فيقول فى إشارة إلى من أدرك منهم حقيقة التوحيد: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٣).

ويقول عن أولئك الذين يحفظون القرآن فى صدورهم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾(٤).

وفيمن يدرك الحق من غيره يقول سبحانه: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤٧).

(٢) سورة النمل: الآية: (٤٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٤٩).

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(١) .

وفى إشادة بأولئك الذين فقهوا حقيقة الدنيا والآخرة فى قصة قارون يقول عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾(٢) .

وقد مدح أيضًا الخضر، ودلّ موسى عليه السلام عليه ليتعلم منه، لأنه اتصف بالرحمة والعلم فقال: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(٣) .

وقد امتن عز وجل على المؤمنين بصفة خاصة فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

وامتن على الإنسان بصفة عامة فقال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(٥) .

مع ملاحظة تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان مع أن الإنسان خُلق أولاً ثم عُلِّم، ولكنه قدم العلم ليوحى بأن الإنسان إذا فقد العلم فقد معه إنسانيته فكأن لم يُخلق بعد... ثم إنه أعقب الحديث عن خلق الإنسان بقوله: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وكأن العلم يحيط بحياة الإنسان من أولها إلى آخرها... فقبل ذكر الخلق يمدح العلم، وبعد ذكر الخلق يمدح العلم.

ولم يقصر عز وجل رفع العلم لأصحابه على عالم الإنس فقط، بل تعدى ذلك عنده ليشمل عالم الجن أيضًا، قال تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ

(١) سورة سبأ: الآية: (٦).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٠).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٦٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٦٤).

(٥) سورة الرحمن: الآيات: (١- ٤).

أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[١] .

وفى عالم الحيوان والطير، فإنه سبحانه يرفع من شأن الجوارح المعلمة والكلب المعلم عن الجوارح غير المعلمة، فيحل الصيد الذى تصطاده الجوارح المعلمة ويحرم الذى تصطاده غير المعلمة... قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[٢] .

وقد جعله رسول الله ﷺ أمرًا عظيمًا يجب على الإنسان أن يتنافس فيه مع غيره ويتمنى أن لو تفوَّق فيه عليهم.

يروى فى ذلك البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسُلِّط على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»[٣] .

* كل هذه الملاحظات وغيرها تبين مدى أهمية العلم، وأنه أعظم النعم التى أنعم بها الله العليم الخبير على مخلوقاته.

فلا غرو إذن أن يكون العلم من الأشياء القليلة التى أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ أن يطلب الاستزادة منها، فقال تعالى موجهًا نبيه والأمة الإسلامية من بعده: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٤] .

ثم إن الإنسان ليقف مذهولاً أمام علم الله عز وجل الذى وصفه سبحانه فى كتابه حيث قال: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٥] .

---

(١) سورة النمل: الآيتان: (٣٩، ٤٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٨٠).

وقد وصف سبحانه علم البشر بكل أنواعه وتصانيفه وتفريعاته، من علوم فضاء وسلاح وكيمياء وطب وهندسة وجغرافيا وعلوم نووية وبيولوجية وغيرها... وصف كل هذه العلوم بالقليل فقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وذلك فى إشارة خفية منه سبحانه إلى البحث عن المزيد، والتنقيب عن ذلك المجهول.

وإننا فى هذا الفصل لم نسع إلى حصر كل ما جاء عن العلم فى كتاب الله عز وجل، أو فى سنة رسوله ﷺ؛ فإن ذلك أمر يصعب جداً، ولكننا فقط نضع أيدينا على الوزن الحقيقى له من منظور الشريعة الإسلامية؛ فلن يهتم إنسان قط، إلا بما يشعر بأهميته وقيمته، ونسأل الله عز وجل أن يعز الإسلام والمسلمين[2].

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (٨٥).

(٢) العلم وبناء الامم/ د. راغب السرجانى (ص: ٨ - ١٦) بتصرف.



صراع مع الشُّبهات

صراع مع الشُّبهات[١]

ومن مكائد الشيطان التى استطاع أن يضل بها كثيراً من الناس فتنة الشبهات... ومن المعلوم أن فتنة الشبهات أشد من فتنة الشهوات... ففتنة الشهوات مؤقتة تزول بانقضاء الشهوة... أما فتنة الشبهات إذا وقعت فى القلب فإنها تدوم لفترة طويلة وقد تؤثر على إيمان العبد وتوحيده لله (جل وعلا) لأن الشبهة قد تكون فى العقيدة.

* ولذلك فسوف نصارع الشيطان بكل شراسة لكى نقضى على فتنة الشبهات ونصرع الشيطان بالضربة القاضية.

الشبهات وما تمثله من الخطر

إن مسألة إثارة الشبهات كانت دأبًا لأعداء الإسلام فى القديم والحديث، ما تركوا شيئًا فى الدين إلا وأثاروا حوله الشبهات (فى العقيدة، فى الأحكام، فى القصص، والأخبار) لم يتركوا شيئًا إلا وكان لهم فيه صولات وجولات فى عالم الشبهات، وهذه إحدى حلقات المعركة التى يخوضونها وتُخاض بين الحق والباطل منذ أن خلق الله هذه البشرية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢]، هذا الحق وهذه الفطرة تُشن الحروب عليها من الشبهات التى تحدث اليوم، والشياطين تتخطف الناس عن دينهم ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣].

---

(١) بتصرف من رسالة (لا تكن كالإسفنجة) للشيخ/ محمد صالح المنجد.

(٢) سورة الروم: الآية: (٣٠).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢١٣).

قال تعالى فى حديثه القدسى: «إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا» (١).

وقد آلت عاقبة الناس إلى أن صاروا فريقين: مؤمن وكافر.

وهكذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٢).

أسباب موت القلب

هذه الشبهات التى تُروَّج اليوم عبر الفضائيات والإذاعات والمجلات والصحف والمقالات وما يروج فى مجالس الناس.

إنها قضية خطيرة تسبب موت القلب ودخول البلبلة والحيرة والاضطراب حتى لا يكاد الواحد يعرف الحق ولا يهتدى إلى جواب على هذه الشبهة. ولكن من أراد الله به خيراً عرف ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(٣).

لقد قامت حُجة الله سبحانه وتعالى بإنزال الكتب وإرسال الرسل. وكان هذا القرآن حجة من الله تعالى على خلقه لينذر من كان حيًّا ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٤).

إذن هذا النور هو الذى ينقذ الذى يتعرض للشبهات ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة هود: الآية: (١١٨).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٥٢).

وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ(١) كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (٢).

أما شبهات الكفار والأباطيل التى يروجونها، فإنها كما وصف الله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾(٣)، ثم قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ(٤) يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾(٥).

وهكذا كان من الناس صُمٌّ وبكم وعُمى لا يهتدون إلى الحق ولا يعرفونه، وكان من الناس من أنار الله قلوبهم وشرح للحق صدورهم، فهم يعرفون ما أنزل الله سبحانه وتعالى ويقذف الله فى قلوبهم النور فيرون الحق بنقاء وصفاء.

قال ابن القيم - رحمه الله -: (فالإيمان كله نور ومآله إلى نور ومستقره فى القلب المضىء المستنير والمقترن بأهل الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة، والكفر والشرك كله ظلمة ومآله إلى الظلمات ومستقره فى القلوب المظلمة والمقترن بها الأرواح المظلمة. ثم قال: فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معانى القرآن فيجدها كأنها قد كُتبت فيه فهو يقرؤها عن ظهر قلب). ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعى القلب كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد ليميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وذكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحى الواعى، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله وللتذكير فيه وتعقل معانيه، فيعلم حينئذ أنه الحق، وكما

---

(١) يعنى فى قلب عبده المؤمن.

(٢) سورة النور: الآية: (٣٥).

(٣) سورة النور: الآية: (٣٩).

(٤) لُجى: عميق.

(٥) سورة النور: الآية: (٤٠).

أن الله تعالى ميَّز بين الفريقين، قدَّر أيضًا الصراع بينهما ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾(١).

إن هذه المدافعة سنة إلهية ماضية، ولكن ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٢). ولذلك قال علماؤنا: (العامى من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين) فإذا كان الإنسان صاحب فطرة صحيحة فإنه لا يتغلب عليه أحد ولا يتغلب عليه صاحب شبهة ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ (٣).

إن المسلم صاحب القلب الحى، الذى استضاء بنور الله على هدى من القرآن وسنة محمد بن عبد الله ﷺ، إذا جاءته الشبهة قذفها بنور الحق: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (٤).

أول بداية الفتن

ولم يزل الحق عاليا فى زمن النبى ﷺ وخلفائه حتى كُسر قفل الفتنة باغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فخرجت البدع على الناس بعد ذلك وحاربها الصحابة وقاوموها، ثم لم يزل الأمر فى ضعف حتى كان ما كان من خروج أهل البدع وعمَّت الشبهات. وقد علم الله أنه ستكون شبهات، وكان فى القرآن ردود على بعض الشبهات، وكان فيه قواعد لمواجهة الشبهات. وقد حاول الكفار إثارة الشبهات بين المسلمين، وأخذ الواحد منهم عظمًا فَتَّه أمام المسلم الصحابى، وقال: هل يستطيع ربك أن يبعث هذا؟! ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥١).

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٢١).

(٣) سورة الصافات: الآيتان: (١٧١- ١٧٢).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (١٨).

مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

واتهموا النبى ﷺ بأن المصدر الذى يتلقى منه القرآن هو رجل أعجمى بمكة، وأنه هو مصدر معلوماته، فقال الله تعالى فى الرد على هذه الفرية والشبهة التى أثيرت: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(٢) فكيف يمكن أن يأتى هذا القرآن المبين بهذا اللسان العربى الفصيح من نجار رومى بمكة.

وقد أثيرت الشبهات فى كل مجال. ما ترك أعداء الإسلام شيئًا إلا وأثاروا فيه الشبهات، حتى أثاروا الشبهات عن الله عز وجل.

وقالت النصارى: الله ثلاثة فى واحد، وعيسى ثالث ثلاثة، ثم قالوا لنا أن فى القرآن ما يؤيد عقيدتنا وديننا. ما هو؟ قالوا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾(٣). أى نحن جماعة ثلاثة. هذا ما نقصده: «نحن»!! فنقول للرد عليهم: إن الله عظيم والعظيم يعبر عن نفسه (بنحن وإنا) ألا ترى إلى الملك من ملوك الدنيا يقول: إنا ونحن واطلعنا وقررنا. فالله أولى بذلك.

كيف تواجه الشبهات؟

إن من الأمور المهمة جدًا للمسلم أن يبتعد عن مصادر الشبهات، وأن يترك التصدى لها لأهل العلم، وكيف يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر فى أماكن الشبهة ويستمع للشبهات وينظر للشبهات ثم بعد ذلك يقول: كدنا أن نُفتن؟!!

* * *

(١) سورة يس: الآيات: (٧٧- ٧٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٠٣).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩).

البعد عن مجالسة أصحاب الشبهات

فنقول: مَن الذى أباح الجلوس عند هؤلاء؟! إنك عندما تجلس عند قناة فضائية تبث الشبهات فإنك جالس عند القوم الذين نهى الله عز وجل عن الجلوس عندهم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

قال الإمام الشوكانى رحمه الله: وفى هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمَّح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ﷺ . فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير، وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتى عليه الحصر، وقمنا فى نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا. لكن المشكلة أن الذى ليس براسخ فى العلم إذا جلس عند هؤلاء وسمع كلام هؤلاء وأذن لهم بالحديث وتسمَّح بالجلوس معهم وتساهل فى القضية تأتيه الشبهات وترسخ الشبهات فى قلبه وعقله.

* **لكن ما هو الموقف من هؤلاء؟!** ما هو الموقف من الذين يثيرون الشبهات؟! هل الجلوس عندهم؟ هل فتح الآذان لهم؟ ألم يقل الله: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾(٢)؟ الذين يضربون كلام الله بعضه ببعض... ألم يقل الرسول ﷺ : «فإياكم وإياهم»؟(٣) ألم يقل الرسول ﷺ : «لكل أمة مجوس ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر. إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦٨).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦) فى مقدمة صحيحه.

فلا تشهدوهم»؟[١] ألم يقل النبى ﷺ تعليقًا على قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٢]، قال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم»[٣].

كيف كان موقف السلف تجاه الذين يثيرون الشبهات؟

الذين يثيرون المشكلات والشبهات ويبعثونها فى المجالس، لقد كان موقف السلف من هؤلاء شديد جدًا، وعندما سمع عمر بن الخطاب أن (صُبيغ بن عسلم) يثير الشبهات فى الأجناد ومجمعات الناس ويسأل عن المشتبهات، أعد له عراجين النخل وأرسل فى استدعائه، فلما جاءه قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر. فأخذ عمر عرجون من تلك العراجين، فضربه، وقال: أنا عبد الله عمر! فجعل يضربه حتى دمى رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين! حسبُك! قد ذهب الذى كنت أجد فى رأسى. ثم أمر به فرحل إلى بلد أخرى، وضيّق عليه الخناق، وأمر بمقاطعته. حتى إنه مرض وأوشك على الهلاك حتى أرسل الأمير إلى عمر يستأذن بالإفراج عنه فى الكلام، أن يكلمه الناس فقط لأنهم نبذوه تمامًا.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إياكم وما يُحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعًا حتى يخرج الإيمان من قلبه ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه فى الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون فى ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن! فإلى أين؟ قال: يهرب بقلبه ودينه ولا يجالس أحدًا من أهل البدع»... إذًا الهروب قد لا يكون جسديا

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥٥٥٩) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٦٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٤٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٦٦٥) كتاب العلم.

لأنك قد لا تجد فيما حولك مكانًا تهرب إليه، لكن يهرب بقلبه وعقله عن هؤلاء.

كان (مالك) إذا جاءه أحد من أهل الأهواء قال: فأما أنا فعلى بينة من ربى وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه.

وكان ابن طاوس جالسًا، فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم. فأدخل ابن طاوس إصبعيه فى أذنه، وقال لابنه: أى بُنى! أدخل إصبعيك فى أذنيك واشدد لا تسمع من كلامه شيئًا.

وعن سفيان قال: من سمع عن بدعة فلا يحكيها لجلسائه. لا يلقيها فى قلوبهم، فإن بعض الناس إذا سمع بدعة جاء يسأل على الملأ....

يا أخى! اذهب أنت للشيخ واسأل بينك وبينه، تريد أن تسمع كل الناس الشبهة، وهذا ما يفعله بعض السُّذَّج فى القنوات الفضائية، يتصل بشخص يسأله عن شبهة قد لا تكون عامة لم يسمع بها إلا الفئة القليلة فيروجها.

قال الذهبى: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشبهة خطافة.

وقال الفضيل: «من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على أهل البدع، فإنهم يصدون عن الحق».

* وهذا أبو العلاء المعرى الذى ضل فى مسائل كثيرة، ارتحل إلى طرابلس واجتاز باللاذقية فنزل بدير راهب متفلسف، فدخل كلامه فى مسامع أبى العلاء، فحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع إنحلال دل عليه ما ينظمه ويلهج به. هكذا قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن أبى العلاء المعرى.

الجهم بن صفوان: هذا الرجل الذى تُنسب إليه الجهمية وما تفرخ منها وتفرع عنها، كيف كان سبب ضلاله وبدء ذلك؟! ذهب إلى طائفة يقال لهم (الصنِّية) من الملاحدة، لا يؤمنون بالله، قالوا له: (نكلمك... دعنا

نتحدث معك) فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت فى ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا فى دينك. ظنه عرضا مغريًا، فكان مما كلموه به، قالوا: أنت تزعم أن لك إله؟ قال: بلى! قالوا له: فهل رأيته؟ قال: لا. فهل سمعته؟ قال: لا. هل شممته؟ قال: لا. هل وجدت له حسًّا؟ قال: لا. قالوا: إذا لا يوجد... فجلس هذا المسكين أربعين يومًا لا يدرى من يعبد!! ولو كان طالب ابتدائى على الفطرة، لقال له: أنت لك عقل؟ قال: نعم قال: هل لمسته؟ قال: لا. قال: هل رأيته؟ لقال. لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل شممته؟ قال: لا. قال: هل جسسته؟ قال: لا. قال: إذن عقلك غير موجود.

سهولة الرد على هؤلاء

ولذلك أيها الإخوة! الردود أحيانا تكون سهلة لمن يسَّر الله عليه ولمن وفقه الله... جاء رجل مُلحد فقال لرجل مؤمن: أنتم تقولون جنة عرضها السموات والأرض... عرضها كعرض السماء والأرض؟ قال: نعم. قال: فأين النار؟ قال لو شاء الله لجعلها فى عينك!! لأن بعض الناس من الجهل يظن أنه ما فى خلق غير السموات والأرض،.... ما السموات السبع والأرضون السبع فى الكرس - والكرسى موضع القدمين - إلا كحلقة أُلقيت فى فلاة من الأرض!! والكرسى بالنسبة للعرش الذى استوى عليه الرحمن استواء يليق بجلاله وعظمته... الكرسى بالنسبة للعرش كحلقة فى فلاه..... حلقة فى صحراء!! ما هى السماء والأرض بالنسبة لله؟ خلق الله عظيم، والجنة فوق السموات أصلاً لكن عرضها كعرض السماء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

---

(1) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

ولما جاء رجل مبتدع يقول للعالم: من أى شىء خُلقت الجن؟ قال: من نار. قال: والكفار من الجن أين يُعذَّبون يوم القيامة؟ قال: فى النار. فقال: فكيف يُعذَّب مَن خُلق من النار بالنار؟ وهل سيحترق؟ فأخذ العالم طينًا متحجرًا شجَّه به. قال: ما لك؟ قال: أنت خُلقت مِمَّ؟ قال: من طين. قال: وهذا من طين، فكيف شجَّك وكيف أثَّر فيك؟.

إن الشبهات تروج على كثير من الجهال والأنصاف والأرباع، وإن مصيبة عدد من الناس فى إنحرافاتهم أنهم جلسوا عند المبتدعة. سمحوا لأنفسهم سماع كلام المبتدعة. سمحوا لأنفسهم بقراءة كتب المبتدعة. سمحوا لأنفسهم بالدخول على مواقع المبتدعة. سمحوا لأنفسهم بالدخول فى غرف مناقشات المبتدعة. وبعضهم يدفعه حب الاستطلاع والفضول ويقول لنفسه: دعنا نرى ما عندهم.... ألم تسمع ما قال السلف؟ أن تفر منهم أعظم من فرارك من الأسد... إذا كان المجزوم وآفته فى بدنه فِرَّ منه فرارك من الأسد، فالذى بَلِيته فى الدين كيف تفر منه؟.

لماذا خلق الله الشبهات؟

الله عز وجل خلقنا وابتلانا ومما ابتلانا به الشبهات، فإن قال قائل لِمَ خلق الله الشبهات؟ ولِمَ قدر أن الشبهات تنتشر وتُروج؟ نقول: لأن الله يبتلى عباده لينظر كيف يعملون. وقد علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، ولكن ليظهر علمه فى الواقع ظهور يترتب عليه الجزاء والحساب... هذه الحياة بما فيها ابتلاء، فالمسألة لابد فيها من تمحيص ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ تدخل الجنة بدون جهاد ولا صبر؟ لا يمكن!! ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1] فلابد من ظهور علمه فى الواقع.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٢).

أيها الإخوة: إن هذه المسألة العظيمة: قضية الاستماع للشبهات.. اليوم في عصر الانفتاح والعولمة، وقد صارت الدنيا مملوءة بهذه المصادر... إنها قضية خطيرة جداً... تسميم أفكار وقلوب.

كيف ندفع الشبهات؟

إن التصدى لهذا واجب، وإنها وظيفة العلماء وطلبة العلم أن يجابهوا هؤلاء ويردوا عليهم. ومن وظيفة العامة الإعراض عن أهل البدع وعدم السماع إليهم. وهذه الشبهات قد يهجم بعضها على العقل هجوما. والإنسان لا يملك أن يدفع الخواطر. هل تستطيع أن تجعل الشبهة لا تخطر ببالك؟ لا. لكن إذا خطرت دافعها بالاستعاذة بالله من الشيطان، وبعرضها على الكتاب والسنة، وبالرجوع إلى أهل العلم ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾[١]، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

سُبل أهل الشبهات

ما هى سُبل أهل الشبهات فى إثارتها؟ قد يعمد إلى ألفاظ مُجمَّلة بدون تبيين، فيأخذون منها ما يريدون، يحملون ألفاظ الكتاب والسنة على الاصطلاحات الحادثة، فيجعلون المراد غير مراد الله سبحانه وتعالى. يفسرونها بالمصطلحات الحادثة على غير مراد الله ورسوله ﷺ يأتون بعبارات مزخرفة يزخرفون الباطل.

سُميت الشبهة شبهة لاشتباهها بالحق، لأنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس يحسنون الظن بالظاهر وينخدعون به. فإذا رأوا اللباس من الخارج قَبِلوه وأُعجبوا به. وفى الحقيقة هو زائف باطل. وأحيانًا تكون

(١) سورة الفرقان: الآية: (٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (٤٣).

الزخرفة الكلامية هى التى تقنع بعض الناس بالشبهة وتجعلها تروج عليهم، وإذا حللتها تجد أن القضية تافهة أو أن القضية باطلة، لكن راجت عليهم بالزخرف.

تضخيم الشبهة

وأيضًا فإن بعض الناس يضخمون القضية! يضخمون الشبهة!! يعرضونها عرضًا جماهيريًا، ويتلاعب بعرض الأشياء، فإذا جاء صاحب الحق يرد منعوه، وإذا صاحب الباطل يُؤيَّد ..... أفسحوا له المجال فى الصحافة والقنوات وفى غيرها.

وأيضًا فإن أهل الشبهة لا يناظرون أهل العلم الراسخ فى الغالب ولذلك قال الخوارج لما جاء ابن عباس: (لا تخاصموا قرشيًا، هذا قرشى... لا تناقشوه) فإن الله عز وجل يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1] .

والآية فى قريش لما كانوا كفارًا، والآن قريش دخلت فى الدين، وابن عباس فى زمن الخوارج بعدما أسلمت قريش بمدة عشرات السنين، ثم يستدلون على ابن عباس بآية نزلت فى قريش لما كانوا كفارًا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

وأيضًا فإن ما يسلكه أهل البدع من نشر أباطليهم اليوم فى هذه القنوات الفضائية وهذه المنتديات الحوارية ومواقع الإنترنت وهذه الجرائد والصحف والمجلات والكتب والقصص حتى أفلام الكرتون لم تخلُ من الغزو ومسلسلات وأفلام اليوم مؤسسة على ترويج الباطل أفلام تعرض شبهات مدسوسة.

* * *

(١) سورة الزخرف: الآية: (٥٨).

أصناف الناس

وقـد قـال على بن أبى طالب لكـميـل بن زياد ينصـحـه، وتأمل هذه النصيـحة، لأن فيهـا تقسيـمًا جميـلاً. . . . فيقـول: (الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم عـلى سبيل نجاة، وهمج رعاع أتبـاع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق) فهؤلاء الرعاع الذين يتـبـعون كـل ناعق - وهو (الصـائح) - هؤلاء الذين تروج عليـهم الشبهات. وهذه الشبهات لابد أن يكون الموقف منها موقفًا حازمًا مبنيا على أسس سليمة.

نصيحة شيخ الإسلام

وتأمل فى هذه النصيـحة العظيمة التى ذكـرها (شيخ الإسلام ابن تيـمية رحمه الله) لتلميذه ابن القيم، إن هذه النصيـحة بديعة جليلة نفيسـة جميلة، هذه النصـيحة يجب أن تُحـفظ وتستـقر فى الأذهان لأنهـا مهـمة جدًا فى التعـامل مع الشبهـات. . . يقول ابن القـيم: وقال لى شيخ الإسـلام، وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد، أورد عليه الشـبهة لكى يرد عليها، قال: (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجـة، فيتشربها فلا ينضح إلا بها - اغمس السفنجة فى الماء وأخـرجها ماذا ستنضح طيلة الوقت؟. . . بما تشربت ولكن اجعله كالزجـاجة المصمتة، تمر الشبهـات بظاهرها ولا تستقر فيها، فـيراها بصفائه ويدفعها بصـلابته) انظر إلى الإبداع فى ضرب المثل!! قال: بل اجعل قلبك كـالزجاجة المصمتـة تمر الشبهة من الخارج ولا تـسـتقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته.

الشبهة لا يتشربهـا إلا القلب الخالى، . . . ابن القيم لما سمع وصية ابن

تيمية رحمه الله قال: فما أعلم أننى انتفعت بوصية فى دفع الشبهات كانتفاعى بذلك.

الشخص الإسفنجى يكون عنده قابلية للشفط والمص والتشرب والتأثر وإن البيئات الصالحة وطلبة العلم الناصحين والدعاة المربين والمشايخ الربانيين هم الذين يزيلون ما علق، وهم الذين يوجهون وينصحون، ويحذرون ويبينون، حتى المسلك والسبيل فى التعامل يعطوننا إياه.

وإن من أسباب انخداع الكثير من الناس بالشبهات ما يكون من قوة أهل الباطل. فالإعلام بأيديهم. . . والقوة بأيديهم. وعندهم كُتاب يحررون النصوص ويصوغون العبارات الرنانة.

عدم الثقة بالنفس

ويجب على المسلم من طرق مقاومة الشبهات بأن لا يثق بنفسه.

لا تثق بنفسك، لأن من وثق بنفسه قال: أنا لها. اعرضوا علىّ شبهاتكم وأى موقع إنترنت أو أى غرفة بنتوك!! فأنا واثق من نفسى.

ولتتذكر حديث النبى ﷺ فى الأبواب التى عليها ستور مُرخاة، وأنه بيّن أن هذه محارم الله. وأن الداعى والواعظ يقول: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. هذا ما يجب أن يقوله الشخص لنفسه وهو يفتح موقع شبهات، فى أى مكان لعرض هذه الأباطيل، إذا كان الحجر الصحى والحجر على السفيه قائمًا، فإن الحجر على هذه الشبهات وعلى أصحابها واجب ومن أوجب الواجبات.

* * *

فتنة الدجال

النبى ﷺ لما أخبرنا عن فتنة الدجال، ما قال إذا سمعتم بالدجال اخرجوا إليه، وكل شخص يخرج إليه وينظر ما عنده.... لا بل قال: «ينزل الدجال فى هذه السبخة بمرقناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وإلى ابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه» يعنى إلى الدجال [1].

وقال: «من سمع بالدجال فلينأ عنه»[2] لماذا؟ لأنه يبعث فى القلب شبهات ضخمة جداً. وإذا دهمك الدجال تقرأ فواتح سورة الكهف، وتذهب إلى النار التى بيده وتغمس رأسك فيها فإنك ستشرب ماءً بارداً.

قد لا يستطيع إنسان أن يتصور حجم الشبهة التى سيأتى بها الدجال.

وخذ مثالاً على ذلك بإسناد صحيح. قال ﷺ: «وإن من فتنته أن يقول للأعرابى أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك (فالأعرابى يرى إحياء ميت من قبره، ويريد أباه وأمه.. العاطفة.. انظر إلى المدخل العاطفى) فيقول: أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم (ما الذى يحدث فى الحقيقة)» يقول ﷺ: «فيتمثل له شيطانان بصورة أبيه وأمه (والشياطين قادرة على أن تتشكل فى صورة بشر)، فيتمثل له شيطانان فى صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بنى اتبعه فإنه ربك (شيء مذهل!! إنه يستغل الانبهار والعاطفة من أجل أن يخدع الناس) فيؤمنوا به».

* * *

(١) حسن: رواه أحمد (٥٣٣٠) مسند المكثرين من الصحابة، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى قصة المسيح الدجال (ص٨٨): وإسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٣١٩) كتاب الملاحم، وأحمد (١٩٤٦٦) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٠١).

الانخداع بالشبهات

من الأسباب التى تجعل الانخداع بالشبهات حاصلة: قضية المعاصى، لأن المعاصى تُضعف القلب. والقلب إذا ضعف بالمعاصى يسهل عليه أن يتقبل الشبهات.. هذه الأمراض الكامنة فى النفس. كذلك الهوى، فيسهل على صاحب الهوى أن يتقبل الشبهات. مثلاً (شخص محتاج إلى قرض! هواه الآن أن يحصل على المال، فيعرض المصرف عروضًا ربوية يسمونها «قروض شخصية» يلبسونها بملابس وأغلفة. فصاحب الهوى الذى عنده ميل لشىء معين يسهل عليه أن يتقبل شبهة الربا على أنها حلال.

مثلاً (عندما تكون المرأة عندها ميل للتبرج والسفور، عندها دافع لهذا، يسهل عليها تقبل شبهات مثل: المهم أن يكون القلب نظيفًا. المهم أن تحبى الله، المهم القلب ومحبة الله سبحانه وتعالى... ونحن نقول لهم: إذا كنتم تحبون الله فاتبعوا شرعه.

ما هى الأشياء التى تعين على مواجهة الشبهات؟

بالإضافة إلى ما تقدم فإننا لابد أن نفكر فى شرف الحق وهوان الباطل. فإن الله سبحانه تعالى جعل الحق عظيمًا، وجعل له نورًا، وجعل أصحابه بمنزلة عالية، وجعل مكافأتهم الجنة. وأن تعلم أن الصبر على الحق هو الذى يجعلك تأنس بالمتاعب وترضى بالمصائب وتتلقى بالصبر والرضا والاحتساب وأنك حتى لو ضُيق عليك وحتى لو كنت مضطهدًا فإن ذلك لا يجعلك تجبن ولا تنسحب ولا تتراجع وإذا فكرت فى الباطل وما أعده الله لأهله من العذاب وما جعله عليهم من الظلمة، فإنك ستأنف من ذلك وتتركه وتبتعد عنه. ويجب الابتعاد عن الهوى، فإن هذا الهوى يُردى. ويجب التحصن بالعلم الشرعى، وبناء النفس على قواعد فى العقيدة والفقه. يجب أن تُبنى

على القـواعـد الشـرعيـة، ويجب أن يكون لـلإنـسان المسـلم علم يدفع به الشبهـات، كما أن عنده عقل يدفع به الشهـوات، وإذا كان النبى قال: (لا يورد ممرض على مـصح)، فـإنه يجب كـذلك الحذر والدعـاء: «اللهم إنى أسـألك فعل الخيرات وتـرك المنكرات وحب المساكـين وإذا أردت بعـبادك فـتنة «شبهات أو غيرها» فاقبضنى إليك غير مفتون»[1]. هكذا قال النبى ﷺ فى الدعاء، . . . . . وأن نرد كل شىء إلى أهل العلم ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2]، وهذا التأديب من الله لعباده فى الرجوع إلى أهل العلم من أجل أن يحفظهم من الوقوع فى الشبهات.

عدم نشر الشبهات

من المواقف المهمة: عدم نشر الشـبهة ولا ترويج الشبـهة وألا تُعلَن على الملأ وأن لو كنت طالبًا فى صف دراسى، وجاءت شـبهة عندك من قراءة أو سماع، لا تنشـرها فى الفصل، اذهب للمدرس وقل له: سمعت شـبهة ما هو جوابهـا، وعليك أن تسأل الله الهداية: (اهدنى لما اختُلف فـيه من الحق بإذنك).

الإنسـان قد يضطر للتعامل مع الشبـهات، قد يكون مُدرسًا والطلاب قد يأتونه بشبهات وهو لا يستطيع أن يجيب عن كل الشبهات، فيرجع إلى أهل العلم وينقل الجواب، ويبحث فى الكتب وينقل الجواب هذا هو اللازم، ولا يترك الأمور ولا يهملها.

* * *

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى (٣٢٣٣) كتاب تفـسير القرآن، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٢٣٣).

(٢) سورة النساء: الآية: (٨٣).

كيف نرد على الشبهات؟

أخى وأختى المسلمة: إن وجود قواعد شرعية مكتسبة بالعلم مأخوذة من حضور الدروس والحلق والكتب والأشرطة النافعة مهمة جداً فى بناء الأسس التى نصد بها الشبهات، وأن هناك من احتسب فى الرد على الأباطيل... واستحضر أى شىء من الأشياء التى فيها شبهات فى القضاء والقدر، فى الإيمان عن الله تعالى، شبهات فى أى جانب من الجوانب التى أثيرت عن الحجاب، تعدد الزوجات، عن الربا، تجد أن الله وفق ناسًا من هذه الأمة فكتبوا فى الإجابة على شبهات الربا وتفنيد شبهات حول الحجاب والرد على مطاعن حول تعدد الزوجات، مطاعن عن الوحى ومطاعن فى افتراءات فى قراءات القرآن وهكذا.... المهم أن يهتدى الإنسان إليها ويقرأ هذا بتمعنٍ إذا احتاج وإذا ما احتاج لا يذهب إلى الشبهات ويقول: اقرأ الشبهات ثم اقرأ الرد عليها... وقد كان من حيل بعض الخبثاء أنه يكتب كتابًا فى الرد على بعض الشبهات ويعرض الشبهة عرضًا قويًا مفصلاً واسعًا ثم يكتب الرد عليها مهلهلاً ضعيفًا قصيراً، فترسخ الشبهة ولا فائدة من الرد،... هذه من الوسائل، إذ قد يتلبسون بلباس الرد على الشبهات وفى الحقيقة أنهم يقوون الشبهات ويثيرونها ويعرضونها عرضًا قويًا.

* * *

عدم سماع الشبهات

وأيضًا فإن بعض الناس إذا أمسك بالمتحكم فى التلفزيون (الريموت) فى القنوات الفضائية، وقف على قناة فضائية فيها إثارة شبهات عن القرآن الكريم أو عن النبى ﷺ أو عن صحيح البخارى أو السنة النبوية، تسمَّر عند الشاشة يسمع ثم يأتى يقول: يا شيخ أنقذونا فهناك محطة كذا تعرض كذا وسمعنا كذا، يا أخى لما بدأت تسمع لماذا لم تغلقه؟ لما عرفت أنهم يثيرون الشبهات لماذا لم تتركهم لأنهم أعداء؟ وماذا تستفيد من موالاة الاستماع وأنت لست عالمًا ولا طالب علم، فلماذا؟ وما الذى ألجاك إلى هذا الجلوس؟.

* ودور أهل العلم فى الرد والصد فى غاية الأهمية:

١- سد منابع الفتن.

٢- معرفة الشبهات الواقعة.

٣- كتابة الردود القوية.

٤- نشر هذه الردود.

ولا يلزم عرض الشبهة أصلا.

معرفة من هؤلاء الذين ترد عليهم

وأيضًا من الوسائل المهمة عقد الدورات للدعاة لتزويدهم بالردود على الشبهات فالدعاة الذين يتحركون فى الساحة، قد يواجهون شبهات معينة. فإذا كان واحد مثلا يتحرك فى ساحة فيها أناس يدعوهم إلى الله من غير المسلمين، لابد أن يزود بالرد على الشبهات من هؤلاء الذين يدعوهم.

النبى ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال له: «إنك تأتى قومًا أهل كتاب»[1] (استعد إنك تأتى قوما أهل كتاب، لا يذهب إلى وثنيين ليس عندهم دين بل إلى أهل كتاب) فلابد من الاستعداد وإرسال معاذ عالمًا فصيحًا ذكيًا.

وكذلك فإن الذين يتحركون فى الساحة من الدعاة إلى الله لابد أن تُعقد لهم الدورات فى الرد على الشبهات فهؤلاء يدعون النصارى، إذن هذه أهم الشبهات التى يطرحونها، وهذه الردود عليها. وتقوم بعمل حوار، ويقال: هذه الشبهة من يأتى بالردود؟ فيقوم هؤلاء الطلاب الحاضرون فى الدروة بالرد. والخبير الشيخ الجالس يصحح، يقول: هذا رد جيد، هذا رد ناقص، وهذا ليس بردٍّ أصلاً، هذا لابد بتدعيمه بكذا... وهكذا يحصل تمرين، لأننا نعيش الآن فى عصر انفتاح وما أتاك فى المكتب أو ما أتاك فى الفصل أو فى المجلس أو فى جريدة أو فى قناة أو موقع انترنت ... يأتيك فى رسائل الجوال، الآن رسائل الجوال... جوالتنا الآن تأتى عليها شبهات.

وإذا كان مثلاً امرأة تدعو النساء إلى الحجاب، هناك شبهات حول الحجاب عند النساء، ... وإذا كان اقتصادى إسلامى مثلاً، يخوض غمار الدفاع عن أحكام الله فى البيوع مثلاً والإقتصاد ... سيتعرض لشبهات عن الربا ويسألونه عن الميسر وعن أشياء تجارية كثيرة جداً مليئة بالمصائب.

وأيضًا فإنه لابد من وجود دعوة تخصصية ودورات شرعية لتزويد هؤلاء بالردود على الشبهات عن الله وأسمائه وصفاته ودينه ووحيه ورسله وجنته وناره، ... شبهات متوالية:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٩٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

ولو كان سهمًا واحدًا لاتقيته

ولكنه سهم وثان وثالث

ولابد أن تُبنى الشبهات على العلم الشرعى وليس على مجرد الكلام (أحاديث - آيات - نصوص - وأشياء من الإقناعات العقلية أيضًا) وبعض الناس أحيانًا يفاجأ بواحد من أعداء الدين يثير شبهة، فيقوم ويرد عليه أى كلام. فإذا رد عليه بأى كلام سيسهل دحضه من قبل المتكلم... ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾[١].

قال ابن تيمية رحمه الله: وقد ينهون - يعنى السلف - عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة.

هناك قضية مهمة جداً وهى معرفة الأصول، يعنى مثلا لو تقرر عندك أصل الوحدانية، وحدانية الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]، ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[٣]، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾[٤]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥]، لو كان هناك آلهة متعددة ..... واحد يريد أن يُنزل المطر وهذا لا يريد، وآخر يريد أن تنبت وواحد لا يريد أن تنبت، واحد يريد قبض فلان وواحد لا يريد قبض فلان... ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[٧]، كل واحد يقول هذا تبعى وهذا تبعى، ولعلا بعضهم على بعض

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦٦).

(٢) سورة الإخلاص: الآية (١).

(٣) سورة النحل: الآية: (٢٢).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٧١).

(٥)، (٦) سورة الانبياء: الآية: (٢٢).

(٧) سورة المؤمنون: الآية: (٩١).

وتحطم هذا الكون. ولذلك هو إله واحد سبحانه ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

إذا عرف الإنسان هذا ألوهية الله ووحدانية الله وأنه ليس له ولد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٢] ، ولم يتخذ صاحبة، . . . . إذا تأصلت عنده هذه الأصول، مهما قال النصارى مثلا بأن الله ثلاثة أو أن له زوجة أو أن له ولد لا يتأثر. لماذا؟ لأن الأصل واضح .

إثبات علم الغيب لله

مثلاً: علم الله للغيب وتفرد الله بعلم الغيب. هذه قاعدة مهمة جداً: «لا يعلم الغيب إلا الله» لو تأصلت هذه المسألة فى النفس: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٣] ، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٤] ، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٥] ، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[٦] .

لا يعلم الغيب إلا الله، قالت عائشة ﵂: (ومن حدثك أن محمداً ﷺ يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله)[٧] .

ولما قالت الجارية وهى تغنى: وفينا نبى يعلم ما فى غد. قال ﷺ : «لا تقولى هكذا، وقولى ما كنت تقولين»[٨] كانت تنشد شعرًا .

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٠١).

(٢) سورة الإخلاص: الآيتان: (٣- ٤).

(٣) سورة الجن: الآية: (٢٦).

(٤) سورة الرعد: الآية: (٩).

(٥) سورة النمل: الآية: (٦٥).

(٦) سورة الأنعام: الآية: (٥٩).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٧٧) كتاب الإيمان.

(٨) صحيح: رواه البخارى (٤٠٠١) كتاب المغازى.

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ (١)، ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (٢).

فإذا كنت أمشى فى هذا الشارع وأعرف أنه ستصدمنى سيارة وأعلم الغيب فلن أمشى فيه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ ولكن لا نعلم الغيب. فإذن هذه الأدلة على علم الغيب تدل على أن الله هو الذى يعلم الغيب فقط. فلو جاء واحد يقول لك: هذا العراف أو الكاهن الفلانى أو الموقع الفلانى وفلان الفلانى يعلم أشياء فى المستقبل، ستقول: كذاب! لا يعلم الغيب إلا الله.

اتباع السنة

مثلا: لو تقرر إلينا الأصل الشرعى بوجوب اتباع السنة: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٣)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٤)، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ (٥) أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦)، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٧).

لو جاء شخص وقال: السنة فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة وملتبسة ومختلفة، وعلينا بكتاب الله فقط! عندك الجواب واضح.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٥٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٨٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٨٠).

(٤) سورة محمد: الآية: (٣٣).

(٥) أى عن أمر النبى ﷺ.

(٦) سورة النور: الآية: (٦٣).

(٧) سورة النساء: الآية: (٦٥).

إذًا فالأصول عندنا واضحة، مهما جاء واحد وشككنا وقال: السنة فيها وفيها، نقول: والقرآن يدلنا على اتباع السنة، فماذا ستقول؟

قال لنا نبينا رسول الله ﷺ: «عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»[1]، لو تقرر عندك يا أخى المسلم عدالة الصحابة، تقررت عندك بالأدلة، بنيت عقلك ونفسك وقناعتك على هذه المسألة الشرعية.

عدالة الصحابة

إذا تقررت عندك عدالة الصحابة مهما جاءك واحد وطعن فى معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما أو حتى طعن فى أعلم الصحابة، هل ستشكك؟ هل ستتهم هؤلاء الصحابة بالنفاق؟ هل ستقدح فيهم؟ هل ستكذبهم؟ لا!! لأنه تقرر عندك أنهم خير جيل بعد الأنبياء والمرسلين وأنهم ليسوا معصومين فقد وقعت منهم معاصى لكن الله غفر لهم رضي الله عنهم.

إذا غفر لهم، نحن ما شأننا نقع فيهم ونطعن فيهم. هناك شبهات كثيرة فى قضية الصحابة. فلابد أن يترسخ لدى العامة من المسلمين الأصول الشرعية (عدالة الصحابة).

كمال الشرع

مثلا فى كمال الشريعة... الشريعة اكتملت فلا مجال للزيادة، لو تقرر عندنا هذا الأصل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (إذا بنينا قناعتنا على قواعد شرعية) ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[2]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذى (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) فى مقدمة سننه، والدارمى (٩٥) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣).

الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (١).

لو قال أحدهم: والمشايخ الصوفية والأولياء والأئمة والمعصومين، هؤلاء يحق لهم بعد موت النبى ﷺ أن يقولوا كلامًا فيه تشريع جديد، إذا أنت بنيت قناعتك على أسس صحيحة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنك ستتيقن أنه لا مجال للزيادة إطلاقًا.

إذا أنت بنيت نفسك على أن: «كل بدعة ضلالة» حسب الحديث، لو جاء واحد قال: المولد بدعة حسنة، لا تقبل الكلام، لأنه ليس هناك بدعة حسنة، لأن النبى ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة»(٢) والمبتدع أصلاً يعتقد أن الدين فيه نقص، وهو الآن زاد لتكملته، فصادم الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

أنت عندما تعتقد بشمولية الدين لكل نواحى الحياة وعندك آيات وأحاديث ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾(٣)، وأنه ما مات النبى ﷺ وفى السماء طائر يطير بجناحيه إلا ترك لنا منه خبر، وقال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها»(٤).

* فالرجل الأعجمى قال لسلمان الفارسى رضي الله عنه: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة (قضاء الحاجة) قال سلمان: أجل، (لو جاء واحد وقال لي أحكام اليوم جديدة ما هى موجودة بالكتاب والسنة، والآن فى القرن الواحد والعشرين ظهرت الآن، والآن أنا أخبركم بها، لا نقبل الكلام، لأن الشريعة جاءت كاملة تامة وأى حادثة جديدة بالقياس أو بغيره يظهر حكمها ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٨٩).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٦٢).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٤) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٦٩).

(٥) سورة النساء: الآية: (٨٣).

إذن تأسيس النفوس على القواعد الشرعية يحمى الإنسان من الشبهات، ومن الأمور المهمة: الاستدلال بالواقع فى الرد على الشبهات.

مثلاً: قضية المرأة: لأن الشبهات كثيرة فيها، . . . لو جاء واحد وقال: ما لكم أيها الرجال قد احتكرتم القضايا، ولماذا هذا الظلم للمرأة؟ المرأة ليست كائنا ناقصًا وهى مثل الرجل مخلوقة مثله، لابد من المساواة فى جميع الأشياء.

هل الإسلام دين المساواة؟

السؤال الأول: هل ديننا دين المساواة أم لا؟ الجواب: هناك فروق بين الذكر والأنثى والمسلم والكافر والمكلف وغير المكلف طبعًا فهو دين المساواة بالتأكيد، لكن عندما يكون كلهم متماثلين فحكمهم واحد. . . قد يأتى رجل ويدخل من هذا المدخل، ويقول الإسلام دين المساواة، إذن الرجال والنساء فى الإسلام سواء.

نقول له: تعالَ انظر! هل الواقع والشرع يدل على أن الدين يسوى بين الرجال والنساء أو ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (١)، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(٢)؟ إذن قضية التساوى ليست صحيحة، إنها المسئولية. مسئولية الرجل عن المرأة، المرأة تريد رجلاً كامل الرجولة بمعنى الكلمة. وخُصصت النبوة بالرجال والولايات العامة بالرجال والجهاد مفروض على الرجال وليس على المرأة، والمرأة على النصف من شهادة الرجل وهكذا. . . . لكن الصحيح أن المرأة تتساوى مع الرجل فى التكاليف الشرعية والجزاء الأُخروى

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٨).

فقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[2].

الكفار لم يتوصلوا إلى المساواة

- نقول الكفار وهم كفار لم يتوصلوا حتى الآن إلى مساواة الرجال والنساء في الأجور، فعندهم معدل أجور الرجال أعلى من معدل أجور النساء، ومن الناحية الطبية اكتشفوا أن الخلاف بين النساء والرجال يصل إلى درجة الخلية. الخلاف على مستوى الخلايا. وزن الدم يختلف بين الرجل والمرأة حتى لو كان في نفس الوزن هذه سبعين كيلو، وهذا سبعين كيلو وزن الدم في هذه غير وزن الدم في هذا، عدد تلافيف الدماغ في هذه غير عددها في هذا واكتشفوا أن الرجل يختلف عن المرأة حتى في سرعة اللسان وفي سرعة المضغ، والمرأة تتفوق عليه في سرعة اللسان وتتفوق عليه في الرؤية في الضوء الخافت وسماع الأصوات، ولذلك تنتبه المرأة لطفلها ما لا ينتبه الرجل... سبحان الله! وكذلك النفسية تختلف، إذن إذا كان الواقع والأطباء والعلماء الكفار شهدوا بهذا، فكيف تريدون أنتم المساواة بين الجنسين؟!!.

- كذلك لو جاء وقال لك: يا أخي! القيود الدينية هذه التي جعلتموها بين الرجال والنساء هذه سبب الجرائم وسبب الكبت، هذا الذي ولَّد الانفجار، ولذلك الآن الشباب والشابات في أمرٍ مَريج، فقل له: طيب، المجتمعات المنحلة المنفتحة تمام الانفتاح التي لا يوجد عندهم لا حجاب ولا أحكام خلوة ولا أحكام محرم ولا أحكام لباس، ماذا حدث؟ هل انتهت مشكلة الكبت عندهم؟ أو تطورت الأمور وصار عندهم برود وصار عندهم جنس

(١) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

ثالث وصار عندهم وسائل شاذة فى الاستمتاع الجنسى مع الحيوانات والبهائم ومثلية الجنس واغتصاب العجائز، ها هو الانحلال!! فهل زاد الكبت أم تولدت مصائب جديدة؟.

شبهة اختلاط الرجال بالنساء فى الطواف

لو جاء واحد وقال: الاختلاط ما فيه شىء، لو عمل اختلاط فى فصل دراسى فى مكتب فى شركة فى ملعب ما فى مانع، لماذا؟ لأن الاختلاط موجود فى الطواف حول الكعبة، ماذا تقول؟ إن هذا الاختلاط لحال الضرورة، يعنى لو استطعنا أن نتحكم يجب أن نفصل الرجال عن النساء، ولو ما استطعنا وصارت ضرورة فإن هؤلاء الملايين يأتون فى وقت واحد فى الحج أو فى عمرة رمضان إلى آخره فإن هؤلاء إذا دخلوا الحرم بهذه الكثافة لا يمكن التحكم فيهم.

وعندما تصبح القضية قضية ضرورة يسقط الحكم، علما بأنه قد ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم فصل الرجال عن النساء فى الطواف، لكن كثيراً من الناس لا يعلمون أن هذه المسألة قد وردت عن عائشة ﵂ وعن غيرها، أنهم ما كانوا يطوفون مختلطين بالرجال، فثبتت الأحاديث بفصل الرجال عن النساء فى الطواف، وأنه لم يحدث ذلك إلا عند الضرورة مثلما يدخلوا بهذه الأعداد الكبيرة الضخمة فلا يمكن فصلهم، ولذلك فإن الاختلاط الحادث بضرورة غير الاختلاط الحادث ونحن نتحكم فيه.

أنت تتحكم فى الفصل تتحكم فى الكلية فى الجامعة فى الأماكن الأخرى أما المكان الذى لا تستطيع أن تتحكم فيه فهذه ضرورة فكيف تقيس هذا على هذا؟ فلا الحال والمشاعر واحدة، ولا فى قضية الاضطرار وعدم الاضطرار قضية واحدة، ولا حتى فى الحجاب، فانظر كيف تذهب المرأة

للإحرام بالشكل الشرعى وكيف تكون عندما تذهب إلى الكلية أو الملعب.

كيف تكون؟ وإذا أضفنا إلى ذلك أن الشريعة جاءت بالفصل، فالصلاة فيها صفوف النساء فى الخلف والرجال فى الأمام، وهناك باب خاص بالنساء أمر النبى ﷺ ألا يدخل منه الرجال، وكذلك قال: «ليس لكن أن تحققن عليكن بحواف الطريق»[1]. إذاً الحواف للنساء والوسط للرجال، فإذا جاءت النصوص تقضى بالفصل بين الجنسين فكيف نخلط نحن بين هذا وذاك؟! ثم نستدل بالطواف على نفس الأصل. ما هو الأصل؟ الفصل هو الأصل، وإذا صار ضرورة، ازدحم الناس لأى سبب، . . . صار حريق فانحشر الناس فى مكان فازدحموا على السلم مثلا، فنقول نفصل الآن!! ولذلك فإن كل ما يحدث ضرورة حكمه يختلف عن الأصل، الأصل هو الفصل. وهذا أدلته قائمة وموجودة فى أطهر البقاع، فى المسجد، ما قال الرجال جنب المرأة فى صفوف الصلاة، وجعل صفوف النساء فى الخلف: «وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وخير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها»[2]، لاقترابها من صفوف النساء.

الشبهات كثيرة وهناك مجالات متعددة، وهذه بعض الضوابط وبعض كلام أهل العلم فى الموضوع، المسألة جديرة بالاهتمام نسأل الله عز وجل أن يبصرنا بدينه، وأن يرزقنا اتباع سنة نبيه ﷺ، والله أعلم.

* * *

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٢٧٢) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٤٠) كتاب الصلاة.



صراع مع
حب الجاه والسلطان

صراع مع حب الجاه والسلطان

* وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس حُب الجاه والسلطان وحُب الزعامة والرئاسة فاستجاب له خَلْقٌ كثير وتكالبوا على الوصول إلى تلك المناصب الزائلة التى لو دامت لغيرهم ما وصلت إليهم. ونسوا أو تناسوا جُل المعانى الإنسانية فى سبيل الوصول إلى المناصب حتى وصل الأمر إلى القتال من أجل الوصول إلى تلك المناصب - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* وها نحن نخوض هذه الجولة من أجل أن نوضح لإخواننا المسلمين خطورة هذا الأمر وأن تلك المناصب أمانة وأنها يوم القيامة خزىٌ وندامة إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذى عليه فيها... كل هذا من أجل أن يزهد المسلمون فى تلك المناصب ولا يتولى عليها إلا من كلفه ولى الأمر بذلك دون استشراف نفسٍ منه، وكان كُفؤًا لهذا المنصب... وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

كلمة من القلب

أخى الحبيب: قال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم»[1].

فالشيطان يريد أن يفرق كلمة المسلمين وأن يزرع العداوة بينهم وذلك من خلال تزيين بعض الأشياء التي يتنافسون عليها ثم يبدأ في التحريش بينهم.

وكان من أهم الأشياء التى استطاع الشيطان من خلالها أن يُحرش بين المسلمين: حب الجاه والسلطان وحب المال وكذلك حب النساء.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٢) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

* ولذلك جاء التحذير الشديد من النبى ﷺ لكل مسلم حتى لا تستشرف نفسه لحب الجاه والسلطان والإمارة وغير ذلك من المناصب التى يتكالب عليها كثير من الناس.

النبى ﷺ يحذر الأمة من سؤال الإمارة

لقد كثرت الأحاديث النبوية التى يحذر فيها النبى ﷺ من الاستشراف للمناصب الكبيرة ومن سؤال الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات، ولذلك بوَّب الإمام النووى - رحمه الله - فى كتابه المبارك (رياض الصالحين) بابًا بعنوان: «باب النهى عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدعُ حاجة إليه».

وصدَّر هذا الباب بقول الله تعالى: **﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾**[1].

* ثم ذكر مجموعة من أحاديث النبى ﷺ ... فتعالوا بنا لنتعايش مع تلك الأحاديث مع شرحٍ مبسَّطٍ لها.

* **عن أبى سعيد عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال:** قال لى رسول الله ﷺ : **«يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وُكِّلت إليها، وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيرًا منها، فأت الذى هو خيرٌ، وكفِّر عن يمينك»**[2].

الإمارة معناها التأمر علَى الناس والاستيلاء عليهم. وهى كبرى وصغرى:

أما الكبرى: فهى التى تكون إمارة عامة على كل المسلمين، كإمارة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة رسول الله ﷺ ، وكإمارة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وغيرهم من الخلفاء،

(١) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٤٦) كتاب الأحكام، ومسلم (١٦٥٢) كتاب الإيمان.

هذه إمارة عامة وسلطة عامة.

وإمارة خاصة دون ذلك: تكون إمارة على منطقة من المناطق تشتمل على قرى ومدن، أو إمارة أخص من ذلك على قرية واحدة أو مدينة واحدة، وكلها يُنهى الإنسان أن يطلب فيها أن يكون أميرًا.

- وطلب الإمارة ربما يكون قصد الطالب للإمارة أن يعلو على الناس، ويملك رقابهم، ويأمر وينهى، فيكون قصده سيئًا، فلا يكون له حظ من الآخرة والعياذ بالله، ولهذا نُهى عن طلب الإمارة.

* «لا تسأل الإمارة» يعنى لا تطلب أن تكون أميرًا «فإنك أن أعطيتها عن مسألة» يعنى بسبب سؤالك «وُكِّلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها»، والمعين هو الله. فإذا أعطيتها بطلب منك وكلك الله إليها وتخلى الله عنك والعياذ بالله، وفشلت فيها ولم تنجح ولم تفلح، وإن أعطيتها عن غير مسألة بل الناس هم الذين اختاروك وهم الذين طلبوك، فإن الله تعالى يعينك عليها، يعنى فاقبلها وخذها.

وهذا يشبه المال، فإن الرسول ﷺ قال لعمر: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تُتبعه نفسك»[1].

- ولهذا ينبغى للإنسان الموفق ألا يسأل شيئًا من الوظائف، فإن رُقى بدون مسألة فهذا هو الأحسن وله أن يقبل حينئذ، أما أن يطلب ويُلح، فإنه يُخشى أن يكون داخلاً فى هذا الحديث.

فالورع والاحتياط ألا تطلب شيئًا من ترقية أو انتداب أو غير ذلك، إن أعطيت فَخُذ، وإن لم تُعط فالأحسن والأورع والأتقى ألا تطالب، فكل الدنيا ليست بشيء، وإذا رزقك الله رزقًا كفافًا لا فتنة فيه، فهو خير من مال كثير تُفتن فيه، . . . نسأل الله السلامة.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٧٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٥) كتاب الزكاة.

* وعَن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا أبا ذَر إنِّى أرَاك ضعيفًا، وإنى أحِبُّ لكَ ما أحِبُّ لِنَفسى، لا تَأمَّرنَّ على اثنين ولا تولَّين مال يَتِيم»[1].

* وعنْه قال: قلت: يا رسول الله ألا تَستعملُنى؟ فضَرب بيده على مَنْكبِى ثُمَّ قال: «يا أبا ذَرٌّ إنَّكَ ضَعيف، وإنَّهَا أمانة، وإنَّها يوم القيامَة خِزْىٌ ونَدَامةٌ، إلاَّ من أخَذها بِحقِّها، وأدى الذى عليه فيها»[2].

* وعَنْ أبى هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّكم ستَحْرِصون على الإمارة، وستكُونُ نَدَامَةً يوْم القِيامَة»[3].

* قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:

ذكر الحافظ النووى - رحمه الله- فى باب النهى عن سؤال الإمارة مانقله عن أبى ذر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «إنك امرؤ ضعيف وإنى أحب لك ما أحب لنفسى، فلا تأمرن على اثنين ولاتولين على مال يتيم» هذه أربع جمل بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى ذرّ فيها ما بيّن:

الأولى: قال له: «إنك امرؤ ضعيف»، وهذا القول إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل على النفس، وأنه قد يؤثر فيك أن يُقال لك: إنك امرؤ ضعيف، لكن الأمانة تقتضى هذا، أن يُصرح للإنسان بوصفه الذى هو عليه؛ إن قويًا فقوى وإن ضعيفًا فضعيف.

هذا هو النصح: «إنك امرؤ ضعيف»، ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلاً: إن فيك كذا وكذا، من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير، فالنبى عليه الصلاة والسلام قال: «إنك امرؤ ضعيف».

الثانية: قال: «وإنى أحب لك ما أحب لنفسى» وهذا من حسن خلق النبى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٦) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٥) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٤٨) كتاب الأحكام.

عليه الصلاة والسلام، لما كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح قال: «وإنى أحب لك ما أحب لنفسى» يعنى لم أقل لك ذلك إلا أنى أحب لك ما أحب لنفسى.

الثالثة: «فلا تأمرن على اثنين»، يعنى، لا تكن أميراً على اثنين ومازاد فهو من باب أولى.

والمعنى أن النبى ﷺ نهاه أن يكون أميرًا لأنه ضعيف، والإمارة تحتاج إلى إنسان قوى أمين، قوى بحيث تكون له سلطة وكلمة حادة؛ إذا قال فعل، لا يكون ضعيفًا أمام الناس، لأن الناس إذا استضعفوا الشخص لم يبق له حُرمة عندهم، وتجرأ عليه لُكَع بن لُكَع، وصار الإنسان ليس بشىء، لكن إذا كان قويًّا حادًّا فى ذات الله لا يتجاوز حدود الله عز وجل، ولا يقصر عن السلطة التى جعلها الله له فهذا هو الأمير حقيقة.

الرابعة: «ولا تولين مال يتيم» واليتيم هو الذى مات أبوه قبل أن يبلغ. فنهاه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتولى على مال اليتيم؛ لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]. وأبو ذر رضي الله عنه ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال حق رعايته؛ فلهذا قال: «ولا تولَّين مال يتيم» يعنى لا تكن وليًّا عليه دعه لغيرك.

ففى هذا: دليل على أنه يشترط للإمارة أن يكون الإنسان قويًّا وأن يكون أمينًا، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إنها أمانة»، فإذا كان قويًّا أمينًا فهذه هى الصفات التى يستحق بها أن يكون أميرًا، فإن كان قويًّا غير أمين، أو أمينًا غير قوى، أو ضعيفًا غير أمين، فهذه الأحوال الثلاثة لا ينبغى أن يكون صاحبها أميرًا.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠).

ولكن يجب أن نعلم أن الأشياء تتقيد بقدر الحاجة، فإذا لم نجد إلا أميراً ضعيفًا أو أميراً غير أمين، وكان لا يوجد فى الساحة أحد تنطبق عليه الأوصاف كاملة، فإنه يُولَّى الأمثل فالأمثل، ولا تُترك الأمور بلا إمارة، لأن الناس محتاجون إلى أمير، ومحتاجون إلى قاضٍ، ومحتاجون إلى من يتولى أمورهم، فإن أمكن وجود من تتم فيه الشروط فهذا هو الواجب وإن لم يوجد فإنه يُولى الأمثل فالأمثل... لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

وتختلف الأنظار فيما إذا كان لدينا رجلان: أحدهما أمين غير قوى، والثانى قوى غير أمين، كل منهما معيب من وجه، لكن فى باب الإمارة يُفضَّل القوى وإن كان فيه ضعف فى الأمانة، لأن القوى ربما يكون أمينًا، لكن الضعيف الذى طبيعته الضعف فإن الطبع لا يتغير ولا يتحول غالبًا.

فإذا كان أمامنا رجلان: أحدهما ضعيف ولكنه أمين، والثانى قوى لكنه ضعيف فى الأمانة، فإننا نؤمر القوى لأن هذا أنفع للناس، فالناس يحتاجون إلى سلطة وإلى قوة، وإذا لم تكن قوة ولا سيما مع ضعف الدين ضاعت الأمور.

وقد بوَّب الإمام النووى بابًا آخر بعنوان :

*** باب النهى عن تولية الإمارة والقضاء**

وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرَّض بها:

* عن أبى موسى الأشعرىِّ ﷺ قال: دخَلتُ على النبى ﷺ أنَا ورَجُلان مِنْ بنى عَمِّى، فقال أحَدُهُمَا: يا رسولَ الله أَمِّرنَا عَلى بعضِ مَا ولاَّكَ الله عزَّ وجلَّ، وقال الآخرُ مِثلَ ذلكَ، فقال: «إنَّا واللهِ لا نُوَلِّى هذَا العَمَلَ أحدًا سَألَه، أو أحدًا حَرَصَ عليه»[2].

---

(١) سورة التغابن: الآية: (١٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٤٩) كتاب الأحكام، ومسلم (١٧٣٣) كتاب الإمارة.

* **قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:**

وقد سبق فى حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها»**(١).

كذلك أيضًا لا ينبغى لولى الأمر إذا سأله أحد أن يُؤمره على بلد أو على قطعة من الأرض فيها بادية أو ما أشبه ذلك أن يؤمره، حتى وإن كان الطالب أهلاً لذلك، لأن النبى ﷺ كما فى حديث أبى موسى الذى ذكره المصنف لما سأله الرجلان أن يؤمرهما على بعض ما ولاه الله عليه، قال: **«إنا والله لا نولى هذا الأمر أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه»**، يعنى لا نولى أحدًا سأل أن يتأمر على شىء وحرص عليه، وذلك لأن الذى يطلب أو يحرص على ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة منع النبى ﷺ أن يولى من طلب الإمارة وقال: **«إنا والله لا نولى هذا الأمر أحدًا حرص عليه»**.

وكذلك أيضًا لو أن أحدًا سأل القضاء؛ فقال لولى الأمر فى القضاء كوزير العدل مثلاً: ولِّنى القضاء فى البلد الفلانى. فإنه لا يُولَّى، وأما من طلب النقل من بلد إلى بلد أو ما أشبه ذلك فلا يدخل فى هذا الحديث، لأنه قد تولى من قبل ولكنه طلب أن يكون فى محل آخر، إلا إذا علمنا أن نيته وقصده هى السلطة على أهل هذه البلدة فإننا نمنعه. فالأعمال بالنيات.

فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٤٦) كتاب الأحكام، ومسلم (١٦٥٢) كتاب الأيمان.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٥).

فإننا نجيب بأحد جوابين:

أولاً: إما أن يقال: إن شرع مَن قبلنا إذا خالفه شرعنا فالعمدة على شرعنا، بناء على القاعدة المعروفة عند الأصوليين «شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه» وقد ورد شرعنا بخلافه: أننا لا نولى الأمر أحدًا طلب الولاية عليه.

ثانيًا: أو يُقال: إن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أن المال ضائع وأنه يُفرط فيه ويُلعب فيه، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب، ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة سوء التدبير وسوء العمل، ويكون هذا لا بأس به؛ فمثلاً إذا رأينا أميرًا فى ناحية لكنه قد أضاع الإمرة وأفسد الخلق، فللصالح لهذا الأمر - إذا لم يجد أحدًا غيره - أن يطلب من ولى الأمر أن يوليه على هذه الناحية، فيقول له: ولنى هذه البلدة لأجل دفع الشر الذى فيها ويكون هذا لا بأس به، متفقًا مع القواعد.

ويحضرنى فى هذا حديث عثمان بن أبى العاص، أنه قال للنبى ﷺ: اجعلنى إمام قومى؛ يعنى فى الصلاة، فقال: «أنت إمامهم»[(١)] فَوَلِّى الأمر ينظر ما هو السبب فى أن هذا الرجل طلب أن يكون أميرًا، أو طلب أن يكون قاضيًا، أو طلب أن يكون إمامًا، ثم يعمل بما يرى أن فيه المصلحة[(٢)].

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٣١) كتاب الصلاة، والنسائى (٦٧٢) كتاب الأذان، وأحمد (١٥٨٣٦) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٨٠).

(٢) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - (٢/ ٣٥٨-٣٦٥) بتصرف.

صفحات مشرقة من زهد سلفنا الصالح فى الإمارة

* نحن نعلم أنه بعد وفاة النبى ﷺ كان لا بُدَّ من اختيار خليفة لهذه الأمة بعد رسول الله ﷺ .

فإذا بأبى بكر يقول للأنصـار فى سقيفة بنى ساعـدة: بايعوا عُمر أو أبا عُبيدة. . فقال عمر: بل نبـايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عُمر بيده فبايعه وبايعه الناس.

فتأمل معى كيف كان كل واحـد منهم يريد أن يتولى الآخر تلك الخلافة لأنهم يعلمون أنها أمانة وأنها يوم القيامـة خزىٌ وندامة إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذى عليه فيها.

زهد عبد الرحمن بن عوف فى الإمارة

وعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان اشتكى رُعافًا، فدعا حُمران فقال: اكتب لعبد الرحمن العَهْـد من بعدى. فكتب له، وانطلق حمران إلـى عبد الرحمن، فقال: البُشرى. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ عثمان قد كتب لك العهد من بعده. فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إيَّاى هذا الأمر، فأمِتنى قبله. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله[1].

قال الذهبى: «من أفضل أعمال عبد الرحـمن بن عوف: عزلُه نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة مَن أشار به أهلُ الحَلِّ والعقد، فنهض فى ذلك أتمَّ نهوض على جمعِ الأمـة على عثمان، ولو كان محابيًـا فيها، لأخذهـا لنفسـه أو لولاها ابن عمـه وأقرب الجـماعة إلـيه: سعـد بن أبى وقاص[2].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٨٦).

زهد سعد بن أبى وقاص فى الإمارة

وكان سعد رضي الله عنه لا يطمع فى أى شيء من حطام الدنيا فهو يعلم أن كل نعيم دون الجنة فهو سراب، وأن كل عذاب دون النار فهو عافية.. فكان لا تطمح نفسه إلا فى جنة الرحمن - جلَّ وعلا -.

وعن عامر بن سعد أنَّ أباه سعدًا، كان فى غنمٍ له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبت أرضيتَ أن تكون أعرابيًّا فى غنمك، والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يُحبُّ العبدَ التقى الغنىَّ الخفىَّ**»[1].

عمير بن سعد رضي الله عنه... وزهده فى الدنيا

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى كان لا يحابى أحدًا ولا يجامل أبدًا فى دين الله... أراد أن يختار واليًا على مدينة حمص.

وكان رضي الله عنه يشترط شروطًا فى هؤلاء الولاة لا تكاد تسمع عنها إلا فى دنيا الأحلام.

فكان يختارهم من الزاهدين الورعين الصادقين المخبتين الصائمين القائمين الذين يفرون من الإمارة ولا يرغبون فيها.

فكان يقول فى نفسه: أريد رجلاً إذا كان فى القوم، وليس أميرًا عليهم بدا وكأنه أميرهم... وإذا كان فيهم وهو عليهم أمير، بدا وكأنه واحد منهم..!!

أريد واليًا، لا يميز نفسه على الناس فى ملبس، ولا فى مطعم، ولا فى مسكن...

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

يقيم فيهم الصلاة... ويقسم بينهم بالحق... ويحكم فيهم بالعدل... ولا يغلق بابه دون حوائجهم[١].

وفى تلك اللحظة تبادر إلى ذهن عمر (عمير بن سعد) فاختاره كما اختار من قبله (سعيد بن عامر) ليكمل من بعده مسيرة الزهد والورع والعدل والتضحية.

وكان عمير وقتها يجاهد فى سبيل الله فى بلاد الشام فدعاه أمير المؤمنين (عمر) وعهد إليه بولاية (حمص) فحاول «عـمير» أن يعتذر عنها، لكن أمير المؤمنين ألزمه بها إلزامًا. فأذعن «عمير» لأمره على كُره منه؛ لأنه كان يتمنى أن يظل عمره كله فى الجهاد لكى يرزقه الله الشهادة فى سبيله.

وذهب عـمير إلى مدينة (حـمص) ليبـدأ الولاية بتلك الكلمـات التى سطرها على جبين التاريخ بسطور من نور.

فما إن دخل المدينة حـتى جمع الناس إلى صلاة جامعـة، فلما انقضت الصلاة خطب فى الناس، فحـمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه مـحمد ﷺ ثم قـال: ألا إن الإسلام حـائطٌ منيع وبابٌ وثيق، فـحائط الإسـلام العدل وبابه الحق فإذا نُقض الحائط وحُطم الباب اسـتُفتح الإسلام، فلا يزال الإسلامُ منيـعًا ما اشتـد السلطان، وليس شدة السلطان قتـلاً بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل[٢].

وبتلك الكلمات الناصعـة بدأ عُمير حياته فى مدينة حـمص ومكث فيها عامًـا كاملاً لا يصل منه أى شىء إلى أمـير المؤمنين فكتب إليه (عـمر): إذا وصلت رسالتى فـأقبل بما جبيت من الفىء. فـأخذ جرابه وقصـعته، وعلق إداوته، وأخذ عنزته[٣]، وأقبل راجـلاً -يمشى على رجليه- فـدخل المدينة، وقد شحـب، واغبرَّ، وطال شعـره. فقال: السلام عليك يا أمـير المؤمنين.

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ/ خالد محمد خالد (ص: ٤٨١).

(٢) الطبقات لابن سعد (٤/ ٢٧٧).

(٣) العنزة: عصا فى قدر نصف الرمح أو أكبر يتوكأ عليها.

فقال: ما شأنك؟ قال: ألست صحيح البدن، معى الدنيا! فظن عمر أنه جاء بمال، فقال: جئت تمشى؟ قال: نعم. قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال: ما فعلوا، ولا سألتهم. قال: بئس المسلمون!

قال: يا عمر، إن الله قد نهاك عن الغيبة. فقال: ما صنعت؟ قال: الذى جبيته وضعته مواضعه، ولو نالك منه شىء، لأتيتك به. قال: جددوا لعمير عهداً. قال: لا عملت لك ولا لأحد[1].

واستأذن (عُمير) (عُمرًا) أن يذهب إلى أهله فى قرية من ضواحى المدينة فأذن له.

وبعد فترة ليست بالطويلة أراد عمر ﷺ أن يختبر صدق عمير ليطمئن قلبه من اختياره للولاية وحفظه للأمانة.

فبعث رجلاً يقال له: الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شىء -من الثروة- فأقبل. وإن رأيت حالاً شديداً فادفع إليه هذه المائة دينار. فانطلق الحارث فإذ هو بعمير جالس يفلى قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك الله. فنزل ثم سأله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة. فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال: صالحًا. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى ضرب ابنًا له على فاحشة. فقال عمير: اللهم أعِن عمر فإنى لا أعلمه إلا شديد الحب لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لى فيها فردها.

---

(١) السير للإمام الذهبى (٢/ ٥٦١) بتصرف.

فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها فى مواضعها. فقال عمير: والله ما لى شيء أجعلها فيه. فشقَّت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديدًا. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدرى. قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرنى ما صنعت بها. قال: قدمتها لنفسى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. قال: رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لى فيه قد تركت فى المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله بالرزق (ولم يأخذ الطعام).

وأما الثوبان فإن أم فلان عارية -يعنى زوجته- فأخذهما وعاد إلى أهله[1].

وأخيرًا

أخى الحبيب: ليس معنى كل هذا أن نترك الإمارة للفاسقين والملحدين ونزهد نحن فيها فلا نقترب منها... ولكن المعنى ألا نتكالب عليها ونضحى من أجلها بكل الأخلاق والقيم الإسلامية.

* أما إن كان هناك رجل مسلم يستطيع أن يخدم الدين والوطن والأمة من خلال هذا المنصب فعلى ولى الأمر أن يوليه على هذا المنصب دون استشراف نفسٍ من هذا الرجل لذلك المنصب.

* أما أن تكون المسألة مجرد حبٍّ للتصدى والزعامة ورغبة فى الوصول لأعلى المناصب من أجل التباهى والتفاخر، فهذا هو الأمر المذموم... وبخاصة إذا كان هذا الرجل ليس كفؤًا لهذا المنصب.

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٧-٢٩٨) بتصرف.

* ونحن نعلم أنه لا بُدَّ من يوم سنقف فيه بين يدى الحق (جلَّ وعلا) وسيسألنا عن كل صغيرة وكبيرة.

قال ﷺ : «كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته...»[(١)].

قال رسول الله ﷺ : «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة، وما هى؟ أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : «إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، فنعم العرافة المرضعة وبئست الفاطمة[(٣)]»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيَّعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ : «ليوشكنَّ رجل أن يتمنَّى أنه خرَّ من الثريا ولم يَلِ من أمر الناس شيئًا»[(٦)].

وقال رسول الله ﷺ : «ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه، فكَّه برُّه أو أوثقَهُ إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزى يوم القيامة»[(٧)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٨٨) كتاب النكاح، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٢) حسن: رواه الطبرانى (١٨/ ٧١، رقم ١٣٢)، والبزار (٧/ ١٨٨، رقم ٢٧٥٦)، وابن أبى عاصم الآحاد والمثانى (٣/ ٣، رقم ١٢٨٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٢٠).

(٣) المرضعة: مثل للإمارة وما توصله لصاحبها من المنافع، والفاطمة: مثل للموت الذى يهدم عليه لذاته ويقطع منافعها.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧١٤٨) كتاب الأحكام.

(٥) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٣٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٧٤، رقم ٩١٧٤)، وابن حبان (١٠/ ٣٤٤، رقم ٤٤٩٢)، والضياء (٧/ ٥٥، رقم ٢٤٦٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٤).

(٦) حسن: رواه أحمد (١٠٥٤٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٨٦).

(٧) حسن: رواه أحمد (٢١٧٩٧) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧١٨).



صراع مع الرشوة

صراع مع الرشوة

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لبعض ضعاف النفوس أن يستغلوا مناصبهم فى أخذ الرشوة من الناس مقابل تيسير مصالحهم التى كان ينبغى أن يحصلوا عليها دون أن يدفعوا درهمًا ولا ديناراً.

وها نحن نخوض تلك الجولة لنحذر المسلمين من أخذ الرشوة أو إعطائها ولنستطيع أن نفور على الشيطان بالضربة القاضية فى هذه الجولة.

معنى الرشوة لغة واصطلاحًا:

الرشوة لغة: هى الاسم من قولهم رشاه يرشوه رشواً إذا أعطاه الجُعل وهى مأخوذة من مادة (ر ش و) التى تدلُّ على التسبب للشىء برفق وملاينة تقول: ترشيت الرجل إذا لاينته، وقال ابن منظور: الرَّشو: فعل الرَّشوة والمراشاة: المحاباة، والرَّشوة (بالفتح) والرشوة (بالكسر) والرشوة (بالضم) الجعل، قال: وهى مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لتزقه، والرائش: الذى يُسدى بين الراشى والمرتشى وفى الحديث: «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش»[1]، قال ابن الأثير: الراشى: من يعطى الذى يعينه على الباطل، والمرتشى: الآخذ (للرشوة)، والرائش الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا، ويستنقص لهذا[2]. قال: وأصل ذلك من الرشاء الذى يتوصل به إلى الماء[3].

(١) رواه أحمد (٢١٨٩٣) باقى مسند الأنصار، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (١٢٣٥)، وقال: منكر، أما الحديث دون الزيادة: «والرائش»، فهو صحيح.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٢٦.

(٣) المرجع السابق نفسه: والصفحة نفسها، ولسان العرب ١٦٥٣.

الرشوة اصطلاحًا:

قال الفيومي: الرشوة: مـا يعطيه الشخـصُ الحاكمَ وغيـره ليحكم له أو يحمله على ما يريد[١].

وقال الجرجاني: الرشوة: ما يُعطَى لإبطال حق أو إحقاق باطل[٢].

وقال ابن الأثير: الرشـوة (بالـكسـر والضم): الوصلة إلـى الحـاجـة بالمصانعة، قال: وأما ما يعطى توصلا إلى أخذ حق أو دفع ظلم فغير داخل في الرشوة[٣].

أنواع الرشوة

قال التهانوي: الرشوة على أربعة أوجه:

الأول: رشوة محـرمة من الجانبين (الراشي والمرتشـي)، ولها صورتان: **الأولى:** تقلد القضاء بحيث لا يصير (القاضي) قاضيًا بدونها، **والثانية:** دفع الرشوة إلى القاضي ليقضي له، سواء كان القضاء بحق أو بغير حق.

الثاني: دفع الرشوة خوفا على النفس أو المال، وهذه حـرام على الآخذ غير حرام على الـدافع، وكذا إذا طمع ظالم في مـاله فرشاه ببـعض المال، ومن هذا النوع ما يدفعه شخص إلى شاعر، قلت: (أو صحفي) خوفًا من الهجاء أو الذم.

الثالث: الرشوة تدفع للحـاكم ليسوي أمـرًا من الأمور، بحيث يشـترط عليه ذلك وهذه حلال للدافع حرام للآخذ فإن طلب منه أن يسوي أمره ولم يذكر له الرشوة ثم أعطاه بعد ذلك شيئًا اختلف فيه العلماء، فقال بعضهم: لا يحل له، وقـال بعضـهم: يحل... قلت: وعلى فرض أنه حـلال عند بعضـهم فإنه من الشبهات التي ينبغي أن يتقيها المـسلم الذي يستبرئ لدينه.

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٢٢٨.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٦، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٧٧.

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٦٦).

الرابع: وهو ما أشبه الرشوة وليس بها، وهو ما كان الدفع فيه على سبيل التودد والتحبب، وهذا حلال للجانبين[1].

وقفة لطيفة:

سُئل ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عن رجل أهدى الأمير هدية لطلب حاجة أو للتقرب منه، أو للاشتغال بالخدمة عنده أو ما أشبه ذلك، فهل أخذ الهدية على هذه الصورة رشوة أم لا؟ وهو إن أخذ الهدية انبعثت نفسه إلى قضاء الشغل، وإن لم يأخذ لم تنبعث النفس فى قضائه، فهل يجوز أخذها؟ وقضاء شغله أو لا يأخذ ولا يقضى؟ ورجل مسموع القول عند مخدومه (سكرتير أو حاجب أو مستشار أو ما أشبه ذلك) إذا أعطوه شيئًا للأكل أو لغير قضاء حاجة، فهل يجوز أخذها؟ وهو إن ردها على المهدى انكسر خاطره، فهل يجوز أخذ هذا أم لا؟.

أجاب - رحمه الله تعالى- عن الحالتين فقال: فى سنن أبى داود وغيره أن النبى ﷺ قال: «من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»[2]، وسُئل ابن مسعود عن السحت فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدى لك هدية فتقبلها، فقال له: أرأيت إن كانت هدية فى باطل. فقال: ذلك كفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3].

ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولى الأمر ليفعل معه ما لا يجوز، كان حرامًا على المهدى والمهدى إليه، وهذه من الرشوة التى قال فيها النبى ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى»[4]، والرشوة تسمى البرطيل،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ٦٨، قلت وعدُّ النوع الأخير من الرشوة إنما هو تسامح فى العبارة، وإلا فإنه لا ينطبق عليه تعريفها ولا حكمها.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣٥٤١) كتاب البيوع، وأحمد (٢١٧٤٨) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣١٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١٣٣٦) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٧٤٧٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٩٣).

والبرطيل فى اللغة هو الحجر المستطيل فاه، فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه أو ليعطيه حقه الواجب كانت الهدية حرامًا على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه كما كان النبى ﷺ يقول: «إنى لأعطى أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارًا» قيل: يا رسول الله فلِمَ تعطيهم؟ قال: «يأبون إلا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل»[1].

ومثل ذلك مثل من أسرَّ خبرًا، أو كان ظالمًا للناس، فأعطاه هؤلاء (كى يمتنع من نشر السر أو من الظلم) فهذا جائز للمعطى حرامٌ على الآخذ، أما الهدية فى الشفاعة كأن يشفع لرجل عند ولى أمرٍ ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقه أو يوليه ولاية يستحقها، أو يستخدمه فى الجند المقاتلة - وهو مستحق لذلك، أو يعطيه من المال الموقوف إلى الفقراء أو الفقهاء أو القراء أو النساك أو غيرهم - وهو من أهل الاستحقاق، ونحو هذه الشفاعة التى فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرم، فهذه أيضًا لا يجوز فيها قبول الهدية. ويجوز للمهدى أن يبذل فى ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه أو دفع الظلم عنه، هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر، وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء فى ذلك وجعل هذا من باب الجعالة وهذا مخالفٌ للسنة وأقوال الصحابة والأئمة، وهو غلطٌ لأن مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التى يكون القيام بها فرضًا: إمَّا على الأعيان وإما على الكفاية. ومتى شرع أخذ الجعل على مثل هذا لزم أن تكون الولاية وإعطاء أموال الفىء والصدقات وغيرها لمن يبذل فى ذلك، ولزم (أيضًا) أن يكون كف الظلم عمن يبذل فى ذلك، والذى لا يبذل لا يُولَّى ولا يُعطَى ولا يُكف عنه الظلم، وإن كان أحق وأنفع للمسلمين من هذا، ولما كانت المنفعة لعموم الناس: أعنى المسلمين. فإنه يجب أن يُولَّى فى كل مرتبة أصلح من

(١) صحيح: رواه أحمد (١٠٧٣٩) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٥).

يقدر عليها وأن يُرزق من رزق المقاتلة والأئمة والمؤذنين وأهل العلم الذين هم أحق الناس وأنفعهم للمسلمين، وهذا واجبٌ على الإمام، وعلى الأمة أن يعاونوه على ذلك فأخذ جُعل من شخص معين على ذلك يفضى إلى أن تُطلب هذه الأمور بعوض، ونفس طلب الولايات منهيٌ عنه فكيف بالعوض؟ ولزم أن من كان مُمكّنًا فيها يُولَّى ويُعطَى وإن كان غيره أحق وأولى، بل يلزم على ذلك تولية الجاهل والفاسق والفاجر وترك العالم القادر، وأن يُرزق فى ديوان المقاتلة الفاسق والجبان والعاجز عن القتال، ويُترك العدل الشجاع النافع للمسلمين وفساد مثل هذا كبير[1].

وإذا أخذ وشفع لمن لا يستحق وغيره أولى، فليس له أن يأخذ ولا يشفع وتركهما خير، وإذا أخذ وشفع لمن هو الأحق الأولى، وترك من لا يستحق، فحينئذ ترك الشفاعة والأخذ أضر من الشفاعة لمن لا يستحق، ويقال لهذا الشافع الذى له الحاجة التى تُقبل بها الشفاعة: يجب عليك أن تكون ناصحًا لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعليك أن تنصح المشفوع إليه فتُبين له من يستحق الولاية والاستخدام والعطاء، ومن لا يستحق ذلك، وتنصح للمسلمين بفعل مثل ذلك، وتنصح لله ولرسوله بطاعته فإن هذا من أعظم طاعته، وتنفع هذا المستحق بمعاونته على ذلك، كما عليك أن تصلى وتصوم وتجاهد فى سبيل الله.

وأما الرجل المسموع الكلام فإذا أكل قدرًا زائدًا على الضيافة الشرعية، فلابد له أن يكافئ المطعم بمثل ذلك، أو لا يأكل القدر الزائد وإلا فقبوله الضيافة الزائدة مثل قبوله للهدية، وهو من جنس الشاهد والشافع إذا أدى الشهادة وقام بالشفاعة لضيافة أو جعل فإن هذا من أسباب الفساد[2].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٣١ ص ٢٨٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٣١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

هل الرشوة من الكبائر؟

قال الذهبي: الكبيـرة الثانية والثـلاثون: أخذ الرشـوة على الحكم، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) قال الذهبي لا تُدلوا بأموالكم إلى الحكام: أى لا تصانعوهم بها ولا تُرشـوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيـركم وأنتم تعلمون أن ذلك لا يحل لكم.... وبعد أن ذكـر الأحاديث الدالة على التحريم، قال: إنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم، أو ليدفع له بها ما لا يستـحق، أمَّا إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، أو ليدفع عن نفسه ظلمًـا، فإنه غير داخل فى اللعنة، أما الحاكم فـالرشوة عليه حرام سواء أبطل بها حقًّا أو دفع بها ظلمًا، والرائش (وهو الساعى بالرشوة) تابع للراشى فى قصده إن قصد خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته(٢).

ما الفرق بين الرشوة والهدية؟

قال ابن قيم الجوزية: الفرق بين الهدية والرشوة - وإن اشتبها فى الصورة - القصـد... فإن الراشى قـصده بالرشـوة التوصل إلى إبطال حق، أو تحـقيق باطل، فهذا الراشى الملعون على لسـان رسول الله ﷺ فإن رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المـرتشى وحده باللعنة، وأما المهدى فقصـده استجلاب المودة والمعرفـة والإحسان، فإن قصـد المكافأة فهو مـعاوض، وإن قصد الربـح فهو مستكثر(٣).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٨).

(٢) الكبائر للذهبى (١٤٢- ١٤٣).

(٣) الروح لابن القيم (ص ٢٤٠).

ما حكم استرداد الرشوة؟

الرشوة مال حرام على آخذه، يلزمه ردُّه، من ذلك على سبيل المثال ما يدفعه الرجل إلى ولى أمر المرأة ليزوجها إياه فإن دفع له وزوَّجه إياها فإن للزوج أن يسترد ما دفعه حتى ولو مات الولى لأنه رشوة.

ولو مات المرتشى وعلم الوارث أن ما تركه من الرشوة، فإنه لا يحل له أخذه، وإن لم يعلم عين الرشوة فإن له الأخذ حكمًا، ويتصدق به بنية الخصماء، وإن ارتشى القاضى رُدَّ قضاؤه، فإن ارتشى أحد أعوانه ليعين المرتشى ولم يعلم القاضى نفذ قضاؤه وعلى القابض رد ما قبضه، ويأثم الرَّاشى[1].

النبى ﷺ يحذر الأمة من الرشوة

وها هو النبى ﷺ يحذر الأمة من مغبة الرشوة.

قال ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى»[2]. وزاد ابن حبان والحاكم «والرَّائش»[3] يعنى الذى يسعى بينهما).

* عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها، فقبلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الرِّبا»[4].

* وعن أبى حميد الساعدى قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللُّتبِيَّة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدى لى. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. وقال: «ما بال

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٨٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) منكر: وقد تقدم.

(٤) حسن: رواه أحمد وأبو داود وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣١٦).

عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدى لى! أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه حتى ينظر أيهُدى إليه أم لا؟ والذى نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه. ثم قال: «اللهم هل بلغت؟» مرتين [١].

سلفنا الصالح.... والتحذير من الرشوة

* عن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة، فردَّها، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفًا [٢] فردَّها، ولم يقبلها، وقال: سمعت ابن مسعود يقول: من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيرًا فهو سُحتٌ. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم. فقال: ذلك كفر نعوذ بالله منه) [٣].

* وقال ابن كثير فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾[٤] قال: وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين، ومناصبهم، ورياستهم فى الناس، يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خراج وهدايا وضرائب تُجبى إليهم) [٥].

* عن قتادة قال فى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[٦] قالت: إنى باعثة إليهم بهدية فمصانعتهم بها عن ملكى، إن كانوا أهل دنيا، فبعثت

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٩٧) كتاب الأحكام، ومسلم (١٨٣٢) كتاب الإمارة.

(٢) الوصيف: الخادم.

(٣) الكبائر للذهبى ١٤٣ .

(٤) سورة التوبة: الآية: (٣٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠).

(٦) سورة النمل: الآية: (٣٥).

إليهم بلبنة مـن ذهب فى حرير وديباج، فـبلغ ذلك سليمان فـأمر بلبنة من ذهب فـصُنعت ثم قُـذفت تحت أرجل الدواب على طريقـهم تبـول عليهـا وتروث، فلما جـاء رسولها، واللبنة تحت أرجل الدواب، صغـر فى أعينهم الذى جاؤوا به)[1].

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة، فتُقضى، فيهدى إليك هدية فتقبلها منه)[2].

* لكن بعض أهل العلم رخّص فى أن يدفع المسلم الرشوة إذا أُجبر على ذلك من أجل أن يأخذ حقـه.. لا مَن أجل أن يأخذ حق غيره أو أن يتـميز عن غيره، وكذلك رخصوا فى أن يدفع المسلم الرشوة إذا أراد أن يرفع الظلم عن نفسه ولم يكن هناك أى سبيل إلا الرشوة.

* (روى عن جماعـة من أئمة التابعين قـالوا: لا بأس أن يصـانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم)[3].

* لكن ليس معنى ذلك أن نـتساهل فى دفع الرشـوة بل علينا أن نجاهد أنفسنا قـدر الاستطاعة إلى أن نتـيقن من أننا وصلنا إلى درجة سـيقع فيـها الظلم علينا إن لم ندفع الرشوة فـهنا ندفعها ونـستغـفر الله على ذلك ونتوب إليه.

* * *

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٠٣).

(٢) الكبائر للذهبى (١٤٣).

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).

من مضار الرشوة

(١) هي مغضبة للرَّب، ومخالفة لسنَّة الرسول ﷺ ومجلبة للعذاب.

(٢) تسبب الهلاك والخسران في الدارين وربما أدت إلى الكفر.

(٣) هي إفساد للمجتمع حُكَّامًا ومحكومين.

(٤) تبطل حقوق الضعفاء وتنشر الظلم.

(٥) الراشي والمرتشي والرائش كلهم ملعونون عند الله ورسوله.

(٦) الرشوة في تولي القضاء والوظائف العامة تفسد أحوال المجتمع وتنشر الفساد.

(٧) الرشوة في أمور الجند تجعل الكفاءة فيهم غير معتبرة ويؤول الأمر إلى أن يتولى الدفاع عن البلاد من هم غير أهل لذلك فتحيق بهم الهزيمة، ويلحق العار البلاد بأسرها.

(٨) المرتشي تُشَدُّ يساره إلى يمينه ثم يُرمى به في جهنم وساءت مصيرًا[1].

* * *

---

(١) نضرة النعيم (١٠/ ٤٥٥٠).



صراع مع الدنيا

صراع مع الدنيا

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يجعل أكثر القلوب متعلقة بالدنيا حتى رأينا أكثر الناس يوالون من أجلها ويُعادون من أجلها. . . فكان لزامًا علينا أن نخوض هذه الجولة لنُحذر المسلمين من فتنة الدنيا ولنوضح لهم أن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر وأنها مزرعة للآخرة فينبغى علينا أن نغرس فيها الخير لنجنى ثماره فى الآخرة ومن ثَم فلا مانع من أن نسعى لإعمار الكون ولجمع المال بشرط ألا يشغلنا ذلك عن طاعة الله (جلَّ وعلا) وذلك بأن تكون الدنيا فى أيدينا وليست فى قلوبنا وأن نستعملها فيما يُرضى الله (جلَّ وعلا) وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

فضل الزهد فى الدنيا (من القرآن الكريم)

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

(١) سورة النساء: الآية: (٧٧).

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٤).

حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (٢).

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

والقرآن مملوء من التزهيد فى الدنيا، والإخبار بخستها (٣) وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها. والترغيب فى الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أقام فى قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة. ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.

قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ـ يقول: الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل فى «الزهد، والورع» وأجمعها.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام. وهو زهد العوام. والثانى: ترك الفضول من الحلال. وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله. وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتى على جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبين درجاته، وهو من أجمع الكلام. وهو يدل على أنه ﷺ من هذا العلم بالمحل الأعلى. وقد شهد الشافعى رحمه الله

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٣) إنما ذلك للحياة الدنية الخسيسة، التى يتعلق بها الغافلون عن كرامتهم، وينصرفون بها إلى البهيمية، ويخلدون إلى أرضها. أما الذاكرون لكرامتهم ودرجاتهم العالية. فإنهم يتخذون من حياتهم الأولى وما فيها مما أنعم الله عليهم به وسخره لهم - أسبابًا يرتفعون بها على مراقى البر والإحسان. فهى حياة كريمة مباركة.

بإمامته فى ثمانية أشياء «أحدها الزهد».

والذى أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه فى منازل الآخرة(١).

فضل الزهد فى الدنيا «من سُنة الحبيب ﷺ»

وتعالوا بنا لنتعرف على فضائل الزهد فى الدنيا من خلال سنة الحبيب ﷺ.

- فها هو ﷺ يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآلة الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

- روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»(٢).

- وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بمَ يرجع؟»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»(٤).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»(٥).

* وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠-١٣) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨٦).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[١].

الزهد سفر القلب إلى منازل الآخرة

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه فى منازل الآخرة. وعلى هذا صنَّف المتقدمون كتب الزهد، كـ«الزهد» لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السرى، ولغيرهم.

ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها: وهى المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوةٍ، وكان على بن أبى طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وعثمان ﷺ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير[٢].

أقسام الزهد

* وأما عن أقسام الزهد فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الزهد أقسام: زهد فى الحرام، وهو فرض عين. وزهد فى الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا. وزهد فى الفضول. وزهد فيما لا يعنى من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد فى الناس. وزهد فى النفس بحيث تهون عليه نفسه فى الله. وزهد

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥٣٥٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٣-١٤).

جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفى كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد فى الحظوظ.

والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، والورع ترك ما يُخشى ضرره فى الآخرة. والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائى بعمله مخلوقًا مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئًا، ورجل يرغب فى صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته[1].

النبى ﷺ يعلم الأمة نعمة القناعة

* وها هو ﷺ يعلم أصحابه وأمته نعمة القناعة؛ ليعلموا أن الدنيا لا تستحق أن ينشغل العبد بحطامها الزائل.

قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا فى سِربه، مُعافًى فى جسده، عندهُ قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[2].

* وقال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»[3].

* وقال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[4].

* ووضح النبى ﷺ أن الزهد فى الدنيا من أعظم أسباب صلاح هذه

(١) الفوائد (ص: ١٧٢-١٧٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

الأمة فقال ﷺ : «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل»(١).

* وأخبر الصادق ﷺ أن العبد إذا انشغل بالآخرة أتته الدنيا وهى راغمة وإذا انشغل بالدنيا خسر الدنيا والآخرة. . .

قال رسول الله ﷺ : «من كانت الآخرة هَمَّهُ، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا هَمَّهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له»(٢).

يقول أحد العلماء (حفظه الله): قرأت سيرة سعيد بن المسيب، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل، والخليل بن أحمد وأمثالهم من علماء الملة، فوجدت العجب العجاب، من قناعتهم من الدنيا بالقليل، فهم على الخبز اليابس أحيانًا مع الماء، وأحيانًا مع الزيت، وربما جاعوا الأيام ولم يجدوا طعامًا، وربما لا يجدوا إلا خبز الشعير، مع أن الدنيا تطاردهم، وعطايا السلطان تطلبهم، وهم يرفضون ويفرون. وهذا هو العلم النافع الذى أثَّر فى حياتهم وأخلاقهم، فبقى ذكرهم مرفوعًا دائمًا وأبدًا، وعمَّ نفعهم، واستُفيد من علمهم، وانتشر فضلهم والثناء عليهم. رحمهم الله رحمة واسعة وإيانا معهم(٣).

ازهد فى الدنيا يحبك الله -جل وعلا-

بل وأخبر النبى ﷺ أن الزهد فى الدنيا من أعظم أسباب الفوز بمحبة

(١) صحيح: رواه أحمد فى الزهد ص (١٠)، وصححه الألبانى العلامة رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٤٢٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) حدائق ذات بهجة (ص: ١٦٦).

الله -جل وعلا-.

* فعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ: فقال: يا رسول الله دُلَّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»(١).

* وكيف لا يزهد المسلم فى حطام الدنيا وقد قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٢).

وصية غالية

وها هو ﷺ يوصى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بهذه الوصية الغالية:

- ففى الحديث الذى رواه البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»(٣).

- وكان ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

وهذا مشهد من مشاهد الآخرة

وها هو النبى ﷺ يخبر أن المؤمن إذا عاش على طاعة الله وعلى هدى رسول الله ﷺ فإنه سينسى يوم القيامة كل شقاء وكل بلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن -جل وعلا-.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «يُؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النَّارِ يومَ القيامة، فيُصبَغُ فى النار صَبغَةً ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا ربِّ. ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ فى الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مَرَّ بى بُؤس قط، ولا رأيت شِدة قط»[1].

* ولذا كان من دعاء النبى:

«اللهم أحينى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا، واحشرنى فى زُمرة المساكين»[2].

بع دنياك بآخرتك

* قال الإمام ابن الجوزى (رحمه الله):

من تأمل بعين الفكر دوام البقاء فى الجنة فى صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلوب للنفس، والزيادة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من غير تغيير ولا زوال، إذ لا يقال ألف ألف سنة، ولا مائة ألف ألف، بل ولو أن الإنسان عد ألوف ألوف السنين لا ينقضى عدده وكان له نهاية، وبقاء الآخرة لا نفاذ له.

إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر.

وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمس عشرة صبوة وجهل، وثلاثون بعد السبعين - إن حصلت- ضعف وعجز.

والتوسط نصفه نوم، وبعضه زمان أكل وشرب وكسب، والمتحصل منه للعبادات يسير.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٢٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦١).

أفلا يشترى ذلك الدائم بهـذا القليل؟ إن الإعراض عن الشروع فى هذا البيع والشراء، لغبن فاحش فى العقل، وخلل داخل فى الإيمان بالوعد[1].

مع سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ

وها هو سيـد الزاهدين وسيد ولد آدم مـحمد بن عـبد الله ﷺ الذى عُرضت عليه الدنيا بزهرتها الفانية فأبى أن يقبلها.

- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فـقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليـوم يلتوى ما يجد من الدَّقَل[2] ما يملأ به بطنه.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض[3].

- عن عروة عن عـائشة رضي الله عنها أنها كـانت تقول: والله يا ابن أُختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثةُ أهلة فى شهرين، وما أُوقد فى أبيات رسـول الله ﷺ نارٌ. قُلت: يا خالة فـما كـان يُعيِّشُـكم؟ قالت: الأسـودان: التمـر والماء، إلا أنه قـد كـان لرسول اللـه ﷺ جيـرانٌ من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا[4].

- وعن عائشـة رضي الله عنها قالت: دخلت علىَّ امرأةٌ من الأنصـار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها، فبعثت إلىّ بفراش حشوه الصوف، فـدخل علىّ رسول الله ﷺ، فـقال: «ما هذا؟» فقلـت: فلانةٌ

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٥٩ - ٣٦٠).

(٢) الدقل: ردىء التمر.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

الأنصارية دخلت عليّ، فرأت فراشك، فبعثت إلىّ بهذا. فقال: «ردّيه» فلم أردّه، وأعجبنى أن يكون فى بيتى، حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال: «يا عائشة، رُدّيه، والله لو شئت، لأجرى اللهُ معى جبال الذهب والفضة»[(١)].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثّر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(٢)].

* بل كان النبى ﷺ يكثر من هذا الدعاء.... أنه ﷺ كان يقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[(٣)].. أى: ما يسد الرمق.

* بل تأمل معى هذا المشهد الجليل.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبى بكر وعُمر رضي الله عنهما، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا، والذى نفسى بيده، لأخرجنى الذى أخرجكما.. قوما» فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ : «أين فلان؟»، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصارى، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافًا منى، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطبٌ، فقال: كلُوا، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ : «إياك والحلوب» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورُووا قال رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى الشعب (٢/١٧٣، رقم ١٤٦٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٤٨٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزهد والرقائق.

لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما: «والذى نفسى بيده، لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»(١)(٢).

وهذا حاله ﷺ عند الموت

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عمرو بن الحارث أخى جُويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته ديناراً ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»(٣).

* وكيف لا يكون هذا هو حال النبى ﷺ وهو الذى قال: «لو كان لى مثل أحد ذهبًا، لسرنى ألا تمر علىَّ ثلاث ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلا شىءٌ أرصده لدين»(٤).

* بل وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير(٥).

* وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى، فأكلت منه حتى طال علىَّ، فكلتُهُ ففنى(٦).

---

(١) قولها: «يَسْتَعذب» أى: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. و«العِذْق» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وهو الكباسة، وهى الغُصن. و«المُدية» بضم الميم وكسرها: هى السكين. و«الحلُوب» ذات اللبن. والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم. وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، كذا جاء مبيًنا فى رواية الترمذى وغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٨) كتابُ الأشربة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٩٧) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

السبيل إلى لذة الدنيا والآخرة

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

وأكمل الناس لذة من جُمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا يُنقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه. فهذا ممن قال تعالى فيه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(١).

وأبخسُهم حظًّا من اللذة مَن تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة، فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾(٢).

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات، وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا فى وجه التمتع، فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذى أُذن لهم فيه، فجُمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذى دعاهم إليه الهوى والشهوة، وسواء أُذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة الآخرة؛ فلا لذة الدنيا دامت لهم، ولا لذة الآخرة حصلت لهم.

فمن أحب اللذة ودوامها والعيش الطيب، فليجعل لذة الدنيا موصلاً له إلى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله فى إرادته وعبادته، فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه، لا بحكم مجرد الشهوة والهوى. وإن كان ممن زُويت عنه لذات الدنيا وطيباتها، فليجعل ما نقص منها زيادة فى لذة الآخرة، ويجمّ نفسه(٣) ههنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية: (٢٠).

(٣) يجم نفسه: أي: يريحها.

فطيبات الدنيا ولذاتها نِعم العون لمن صَحَّ طلبه لله والدار الآخرة وكانت همته لما هناك، وبئس القاطع لمن كانت هى مقصوده وهمته، وحولها يدندن[1].

ما الذى يعينك على الزهد؟

وإذا أردت أن تعيش حياة الزهد الحقيقية فإن الذى يعينك على ذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر، فهى كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾[2].

وسماها الله: ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذَمَّ مَن رضى بها، واطمأن إليها.

الثانى: علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً، وأجلّ خطراً، وهى دار البقاء، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

والثالث: معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كُتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقض له منها فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فى الدنيا وتثبت قدمه فى مقامه[3].

* * *

---

(١) الفوائد: (ص: ٢١٩، ٢٢٠).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٥٤-٢٥٥) بتصرف.

وقفة لطيفة

وليس معنى الصراع مع الدنيا أن نـترك العمل ونعيش بلا هدف... بل نحن نريد أن نعمِّر الكون ونبتكر ونقود العالم كله فى مضمار التقدم والرُّقى بشرط ألا تشغلنا الدنيا عن طاعة الله.. وألا تتعلق قلوبنا بها.

فنحن نريـد أن تكون الدنيـا فى أيـدينا وليـست فى قـلوبنا.... وأن نـستعمل الدنيا فى كل ما يقربنا من الله وذلك بأن نغرس فيها كل أنواع الخير لنجنى ثماره يوم القيامة.

* * *



صراع مع النفس

صراع مع النفس

وها هى جولة جديدة نخوضها ضد الشيطان الرجيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس أن ينقادوا لشهوات النفس وأن يتبعوا أهواءهم فابتعدوا كثيراً عن النبعين الصافيين (الكتاب والسنة) وساروا وراء الأهواء والشهوات.

وها نحن نخوض هذه الجولة لنحذر المسلمين من الابتعاد عن أمر الله وأمر رسول الله ﷺ والانقياد لشهوات النفس ومُضلات الهوى... وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان الرجيم فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

حكمة جليلة

* إن من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جَبَلَ خلقه على صفات تحتاج إلى مجاهدة للتخلص منها ليميز الله الخبيث من الطيب.

وعلّق سبحانه وتعالى الفلاح بتزكية النفس كما فى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[1] وعلق الخيبة والخسران بتدسيتها كما فى قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2] وقد اتفق السالكون إلى الله - على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم - على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يُدخَل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها بمخالفتها والظفر بها.

ولذلك كان على المؤمن أن يجاهد نفسه أولاً، وألا يستهين بشأنها، فهى أولى الأعداء بالمناجزة... كما قال ابن القيم - رحمه الله -: «الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك، والنفس عدوٌ بين جنبيك، ومن سنة

(١) سورة الشمس: الآية: (٩).

(٢) سورة الشمس: الآية: (١٠).

الجهاد: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾[1].

والمؤمن الذى يطمع فيما عند الله هو الذى يهمه سياسة نفسه وتزكيتها، ولكن قد يخفى على البعض الطريقة التى يسلكها فى ذلك؛ فإن من الناس من أطلق لنفسه العنان وتركها وسجيتها حتى أوردته موارد الهلكة بعد أن أصبح رهينة لها يأتمر بأمرها وينتهى بنهيها، ومنهم من كان على الضد من ذلك تمامًا حتى خرج بها عن الشرع وألزمها أشياء ليست من الشريعة فى شيء، وإنما هى من تلاعب الشيطان ومكره بهم، ومنهم من يسوس نفسه بقياد الشرع أحيانًا وتغلبه أحيانًا فيتبعها، ومنهم من ساس نفسه حتى انقادت له واستسلمت. . . وهؤلاء الصنف فى الناس قليل[2].

النفس وحقيقتها

المراد بالنفس عند القوم: ما كان معلولاً من أوصاف العبد، مذمومًا من أخلاقه وأفعاله، سواء كان ذلك كسبيًا، أو خُلقيًا. . .

وأيضًا فإن من قواعد القوم المُجمع عليها بينهم، التى اتفقت كلمة أولهم وآخرهم ومُحققهم ومُبطلهم عليها: أن النفس حجاب بين العبد وبين الله، وأنه لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب.

فالنفس جبل عظيم شاق فى طريق السير إلى الله عزّ وجلّ. وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل. فلا بُدّ أن ينتهى إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه وإنه ليسير على من يسّره الله عليه.

وفى ذلك الجبل أودية وشعوب، وعقبات ووهود، وشوك وعوسج، وعليق وشبرق، ولصوص يقتطعون الطريق على السائرين - ولا سيما أهل الليل المدلجين - فإذا لم يكن معهم عُدد الإيمان، ومصابيح اليقين تتقد بزيت

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٣).

(٢) جهاد النفس/ على محمد الدهامى (ص ٣-٤).

الإخبات وإلا تعلقت بهم تلك الموانع وتشبثت بهم تلك القواطع. وحالت بينهم وبين السير؛ فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته، والشيطان على قُلَّة[1] ذلك الجبل. يُحذر الناس من صعوده وارتفاعه ويخوفهم منه.

فتتفق مشقة الصعود وقعود ذلك المخوِّف على قُلّته، وضعف عزيمة السائر ونيته، فيتولد من ذلك: الانقطاع والرجوع... والمعصوم من عصمه الله.

وكلما رقى السائر فى ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع، وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ قلته انقلبت تلك المخاوف كلها أمانًا، وحينئذ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق، ومشقة عقباتها، ويرى طريقًا واسعًا آمنًا، يفضى به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام، وفيه الإقامات، قد أُعدّ لِركْب الرحمن[2].

وقد جاء فى الأحاديث ما يدل على أن فى النفس شرًّا يستعيذ العبد بالله منه.

والنفس من جند القلب ورعيته وهى من أشد جنده خلافًا عليه وشقاقًا له، مَنْ قبلَها تتشوش عليه المملكة ويدخل عليه الداخل[3].

* **يقول ابن القيم - رحمه الله -:** «سبحان الله؛ فى النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعُتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغى قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبى جهل.

وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعل، وعقوق الضّب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد،

(١) القلة: رأس الجبل.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٢١).

وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراشة، ونوم الضبع. غير أن الرياضة والمجاهدة تُذهب ذلك؛ فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ولا تصلح سلعته لعقد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[1] فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون»[2].

«ففى النفس ثلاثة دواعٍ متجاذبة: داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان: من الكبر، والحسد، والعلو، والبغى، والشر، والأذى، والفساد، والغش.

وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعى الشهوة.

وداعٍ يدعوها إلى أخلاق المَلَك: من الإحسان والنصح، والبر، والعلم، والطاعة»[3].

قال بعض السلف: «خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة. وخلق البهائم شهوة بلا عقول. وخلق ابن آدم، وركَّب فيه العقل والشهوة. فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم»[4].

يقول سفيان الثورى - رحمه الله -: «ما عالجت شيئًا أشد علىَّ من نفسى، مرة علىَّ، ومرة لى»[5].

ويقول ابن حزم - رحمه الله -: «واعلم أن رياضة الأنفس أصعب من رياضة الأُسد؛ لأن الأُسد إذا سُجنت فى البيوت التى تتخذ لها الملوك أُمِنَ شرها، والنفس وإن سُجنت لم يُؤمَن شرها»[6].

وعن مالك بن دينار - رحمه الله - قال: «رحم الله عبدًا قال لنفسه:

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) الفوائد (١٤٣).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٤).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٨).

(٦) مداواة النفوس (١٥٤).

ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان لها قائدًا»[١].

أنواع النفس وصفاتها

وصف الله سبحانه وتعالى النفس في القرآن بثلاث صفات:

- نفس مطمئنة؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٢].

ونفس لوامة؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٣]ونفس أمارة بالسوء؛ وذلك في قوله سبحانه عن امرأة العزيز أنها قالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[٤].

فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره، وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٥] وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار؛ فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين.

---

(١) اعتلال القلوب (١/ ٢٨).

(٢) سورة الفجر: الآيات: (٢٧ - ٣٠).

(٣) سورة القيامة: الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

(٥) سورة الفجر: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

وإذا كانت بضد ذلك فهى أمارة بالسوء تأمر صاحبها بما تهواه: من شهوات الغى، واتباع الباطل؛ فهى مأوى كل سوء، وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه. وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل «آمرة» لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله وجعلها زاكية تأمر صاحبها بالخير، فذلك من رحمة الله لا منها. فإنها بذاتها أمارة بالسوء؛ لأنها خُلقت فى الأصل جاهلة ظالمة، والعدل والعلم طارئ عليها بإلهام ربها وفاطرها لها ذلك، فإذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها وجهلها، فلم تكن إلا أمارة لموجب الجهل والظلم، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة.

فإذا أراد سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح: من الإرادات والتصورات، وإذا لم يُرد بها ذلك تركها على حالها التى خُلقت عليها من الجهل والظلم.

وسبب الظلم: إما جهل، وإما حاجة، وهى فى الأصل جاهلة، والحاجة لازمة لها، فلذلك كان أمرها بالسوء لازمًا لها إن لم تدركها رحمة الله وفضله.

وبهذا يعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة، ولا تشبهها ضرورة تقاس بها؛ فإنه إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك.

وأما اللوامة: فاختلف فى اشتقاق هذه اللفظة؛ هل هى من التلوُّم وهو التلون والتردد، أو من اللوم؟ وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين.

قال سعيد بن جبير: «قلت لابن عباس: ما اللوامة؟ قال: هى النفس اللؤوم».

وقال مجاهد: «هى التى تندَّم على ما فات وتلوم عليه».

قال عطاء عن ابن عباس: «كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد حسنًا، وتلوم المسىء نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته».

وقال الحسن: «إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضى قُدُمًا لا يعاتب نفسه».

وأما من جعلها من التلوم فلكثرة ترددها وتلومها، وأنها لا تستقر على حال واحدة.

والأول أظهر.

والنفس قد تكون تارة أمارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة، بل فى اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل هذا وهذا وهذا. والحكم للغالب عليها من أحوالها، وكونها مطمئنة وصف مدح لها، وكونها أمارة بالسوء وصف ذَمٍّ لها، وكونها لوامة ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه(١). والعبد عليه أن يسعى بقدر استطاعته وأن يبذل كل ما فى وسعه لتكون نفسه من النفوس المطمئنة وعليه أن يتعلم الأسباب التى توصله إلى ذلك، وأن يكون سعيه فى الحياة مُنصبًّا للحصول على هذه المنزلة التى لا تعدلها منزلة. وذلك لا يكون إلا بالمجاهدة المستمرة، فإنه مع المجاهدة تكون الهداية ويكون السداد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

الناس مع أنفسهم على قسمين

والناس مع أنفسهم على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعًا لها تحت أوامرها، وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها، فصارت طوعًا لهم منفذة لأوامرهم؛ . . . قال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك؛ . . . قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(٣)، فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٣) سورة النازعات: الآيات: (٣٧-٤١).

والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء[١].

فمن عرف حقيقة نفسه وما طُبعت عليه: علم أنها منبع كل شيء، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها فـفضل من الله منَّ الله به عليها لم يكن منها. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٣]، وهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا فى النفس ولا بها، ولكن هو الله الذى منَّ بهما فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤][٥] فالنفس داعية إلى المهالك، مُعينة للأعداء، طامعة إلى كل قبيح متبعة لكل سوء، فهى تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة.

فالنعمة التى لا خطر لها: الخروج منها، والتخلص من رِقِّها، فإنها أعظم حجاب بين العبد وبين الله، وأعرف الناس بها أشدهم إزراءً عليها، ومقتًا لها.

أورد ابن أبى حاتم فى تفسيره بسنده إلى ابن عمر: أن عمر بن الخطاب قال: «اللهم اغفر لى ظلمى وكفرى فقال قائل: يا أمير المؤمنين، هذا ظلم، فما بال الكفر؟ قال: إن الإنسان لظلوم كَفَّار»[٦].

هذا ما يقوله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى ما رآه الشيطان فى طريق إلا سلك طريقًا آخر، ولكنه رضي الله عنه يشير إلى طبيعة النفس وما جُبلت عليه.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٥).

(٢) سورة النور: الآية: (٢١).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٧).

(٤) سورة الحجرات: الآية: (٨).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٢٣٥).

(٦) إغاثة اللهفان (١/ ١٤٠).

أقسام الجهاد

يقسم العلماء - رحمهم الله- الجهاد إلى أقسام... كلها جاء ذكرها أو الإشارة إليها فى الكتاب والسُّنَّة؛ فأقسام الجهاد أربعة هى:

(١) جهاد النفس وسيأتى الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله.

(٢) وجهاد الشيطان وهو مرتبتان: إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة فى الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثانى يكون بعده الصبر؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١].

(٣) وجهاد الكفار وهو أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس.

(٤) وجهاد المنافقين: وهو أشق من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة ورثة الرسل، والقائمون به أفراد فى العالم، والمشاركون فيه والمعانون عليه وإن كانوا - هم - الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً.

وجهادهم يكون كجهاد الكفار إلا أن جهادهم باللسان أخص كما أن جهاد الكفار باليد أخص[٢].

مراتب جهاد النفس

جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلُّم الهدى ودين الحق الذى لا فلاح لها ولا سعادة فى معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت فى الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا

(١) سورة السجدة: الآية: (٢٤).

(٢) بتصرف من زاد المعاد (٣/ ٥).

عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين؛ فإن السلف مُجمِعون على أن العالِم لا يستحق أن يُسمَّى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعلمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيمًا فى ملكوت السموات[1].

وقد جمع الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمور فى قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

ولذا قال الإمام الشافعى - رحمه الله -: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم»[3].

منزلة جهاد النفس

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

فعلق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا. وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ فمن جاهد هذه الأربعة فى الله هداه الله سُبل رضاه الموصلة إلى جنته. ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطَّل من الجهاد[5].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٠).

(٢) سورة العصر: الآيات: (١-٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧١).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٥) الفوائد (١٠٩).

قال ﷺ: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله»[1].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ولما كان جهاد أعداء الله فى الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه فى ذات الله - كما قال النبى ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[2] - كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو فى الخارج، وأصلاً له؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نُهيت عنه، ويحاربها فى الله، لم يمكنه جهاد عدوه فى الخارج؛ فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذى بين جنبيه قاهرٌ له متسلط عليه، لم يجاهده، ولم يحاربه فى الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يجاهد نفسه على الخروج»[3].

وفى المسند والترمذى مرفوعًا: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله»[4]؛ فقسَّم الناس إلى قسمين: كيِّس وعاجر. فالكيِّس: هو اللبيب الحازم العاقل، الذى ينظر فى عواقب الأمور؛ فهذا يقهر نفسه ويستعملها فيما يعلم أنه ينفعها بعد موتها، وإن كانت كارهة لذلك.

والعاجز: هو الأحمق الجاهل، الذى لا يفكر فى العواقب بل يتابع نفسه على ما تهواه، وهى لا تهوى إلا ما تظن أن فيه لذتها وشهوتها فى العاجل وإن عاد ذلك بضرها فيما بعد الموت، وقد يعود ذلك عليها بالضرر فى الدنيا قبل الآخرة.

فيتعجل العار والفضيحة فى الدنيا وسقوط المنزلة عند الله وعند خلقه، والهوان والخزى، ويُحْرَم بذلك خير الدنيا والآخرة من علمٍ نافع ورزقٍ واسع وغير ذلك.

(١) صحيح: رواه الطبرانى (١٣/١٨، رقم ٢٦)، وابن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٠٠ ، رقم ٦٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٢٩).

(٢) صحيح: انظر السابق.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥).

(٤) ضعيف: رواه الترمذى (٢٤٥٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٦٠) كتاب الزهد، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٤٣٠٥).

ومن خالف نـفسـه ولم يُتـبعـها هواها: تعجَّل بذلك الجـزاء فى الدنيا ووجد بركة ذلك من حصول العلم والإيمان والرزق وغير ذلك؛ قيل لبعضهم: بما بلغ الأحنف بن قيس فيكم ما بلغ؟ قال: كان أشد الناس سلطانًا على نفـسه[١] .

كـان أبو بكر بن الوراق يقـول: «استعن على سـيرك إلى الله بتـرك مَن شغلك عن الله عزَّ وجلَّ، وليس بشاغل يـشغلك عن الله عزَّ وجلَّ كنفسك التى هى بين جنبيك»[٢] .

ويقول أحمد بن أبى الحوارى: «من لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور»[٣] .

وعن مجاهد قال: «من أعزَّ نفسه أذلَّ دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه»[٤] .

وقال الصدِّيق لعمر رضي الله عنهما فى وصيته له عند موته: «أول ما أحذرك نفسك التى بين جنبيك»... وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لمن سأله عن الجهاد: «ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها».

فمن مَلَكَ نفسه وقهرها ودانها عَزَّ بذلك؛ لأنه انتصر على أشد أعدائه وقهره وأسره واكتفى شره؛... قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]، فخص الفلاح فى وقاية شح النفس، وتطلعها إلى ما مُنعت منه، وحرصها على ما يضرها مما تشتهيه من عُلوٍّ وتَرفُّعٍ، ومال وجاه وأهل مسكن، ومأكل ومشرب وملبس وغير ذلك.

فإنها تتطلع إلى ذلك كله وتشتهيه، وهو عين هلاكها ومنه ينشأ البغى والحسد والحقد، فمن وُقى شح نفسه فقد قهرها على ما أُبيح لها وأذن لها فيه، وذلك عين الفلاح.

كان بعض العارفين ينشد:

---

(١) شرح حديث: لبيك اللهم لبيك (١٢٥).

(٢) ذم الهوى (٤٥).

(٣) المصدر السابق (٤٦).

(٤) صفة الصفوة (٢/٢٠٨).

(٥) سورة الحشر: الآية: (٩).

إذا مـــا عــدت النفـسُ

عـن الحـق زجـرنـاها

وإن مـالت عـن الأخـرى

إلـى الـدنيـا مـنعـنـاها

تخـادعنا ونخـدعـهـا

وبـالـصـبـر غـلـبـنـاها

لهـا خـوف من الـفـقـر

وفـى الفـقـر أنخـناها[١]

وكان شميط بن عجلان يقول: إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم، فأرغموا أنفسهم كثيراً فى رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا، وإن المنافق عبّد هواه وعبّد بطنه وعبّد فرجه وعبّد جلده، وعبّد الدنيا وعبّد أهل الدنيا[٢].

وورد عن أبى سليمان: «أفضل الأعمال جهاد هوى النفس»[٣].

طرق تزكية النفس

أقسم جلّ وعلا أحد عشر قسمًا على أن الفلاح لمن زكّى نفسه، وأن الخيبة لمن أهملها وتركها وهواها؛ فقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٤].

وكان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم آتِ نفسى تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[٥].

---

(١) شرح حديث لبيك اللهم لبيك، (ص١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢).

(٤) سورة الشمس: الآيات: (١-١٠).

(٥) صحيح. رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

فإذا كانت التزكية على هذا الجانب من الأهمية فإن البحث عن وسائلها من أهم المهمات وأجلِّ الغايات. ونحن سنحاول فيما يلى تتبع أهم الوسائل لتزكية النفس لعلنا نفوز بالفلاح الموعود فى الدنيا والآخرة.

أولاً: الاستعانة بالله (جلَّ وعلا):

فإن العبد لا يستطيع أن يُزكى نفسه إلا إذا أعانه الله على ذلك... فعلى العبد أن يستعين أولاً بالله وأن يُكثر من الدعاء بأن يُعينه الله على تزكية نفسه.

ثانيًا: معرفة حقيقة النفس وصفاتها:

فإن معرفة حقيقة النفس وصفاتها تُسهل على العبد كيفية التعامل معها... وبذلك يستطيع أن يسلك الطريق الصحيح لتزكية نفسه.

ثالثًا: الشكوى إلى الله منها والاستعاذة بالله من شرها:

فقد كان النبى ﷺ إذا خطب قدَّم بين يدى خطبته قوله: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا...»[(١)]، ولما قال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله مُرنى بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت؛ أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسى سوءً أو أجُرَّه إلى مسلم، قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»[(٢)].

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «واجعل لى فى نفسى نورًا»[(٣)].

ومن دعائه كذلك: «اللهم آتِ نفسى تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٦٨) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٢٩) كتاب الدعوات، وأحمد (٦٥٦١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وأرشد عليه الصلاة والسلام حُصينًا والد عمران ﷺ أن يدعو بهذه الكلمات: (اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي) [١].

قال الشوكاني - رحمه الله- وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية؛ لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون به السلامة من غالب معاصي الله سبحانه؛ فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء[٢].

وبكل حال، فلا يقوى العبد على نفسه إلا بتوفيق الله إياه وتوليه، فمن عصمه الله وحفظه تولاه ووقاه شُحَّ نفسه وشرها، وقَوَّاه على مجاهدتها ومعاداتها.

ومن وكله إلى نفسه غلبته وقهرته وأسرته وجرَّته إلى ما هو عين هلاكه، وهو لا يقدر على الامتناع كما يصنع العدو الكافر إذا ظفر بعدوه المسلم بل شر من ذلك؛ فإن المسلم إذا قتله عدوه الكافر كان شهيداً، وأما النفس إذا تمكنت من صاحبها قتلته قتلاً يهلك به في الدنيا والآخرة [٣].

فلهذا كان من أهم الأمور سؤال العبد ربه ألا يكله إلى نفسه طرفة عين كما في دعوات المكروب: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[٤].

يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدا
واجعل معونتك الحسنى لنا مددا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا
فالعبد يعجز عن إصلاح ما فسدا[٥]

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٨٣) كتاب الدعوات، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٤٠٩٨).

(٢) تحفة الذاكرين (٢٨٦).

(٣) شرح حديث لبيك اللهم لبيك (١٢٩).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٥٠٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢٧٨٩٨) أول مسند البصريين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٥) شرح حديث لبيك اللهم لبيك (١٣٠).

رابعًا: الزهد بها وإكراهها:

فلا يكرم العبد نفسه بمثل إهانتها، ولا يعزها بمثل ذلها، ولا يريحها بمثل تعبها، كما قيل:

سأتعب نفسي أو أصادف راحة

فإن هوان النفس في كرم النفس

ولا يُشبعها بمثل جوعها، ولا يُؤمِّنها بمثل خوفها، ولا يؤنسها بمثل وحشتها من كل ما سوى فاطرها وبارئها ولا يحييها بمثل إماتتها، كما قيل:

موت النفوس حياتها

من شاء أن يحيا يُمت[1]

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت جدي أبا عمرو يقول: مَن كرمت عليه نفسه هان عليه دينه[2].

خامسًا: محاسبتها:

إن زكاة النفس وطهارتها موقوف على محاسبتها؛ فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح البتَّة إلا بمحاسبتها. فبمحاسبتها يطَّلع على عيوبها ونقائصها فيمكنه السعي في إصلاحها [3].

ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتَزيّنوا للعرض الأكبر يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية.

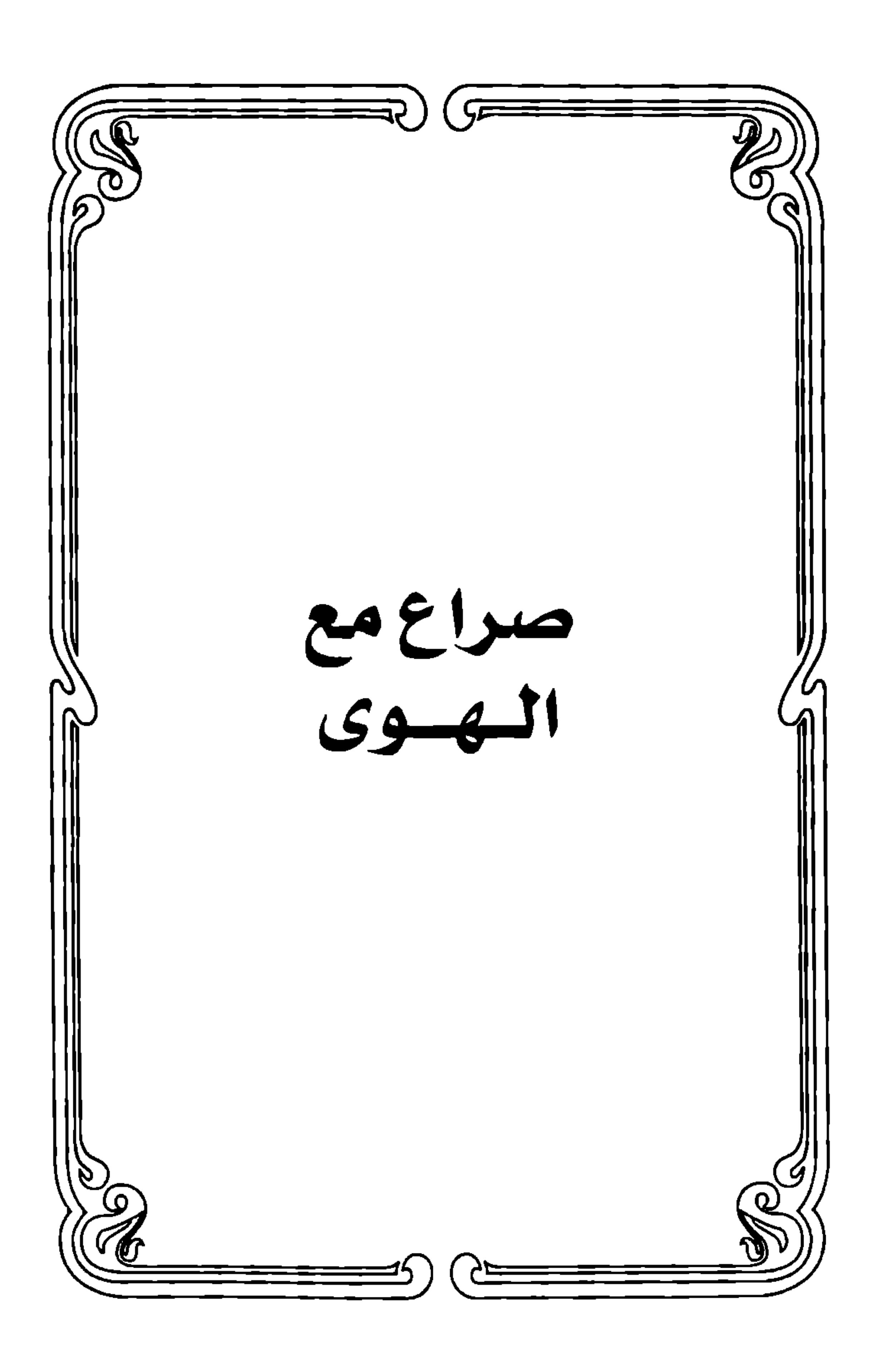
وذكر أيضًا عن الحسن قال: لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قُدُمًا قدمًا لا يحاسب نفسه.

---

(١) الفوائد (١٢٥).

(٢) الزهد للبيهقي (١٥٤).

(٣) باختصار من مدارج السالكين (٢/ ٤٧٧).



صراع مع الـهـوى

صراع مع الهوى

وها هى جولة جـديدة نخوضهـا ضد الشيطان الرجـيم الذى استطاع أن يزين لكثير من الناس اتبـاع أهوائهم. . فما كان من الشرع مـوافقًا لأهوائهم اتبعوه وما كان مخالفًا للهـوى تركوه فكان ذلك سبب ضياعهم وبُعدهم من مصدر النور والهداية.

وها نحن نخوض هـذه الجولة ضد الشـيطان الرجيم لنحذر المـسلمين من مغبة اتباع الهوى ونحضهم على الانقياد لأمر الله وأمر رسول الله ﷺ . . . وبذلك نكون قد انتصرنا على الشيطان فى هذه الجولة بالضربة القاضية.

النبى ﷺ يحذر الأمة من اتباع الهوى

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحذر الأمة من مغبة اتباع الهوى:

* **قال قطبة بن مالك** رضي الله عنه: كان النبى ﷺ يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»**[1].

* **وعن أبى برزة الأسلمى** رضي الله عنه **أنه قـال:** قال رسـول الله ﷺ : **«إن مما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومُضلات الهوى»**[2].

* **وعن حذيفة** رضي الله عنه **أنه قال:** كنا عند عمر فقـال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكـر الفتن؟ فقـال قومٌ: نحن سـمعناه، فـقال: لعلكم تعنون فـتنة الرجل فى أهله وجاره؟ قالوا: أجل[3]. قال: تلك تكفّرها الصلاة والصيام

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٩١) كتـاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الجامع (١٢٩٨).

(٢) صحيح: رواه أحمـد (١٩٢٧٣) أول مـسند البـصريين، وصحـحه العلامـة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٢).

(٣) أجل: نعم.

والصدقة. ولكن أيكم سمع النبى ﷺ يذكر الفتن التى تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم[1]. فقلت: أنا. قال: أنت؟ لله أبوك[2]! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا[3]. فأىُّ قلب أُشربها[4] نُكت فيه نُكتة[5] سوداء. وأى قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير علىّ قلبين، على أبيض مثل الصفا. فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادٌّ[6] كالكوز مُجخيًّا[7] لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه». قال حذيفة: وحدَّثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يُكسر. قال عمر: أكسرًا لا أبالك! فلو أنه فُتح لعله كان يُعاد. قلت: لا. بل يُكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يُقتل أو يموت... حديثًا ليس بالأغاليط»[8].

* عن أنس ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ كفَّاراتٌ. وثلاثٌ درجاتٌ. وثلاثٌ منجياتٌ. وثلاثٌ مهلكاتٌ. أما الكفارات: فإسباغ الوضوء فى السبرات[9]، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، ونقل الأقدام إلى الجمعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، وخشية الله فى

---

(١) أسكت: أى أطرق، وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة.

(٢) لله أبوك: كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها.

(٣) المراد بعرض الفتن على القلوب ورودها عليه متتابعة بعضها وراء بعض كالحصير تتابع أعواده عودًا بعد آخر.

(٤) أُشربها: أى دخلت فيه دخولاً تامًا.

(٥) نكت نكتة: أى نقط نقطة.

(٦) مرباد: بياض يسير يخالطه سواد كثير.

(٧) مجخيًّا: منكوسًا مائلاً.

(٨) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

(٩) السبرات: جمع سَبْرة بفتح السين وسكون الباء وهى الغداة الباردة، والمراد شدة البرد فى أوائل النهار أو غيرها.

السر والعلانية، وأما المهلكات: فشحٌ مطاعٌ، وهوى متّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسه»[(١)].

* وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»، زاد ابن يحيى وعمر في حديثهما: «وإنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تجارى[(٢)] بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عِرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله»[(٣)].

اتباع الهوى وأثره على الفرد والمجتمع

يقول الجاحظ: إذا تمكنت الشهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه بالناس؛ لأنّ أغراضه ومطلوباته وهمته تصير أبداً مصروفة إلى الشهوات واللذات فقط، وهذه هي عادة البهائم، ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه، ويكثر خَرَقُه، ويستوحش من أهل الفضل، ويبغض أهل العلم، ويود أصحاب الفجور، ويستحب الفواحش، ويُسَرُّ بمعاشرة السخفاء، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش، والتعرض للمحظورات، وربما دعته محبة اللذات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، وربما حملته على الغضب والتلصص والخيانة وأخذ ما ليس له بحق؛ فإن اللذات لا تتم إلا بالأموال والأعراض، فَمُحبُّ اللذة إذا تعذرت عليه الأموال من وجوهها، جرّته

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٤٧ ، رقم ٥٧٥٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) تجارى: أصله تتجارى والمعنى تتسابق بهم الأهواء أي تسابقهم ويسابقونها، ومؤدى هذا أنهم لا يراجعون أنفسهم فيما تميل إليه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٧) كتاب السنة، وأحمد (١٦٤٩٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٤١).

شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد، فهو أسوأ الناس حالاً، ويصبح من الأشرار الذين يخاف خبثهم، ويصير واجبًا على متولي السياسات تقويمهم وتأديبهم، وإبعادهم ونفيهم، حتى لا يختلطوا بالناس فإن اختلاط مَن هذه صفته بالناس مضرةٌ لهم، وبخاصةً الأحداث منهم؛ لأن الحدث (صغير السن) سريع الانطباع، ونفسه مجبولة على الميل إلى الشهوات، فإذا شاهد غيره مرتكبًا لها، مستحسنًا للانهماك فيها، مال هو أيضًا إلى الاقتداء به[١].

الفرق بين الهوى والشهوة

يقول الإمام الماوردي: فَرْقٌ ما بين الهوى والشهوة، أن الهوى مختصٌ بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصةٌ بنيل المستلذات فصارت الشهوة من نتائج الهوى، والهوى أصلٌ وهو أعم[٢].

وقال الراغب في الفرق بين الهوى والشهوة، أنَّ الشهوة ضربان: محمودةٌ ومذمومةٌ، فالمحمودة من فعل الله تعالى، والمذمومة من فعل البشر، وهي استجابة النفس لما فيه لذاتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعتها الفكرة، وذلك أن الفكرة بين العقل والشهوة، فالعقل فوقها، والشهوة تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ولدت المحاسن، وإذا سفلت ولدت القبائح[٣].

* * *

---

(١) باختصار وتصرف يسير عن تهذيب الأخلاق (١٥-١٦).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص٣٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٤٦) باختصار وتصرف.

أسباب اتباع الهوى

إن اتباع الإنسان لهواه دليل على نقص عقله وضعف إرادته وإيمانه وقلة مراقبته لربه. فالعاقل من يحكم عقله في هواه، وأعقل منه مَن يُحكم الشرع في عقله وهواه. وما ينبغي أن يعلم أن اتباع الهوى ينتج عن أسباب كثيرة من أهمها:

١- ضعف الإيمان وما يتبع ذلك من آثار:

كالحسد والغرور والتطلع إلى الشهرة والتكالب على الشهوة، وضعف الإرادة والتعلق بالدنيا وغير ذلك.

٢- مجالسة أهل الأهواء والتأثر بهم:

وهذه الأسباب ما نتجت إلا بسبب استيلاء الهوى وغلبة الجهل.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «رأيت كثيراً من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون من الغيبة، ويكثرون من الصدقة ولا يبالون بمعاملات الربا، ويتهجدون بالليل ويؤخرون الفريضة عن الوقت في أشياء يطول عدها من حفظ فروع وتضييع أصول فبحثت عن سبب ذلك فوجدته من شيئين: أحدهما: العادة.

والثاني: غلبة الهوى في تحصيل المطلوب، فإنه قد يغلب فلا يترك سمعًا ولا بصرًا»[1].

*** وللهوى مع العقل ثلاثة أحوال:**

الأول: أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه:

حتى تستولي عليه غلبة الهوى والشهوات، فيكلّ[2] العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون

---

(١) صيد الخاطر.

(٢) الكل: الثقل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾.

على الشباب أغلب، لقوة شهواتهم، وكثرة دواعى الهوى المتسلط عليهم.

وصاحب هذه الحالة أسير الهوى فلا يفكر إلا بهواه، ولا يعادى إلا من أجله، ولا يصادق إلا من أجله، وربما ذلَّه الهوى واتخذه عبداً: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[1]، ومَن تحكَّم فيه هواه قاده إلى الذل والهوان، والخيبة والخسران.

قال على بن أبى طالب ﷺ: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فَسَوِّفْهَا بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذلت لهما وانقادت[2].

والهوى:

إذا تغلب على العقل أسكره، فلا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وربما زاد تأثيره عليه حتى يقلب عنده الموازين، فيرى الحق باطلاً والباطل حقًّا.

والحالة الثانية: أن تكون الحرب بينهما سجالاً:

فمرة يجتذبه الهوى، ومرة يعود إلى رشده.

فعلى صاحب هذه الحالة أن يُكثر من أصدقاء الخير الذين يُذكرونه إذا نسى وينبهونه إذا غفل، ويرشدونه إذا جهل، وينشِّطونه إذا كسل، ويقوونه إذا ضعف، ويأخذون بيده إلى الطريق المستقيم، وعليه أيضًا أن يلبس درع الحرب، ويشد عليه سلاحه وينزل ميدان النفس ليجاهد جند الهوى.

قال الحسن البصرى - رحمه الله -: «أفضل الجهاد: جهاد الهوى».

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر فى مجاهدته؟

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٤٣).

(٢) أدب الدنيا والدين.

قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس فى مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعضهم: خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه فى طاعة ربه وعليه أن يستميت فى الجهاد؛ لأن الغنيمة ثمينة «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

الحالة الثالثة:

أن يتغلب على الهوى فيكبته ويقهره بالشرع، فبه يستضىء، وعلى طريقه يسير، وبرسوله يقتدى، وهؤلاء هم المستقيمون الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، الذين تمثلوا قول النبى ﷺ: «قل آمنت بالله، ثم استقم»[1]، وهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[2].

خطورة اتباع الهوى وآثاره السيئة

الأول: أنه سبب لفساد الأمور:

قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[3]، فالحق واحد ثابت، والأهواء كثيرة متقلبة.

وبالحق الواحد يدبر الكون كله، ولو خضع الكون للأهواء العارضة، والرغبات الطارئة لفسد كله، ولفسد الناس معه، واختلت الموازين والمقاييس، وتأرجحت كلها بين الغضب والرضا والكره والبغض والرغبة والرهبة، والنشاط والخمول... وسائر ما يعرض من الأهواء.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٧١).

والواجب على الإنسان ترك الهوى واتباع الحق، فإن اتباع الهوى يؤدى إلى الفساد العظيم.

الثانى: أنه سبب الضلال عن الهدى والهوان فى الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)].

فهذه الآية فيها تحذير للناس عن اتباع أهوائهم وركونهم إلى الدنيا وشهواتها وعلى كل إنسان الاعتبار بهذه القصة، والتأمل فى آيات الله بعين البصيرة والعقل، لا بالهوى واتباع الشيطان.

الثالث: أنه سبب فساد الرأى والفكر والوقوع فى التناقض:

ولهذا حذرنا الله عزَّ وجلَّ من طاعة صاحب الهوى؛ لأنه يتكلم بغير هدى ويقع فى الغفلة والعمى، . . . قال تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[(٢)].

فصاحب الهوى قد يعيب أمرًا ثم يفعله، وقد ينتقص عملاً أو مشروعًا ثم يشيد به ويشارك فيه، وقد يُسفِّه رأيًا؛ لأن قائله فلان من الناس، فيكون ميزان قبوله وردِّه للأشياء والأقوال وتوجهاته: أهواء النفس فحسب فيقع فى اضطراب كبير وتناقض كثير وفساد فى الرأى.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله-: «وصاحب الهوى يعميه الهوى ويُصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله ﷺ فى ذلك، ولا يطلبه، ولا

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (١٧٥-١٧٦).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه»[1].

الرابع: أنه سبب التفرق والاختلاف وكثرة الشقاق والنزاع:

يقول الإمام ابن بطة: «أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة والأهواء المتبعة والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بُغض، وعن نصيحة وموالاة إلى غشٍّ ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة»[2].

الخامس: أنه موجب للعقوبة من الله:

لأنه يؤدى بصاحبه إلى تزيين الباطل والزهد فى الحق وتأليه الهوى فيطبع على قلبه ويختم على سمعه، ويجعل على بصره غشاوة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

السادس: أنه يورث الكبر والعجب:

فيذرى بصاحبه أمام الآخرين، لا سيما أهل الصدق والعدل، ويكون مستثقلاً عندهم ممقوتًا فى نفوسهم لما يرونه فيه من المخالفة للحق والتكبر عن اتباعه وإعجاب صاحبه برأيه وهواه.

فمن مظاهر الكبر ردُّ الحق حتى إذا تبين له خطؤه، لا يرجع إلى الحق ولا يقبله ويصر على الباطل.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[4].

---

(١) منهاج السنة.

(٢) الإبانة لابن بطة.

(٣) سورة الجاثية: الآية: (٢٣).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٤٦).

فهذه عاقبة الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق... أنه سيصرفهم عن آياته فلا ينتفعون بها ولا يستجيبون لها.

السابع: أنه يصد عن قبول الحق واتباعه، ويزين الباطل ويقلبه فى صورة الحق:

بل ربما صار صاحبه منافحًا عن الباطل مضاداً للصواب من حيث يشعر أو لا يشعر.

وهذا قول على بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل، واتباع الهوى، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق».

وقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وما أكثر ما تفعله النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله»[1].

الثامن: أنه سبب فى ظلم العبد لنفسه ولغيره:

فيظلم نفسه بارتكابه ما حرم الله وإعراضه عما أمر الله به، ويظلم غيره بالبغي والعدوان فى أقواله وأفعاله.

يقول شيخ الإسلام: «فالنفس فيها داعى الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له والتعدى عليه فى حقه، وداعى الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث فهى قد تظلم من لا يظلمها»[2].

التاسع: أنه سبب فى البعد عن السنة والنطق بالبدعة:

ولذا يقول أبو عثمان النيسابورى: «... من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[3][4]، فصاحب الهوى يبتعد

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية.

(٢) منهاج السنة.

(٣) سورة النور: الآية: (٥٤).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية.

عن السنة ومنهج السلف قولاً وفعلاً واعتقادًا ومنهجًا.

قال ابن رجب - رحمه الله -: «وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء.

وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ﷺ: ومحبة ما يحبه»(١).

وقال الشاطبي - رحمه الله-: «ولذلك سُمِّي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها؛ حتى يصدروا عنها بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك»(٢).

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعُبَّاد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء.

العاشر: أنه سبب للهموم والأحزان:

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله-: «من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو، وتعلقه بالصور الجميلة، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه، وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى، ولا يحصل له ما يسره، بل هو في خوف وحزن دائمًا: إن كان طالبًا لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم؛ حيث لم يحصل، فإن أدركه كان خائفًا من زواله وفراقه»(٣)(٤).

* * *

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) الاعتصام.

(٣) مجموع الفتاوى.

(٤) بتصرف من كتاب (كيف الخلاص وكلهم أعدائي؟!) هويدا الخطيب (ص: ١٠٠-١٠٤).

سلفنا الصالح... والتحذير من اتباع الهوى

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما ذكر الله عزَّ وجلَّ الهوى في موضع من كتابٍ إلا ذَمَّه»[١].

* قال علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أتَخَوَّف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى. فأما طول الأمل فيُنسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق. ألا وإن الدنيا قد ولَّت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدةٍ منهما بَنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل»[٢].

* قال قتادة رحمه الله تعالى: «إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى، فقد اتخذ إلهه هواه»[٣].

* قال أبو قلابة - رحمه الله تعالى-: «لا تُجالسوا أصحاب الأهواء ولا تُجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[٤].

* قال إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى-: «لا تُجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتُورِثُ البغضة في قلوب المؤمنين».

* وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى-: «وقد سُئل: هل في أهل القبلة شرك؟ فقال: نعم، المنافق مشرك. إن المشرك يسجد للشمس والقمر من دون الله، وإن المنافق عَبَدَ هواه، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (١٢).

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٥٣٠).

(٣) أضواء البيان (٦/ ٣٣٠).

(٤) سنن الدارمي (١/ ١٢٠).

إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾[(١)].

* قال يونس بن عبيد - رحمه الله-: «أوصيكم بثلاث: لا تُمكّنَنَّ سمعك من صاحب هوى، ولا تخلُ بامرأةٍ ليست لك بمحرم ولو أن تقرأ عليها القرآن، ولا تدخلنَّ على أمير ولو أن تعظه».

* قال مالك - رحمه الله تعالى -: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أورع الناس. وصاحب بدعةٍ يدعو إلى هواه. ومن يكذب فى حديث الناس وإن كنت لا أتَّهمه فى الحديث. وصالح عابدٍ فاضلٍ إذا كان لا يحفظ ما يحدث به»[(٢)].

* وكان مالكٌ إذا جاء بعض أهل الأهواء قال: «أما إنى على بينةٍ من دينى، وأما أنت فشاكٌّ، اذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه»[(٣)].

* قال الشافعى - رحمه الله تعالى -: «لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنبٍ ما خلا الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بشىء من الأهواء»[(٤)].

* قال أبو عثمان النيسابورى: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[(٥)(٦)].

* قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى-: «أضل الضُّلاَّل: هم أتباع الظن والهوى، كما قال الله تعالى فى حق من ذمَّهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[(٧)]، وقال فى حق نبيه ﷺ : ﴿ وَالنَّجْمِ

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٤٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧-٦٨).

(٣) السير (٨/ ٩٩)، والاعتصام (١/ ٩٦).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ١١١).

(٥) سورة النور: الآية: (٥٤).

(٦) الاعتصام (١/ ٧٢).

(٧) سورة النجم: الآية: (٢٣).

إذا هوى ۞ ما ضل صاحبكم وما غوى ۞ وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلا وحي يوحى﴾[١]، فنزَّهه عن الضَّلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضالُّ هو الذى لا يعلم الحقّ، والغاوى الذى يتبع هواه، وأخبر (عن نبيه ﷺ) أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحيٌ أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزَّههُ عن الهوى»[٢].

* قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - فى تفسير قوله تعالى: ﴿أرأيت من اتَّخذ إلهه هواه﴾[٣] يعنى أنه مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا فى هوى نفسه كان دينه ومذهبه... كما قال تعالى: ﴿أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا فإنَّ الله يُضلُّ من يشاءُ﴾[٤][٥].

* قال ابن رجب - رحمه الله تعالى- : «إن جميع المعاصى تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى فى مواضع من كتابه، وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، ومن كان حبُّه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا فى إيمانه الواجب، فيجب عليه حينئذٍ التوبة من ذلك، والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها»[٦].

* قال ابن حبَّان - رحمه الله تعالى-: «العقل والهوى متعاديان، فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مُسعفًا ولهواه مُسوِّفًا. فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه؛ لأنَّ فى مجانبة الهوى إصلاح السرائر،

---

(١) سورة النجم: الآيات: (١-٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٤).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٤٣).

(٤) فاطر: الآية: (٨).

(٥) التفسير (٣/ ٣٢٠).

(٦) جامع العلوم والحكم (٣٦٦-٣٦٧) بتصرف.

وبالعقل تصلح الضمائر»[1].

* قال الشاعر:

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى
فقد ثكلته عند ذاك ثواكلهْ

وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه
وقد وجدتْ فيه مقالاً عواذلهْ

وما يردع النفس اللَّجُوج عن الهوى
من الناس إلا حازمُ الرأى كاملُهْ[2]

* قال بعضهم:

إنى بُليت بأربعٍ يرمينني
بالنَّبل من قوسٍ لها توتيرُ[3]

إبليس والدنيا ونفسى والهوى
يا رب أنت على الخلاص قديرُ[4]

علاج الهوى

يُعالَج بالعزم القوى فى هجران ما يؤذى، والتدرج فيما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبرٍ ومجاهدةٍ، ويهون ذلك على المبتلى أمور سبعة هى:

١- التفكر فى أن الإنسان لم يُخلق للهوى، وإنما هُيئ للنظر فى العواقب والعمل للآجل، فلو كان نَيلُ المشتهى فضيلة لما بخس الإنسان - وهو سَرَفٌ فى حظه - منه وزاد عن حظِّ البهائم، وفى توفير حظ الآدمى

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩).

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٥).

(٣) لها توتير: يوضع لها وتر.

(٤) بصائر ذوى التميز للفيروزآبادى (٥/ ٣٩٥).

من العقل وبخس حظه من الهوى دليلٌ على فضل هذا وذاك.

٢- التفكر فى عواقب الهوى، فكم فوَّت من فضيلةٍ، وكم قد أوقع فى رذيلة، وكم من زلة أوجبت انكسار جاهٍ وقُبح ذكرٍ مع إثمٍ، غير أن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى.

٣- تصورُ العاقل لانقضاء غرضه من هواه، ثم يتصور مدى الأذى الذى يحصل له عقب اللذة، فإنه حينئذٍ سيرى أن ما حصل له من الأذى يربو على الهوى أضعافًا مضاعفة.

٤- تصور عاقبة ذلك فى حق غيره؛ فعندئذٍ سيرى ما يعلم به عيب نفسه إن هو وقف فى ذلك المقام وارتكس فى هذه الآثام.

٥- التفكر فى حقيقة ما يناله باتباعه هواه من اللذات والشهوات، فإن العقل سيخبره أنه ليس بشىء، وإنما عين الهوى عمياء.

٦- التدبر لما يحصل له من عز الغلبة إن ملك نفسه، وذُل القهر إن غلبته، فما من أحد غلب هواه إلا أحسَّ بقوةِ العزِّ، وما من أحدٍ غلبه هواه إلا وَجَدَ فى نفسه ذُل القهر.

٧- التفكر فى فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذكر الجميل فى الدنيا، وسلامة النفس والعِرْض والأجر فى الآخرة، ثم يعكس فيتفكر لو وافق هواه فى حصول عكس ذلك على الأبد، من كان يكون يوسف لو نال تلك اللذة؟ فلما تركها وصبر عنها بمجاهدةِ ساعةٍ، صار مَن قد عرفت[1].

* * *

(١) ذم الهوى (١٤، ١٥) بتصرف.

دعوة مستجابة

أخي الحبيب .. أختي الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربي - عز وجل - أن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبي وأمي.

فما كان في هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان .. والله ورسوله ﷺ منه براء ... وأعوذ بالله أن أذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل عليَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عني وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

* روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله»(١).

* جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

* كما أنصح إخواني وأخواتي بقراءة هذا الكتاب على المسلمين في المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

الفهرس

أهداف الحرب الشيطانية

مداخل الشيطان فى إضلال الإنسان

مداخل الشيطان لإفساد القلوب

وما هى الحكمة فى بقاء إبليس إلى آخر الزمان؟

التحصينات الإيمانية ضد المداخل الشيطانية

صراع مع الذنوب

صراع مع هجر الصلاة

صراع مع الموضة

صراع مع النظرة الحرام

صراع مع فتنة النساء

صراع مع أصدقاء السوء

صراع مع الفراغ

صراع مع اللقمة الحرام

صراع مع التشاؤم

صراع مع الأخلاق السيئة

صراع مع اليأس

صراع مع اللسان

صراع مع الإشاعات

صراع مع التدخين

صراع مع الخمور والمخدرات

صراع مع الغضب

صراع مع التشدد والغلو

صراع مع قسوة القلب

صراع مع الجهل

صراع مع الشُبهات

صراع مع حب الجاه والسلطان

صراع مع الرشوة

صراع مع الدنيا

صراع مع النفس

صراع مع الهوى

* * *



www.ibtesama.com
من إصداراتنا
للشيخ
محمود المصرى
أبو عمار
يوسف الأحلام
تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد
موسوعة الزواج الإسلامى السعيد
أصحاب الرسول
صحابيات حول الرسول
رحلة إلى الدار الآخرة
سيرة الرسول
مسك الختام
فتاوى الناس
فتاوى الناس
فتاوى الناس
فتاوى الحج والعمرة
موسوعة الحقوق الإسلامية
قصص القرآن للأطفال
قصص الرسول
ساعة وساعة
نوادر وعجائب
لا تحزن وابتسم للحياة
رفقاً بالمخطئين
كيف نتعامل مع أخطاء الناس
قصص الأنبياء للأطفال
حكايات عمو محمود
حكايات عمو محمود للأطفال
تفسير جزء عم
السحر الحلال
كيف تكسب قلوب الناس


GREAT IS OUR GOD
حصريات مجلة الابتسامة
WWW.IBTESAMA.COM
مجلة الابتسامة